

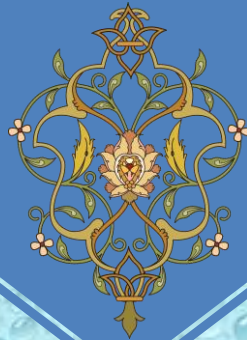
النبي محمد ﷺ

في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

(دراسة في نهج البلاغة)

انتصار عثمان عبد الواحد العواد

(كلية الآداب . جامعة البصرة)



اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

السر سائل
حاسة داسا
البحر مجمع
حاسة داسا

النبي محمد ﷺ

في رؤية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

- دراسة في نهج البلاغة -

أطروحة تقدمت بها الطالبة

انتصار عدنان عبد الواحد العواد

الى مجلس كلية الآداب - جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ

الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

جواد كاظم منشد النصر الله

2013 م

1434 هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْنَا
مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ

عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

صدق الله العلي العظيم

الرعد 43



شكر وتقدير

الحمد لله الذي لم يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعمائه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، اللهم لك الحمد على ما أوليتني من جميل صنعك وجليل نعمتك عليّ بولاية محمد وال محمد والتوفيق لخدمتهم .

بدءا اني لانحني امام الاسم بين العظيمين " المصطفى محمد ﷺ والمرضى علي ﷺ " الذين زين عنوان وصفحات بحثي من اولها الى آخرها راجية قبولا مشفوعا بالعمو عن كل تقصير بدر مني، ولكن لا طاقة لقلمي اكثر مما قدمته كي يطوف في عوالمهم النورانية الشاسعة ، إلا أنها امنيتي اتخطى بها مخاوفي لأدنو منهم إذ سكن ودهم وولائهم في عقلي ووجداني ، ونيتي تحو بي على شغف لإنال شفاعتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون. واجد لزاما علي أن أنسب الفضل لذويه لعلي أوذي حق المتفضلين علي بعد الله سبحانه واهل البيت الكرام ﷺ ، يقول الامام زين العابدين ﷺ : " واما حق ذي المعروف عليك ، فان تشكره ، وتذكر معروفه وتكسبه المقالة الحسنة وتخلص له في الدعاء فيما بينك وبين الله عز وجل فاذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرا وعلانية".

وإن عبارات الشكر لتضيق ذرعا بما اضمره من شكر وامتنان واجلال لاستاذي المشرف - مثال الورع وحسن الخلق - الذي خصني بوافر رعايته الحانية ، مواكبا مسيرتي البحثية خطوة بخطوة ، واني لأكبر فيه كل يوم خلقه السامي ومواقفه النبيلة وصبره الجميل وآراءه العلمية القيمة ، فكان اثره طيبا وبيّنا في التفضل باخراج هذا العمل الى حيز الوجود بعد ان كان حلما يراود الخيال.

والى استاذنا المبجل ، المفكر الالمعي عيلم العراق الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي اقف وقفة اجلال وامتنان لما غمرني به من رعاية ابوية منذ لقاائي الاول به ، واثمن باعتزاز ترأسه لجنة المناقشة واني لاحسب ذلك لطفًا الهيا ودعما لمجهودي ولا املك قبالة تفضله علي الا دوام الشكر والدعاء بان يمد الله في عمره ولا يحرمانا ظله انه سميع مجيب.

ومن باب الاقرار بالفضل ، ان اذكر باعتزاز كبير المواقف الطيبة (على المستوى الانساني والعلمي) لاستاذتي الفاضلة الدكتورة سلمى عبد الحميد الهاشمي التي كانت وما زالت تغذيني بحنانها السمع ولطفها الغمر، وترعاني برعاية خاصة ملئت نفسي ودا وعرفانا واحتراما لشخصها الكريم.

ومن الوفاء ألا أنسى استاذي الكبير في علمه وخلقه الأستاذ الدكتور محمد جواد الموسوي الذي ما زال باسطا لي وجهه الكريم وقلبه الطيب وفكره النير، فما التقيته يوما الا وشعرت برعايته الابوية والعلمية حفظه الله ذخرا وملذا .



شكر وتقدير

وبفائق الامتنان اتقدم الى جناب الاخ الدكتور هادي التميمي وأحيي فيه الروح الانسانية الطيبة ، شاكرة له ما نالني منه من اهتمام ورعاية ووقفات نبيلة جزاه الله خير الجزاء .

واغتنم هذه المناسبة لاتقدم بالشكر لكل من تتلمذت على يديه من معلمين ومدرسين ، والاساتذة الذين اسهموا في بلورة اهتمامي بالبحث العلمي في مرحلة البكالوريوس والتحضيرية للماجستير والدكتوراة واخص منهم الاساتذة الدكتورة سلمى الهاشمي والاساتاذ الدكتور شاكر مجيد كاظم الذي افادني بملاحظاته العلمية حول المادة المختصة بتاريخ العرب قبل الاسلام والاساتاذ الدكتور جواد كاظم النصر الله والاساتاذ المساعد الدكتور هشام الربيعة والاساتاذ المساعد الدكتور مجيد الزامل والدكتور نزار عبيد الذي تفضل مشكورا بترجمة ملخص الاطروحة الى اللغة الانكليزية . جزاهم الله جميعا خير جزاء المحسنين.

شكري وتقديري للدكتور سعد وحيد الذي تفضل بتقويم الاطروحة لغويا ، والشكر موصول للمقوم العلمي. واسجل باعتزاز الموقف النبيل للاخ الدكتور عباس عبد الحسين لما ابداه من ملاحظات قيمة شاكرة له هذا الفضل ، داعية له بالتوفيق والسداد . واثمن جهود كل من مد لي يد العون ووقف الى جانبي بدءا بمن اعارني من كتبه المفيدة كالاخ الدكتور عمار جاسم والشيخ ميثم طالب وفقهم الله جميعا .

وخالص شكري وامتناني لكل من وجدت لديه شيئا من الأئس حين ناءت النفس ب أحمالها ، وفي طليعتهم عائلتي الكريمة و شكري وتقديري لكل اولئك المخلصين للمعرفة الخادمين بصمت ، في مختلف المكتبات على ما وجدناه لديهم من مساعدة وما ادوه من تفهم وسعة صدر امام حاجة للكتاب لا تكاد تنتهي.

الأهداء

سيدي يا صاحب الزمان ..

يا املني الذي اودعته حنايا الروح ابد الدهر ..

يا هيبه من جدك المصطفى تمتد أفقا بتلظى ..

فأنت للصبر صبر فأتى صبري يجتدي منك صبرا ..

فقد أربك الموج سفين ة روعي .. وارى في ضفافك المستفرا ..

لم نزل عاشقيك سيدي نخضر وجداً واشتياقاً للقباك حرى ..

" فمتى ترانا ونراك "

والى ليث الطفوف وراعي الجود ..

وحامي الهودج القدسي ..

سيدي أبا الفضل ...

يا من تألق الجود في راحتيه ف أضى للكرم مثلاً ..

يا حاملاً دمه من طف روحك للآتين إن ظمئوا ..

ها قد اتاك قلبي المتيم فأ روه سيدي من فيض جودك فقد ذاب عطشا

ليورق الأملا ..

سادتي منكم والبيكم

الباحث

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
	الاهداء
	شكر وتقدير
	المحتويات
أ - ع	المقدمة
74 - 1	الفصل الاول: علاقة الامام امير المؤمنين <small>عليه السلام</small> بالنبي الاعظم محمد <small>صلوات الله والرحمة</small>
45 - 1	المبحث الاول : ابعاد العلاقة بين النبي <small>صلوات الله والرحمة</small> والامام امير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
21 - 2	- القرابة القريبة
45 - 22	- المنزلة الخصيصة
74 - 46	المبحث الثاني : مستويات العلاقة بين النبي <small>صلوات الله والرحمة</small> والامام امير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
64 - 46	اولا : المستوى الروحي والاخلاقي
73 - 64	ثانيا : المستوى العقائدي
73	ثالثا : المستوى الفكري والعلمي
214 - 75	الفصل الثاني : بيئة النبي <small>صلوات الله والرحمة</small>
81 - 75	تمهيد
111 - 82	المبحث الاول : الجانب الجغرافي والاقتصادي
109 - 82	- الجانب الجغرافي
111 - 110	- الجانب الاقتصادي
176 - 112	المبحث الثاني : الجانب السياسي الاجتماعي
114 - 112	- الجانب السياسي
176 - 115	- الجانب الاجتماعي :
130 - 115	• طبيعة المجتمع قبل الاسلام
135 - 130	• دور النبي في اصلاح مجتمعه
176 - 135	• المكون المجتمعي
214 - 177	المبحث الثالث : الجانب الديني

319-215	الفصل الثالث : النبوة في نهج البلاغة الوظائف – العلامات – السمات
221 - 215	تمهيد : مفهوم النبوة وضرورتها
230 -222	المبحث الاول : وظائف النبوة
279 – 231	المبحث الثاني : علامات النبوة :
259 -231	• شرف النسب وطهارة المولد
263 - 259	• الميثاق
273- 263	• الاختصاص بالوحي
279 - 274	• المعجزة
319-280	المبحث الثالث : سمات النبي الاعظم <small>صلوات الله عليه وآله</small> وسجاياه الخلقية :
287 - 280	اولا : السمات الخاصة :
281 - 280	• مقام الشهادة
283 - 281	• مقام الخاتمية
287 - 283	• النبي الامي
319 - 287	ثانيا : السجايا الخلقية :
293 - 287	• تمهيد (صفات الكمال)
296 - 293	• الرحمة
299 - 296	• العدل
302 -300	• البلاغة
307 -302	• التواضع
310 – 307	• الشجاعة
319 - 310	• الزهد
378-320	الفصل الرابع : مقدمات البعثة النبوية واحداثها
331 - 320	المبحث الاول : تعبد النبي <small>صلوات الله عليه وآله</small> في غار حراء
351 - 332	المبحث الثاني : البعثة النبوية
340 -334	• مقدمات نبوته <small>صلوات الله عليه وآله</small>
351 - 340	• لقائه بالوحي
378 – 352	المبحث الثالث : الدعوة المحمدية
374 – 352	- مراحل الدعوة والتبليغ وبناء الدولة :
355 -352	• مرحلة اعداد القاعدة الايمانية الاولى
364 -356	• مرحلة الاعلان العام للدعوة وبداية المواجهة مع المشركين

374 - 364	• مرحلة الهجرة وبناء الدولة
378 - 375	- اساليب النبي ﷺ في دعوته
436 - 379	الفصل الخامس : السنة النبوية في رؤية أمير المؤمنين ﷺ
387 - 379	المبحث الاول : مفهوم السنة النبوية ومكانتها
380 - 379	• معنى السنة لغة واصطلاحا
387 - 380	• مكانة السنة :
385 - 381	1- في القران الكريم
387 - 385	2- في الحديث النبوي
410 - 388	المبحث الثاني : السنة النبوية ومكانتها في رؤية أمير المؤمنين ﷺ
398 - 393	• السنة النبوية ومكانتها في نهج البلاغة
410 - 398	• واقع السنة بعد النبي ﷺ في ضوء نهج البلاغة
436 - 411	المبحث الثالث دور أمير المؤمنين ﷺ في احياء السنة النبوية
416 - 411	اولا : مؤهلاته العلمية
436 - 416	ثانيا : منهجه في احياء السنة النبوية
440 - 437	الخاتمة
483 - 441	فهرس المصادر
A - C	الملخص باللغة الانكليزية

المقدمة

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره ، وسبباً للمزيد من فضله ، ودليلاً على آلائه وعظمته ، والصلاة على الهادي الأمين الذي أرسله الله بالضياء ، وقدمه في الاصطفاء ، فرتق به المفاتيح ، وساور به المغالب ، وذلك به الصعوبة ، وسهل به الحزونة ، حتى سرح الضلال عن يمين وشمال ، وعلى أهل بيته الميامين ، موضع سره ، ولجأ أمره وعيبه علمه ، وموئل حكمه ، وكهوف كتبه ، وجبال دينه ، بهم أقام انحناء ظهره ، وأذهب ارتعاد فرائضه وسلم تسليماً كثيراً.

لما كان النبي ﷺ يعد المصدر الثاني بعد القرآن، فهو المترجم العملي لما طرحه القرآن ودعا إليه، لذا وجب الإطلاع على كنه هذه الشخصية لغرض الاقتداء بهديها، والتأسي بها، كما أمر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^١. وكذلك قول أمير المؤمنين ع: " فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةٌ لِمَنْ تَأَسَّى وَعَزَاءٌ لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصِّ لِأَثَرِهِ..."^٢. وفي موضع آخر يقول: " فَهُوَ إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى وَبَصِيرَةٌ مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْوُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَرَنْدٌ بَرَقَ لَمَعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ"^٣.

إنها دعوة صريحة من (الثقلين) القرآن الكريم وأمير المؤمنين ع بوجوب الاقتداء والتأسي بسيرة النبي الاعظم ﷺ والاهتداء بهديه " فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ، فَأَنْتَمَّ بِهِ، وَاسْتَنْصَى بِنُورِ هِدَايَتِهِ"^٤.

إن هذا الاقتداء والاهتداء يستلزم الوقوف على حقيقة شخصيته، علماً بان الغاية من دراسة سيرته لا تقف عند مجرد الاطلاع على تلك الوقائع والأحداث التي حفل بها تاريخ حياته بل " أن يرى المسلم المفاهيم الاسلامية في مجموعها متجسدة في حياته ﷺ بعد ان فهمها كمبادئ وقواعد وأحكام مجردة في

١- سورة الأحزاب الآية 21.

٢- الشريف الرضي : نهج البلاغة : ص 298- 299.

٣- نهج البلاغة : ص 176.

٤- نهج البلاغة : ص 149- 150.

الذهن ، أي ان دراسة السيرة النبوية^١ ليست سوى عمل تطبيقي يراد منه الاطلاع على تجسيد المفاهيم والقيم والأخلاق الاسلامية كاملة في مثلها الاعلى محمد ﷺ للتأسي بها^٢.

ولكن أنى لنا الاقتداء بالنبي ﷺ ونحن أمام رؤى عدة تحكي لنا طبيعة شخصية النبي ﷺ ، فلقد كان لتباين الروايات التاريخية واختلاف توجهات رواةها أن تباينت الرؤى لشخصية النبي محمد ﷺ ، وقد نأت بعض من هذه الرؤى بعيدا عن حقيقة هذه الشخصية العظيمة^٣. فإن تلك الرؤى التي تناولت شخصية النبي ﷺ رواية أو تدوينا ، قد رويت أو كتبت بأقلام مؤلفيها ذوي المشارب والأهواء المختلفة ، وكانت رؤاهم طوع ادراكهم ، ومدى فهمهم للحقيقة المحمدية واستيعابها ، منذ الجيل الاول للصحابة الذي هم أول من اهتم بنقل تفاصيل تلك السيرة العطرة ، ولكن رؤاهم تباينت حسب مستوى فهمهم لأبعاد هذه الشخصية العملاقة ، ومدى قربهم ومواكبتهم للسيرة النبوية طوال ثلاث وعشرين سنة .

ان بعض الروايات لم تصل إلينا سليمة ولا قويمة ، بل تعرضت للتحريف والتزييف ، سواء أكان ذلك عمداً أو غير عمداً ، إذ لم يقتصر الرواة على نقل خصوص ما يتقنوه نه من الاحداث والشؤون ، بل أضافوا الكثير من المظنونات والحدسيات ، بل والمخترقات التي صنعتها الاهواء ، والعصبيات ، والمصالح الخاصة ، والسياسات التي رأت إن من مصلحتها نسبة ذلك الى الرسول الاكرم ﷺ ، ليكتسب شرعية وقداسة ، تبعده م عن الريب ، وتجعله يحظون بالرضا والقبول من مختلف الفئات والطبقات.^٤

١- لقد اجتذبت شخصية النبي الاعظم ﷺ اهتمام الدارسين والعلماء والمفكرين ، وصارت محورا لعمل المحققين ، وميدانا لمجهود متواصل عبر القرون ، إذ يمكن القول أن ليس ثمة عظيم استقطب اهتمام هؤلاء العلماء مثل النبي الخاتم ﷺ عند الأمم جميعها . إلا أنه يمكن القول ان شخصية النبي الاعظم ﷺ لا يمكن ان تحتويها عقول المؤلفين ومداركهم وأقلامهم مهما بلغت في العلم ، ومهما انتجت الدراسات حولها ، فكل باحث عن حياته الشريفة إنما يكيلها بكيل نفسه ، ويغترف منها بقدر كفه ، ولن يوفي أحد حقه ﷺ كيف وهو صنيعه الله و " الْمُجْتَبَى مِنْ خَلْقِهِ ، وَالْمُعْتَمَد لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ ، وَالْمُخْتَصَّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ...". نهج البلاغة ص342.

٢- عدنان فرحان: دروس في السيرة النبوية : ص21.

٣- من هذه الرؤى رؤية عروة بن الزبير ، والبخاري والرصافي وغيرهم . ينظر: محمد خضير الفارس: عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية عن السيرة النبوية (الصفحات جميعها). عدنان مالح ساجت الحسيناوي: صورة السيرة النبوية في صحيح البخاري ص 52 - 313. الرصافي : الشخصية المحمدية (الصفحات جميعها). حميد سراج جابر: الانغلاق الفكري عند مدعي التجديد وصورة الاستقراء النصي الاجتزائي في التعامل مع شخصية الرسول ﷺ (الصفحات جميعها).

٤- العاملي: منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية ص 13. ولمزيد من التفاصيل ينظر : النصر الله: حياة كتابة التاريخ برئاسة معاوية ص89 - 117.

إذ يقول ابن خلدون¹ حول المؤلفات الإسلامية في التاريخ : " لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيرا ما وقع للمؤلفين والمفسرين و أئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا او سمينا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهاها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار ؛ فضلوا عن الحق وتاهوا في ببداء الوهم والغلط ."

وحيال ذلك أنى لنا أن نطلع على الشخصية المحمدية الواقعية ؟ لا جرم أن مصداق ذلك نجده في القرآن الكريم ، إذ روي عنه ﷺ أنه قال : يا علي! لا يعرفني إلا الله وأنت. فالقرآن الكريم كلام الله وهو الصادق المصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولما كان للعلاقة الوثقى بين أمير المؤمنين ﷺ والقرآن الكريم كونه الأعرف بالحقيقة القرآنية² ، فهما الثقلان اللذان تركهما النبي ﷺ من بعده ، إذ أنهما متلازمان " علي مع القرآن ، والقرآن مع علي " ³ ، فضلا عن تلك الملازمة ، كان للإمام شرف ملازمة النبي ﷺ طيلة ثلاث وثلاثين عاما لذا كان الأبصر بالحقيقة المحمدية ، من هنا لا مناص من الرجوع لأمير المؤمنين ﷺ في تعريفنا بالشخصية المحمدية المقدسة.

وهنا تبرز الأهمية من هذه الدراسة ، إذ ان الامام امير المؤمنين ﷺ وبما توافق القريب والبعيد على سماته وخصوصياته التي تجعله الاولى بالحديث عن النبي ﷺ ، وتجعل لكل قول صدر منه بحق النبي ذات تميز واثر وأهمية لا يمكن ان يضاهيه فيه غيره وذلك من حيث :

1- انه الاقرب للنبي ﷺ والأشد التصاقا به ، والأقدر على فهمه ، وتقديم الرؤية الواضحة عنه ﷺ ومن اختصاصه به منذ نعومة أظفاره وتربيته في كنفه ، فلم يفارقه قط ، فهو فضلا عن اختصاصه بالنبي ﷺ " نكاهه وفطنته وطهارة طينته واشراق نفسه وضوئها ، واذا كان المحل قابلا متهيئا ، كان الفاعل المؤثر موجودا ، والموانع مرتفعة حصل الاثر على اتم ما يمكن " ⁴ . وان ملازمته للنبي ﷺ تجعله شاهدا على جميع الاحداث التي عاصرها ﷺ .

١- تاريخ ابن خلدون : 9/1.

٢- عن هذه العلاقة ينظر : نعمة هادي الساعدي : الإمام علي ﷺ القرآن الناطق: (الصفحات جميعها).

3- ينظر عن هذا الحديث : الطبراني : المعجم الصغير 1 / 255 ، الحاكم النيسابوري : المستدرک على الصحيحين :

3 / 124 ، الهيثمي : مجمع الزوائد : 9 / 134 ، المتقي الهندي : كنز العمال: 11 / 603.

٤- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 11 / 48.

2 ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الاقدر على تقديم رؤية واضحة ودقيقة وصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله فقد قال له عليه السلام: " يا علي لا يعرفني الا الله وانت " ، وهنا تميز الامام عن باقي الصحابة الذين تفاوتت رؤاهم حول شخصية النبي الاعظم صلى الله عليه وآله .^١

3 وأمام ما ذكر اعلاه من إن مؤلفات السيرة لا تخلو من الزلل والخلط والكذب تبعا لأهواء مؤلفيها وناقليها، نجد ان الامام امير المؤمنين عليه السلام يشير الى خطورة ذلك إذ يقول في معرض حديثه عن شيوع الكذب على رسول الله ومنذ عهده صلى الله عليه وآله " وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " .^٢

بينما ميز نفسه الشريفة عن ذلك بقوله بأنه " لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ " وهو الناصح للأمة بقوله : " اَعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلٌ رِعَايَةٌ لَا عَقْلٌ رَوَايَةٌ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتِهِ قَلِيلٌ " .^٤ ونفى عليه السلام عن نفسه الكذب مرارا منها قوله : " وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ " .^٥

وهنا تبرز مزية اخرى لهذه الدراسة التي هدفها تسليط الضوء على رؤية الامام امير المؤمنين

عليه السلام لشخصية النبي صلى الله عليه وآله .

المعروف أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام متناثر على صفحات شتى من مصادر التراث الإسلامي ، ولكننا انتخبنا كتاب نهج البلاغة كمصدر لدراسة رؤية الإمام علي عليه السلام للشخصية المحمدية.

وهنا يأتي سؤال جدير بالطرح : لماذا انتخبت الدراسة كتاب نهج البلاغة مصدرا لهذه الرؤية العلوية عن النبي صلى الله عليه وآله دون سواه من المصادر التي تناولت كلام امير المؤمنين عليه السلام ؟^٦ .

١- قال ابن أبي الحديد: لم يكن أحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله كذلك ، اذ كانوا اقساماً ، فمنهم من يهاب الرسول صلى الله عليه وآله ان يسأله وهم الذين يحبون ان يأتي الاعرابي او الطارئ فيسأله وهم يسمعون ، ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمة في البحث والنظر ، ومنهم من كان مشغولاً عن طلب العلم ، ومنهم المعاني أما بعبادة أو دنيا ، ومنهم المقلد الذي يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال ، ومنهم المبغض الشائئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه. شرح نهج البلاغة: 48 / 11 .

٢- نهج البلاغة :ص441.

٣- نهج البلاغة: ص442-443.

٤- نهج البلاغة ص671 .

٥- نهج البلاغة ص406 .

٦- من هذه المصادر كتاب ((ألف كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام)) للجاحظ ت 252 هـ. وكتاب ((دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم)) لابن سلامة القضاعي ت 454 هـ. وكتاب ((غرر الحكم ودرر الكلم)) لعبد الواحد الأمدي (

يمثل كتاب " نهج البلاغة " رافداً ثراً للعربية ، فهو كتاب في غاية الاتقان ، يتلو السنة والفرقان ، لأنه ضم الكلم ونوادر البلاغة ممن نزل عليه القرآن ﷺ ، فذلك لا يسع أحد وصف ما فيه من فنون الفصاحة ووجوه البلاغة ، لأنه ركب منها أعلى ذروة السنام .^١ ثم أن مؤلفه يعد من اقطاب الفكر الاسلامي ألا وهو الشريف الرضي الذي برز في الادب العربي ، مركزاً على دراسة كلام الله ورسوله وأمير المؤمنين ﷺ ، ففي ما يخص كلام الله ناقش مسألة التأويل في كتاب سماه " حقائق التأويل في متشابه التنزيل " الذي قيل فيه: " صنف الرضي كتاباً في معاني القرآن يتعذر وجود مثله " .^٢

اما عن كلام رسول الله ﷺ فنناقش مسألة المجاز في كلام النبي ﷺ في كتاب سماه (المجازات النبوية) ، وهو مطبوع ، في حين كانت البلاغة نصب عينيه فيما يخص كلام الامام أمير المؤمنين ﷺ فوضع كتابه الذي سماه (نهج البلاغة) الذي خصه لما أثر عن أمير المؤمنين ﷺ من خطب ورسائل وقصار الكلمات ، وهكذا جاء الكتاب في فصول ثلاثاً^٣ .

وجدير بالذكر إن نهج البلاغة لم يحتو على جميع ما صدر عن الامام أمير المؤمنين ﷺ ؛ لان هدف مؤلفه لم يكن جمع المتناثر من كلامه ﷺ بل كان ينتقي ما يراه في قمة الفصاحة والبلاغة .

فكان يلتقط كلام امير المؤمنين ﷺ إنقطاعاً، ولا يقف مع الكلام المتوالي لان غرضه ذكر فصاحته ﷺ لا غير ، ولو اتى بخطبه كلها على وجهها لكانت اضعاف كتابه الذي جمعه^٤ . ومع ذلك جاء هذا الكتاب فريداً من نوعه ، وأصيلاً في بابيه ، لذا تلاقفته عقول المفكرين وأقلامهم قديماً وحديثاً تحقيقاً وشرحاً وتعليقاً ودراسة ، حتى تجاوز ما كتب عنه المئات من الدراسات في مختلف صنوف المعرفة ، وكان كل من غاص في خضم بحره وجدده اعظم مما ظن وأعمق مما تصور لذا جاءت عبارات الذهول والإعجاب والعجز تترى على ألسنة المبحرين في عوالمه، كيف لا وكلامه ﷺ " قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي"^٥ . فكان بحق " دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق "^٦ .

القرن الخامس الهجري) . وكتاب ((عيون الحكم والمواعظ)) لليثي الواسطي (القرن السادس الهجري) . وكتاب ((مصباح البلاغة)) للميرجهاني المعاصر .

١- عبد الكريم السعداوي : غريب نهج البلاغة : ص 17 - 18 .

٢- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد : 243/2 .

٣- ينظر : نهج البلاغة ص 7 .

٤- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة: 3 / 153

٥- النويري : بلوغ الارب : 181/3

٦- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 24/1 .

وأمام هذا " الكلام العلوي " يقف الباحث متهيبا متخضعا لجلالة النص وعظم ته ، لذا كانت خطواتنا مع هذا الموضوع بطيئة جدا وهادئة وحذرة لما يحمله من صعوبات تكمن في عظمة هذا الكلام وصعوبة سبر اغواره بأدواتنا المعرفية المتواضعة ، ومن الطبيعي ان لا تشوب الاعمال العجلة في بدايتها حتى اتسقت لنا الأمور فأخذنا نحث السير قدما وننهض سريعا، رغم يقيننا ان كل ما نقدمه يبقى قاصرا ومقصرا في اكماله على الوجه الأتم لكن (ما لم يدرك كله لا يترك جله). وقد جاء في ثنايا الكتاب اشارات كثيرة تخص السيرة النبوية مما تعطي رؤية دقيقة عن شخصية النبي الاعظم ﷺ وعدة تفاصيل هامة عن حياته الشريفة.

ومما يجدر ذكره من ملاحظات حول هذه المادة :

- 1- ان ما قدمه الامام امير المؤمنين ﷺ من رؤية عن الشخصية المحمدية جاءت متوافقة ومطابقة - تماما- للرؤية القرآنية ، ونجدها - أحيانا كثيرة - تتقاطع الى حد كبير مع ما قدمت من روى عن هذه الشخصية في المصادر التي اهتمت بهذا الجانب . وتجلي لنا - من خلال رحلة البحث في نهج البلاغة - التأثير العميق بالقرآن الكريم ف" نهج البلاغة هو الصدى الحقيقي للقران الكريم على صعيد الشكل والمضمون"
- 2- ان اختيار الموضوعات في هذه الدراسة جاء تبعا للإشارات التي وردت في كلام امير المؤمنين ﷺ لذا يلحظ القارئ الكريم ان ترتيب الموضوعات لم يتخذ شكله التقليدي المعتاد في مثل هكذا بحوث تخص شخصية النبي الاعظم ﷺ ، فاننا ان وجدنا ثمة معلومات تخص جانبا من حياته الشريفة ﷺ فتفاصيل كثيرة تغيب ولا نجد لها ذكرا في كلامه ﷺ وذلك يعود الى امرين:
 - أ- ان نهج البلاغة لم يكن حاويا لكل ما أثر عن الامام امير المؤمنين ﷺ من كلام يخص النبي ﷺ بل انه - كما اشرنا فيما تقدم - كان رهنا بانتقاء الشريف الرضي لما كان من تتبعه للبلوغ من كلامه ﷺ .
 - ب- ان الامام امير المؤمنين ﷺ وان وردت في م ضان كلماته وخطبه اشارات تاريخية هامة ، وكان يوجه عناية فائقة للتاريخ حتى اصبح التاريخ عنصرا بارزا في مختلف الموضوعات التي اثارت اهتمامه وعنايته ﷺ ، ولكنها ليست كعناية القاص او السياسي الباحث عن الحيل السياسية وأساليب التمويه ليعالج بها من تذر الشعب ، وإنما هي عناية رجل الرسالة والعقيدة والقائد الحضاري والمفكر المستقبلي، فهو يبحث ليجد في التاريخ جذور المشكل الإنساني وينفض جهود الانسانية على التكامل الروحي والمادي ، ويعزز قدرته في تأمين قدر من السعادة مع الحفاظ على الطهارة الإنسانية ولذا فهو لم يتوقف عند جزئيات الوقائع إلا بمقدار ما تكون

شواهدا ورموزا ، وإنما تناول المسألة التاريخية بنظرة كلية شمولية ؛ فالإمام عليه السلام ليس مؤرخا، لذا لا نجد عنده نظرة المؤرخ وأسلوبه في سرد الوقائع ، وتحليلها والحكم عليها ، وإنما هو رجل دولة وحاكم ، ورجل عقيدة ورسالة ، فهو يتعامل مع التاريخ باعتباره حركة تكون شخصية الانسان الحاضرة والمستقبلية ، ولذا فهي تشكل حيزا هاما، على درجة كبيرة من الخطورة في عملية التربية والتحرك السياسي¹.

وتجدر الإشارة الى ان هذه الدراسة لم تكن الاولى حول شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلال نهج البلاغة بل سبقتها عدد من الدراسات والبحوث :

- 1 - النبوة في نهج البلاغة (قراءة علوية للسيرة النبوية) " للدكتور احمد راسم النفيس ، وفيها خاض المؤلف في بحوث تخص السيرة المحمدية ، وانتقى من نهج البلاغة نصوصا، وافرد لها عناوين ومباحث ذات صلة بالموضوع مشحونة بافكار واستنتاجات جيدة ، ويظهر أن مؤلف الدراسة - وهو طبيب مصري - لم يكتبها برؤية تاريخية ، ولم يستقص جميع نصوص نهج البلاغة في النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، لذلك غابت عدة موضوعات مهمة ذكرها الامام امير المؤمنين عليه السلام تخص شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتطرق لها المؤلف.
- 2 - سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في نهج البلاغة " للسيد هاشم الميلاني ، التي جاءت ضمن سلسلة " في رحاب نهج البلاغة " التي اشرفت على اخراجها العتبة العلوية المقدسة ، وهي دراسة موجزة اقتصرت في مجالها الاوسع على جمع اكثر النصوص الخاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من نهج البلاغة ، مع بعض التعليقات للمؤلف. ويقع الكتاب في 80 صفحة.
- 3 - صورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نهج البلاغة " للدكتور عباس الفحام ، وهو فصل ضمن كتاب " بلاغة النهج في نهج البلاغة " ، وبالرغم من ان البحث مختص في اللغة العربية الا ان الباحث قد استند في مضان بحثه الى المرويات التاريخية فاقترب في هذا المجال من دراستنا ، وقد اعتمدنا على ما جاء فيه من اراء قيمة ، ولكن هذا البحث اقتصر في تركيزه الموجز على صورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيئته الاجتماعية وعلاقته بمحيطه وصور من كمالاته صلى الله عليه وآله وسلم .
- 4 - سيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للامام علي المرتضى عليه السلام من خلال نهج البلاغة " للدكتور احمد عبد المجيد حمود ، وهو بحث لا يتجاوز (23 صفحة) اقتصر فيه الباحث على انتخاب عدد من نصوص نهج البلاغة الخاصة بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، اكتفى بترتيبها تحت عنوانات دون تحليلها او التعليق عليها .

1- محمد مهدي شمس الدين : حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام : ص 29-30.

5 - فلسفة النبوة وابعاد حياة الانبياء الاجتماعية في نهج البلاغة " بحث للدكتور حميد سراج يقع في (22 صفحة) اقتصر على مسألة جزئية وهي دراسة ما جاء من نصوص بخصوص الانبياء بشكل عام .

6 - صورة النبي الاكرم ﷺ في نهج البلاغة دراسة في ضوء منهج الاسلوبية التطبيقية " ، وهي اطروحة دكتوراه ، وكما هو واضح من عنوانها فانها قد اقتصت بدراسة اسلوب الامام ﷺ في بيان صورة النبي ﷺ في نهج البلاغة وفق معطيات اللغة .
ومع ذلك تعد هذه الدراسات رائدة في هذا الموضوع .

وبعد هذه الاضاءات السريعة حول طبيعة المادة الواردة في نهج البلاغة عن شخصية النبي الاعظم ﷺ ، ناتي لبيان الخطة التي سار عليها البحث في هذه الاطروحة ، اذ قسمت الدراسة على خمسة فصول متفاوتة في عدد صفحاتها لضرورات تطلبها البحث وطبيعة الموضوع الذي اختص به كل فصل من الفصول.

اما الفصل الاول فيعد فصلا تمهيديا، اذ سلط الضوء على طبيعة العلاقة التي تربط الامام امير المؤمنين ﷺ بالنبي الاعظم ﷺ هذه العلاقة التي مكنته ﷺ من ان يكون الاقدر على تقديم الصورة الاكثر وضوحا وواقعية للشخصية المحمدية ، تلك الصورة جاءت متطابقة مع الصورة التي قدمها القرآن الكريم ، إذ نجد أمير المؤمنين ﷺ رافق النبي ﷺ منذ نعومة أظفاره ، فبعد ولادته في بيت الله انتقل الى بيت رسول ﷺ ، لينال شرف التربية النبوية ، ويكون قرب مصدر الوحي ، فكان يسمع ما يسمع رسول الله ، ويرى ما يراه ، حتى أنه كان معه في غار حراء إذ كان النبي ﷺ يعيش أولى ارهاصات النبوة ، وما أن يخطو النبي خطوته الأولى إلا وأمير المؤمنين إلى جانبه إذ جمع بن ي هاشم ودعاهم لمؤازرته فلم يجبه إلا أمير المؤمنين ﷺ ، فمنذ اللحظات الأولى لحركة النبوة تتحرك الإمامة (هذا أخي ووصيي و خليفتي عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا) ، وطوال ثلاثة عشر عاما في مكة كان ﷺ الملاصق للنبي ﷺ في حله وترحاله ، حتى كانت ليلة الهجرة فكان على أمير المؤمنين ﷺ أن يفدي رسول الله ﷺ بنفسه ، ثم يرد ودائع النبوة ، ويحمل الفواطم إلى دار الهجرة ليبدأ صفحة جديدة وهي صفحة الجهاد ونشر الإسلام ، فكان صاحب المواقف المشهودة في نيف وثمانين من السرايا والمعارك، إذ ما فارق النبي ﷺ إلا في تبوك ؛ ليكون منه بمنزلة هارون من موسى ﷺ .

1- الطبري: تاريخ: 63/2، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: 63/2، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر 1/ 117، لكن الطبري في تفسيره تلاعب ببعض الألفاظ . ينظر: جامع البيان 149/19، وتابعه على ذلك: ابن كثير: البداية والنهاية 53/3 ، تفسير القرآن العظيم 364/3.

فضلا عن ذلك فإن أمير المؤمنين عليه السلام هو من لازم نزول النص القرآني ثلاثة وعشرين عاما، فكان له شرف كتابة الوحي ، وكان يقول " سلوني عن كتاب الله، والله ما من آية الا انا اعلم انها لبيل نزلت ام بنهار ام بسهل نزلت ام بجبل " ¹. وما أن غادر النبي صلى الله عليه وآله الحياة إلا وهو في حجر أمير المؤمنين عليه السلام ، هذه العلاقة المثلى هي التي جعلت من أمير المؤمنين عليه السلام الأقر على تقديم صورة حقيقية للنبي محمد صلى الله عليه وآله .

فيما جاء الفصل الثاني ليقسم على ثلاثة مباحث تمحورت حول البيئة الحاضنة للنبي الاعظم صلى الله عليه وآله ، اذ نستشف مما جاء في كلام امير المؤمنين عليه السلام شيئا عن واقع تلك البيئة التي عاش في كنفها النبي صلى الله عليه وآله وبيان مدى تأثيره وأثره صلى الله عليه وآله الفعال فيها. فكان المبحث الأول تناول الجانب الجغرافي والاقتصادي ، في حين تناولنا في المبحث الثاني الجانب السياسي و الاجتماعي ، أما المبحث الثالث فقد خصص للجانب الديني.

وعن معنى النبوة لغة واصطلاحا ، والهدف من ارسال الانبياء ، وكون النبوة ضرورة ولطفاً الهياً ، ليساعد عباده في سلوك طريق الخير وتجنب طريق الشر، كان الفصل الثالث قد خصص لبيان ذلك ، فيا ترى ما هي وظائف الانبياء؟ وما المشتركات التي اشتركوا بها ، من طهارة المولد ، وشرف النسب ، واختصاصهم بالوحي الإلهي ، ومددهم الإلهي بالمعجزات لإثبات صدق إدعائهم ، فضلا عن السمات والسجايا الخاصة به صلى الله عليه وآله من زهد وتواضع وشجاعة ومنطق وغير ذلك.

وثمة ملاحظة نجد من الضرورة الاشارة اليها حول مادة هذا الفصل ، اذ قد يتبادر سؤال الى ذهن القارئ ما الداعي الى ذكر بعض التفاصيل الخاصة بالنبوات بشكل عام، فيما ان الدراسة تختص بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله بشكل اخص؟

وللجواب نقول: ان الاشارات التي اوردها الامام امير المؤمنين عليه السلام قد تحدث في قسم منها بشكل عام عن النبوات وهذا مما يمكن انطباقه على خصوص النبي صلى الله عليه وآله وان كان لم يختص بذكره وذلك من حيث وحدة المهام والوظائف والمزايا التي جعلها الله جل وعلا في جميع انبياءه .

فيما تكفل الفصل الرابع بالوقوف عند نصوص نهج البلاغة التي تضمنت الاشارة الى مقدمات بعثته الشريفة والاحداث التي انطوت عليها كتعبده في غار حراء ؟ ومن كان برفقته ؟ وماهي علاقته بوحى السماء ومتى بدأت هذه العلاقة ؟ ومن ثم مقارنة ما أدلى به الامام عليه السلام - من حقائق هامة حول هذا

١- نيزر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: 338/2. الازرقى : اخبار مكة : 50/1. البلاذري: انساب الأشراف: 99/2. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة اسماء الاصحاب 1107/3. جامع بيان العلم وفضله: 114/1. الخوارزمي: المناقب ص49. البلوي: الف باء: 222/1. محب الدين: الرياض النضرة: 262/2. ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة 509/2. تهذيب التهذيب: 338/7. السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص185. الهيثمي: الصواعق المحرقة: ص126.

الموضوع - بما جاءت به الروايات التاريخية ، بعد تعريضها للنقد والتحليل . بالإضافة الى دور النبي ﷺ في مواجهة المشركين وما تعرض له واصحابه من اضطهاد ، ومن ثم اضطراره للهجرة للمدينة ، ومراحل بناء دولته المباركة.

وفي ختام الفصول كانت لنا وقفة مع سنة النبي ﷺ التي تعرضت لفهم خاطئ او للتحريف والتزييف بعد وفاته ﷺ ولاسباب شتى ، فكان قد وقع على الامام امير المؤمنين ﷺ العبء الاكبر في ايضاح ذلك ، وبيان حقيقة السنة النبوية ، والدفاع عنها واحياؤها والارشاد الى المنابع الصحيحة التي نستشرف منها هذه السنة الشريفة .

لابد من الاشارة ان بعض النصوص استلزم تكرارها لتوظيفها في اكثر من موضع ومناسبة ، لان كلام الامام ﷺ حمال ذو وجوه.

مصادر الدراسة :

تنوعت مصادر الدراسة تبعا لمحاورها وعنواناتها التي تناولتها ، وقد جاء في مقدمتها كتاب نهج البلاغة فهو المحور الذي دارت حوله الدراسة ، ومن المعلوم ان هذا الكتاب ليس مصدرا تاريخيا ، ولم يؤلفه الامام ﷺ بنفسه ولم يشمل كل كلماته ومآثره عن النبي ﷺ ولذا من الصعب بمكان ان يقف الباحث على منهج محدد في ايراد المادة المتعلقة ب شخصية النبي ﷺ ، نظرا لتعدد جوانبها تبعا لمقتضيات الطرف الذي كان يحيط بتلك النصوص حال صدورها منه ﷺ فجاءت المادة عن شخصيته ﷺ موزعة على مقامات عديدة مبنوثة في خطبه ﷺ شكلت عند جمعها رؤية واضحة لشخصيته العظيمة ﷺ ، وهذا كله متعلق بالهدف من خطب الامام ﷺ وجمعها من الشريف الرضي ، فلم يقصد الاثنان السرد التاريخي لحياته ﷺ في خطب النهج الشريف وانما جاءت موزعة بحسب مقامها التي تحتاج اليه .

يمكن من خلال متابعة تلك النصوص التي خص بها الامام امير المؤمنين ﷺ النبي ﷺ انها تحمل طابع التقديس والاجلال لشخص النبي ﷺ حتى اثار ذلك تعجب ابن ابي الحديد الذي توجه بالسؤال نحو شيخه قائلا : قد وقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم ار فيهم من يعظم رسول الله ﷺ تعظيم هذا الرجل ، ولا يدعو كدعائه ، فانا قد وقفنا من نهج البلاغة ومن غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل ، تدل على جلال عظيم ، وتجل شديد فيه لرسول الله ﷺ .

فاجاب ابو جعفر: ان عليا ﷺ كان قوي الايمان برسول الله ﷺ والتصديق له ، ثابت اليقين ، قاطعا بالامر ، متحققا له ، وكان مع ذلك يحب رسول الله ﷺ لنسبته منه ، وتربته له ، واختصاصه به من دون اصحابه ، وبعد فشراف له لانهما نفس واحدة في جسمين : الاب واحد ، والدار واحد ،

والاخلاق متشابهة ، فاذا عظمه فقد عظم نفسه ، واذا دعا اليه فقد دعا الى نفسه ، ولقد كان يود ان تطبق دعوة الاسلام مشارق الارض ومغاريها ، لان جمال ذلك لاحق به ، وعائئ عليه ، فكيف لا يعظمه ويبجله ويجتهد في اعلاء كلمته^١.

ومن المعلوم ان كتاب نهج البلاغة قد طبع وحقق مرارا فكانت نسخهم متعددة ، وقد تم اختيار النسخة التي قام بتحقيقها الدكتور صبحي الصالح ، لاحتوائه نص النهج كاملا بعد مقارنته بعدة شروح.

ومما اعان الباحث في فهم مرامي كلمات الامام امير المؤمنين عليه السلام اللجوء الى شروحات نهج البلاغة^٢ ، وكانت محل اعتماد كبير في هذه الاطروحة ، يتقدمها شرح ابن ميثم البحراني و هو من الشروح الكبيرة ، والمهمة التي اعتمدنا عليها في مواضع كثيرة كما هو بين للمطالع ، يعد مؤلفه من فلاسفة الامامية و متكلميهم في القرن السابع الهجري ، ومن هنا نجد ان شرحه مشحون بموضوعات كلامية وفلسفية ، لكنه الاكثر افادة لنا في محل توارد النصوص التي تطلبت توضيحا وبيانا ، علم انه كان قد اعتمد في عدة مواضع على شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي ، فنراه متوافقا معه في جوانب ، ومختلفا معه في جوانب اخرى تبعا لطبيعة المواضيع المطروحة .

ولابن ميثم البحراني شرح متوسط تحت عنوان (اختيار مصباح السالكين) وكذلك (شرح مائة كلمة لامير المؤمنين عليه السلام ، وقد افاد منهم البحث في عدة موارد.

ومن الشروحات المهمة التي اعتمدها البحث شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي الذي يقع في عشرين مجلدا ، شحنها المؤلف بموضوعات تاريخية ونكات ادبية ، وقرآنية ، ذات فائدة جمة لكل من يقف عليه . ومما تجدر الإشارة إليه ان جميع الشروحات التي جاءت بعده اعتمدت عليه بشكل كبير لافت للنظر ، وان كانت بعض ارائه محورا للنقد والتحليل ، إذ كان شرحه تفصيليا ومتنوع الأغراض.

اما محل الافادة منه في هذا البحث فقد تباين حسب طبيعة النص الوارد بخصوص النبي الاعظم عليه السلام فهو تارة يطيل شرح نص معين ، ويتحفه بمعلومات مهمة تاريخية وادبية وتارة اخرى يتخطى النص مكتفيا بالتعليق اللغوي ، فيما نجد ان بضعة نصوص يتخطاها دون ادنى وقفة وقد يكون ذلك لوضوح معناها.

أما شرح البيهقي المعنون (معارج نهج البلاغة) فمع صغر حجمه إلا أنه وردت فيه نكات جمة أغنت البحث سيما وإن مؤلفه زيدي المذهب وذكر في مقدمة كتابه انه اول شارح لنهج البلاغة .

١ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 7 / 174 - 175.

٢- لقد ألف حسين جمعة العامللي كتابا حول شروح نهج البلاغة عام 1983م أحصى منها 210 شرحا ، ولا ندري على وجه الدقة كم بلغت شروحاته اليوم.

ويعد شرح حبيب الله الخوئي ت 1324 هـ والموسوم بـ " منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة " ، من أهم شروحات نهج البلاغة الذي يتلخص أسلوبه في هذا الشرح بنقل النص أولا مع اعرابه ، ويتبعه بشرح يعرض فيه آراء من سبقه من الشراح لاسيما ابن ابي الحديد وابن ميثم البحراني ، فتارة نجده يوافقهما في الرأي و اخرى يختلف مع الاول ويوافق الثاني ، تبعا للرؤية العقائدية التي يتفق بها مع ابن ميثم كونه اماميا ، وفي بضعة مواضع نجده مختلفا مع كليهما ، موضعا وجهة نظره ، وسبب الاختلاف في الرؤية تجاه تأويل هذا النص او ذلك.

وجدير بالذكر ان المؤلف لم يكمل شرحه هذا ، فقد وصل فيه الى الخطبة 218، كما اشار الى ذلك صاحب مقدمة¹ الكتاب لكنه لم يشر الى من قام باكماله حتى تم شرحا وافيا في واحد وعشرين مجلد ، ولكن في اشارة لاحد الباحثين يقول: " وقد اضاف اليه العلامة حسن زاده الآملي ستة اجزاء اخرى ، ومحمد باقر الكمرئي جزءا واحدا ، فتم الكتاب في (21) جزء ، واصبح شرحا كاملا لنهج البلاغة"².

والغريب انه على الرغم من الاسهام في التأليف والاضافة للكتاب من هذين المؤلفين ، الا انه لم تتم الاشارة اليهما لا في عنوان الكتاب ولا في المقدمة!! لذا يضطر الباحث الذي استخدم هذا الكتاب نسبته بأجمعه الى حبيب الله الخوئي فقط .

ومن بين الشروح المهمة التي اعتمدها البحث الشرح الموسوم بـ " الديباج الوضي في الكشف عن اسرار كلام الوصي - شرح نهج البلاغة - لابي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني ت 749 هـ وهو من ائمة الزيدية ، وقد حرص على ذكر منهجه الذي اتبعه في شرح النهج في مقدمة كتابه ، ومما تميز به انه لا يقسم كلام الامام الى فصول بحيث يشمل كل فصل قطعه كبيرة ثم يردفه بالشرح ، ولم يقتصر على شرح بعض الالفاظ ويترك بعضها ، بل انه شرح وفسر مفردات كل خطبه وكتاب وكلمة من اولها الى آخرها، وذلك من خلال تقسيم كلمات الامام امير المؤمنين الى فقرات او عبارات قصيرة ثم يشرح كل جزء منها، معتمدا في شرحها على اضافات عقلية ونقلية ، ويلاحظ ان آراءه في بعض الموارد مثلت وجهه نظر الزيدية.

ولكن في موضع اعتمادنا عليه لم نلاحظ اختلافه عن الشروح الاخرى الا ما ندر، وازداد في نهاية كتابه زيادة لم ترد في نهج البلاغة مشيرا الى ذلك وقد تضمنت نقوش وخواتيم امير المؤمنين عليه السلام.

ومن الشروح التي كان لها اثر ملحوظ في مطاوي البحث شرح نهج البلاغة الشرح الموسوم بـ " نفحات الولاية " لناصر مكارم الشيرازي ، الذي تميز بمنهج جديد مواكب لحاجات العصر الحديث ؛ اذ لم

١- انظر ص 9 ، مقدمة علي اصغر بن مجتبی بن صادق الحسيني الخوئي .

٢- مهدي المهريزي : دروس في نصوص الحديث ونهج البلاغة : ص 176.

يكتف الشارح بإيراد معاني العبارات الواردة في كلام الامام وفق المنهج المتعارف بل تجاوزها ليقف على مضامين أخرى ثلاثم واقعنا المعاصر في محاولة منه لإيجاد حلول شافية مجملة عن المشاكل الفكرية والاجتماعية والسياسية التي يعاني منها المجتمع منذ زمن اطلاق الخطب والكلمات منه ﷺ وحتى العصر الحالي.

ولكن مما يؤسف له ان النسخة التي اعتمدها قد توقف المؤلف فيها عند الخطبة 150 فكانت أجزاء الكتاب لا تتعدى الخمسة ، ولم نعر على تتمته التي نجدها مفيدة في شرح باقي الخطب والرسائل والحكم القصار .

وقريب منه نجد (في ظلال نهج البلاغة) لمحمد جواد مغنية ، الذي حاول ربط الماضي بالحاضر ولعله أراد من شرحه مطابقة كلام الإمام ﷺ على واقعنا المعاصر .

وهناك شروح صغيرة اكتفت بإيراد شروح لغوية لمفردات النهج ، مما ساعدت الباحث على فهم مضامين كلام الإمام ﷺ . كشرح محمد عبده ، ومحمد الشيرازي المسمى (توضيح نهج البلاغة).

وقد كان لمصادر التاريخ حضور ملحوظ لا غنى عنه في هذه الدراسة. تأتي في مقدمتها، كتب السيرة النبوية كالسير والمغازي لابن اسحاق ت151هـ ، والسيرة النبوية لابن هشام ت218هـ، وعيون الاثر لابن سيد الناس ت734هـ ، والسيرة النبوية لابن كثير ت774هـ ، والسيرة الحلبية للحلي ت1044هـ، التي تمثلت الفائدة منها في الحاجة لبعض المرويات التي لم نجدها عند السابقين، وايضا في مقارنة ما ورد عند الامام ﷺ من اشارات تتعلق بسيرة النبي ﷺ بما جاء في طيات هذه المصادر من روايات ، وتم التحقق من بعضها على وفق منهج تحليلي ميز لنا الغث من السمين.

هذا فضلا عن مصادر التاريخ العام ومنها تاريخ البيهقي (حيا في 292هـ) وتاريخ الطبري ت310هـ ، ومروج الذهب للمسعودي ت346هـ ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ت630هـ ، وتاريخ ابن خلدون ت808هـ وغيرها.

تعد كتب اللغة مصدرا مهما للدراسة فضلا عن بيانها بعض المعاني اللغوية للكلمات ، فقد وردت فيها الإشارة الى خطب أمير المؤمنين ﷺ فغدت مصادر توثيقية تاريخية ومنها كتاب العين للفراهيدي ت175هـ، والصحاح للجوهري ت393هـ، ولسان العرب لابن منظور ت711هـ، ومختار الصحاح لأبي بكر الرازي ت721هـ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ت817هـ ، ومجمع البحرين للطريحي ت1085هـ، وتاج العروس للزبيدي ت1205هـ.

ومن كتب اللغة من اهتم بغريب الحديث النبوي ، فأشارت هذه الكتب الى بعض الكلمات الغريبة التي وردت في حديث أمير المؤمنين ﷺ ومنها ما يخص السيرة النبوية ، لكتاب غريب الحديث لابن

سلام ت 224 هـ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ت 276 هـ ، وغريب الحديث للحري ت 285 هـ ، والفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري ت 538 هـ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الموصلي ت 637 هـ .

ولما كان كلام أمير المؤمنين عليه السلام (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق) ¹ ، فقد ازدانت كتب الأدب بتحليلتها بنصوص من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، فغدت مصدرا للدراسة ، ومنها كتاب المحاسن للبرقي ت 274 هـ ، وخزانة الأدب للبغدادي ت 1093 هـ ، والدرر النجفية للبحراني ت 1186 هـ ، وقد افاد البحث من كتب الامالي كأماالي المفيد ت 413 هـ ، وأماالي الشريف المرتضى ت 436 هـ ، وأماالي الطوسي ت 460 هـ .

ولم تكن كتب الفقه والحديث بمنأى عن هذه الدراسة ، فقد كان (كتاب الأم) للإمام الشافعي ت 204 هـ مصدرا مهما في دراسة بعض المسائل الفقهية ، وكذا الحال اعتمدت الدراسة على كتب فقهية أخرى منها كتاب (الخلاف) و (النهاية في مجرد الفتاوي والفقه) للطوسي .

ولكتب التفسير حضور مهم في بحثنا ؛ انطلاقا من الحاجة الماسة لتأويل عدد من الآيات القرآنية الواردة في البحث ؛ اذ ان ما جاء في نهج البلاغة كان منصهرا في الشواهد القرآنية ، فقد " كان الامام علي عليه السلام شديد التأثر بالقران الكريم قولاً وفعلاً وعمل على ترسيخ الثقافة القرآنية في اذهان الناس بلغت انظارهم الى وجوب احلال هذه الثقافة في النفوس وامكانية استبدال البناء اللغوي الجاهلي بأخر معجز في بنائه ومعانيه من خلال قدرتها على استيعاب الحياة ² . هذا من جانب ومن جانب آخر وكما مر بنا فان الامام امير المؤمنين عليه السلام كانت نظرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم نظرة قرآنية ولذا استلزم الامر في كثير من الاحيان عرض مقطوعات من كلامه الشريف على القران لتأكيد هذا التوافق بينهما . ومن ابرز كتب التفسير التي تم الرجوع اليها جامع البيان للطبري 310 هـ والتبيان للطوسي 460 هـ وتفسير السمعاني 489 هـ وشواهد التنزيل للحسكاني ق 5 هـ ، والكشاف للزمخشري ت 538 هـ ، وزاد المسير لابن الجوزي ت 597 هـ والجامع لاحكام القران للقرطبي ت 671 هـ فضلا عن بضعة تفاسير حديثة (مراجع تفسيرية) كروح المعاني للالوسي ت 1270 هـ والميزان للطباطبائي، وتفسير الأمتل لناصر مكارم الشيرازي وكان الاخير محل اعتماد ملحوظ في البحث .

اما كتب الحديث فقد افادت الدراسة منها في تخريج بعض الاحاديث النبوية فضلا عن الاشارات الى احاديث امير المؤمنين عليه السلام في هذا الجانب وكانت لنا وقفات نقدية لبعض الاحاديث التي نسبت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم تصح ، ولاسيما بعد عرضها على الرؤية القرآنية المتوافقة مع رؤية امير المؤمنين عليه السلام

1- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 24 .

2- الفحاح : الاثر القرآني : ص 30 .

ومن ثم فما جاء عن الامام عليه السلام يكون ميزانا لتصحيح بعض الاحاديث النبوية او ابعادها، ومن ابرز كتب الحديث التي اعتمدها الدراسة مسند احمد بن حنبل ت 241 هـ ، والصحيح للبخاري ت 256 هـ ، وصحيح مسلم ت 261 هـ ، ومسند ابن أبي يعلى ت 307 هـ ، والكافي للكليني ت 329 هـ ، والمعجم الكبير للطبراني ت 360 هـ ، والمستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ت 405 هـ ، والسنن الكبرى للبيهقي ت 458 هـ وغيرها .

واستقتت الدراسة بعض من مادتها من كتب البلدان التي أفادت الدراسة في تحديد بعض المواقع الجغرافية التي وردت في مضان الدراسة أو ورد بعضها في خطب وكلام أمير المؤمنين لاسيما فصل بيئة النبي صلى الله عليه وآله ، ومنها كتاب معجم ما استعجم للبكري ت 487 هـ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ت 626 هـ ، والروض المعطار في خبر الأقطار للحميري ت 727 هـ .

وكان لكتب النسب حضورها في البحث ؛ لبيان نسب بعض الشخصيات او معرفة قبيلته او مدينته فشكلت مصدرا عن المواقع أيضا ومنها ؛ أنساب الأشراف للبلاذري ت 279 هـ ، والأنساب للسمعاني ت 562 هـ ، وقد لخص ابن الأثير الموصلی ت 630 هـ كتاب السمعاني في كتاب سمّاه اللباب في تهذيب الأنساب ، وقام السيوطي ت 911 هـ بتلخيص اللباب في كتاب سمّاه لب اللباب في تهذيب الأنساب .

إن ورود اسم أحد الأعلام في البحث استلزم بيان شيء - وان كان يسيرا - عن سيرته ؛ لذا تطلب الرجوع لكتب التراجم المتنوعة ، فعن تراجم الصحابة رجعت الدراسة الى كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر القرطبي المالكي ت 463 هـ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الموصلی ت 630 هـ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني الشافعي ت 852 هـ . ومن كتب التراجم العامة كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد البصري ت 230 هـ الذي شمل تراجم الصحابة والتابعين ، وصفة الصفوة لابن الجوزي الحنفي ت 597 هـ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ت 681 هـ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي الشافعي ت 748 هـ ، والوفاي بالوفيات للصفدي ت 764 هـ ، أما عن تراجم الرواة فاستلزم الرجوع الى كتب الجرح والتعديل ؛ ومنها ؛ التاريخ الكبير للبخاري ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ت 327 هـ ، والثقات والمجروحين لابن حبان ت 356 هـ ، وكتابي اختيار معرفة الرجال ورجال الطوسي للطوسي 460 هـ ، والتعديل والتجريح للباقي ت 474 هـ ، وميزان الاعتدال للذهبي ت 748 هـ ، وكتب تقريب التهذيب وتهذيب التهذيب ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ت 852 هـ . ومعجم رجال الحديث لأبي القاسم الخوئي ت 1413 هـ . وغيرها

فضلا عن ذلك اعتمدت الدراسة على عدد من الكتب الحديثة والمعاصرة للافادة مما ورد عند أصحابها من آراء في ما يخص موضوع الدراسة والتي أشرنا إليها في مضانها من الدراسة ، ومن ابرزها

كتاب " علي كما وصف نفسه " للسيد طاهر عيسى الدرويش ، وكتاب " نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجا " للدكتور عبد الجبار ناجي ، وكذلك " الصحيح من سيرة النبي الاعظم " للسيد جعفر مرتضى العاملي ، وكتاب حجية السنة لحيدر حب الله الذي أفاد الدراسة كثيرا في فصلها الخامس ، وغيرها .

ولا يفوتنا ان نشير الى المراجع المختصة بدراسات حول نهج البلاغة التي افدنا منها في بعض الاراء لاصحابها من امثلة كتاب " حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام وكتاب " دراسات حول نهج البلاغة " لمهدي شمس الدين ، وكتاب " بلاغة النهج في نهج البلاغة " للدكتور عباس الفحام ، وكتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي رؤية اعتزالية عن الامام علي عليه السلام للدكتور جواد النصر الله فضلا عن سلسلة في رحاب نهج البلاغة التي ضمت مجموعة كتيبات في موضوعات مختلفة تدور حول نهج البلاغة.

ولا بد من القول ان المنهج الذي اعتمدناه في الاشارة الى المصادر في هوامش البحث قد اقتصر على ذكر اسم المؤلف واسم كتابه مختصرا او بما اشتهر به مع ذكر الجزء ان وجد والصفحة ؛ حرصا على عدم الاطالة ، كما اننا ذكرنا المعلومات وافيه في فهرست المصادر .

وختاماً فلين هذه الدراسة لا تتعدى كونها محاولة لتقديم رؤية جديدة لشخصية النبي صلى الله عليه وآله من خلال اعتماد اقوال الامام امير المؤمنين عليه السلام وكلماته ، ولذا تبقى قاصرة في الاحاطة بالموضوع احاطة تامة ولاسيما وأنها قد تعاملت مع كلام الامام امير المؤمنين الذي وصف بالعصمة والحكمة فكل من سمعه راقه ، ولهذا قال عليه السلام : " **وَأَنَا لِأَمْرَاءِ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنْشَبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ عُصُونُهُ** " وفي موضع آخر نجده يقول: " **إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ، اِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ** " ٢ .

انتصار محذنان محمد الواحد

البصرة

17 ربيع الاول 1435 هـ

١ - نهج البلاغة ص 484.

٢ - نهج البلاغة ص 375.

الفصل الاول

علاقة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم العظيم

المبحث الاول / ابعاد العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الثاني / مسنوبات العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام أمير المؤمنين عليه السلام

الفصل الاول

علاقة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الاول

ابعاد العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام أمير المؤمنين عليه السلام

كانت تربية الامام علي عليه السلام في بيت الرسالة بداية تفتح ذهنيته في الولوج إلى حقائق الكون وأسراره الكبرى ، فضلا عن ذلك كان عليه السلام مخصوصاً بخلوات يخلو بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يطلع أحداً من الناس على ما يدور بينهما ، وكان عليه السلام كثيرا ما يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن معاني القرآن ، ومعاني كلامه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا لم يسأل ابتداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتعليم والتتقيف^١ ، وروي أنه عليه السلام قال : " كنت اذا سألت رسول الله أعطاني وإذا سكت ابتدأني " ^٢. حتى كان عليه السلام آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من هنا شكلت علاقته عليه السلام بالنبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم علاقة مثلى يندر أن يوجد لها نظير، لذا كان عليه السلام هو الاجدر بوصف النبي وسيرته المشرفة صلى الله عليه وآله وسلم على حقيقتها إذ لم يعرف حقيقة كنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد آخر سواه ^٤.

١- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 48/11.

٢- ابن أبي شيبه: المصنف : 7 / 495. الترمذي: سنن الترمذي 301/5. الحاكم: المستدرک : 125/3. ابن طلحة : مطالب السؤل : ص 106 . السيوطي : تاريخ الخلفاء : ص170.

٣- نهج البلاغة : ص434 .

٤- اشارة الى حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبا الامام عليه السلام : " ... لا يعرفني الا الله وانت " ، الأملي: المحيط الأعظم 150/1، المجلسي الاول: روضة المتقين : 13 / 273 .

هذه الحقيقة نجدها ماثلة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام حين يصف لنا أبعاد هذه العلاقة منذ بواكير صباه، فيقول عليه السلام :

" وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ ، وَضَعْنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ ، وَكَانَ يَمْضَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ ... " ^١

يشير النص الى استيعاب أمير المؤمنين عليه السلام كل الوشائج والواصر التي تشده الى رسول الله عليه السلام ، وتفصيل الطريقة التي اتبعتها النبي عليه السلام في تربيته واعداده ليتحمل مسؤولية الرسالة من بعده ^٢ . وعدد احواله التي هي وجوه ذلك الاستعداد واسبابه :

أولاً: القرابة القريبة :

كان لهذه القرابة القريبة عدة مصاديق منها : أنه عليه السلام أشار بها الى نسبه القريب من رسول الله عليه السلام ، إذ إنهما من أرومة واحدة في أطيب مغرس وأنمى منبت ، يقول النبي عليه السلام : " الناس من أشجار شتى ، وأنا وأنت يا علي من شجرة واحدة " ^٣ ، وفي حديث آخر: " خلقت يا علي من شجرة خلقت منها " ^٤ . وهذه الشجرة هي (شجرة الانبياء) ؛ إذ يقول عليه السلام في النبي عليه السلام : " اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَشْكَاتِهِ الضِّيَاءِ ، وَذُوَابَةِ الْعُلْيَاءِ " ^٥ .

١- نهج البلاغة : ص 405 - 406 .

٢- طاهر عيسى درويش : علي كما وصف نفسه : ص 31 .

٣- الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام : 1 / 68 ، وينظر له : الخصال : ص 21 . وينظر ايضا : الكوفي : مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : 1 / 460 . الخراز: كفاية الاثر: ص 158 . ابن مردويه : مناقب علي بن أبي طالب : ص 265 . الطوسي : الامالي: ص 610 . الحاكم الحسكاني : شواهد التنزيل 376/1 . السيوطي : الدر المنثور: 44/4 .

٤- الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام : 1 / 65 .

٥- المشكاة : كل كوة غير نافذة ، ومن العادة أن يوضع فيها المصباح . الجوهرى : الصحاح : 6 / 2395 .

٦- الذوابة : الناصية أو منبتها من الرأس . الجوهرى : الصحاح : 1 / 126 . ابن منظور : لسان العرب : 1 / 379 .

٧- نهج البلاغة : ص 200 - 201 .

في كلام الامام عليه السلام إمعان في التركيز على طهارة الآباء وشرفهم ، و أنه من سلالة الانبياء وذريتهم ، تصديقا لقوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^١ . وقد وصف الامام عليه السلام سلالة النبي عليه السلام واصوله بالشجرة الكثيرة الاغصان ، وإنما شبهها بذلك بجامع الاصل الواحد ، فالشجرة تقابل الاب الواحد في سلالة النبي عليه السلام التي تتفرع عن اغصان كثيرة ، أي ابناء كثر ، وفي كلمة الامام عليه السلام : " اختاره " ايحاء بالاصطفاء والعناية الالهية للنبي محمد عليه السلام ، إذ إن الخلق اشجار شتى ، ولكن الله انتقاه من الشجرة الخاصة بالانبياء ، اشارة الى أن الرسالة الالهية واحدة الابتداء ، وإن فصلت ما بينها القرون ، وفي ذلك كله تعظيم للنبوته والانبياء ، وتعزيز لموقف النبي محمد عليه السلام في كونه من السلالة نفسها التي تتجب الانبياء والمرسلين والاولياء الصالحين على مر تاريخ الانسانية الى ختام الوحي بمحمد عليه السلام^٢ .

ويعد أمير المؤمنين عليه السلام - في عبارة واضحة - أهل البيت عليهم السلام من سنخ تلك الشجرة ، ومن معدن النبوة^٣ . وفي موضع آخر جمع عليه السلام بين النبوة والامامة في الاصطفاء من تلك الشجرة التي صدع منها انبياءه ، في قوله عليه السلام : " حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً ، وَأَعَزَّ الْأَرْوَاطِ مَغْرِساً ، مِنْ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أَمْنَاءَهُ ، عِزَّتُهُ خَيْرُ الْعِزِّ ، وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ ، وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ " ° . فهنا جمع الامام للنبي عليه السلام في هذا الكلام اولا فضل النبوة ، وأصل الارومة ، أي الشجرة ، مشيراً بقوله في أول كلامه الى ختام عهد النبوة بمحمد عليه السلام . وهذا الافضاء كأنه سبب الى أن يكون خلاصة في كل فضيلة ، لا في النبوة وحدها ، فهو - فعلا - خلاصة في العقل والكمال والصبر والطهارة والتقوى والقرب من الله تعالى ، ومن ثم فقد جمع بين النبوة والامامة في الاصطفاء ، فهو حين عمّ في قوله : " مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً ، وَأَعَزَّ الْأَرْوَاطِ مَغْرِساً " - أي نسلا ساميا - عمد الى التخصيص ، فقال : " مِنْ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ ،

١- سورة آل عمران الآية 34 .

٢- الفحاح : بلاغة النهج في نهج البلاغة: ص 22 .

٣- إذ يقول عليه السلام : " نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ " نهج البلاغة : ص 210 .

٤- بسقت : بسق : طال وعلى وارتفع . الجوهرى : الصحاح : 4 / 1450 . ابن منظور : لسان العرب : 10 / 20 .

٥- نهج البلاغة : ص 176 .

وإنتَجَبَ مِنْهَا أَمْنَاءَهُ " ، وهي شجرة النبي إبراهيم عليه السلام . واتبعه بالتصريح متدرجا بالاختصاص فالأخص ، فبدأ بأهل البيت عليهم السلام وهم العترة الطاهرة ، قائلاً : " عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثْرِ ، وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ " ، يعني بعترته أهل بيته وهم : الإمام علي والسيدة فاطمة وابناهما الإمامان الحسن والحسين عليهم السلام ، واولاد الإمام الحسين من الائمة المعصومين عليهم السلام .

إنَّ العترة لفظ نبويٌّ محفوظ في اذهان المسلمين لكثرة ترده فيهم على لسان النبي عليه السلام ، كما في قوله عليه السلام : " ان الله اشتد غضبه على من أراق دمي ، وأذاني في عترتي " ^٣ ، وقوله : " ألا إن ابرار عترتي واطايب ارومتي احلم الناس صغارا ، واعلم الناس كبارا " ^٤ ، وقوله : " إني تارك فيكم الثقلين احدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتي أهل بيتي ، وانهما لن

١- الفحاح : بلاغة النهج : ص 23- 24 .

٢- لمزيد من التفاصيل عن مصطلح العترة ينظر: النصرالله : شرح نهج البلاغة : ص192- 198.

٣- المتقي الهندي : كنز العمال: 1 / 435 . وينظر: العياشي: تفسير العياشي : 2 / 86 . الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن : 8 / 312. وقد ورد بالفاظ مختلفة ، ينظر: الصدوق : الامالي : ص552 ، عيون اخبار الرضا عليه السلام : 1 / 30. الطوسي : الامالي : ص 142. الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل : 3 / 467. ابن البطريق : العمدة ص53. العلامة الحلي : الرسالة السعدية : ص 22 . ابن طاووس : سعد السعود : ص 141. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : 16 / 22 . الاربلي : كشف الغمة : 2 / 100. الزيعلي: تخريج الاحاديث والاثار: 3 / 273.

٤- الكوفي : المناقب عليه السلام : 2 / 107. الطبرسي : الاحتجاج : 2 / 224. وقد نسبت مصادر اخرى هذا الحديث لامير المؤمنين عليه السلام ، ولا إشكال أن يذكره أمير المؤمنين عليه السلام فكلامه مأخوذ عن رسول الله عليه السلام . ينظر: القاضي المغربي : شرح الاخبار: 3/562. الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة : ص 254. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 1/276. ابن طاووس : الطرائف في معرفة الطوائف : ص 417. المتقي الهندي: كنز العمال: 13/130.

يفترقا حتى يردا علي الحوض " ١. وقوله : " المهدي من عترتي من ولد فاطمة " ٢ ، ويبدو أن الامام عليه السلام تعدد اعادة ذكر اللفظ ذاته ، لأنه بات مصطلحا عليهم وحدهم ، وليذكر المسلمين مجددا بعد عهد من تغييبهم ٣ .

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام أمير المؤمنين عليه السلام من اصل واحد يتصل جذره بالنبي ابراهيم عليه السلام ، ف " آباؤه آباء رسول الله ، وأمّهاته أمّهات رسول الله ، وهو منوط لحمه ودمه ، لم يفارقه منذ خلق الله آدم ، الى أن مات عبد المطلب [افترقا] بين الاخوين عبد الله وابي طالب، وامهما واحدة ، فكان منهما سيّدنا الناس ، هذا الاول وهذا التالي ، وهذا المنذر، وهذا الهادي" ٤ .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفتخر بلأنهم - أي اهل البيت - الاقرب الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاشد التصاقا به ؛ اذ يقول: " وَحُنَّ الْأَعْلُونَ نَسَبًا وَالْأَشْدُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَوْطًا " ٥ . بل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد أن عترته الاطايب ، هم من طينته ، وأنهم يشاركونه خصائصه التكوينية ، اذ كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " ان لكل بني أب عصابة ينتمون إليه ، الا ولد فاطمة ، فلأنا وليهم ، وانا عصبتهم ، وهم عترتي ،

-
- ١- ابن حنبل : المسند : 14/3 ، 182/5 ، 189-190 . وينظر : ابن ابي شيبه : المصنف : 7 / 418 . الترمذي : السنن : 329/5 . ابن مخلد القرطبي : ما روي في الحوض والكوثر : ص 137 . ابن ابي عاصم : كتاب السنة : ص 337 . ابو يعلى : المسند : 303/2 . الكليني : الكافي : 294/1 . ابن بابويه : الامامة والتبصرة : ص 135 . الطبراني : المعجم الاوسط : 374/3 . الصدوق : عيون اخبار الرضا عليه السلام : 68/1 ، معاني الاخبار : ص 90 . الحاكم : المستدرک : 110/3 . ابن الفثال : روضة الواعظين : ص 273 . الشامي : الدر النظيم : ص 755 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 162/9-163 . المتقي الهندي : كنز العمال : 172/1-173 . نجم الدين العسكري : حديث الثقلين : ص 5 - 127 .
- ٢- ابو داود : السنن : 310/2 . القاضي المغربي : شرح الاخبار : 395/3 . الطوسي : الامالي : ص 180 . ابن البطريق : العمدة : ص 433 ، 436 . ابن طاووس : الطرائف : ص 175-176 . الذهبي : ميزان الاعتدال : 87/2 . البياضي : الصراط المستقيم : 224/2 . السيوطي : الجامع الصغير : 672/2 ، الدر المنثور : 58/6 . المتقي الهندي : كنز العمال : 264/14 . القندوزي : ينابيع المودة لذوي القربى : 103/2 .
- ٣- الفحاح : بلاغة النهج : ص 23-24 .
- ٤- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 30/1 .
- ٥- النوط - بالفتح - : التعلق والاتصاق . الفراهيدي : العين : 7 / 455 . ابن منظور : لسان العرب : 7 / 418 .
- ٦- نهج البلاغة : ص 304 .

خلقوا من طينتي ، ويل للمكذابين بفضلهم " ^١ . وفي حديث آخر: " من سرّه أن يحيى حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي ، فليوال عليّاً من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتد بالائمة من بعدي ، فلئنهم عترتي ، وخلقوا من طينتي ، ورزقوا فهما وعلمنا " ^٢ .

ولإدراك معنى هذا التساخ بينه عليه السلام وبين اهل بيته عليهم السلام ، ولا سيما أمير المؤمنين عليه السلام نصغي الى الآية الكريمة التي أنزلته عليه السلام في مقام نفس النبي عليه السلام ، اذ يقول الحق تعالى: ﴿ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ ^٣ التي اجمع المفسرون أن المراد بنفس النبي هنا هو أمير المؤمنين عليه السلام ^٤ . بل إنّه عليه السلام صرح عدة مرات مرات أنّه عليه السلام كنفسه ، كما في قوله بعد فتح مكة : " لينتهين بنو وليعة ° أو لابعثن اليهم رجلا كنفسي ينفذ فيهم امري " ^٦ . وفي حادثة أخرى لما حاصر مدينة الطائف ، فقال: " والذي نفسي بيده ، ليقيمن الصلاة

-
- ١- ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق : 313/36. المتقي الهندي: كنز العمال : 98 / 12 .
- ٢- ابن عساکر: تاريخ دمشق: 240/42. وورد بالفاظ اخرى. ينظر: يحيى بن الحسين: التحفة العسجدية : ص 137. الكليني: الكافي: 208/1. ابن شهر اشوب: مناقب آل ابي طالب: 251/1. ابن البطريق: خصائص الوحي المبين: ص30.
- ٣- سورة آل عمران الآية 61 .
- ٤- ابو حمزة الثمالي : تفسير أبو حمزة : ص134. الطبري: جامع البيان: 407/3. ابن ابي حاتم: تفسير القرآن العظيم: 667/2. السمرقندي: تفسير السمرقندي: 245/1. ابن ابي زمنين: تفسير ابن أبي زمنين: 292/1. الشريف الرضي: حقائق التأويل: ص 109-110. الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 84/3-85. الواحدي: اسباب نزول الايات: ص 68 . السمعاني: تفسير السمعاني: 327/1 . الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: 159/1-164، 182. البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن: 310/1. النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 157/1-158. ابن العربي: احكام القرآن: 360/1. ابن الجوزي: زاد المسير: 338-339 / 1. الفخر الرازي : مفاتيح الغيب : 85/8-86 . القرطبي: الجامع : 104/4. البيضاوي: تفسير البيضاوي : 2 / 47 . ابن حيان الاندلسي: البحر المحيط: 503/2. الالوسي: روح المعاني: 188/3.
- ٥- بطن من كندة نسبة إلى وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر . عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب: 1253/3 .
- ٦- النسائي: السنن الكبرى: 5 / 127 . ويظر: ابن ابي شيبة: المصنف: 7 / 506. الكوفي: المناقب : 1 / 461. الصدوق: الامالي: ص 618 ، الخصال: ص555. ابن شعبة الحراني: تحف العقول: ص 429. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 167/9. الهيثمي : مجمع الزوائد : 110/7. المتقي الهندي : كنز العمال : 163/9. السيوطي: الدر المنثور: 213/3.

، وليؤتن الزكاة ، او لابعثن اليهم رجلا مني او كنفي ... ثم اخذ بيد علي فقال: هذا " ١ .

وقد عبّر الامام الرضا عليه السلام عن هذه المنزلة لامير المؤمنين عليه السلام بقوله : " فهذه خصوصية لا يتقدمه فيها احد ، وفضل لا يلحقه فيه بشر ، وشرف لا يسبقه اليه خلق أن جعل نفس علي كنفه " ٢ .
وفي صورة اخرى لهذا الاتحاد فيما بينهما (صلوات الله عليهما) ، نقرأ في حديث عنه عليه السلام قوله: " يا علي ، انت مني وانا منك " ٣ .

ويأتي تصريح آخر من النبي الاعظم عليه السلام لبيان عمق العلاقة بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك في حديث المنزلة الشهير : " يا علي! انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " ٤ .

إنّ وقفة موجزة مع دلالات هذا الحديث بقودنا الى تلمس شيء من حقيقة هذه " القرابة القريبة " التي ارادها الله تبارك وتعالى ما بين النبي عليه السلام والامام أمير المؤمنين عليه السلام فقد ربط النبي عليه السلام علاقته بعلي عليه السلام بما كان بين موسى وهارون . وهنا لا بد من إيضاح منزلة هارون من موسى عليه السلام وهي ما تكفلها القرآن الكريم ببعض مواطنه التي تناول فيها موسى وهارون . ومن ثم نتعرف على ماهية منزلة أمير المؤمنين عليه السلام من النبي الاعظم عليه السلام . وقد كان لاحد الباحثين ٥ وقفة واستقصاء موجز لآيات القرآن

١- الهيثمي: مجمع الزوائد : 163/9. المرعشي : شرح إحقاق الحق : 450/6.

٢- الصدوق: الامالي: ص618.

٣- الصدوق: الامالي: ص 442 ، الخصال: ص 573. الخزاز : كفاية الاثر: ص 158. المفيد: الامالي: ص 213. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: 53/42 ، 63. ابن طاووس : اليقين : ص 390 .

٤- ابن داود: المسند: ص 29. وينظر : ابن ابي شيبه: المصنف: 496/7. ابو جعفر الاسكافي : المعيار والموازنة : ص 219-220. ابن حنبل: المسند : 179/1 ، 132/3 ، 369/6 ، 438 . الدروي: مسند سعد بن ابي وقاص :

ص 176-177. مسلم : صحيح مسلم : 120/7. ابن ماجه : السنن : 45/1 . ابن قتيبة : تأويل مختلف الاحاديث : ص 13. الترمذي: السنن : 304/5. ابن ابي عاصم: كتاب السنة : ص 551. النسائي: فضائل الصحابة: ص 13-14. الكليني: الكافي : 107/8. المحاملي: الامالي: ص 209. الطبراني: المعجم الاوسط: 139/3 ، 287/5 ، 77/6 ، المعجم الصغير: 22/2 ، المعجم الكبير : 146-148 ، 247 ، 17/4 ، 61/11. الصدوق: علل الشرائع: 222/1 ، 474/2. الشريف المرتضى: رسائل: 76/4. الطوسي: الاقتصاد في الاعتقاد: ص 222. ابن عبد البر: الاستيعاب: 3 / 1097. المتقي الهندي: كنز العمال: 724 / 5.

٥- الميلاني: حديث المنزلة: ص 18-31.

الدالة على منازل هارون عليه السلام ، ونحن نجده موضع إفادة في محل البحث هنا ، إذ استعرض تلك المنازل بدلالة الايات ، وهي كالاتي :

المنزلة الاولى : النبوة : قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ^١ .

المنزلة الثانية: الوزاره: قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي ^٢ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ^٣ . وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ^٤ .

المنزلة الثالثة: الخلافة: قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ^٥ .

المنزلة الرابعة: القرابة القريبة : قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذُكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ^٦ .

نلاحظ أنّ النبي الاعظم صلى الله عليه وآله اثبت في حديث المنزلة أن هذه المنازل القرآنية لهارون عليه السلام ، هي ثابتة لامير المؤمنين عليه السلام عدا منزلة النبوة ، فكلامه صلى الله عليه وآله شامل لكل المقامات عدا النبوة التي استثناها للحكمة الالهية التي قضت على أنه لا نبي بعده صلى الله عليه وآله فهو خاتم الأنبياء والمرسلين كما في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ^٧ .

واننا لنجد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه الشريفة بعض الايحاءات الجانبية التي تقارب هذه المقامات التي اختص بها عليه السلام . فالامام عليه السلام وإن لم يكن نبيا ، الا أنه كان ذا مقام يصعب على

١- سورة مريم الآية 53 .

٢- سورة طه الآيتان 29 - 30 .

٣- سورة الفرقان الآية 35 .

٤- سورة القصص الآية 34 .

٥- سورة الأعراف الآية 142 .

٦- سورة طه الآيات 29 - 35 .

٧- سورة الاحزاب الآية 40 .

العقول ادراك كنهه ، إذ من دلالات هذا المقام ما أشار إليه عليه السلام بقوله: " أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوءَةِ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَبَّنَا الشَّيْطَانَ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّتَّةُ ؟ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتِ بِنَبِيٍّ ، وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ "¹.

بهذه الكلمات الموجزة التي قصرت الفاظها ، واتسعت معانيها بقيم تعبيرية عالية ، دلنا النبي عليه السلام على ابعاد مهمة ونادرة في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام .

وأما مقام الوزارة الذي أشار اليه الامام علي عليه السلام على لسان النبي عليه السلام : " ولكنك لوزير " ، فلننه عليه السلام لما نفى عنه مقام النبوة جبره بمقام الوزارة ، إشارة الى أنَّه الصالح لتدبير احوال الخلق في معاشهم ومعادهم من ورائه عليه السلام المعين له على ذلك ².

والاحاديث الشاهدة على وزارته عليه السلام للنبي الخاتم عليه السلام كثيرة جدا لا يتسع المجال للتعرض لها ، ونقتصر على ذكر عدد منها إيجازا ، وقد تكون المناسبة الاولى التي اطلق فيها النبي عليه السلام احاديثه بهذا الخصوص في " يوم الانذار " ، لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ³ ، إذ جمع النبي عليه السلام اقرباءه من عشيرته على وليمة أعداها لهم بمعونة أمير المؤمنين عليه السلام ثم أمرهم عليه السلام عرض عليهم أمر دعوته وطالبهم بنصرته ، قائلا : " يا بني عبد المطلب ! إني والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بافضل مما جئتمكم به ، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والاخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن ادعوكم إليه ، فايكم يؤازرنني على هذا الامر على أن يكون أخي ، ووصيي ، وخليفتي فيكم " ، فلم يجبه أحد إلا أمير

١- نهج البلاغة: ص 406.

٢- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 4 / 372 .

٣- سورة الشعراء الآية 214 .

المؤمنين عليهم السلام ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " هذا أخي ، ووصيّي ، وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له واطيعوا " ^١ . وفي رواية الحلبي ^٢ : " اجلس ، فأنّت أخي ، ووزيري ، ووصيّي ، ووارثي ، وخليفتي من بعدي " .

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم : " اللهم إني اقول كما قال أخي موسى : اللهم اجعل لي وزيرا من اهلي ، عليا اخي ، اشدد به ازري ، واشركه في امري ، كي نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا ، إنك كنت بنا بصيرا " ^٣ . وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم مدّ يده الى السماء داعيا ، فقال : " اللهم إن نبيك موسى بن عمران عليه السلام سألك فقال : " قال ربي اشرح لي صدري ، ويسر لي امري " ^٤ . وانا محمد نبيك أسألك : ربي اشرح لي صدري ، ويسر لي امري ، واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قلبي ، واجعل لي وزيرا من اهلي ، عليا اخي ، اشدد به ازري ، واشركه في امري " ^٥ .

وفي حديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : " اللهم اجعل لي وزيرا من اهل السماء ، ووزيرا من اهل الارض " فاوحى الله اليه ، اني قد جعلت وزيرك من اهل السماء جبرائيل ، ووزيرك من اهل الارض علي بن ابي طالب ^٦ .

إن مقامي الوزارة والخلافة اللذين هما من منازل هارون عليه السلام ، من أول الادلة واطهرها على أحقية أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ان منزلة " القرابة القريبة " التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد وردت الإشارة إليها في قصة موسى وهارون عليهم السلام في قول موسى عليه السلام : ﴿ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي ﴾ ^٧ . وذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث المنزلة في قصة المؤاخاة بينه وبين الإمام علي عليه السلام ، مضافا الى قوله تعالى : ﴿ وَأُولُو

١- ينظر : الطبري: تاريخ : 228/2 - 229 ، جامع البيان : 149/19 . ابن مردويه: المناقب : ص 290 . ابن الاثير: الكامل : 62/2 - 63 . ابو الفداء: المختصر : 1 / 117 . ابن كثير: البداية والنهاية : 3 / 53 ، تفسير : 3 / 364 ، السيرة النبوية : 1 / 459 . المتقي الهندي : كنز العمال : 13 / 114 .

٢- السيرة الحلبيية : 1 / 461 .

٣- ابن البطريق : العمدة : ص 272 . ابن طاووس : الطرائف : ص 133 . القندوزي : ينابيع المودة : 1 / 258 .

٤- سورة طه الآيتان 25 - 26 .

٥- ابن مردويه : المناقب : ص 277 .

٦- القمي : مائة منقبة : ص 145 . البحراني : غاية المرام : 6 / 155 .

٧- سورة طه الآيات 29 . 30 .

الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴿١﴾ فامير المؤمنين عليه السلام هو اقرب الارحام الى رسول الله عليه السلام.

إذن فان " الاخوة " وآية " اولو الارحام " من مصاديق هذه " القرابة " القريبة " بين النبي الاعظم عليه السلام و امير المؤمنين عليه السلام ، فلما " الاخوة " ، فلنفا من اوشج صلات القرب بينه عليه السلام وبين النبي الاعظم عليه السلام ، وقد كان اخوه في الدنيا والآخرة ، ولكن هذه " الاخوة " لاتقاس بغيرها من مظاهر الاخوة النسبية او السببية مما تعارف بين الخلق ، بل هي تتجاوز هذه المراتب لتكون في اعلاها مقاما واثقها عرى ؛ فللامام عليه السلام قد حاز جميع ابعادها فيما بينه وبين المصطفى عليه السلام ، وكان عليه السلام يفتخر فيقول : " انا عبد الله واخو رسوله ، وانا الصديق الاكبر ، لا يقولها بعدي ^٢ الا كذآب مفتري " ^٣ . وفي رواية : " انا عبد الله ، واخو رسوله صلى الله عليه [وآله] وسلم ، لم يقلها احد قبلي ، ولا يقولها احد بعدي الا كذآب مفتر ^٤ . وكذلك ورد عن النبي عليه السلام أنه قال لامير المؤمنين عليه السلام : " أنت أخي في الدنيا والآخرة " ^٥ ، إنما يريد به أنه مناظره ، ومشابهه ، ومشاكله في جميع المنازل الا النبوة ، و العرب تقول للشيء (انه اخو الشيء) اذا شابها ومائله و قارنه و وافق معناه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ ^٦ ، وقيل هما جبرئيل

١- سورة الاحزاب الآية 6.

٢- وردت في مصادر اخرى بعبارة " غيري " ينظر: ابو جعفر الاسكافي : نقض العثمانية : ص 290 . الكوفي: المناقب : 314/1 . الطبري الصغير : المسترشد في الامامة : ص 264 ، 374 . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 228/13 . ابن الدمشقي : جواهر المطالب : 70/1 . البحراني : غاية المرام : 115 / 5 .

٣- ابن ابي شيبة : المصنف : 7 / 498 . ابن ابي عاصم : كتاب السنة : ص 584 . النسائي : السنن الكبرى : 5 / 107 ، 126 . الصدوق : الخصال : ص 402 . الشريف المرتضى : الفصول المختارة : ص 139 . ابو نعيم الاصبهاني : مسند ابي حنيفة : ص 211 . ابن عبد البر : الدرر : ص 91 . المتقي الهندي : كنز العمال : 11 / 608 ، 13 / 122 .

٤- ابن ابي شيبة : المصنف : 7 / 497 .

٥- الترمذي : السنن : 5 / 300 . الكوفي : المناقب : 1 / 383 . القاضي المغربي : شرح الاخبار : 1 / 191 ، 2 / 593 . الصدوق : الخصال : ص 429 . الحاكم : المستدرک : 3 / 14 . المفيد : الامالي : ص 174 . الطوسي : الامالي : ص 194 . ابن عبد البر : الاستيعاب: 3/1099 . منتجب الدين بن بابويه : الاربعون حديثا : ص 72 . ابن البطريق : العمدة : ص 170-171 . ابن طاووس : التحصين : ص 617 . المتقي الهندي : كنز العمال : 11 / 598 .

٦- سورة ص الآية 23 .

وميكائيل عليه السلام ، وقوله تعالى ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْيًّا ﴾^١ ، ومعلوم أن الاخوة في النسب فقط قد لا توجب فضلا ، لأن الكافر قد يكون اخا للمؤمن ، لكن أخوة في المماثلة والمشابهة هي الموجبة للفضل . ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام حصلت له من رسول الله عليه السلام الاخوة^٢ .

١- سورة مريم الآية 28 .

٢- ابن جبر: نهج الايمان : ص 429 . وقد ذكر ابن جبر مراتب كثيرة للاخوة ما بين النبي عليه السلام و أمير المؤمنين عليه السلام منها:

- انه مماثله في النفس بنص القرآن ، كما في آية المباهلة في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاكَمَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ سورة آل عمران الآية 61 .

- انه مضاهيه في الولاية بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ﴾ ، سورة المائدة الآية 55.

- انه مناظره في العصمة ، بدليل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، سورة الاحزاب الآية 33.

- انه مشاركته ومشابهه في الاداء والتبليغ ، بدليل الوحي من الله سبحانه وتعالى الى الرسول عليه السلام يوم اعطى سورة براءة لغيره، فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: لا يؤديها الا انت او رجل منك ، واستعادها من ابي بكر ودفعها اليه عليه السلام .

- انه نظيره في الموالاته ، لقوله عليه السلام : " من كنت مولاه فعلي مولاه " وهو الحديث المعروف بحديث الغدير او الولاية .

- إنه فتح بابه في المسجد ، مثلما فتح بابه هو عليه السلام ، وجواره في المسجد كجواره .

- انه نظيره في النور قبل خلق آدم ، وإن التسبيح والتقدیس يصدر منهما معا لله عز وجل .

- انه نظيره في استحقاق الامامة ، لانه يستحقها عن طريق استحقاق النبي عليه السلام للنبوة سواء ، بدليل قوله تعالى لابراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

- انه كان أخوه بسببين آخرين ، وهو ان النبي عليه السلام كان يسمى فاطمة بنت اسد عليها السلام امي ، والعم يسمى ابا بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ ﴾ ، وقال الزجاج: اجمع النسابون ان اسم ابي ابراهيم تارخ ، وبقوله

تعالى حكاية عن يعقوب ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴾ ، واسماعيل كان عمه . ينظر ابن جبر : نهج الايمان :

ص 429-431 .

ويروى أن المؤاخاة بين المسلمين وقعت مرتين : الأولى كانت في مكة قبل الهجرة إذ آخى الرسول عليه السلام بين المهاجرين خاصة ، والثانية كانت في المدينة بعد الهجرة بخمسة أشهر ، فقد آخى النبي بين المهاجرين والانصار ، وفي كلتا المرتين يصطفي لنفسه منهم الإمام عليا عليه السلام فيتخذه من دونهم أخاً له ، تفضيلاً له على من سواه^١ .

إن أدل دليل على عظم منزلة الإمام علي عليه السلام من رسول الله عليه السلام صنيعة في المؤاخاة ، فليقته عليه السلام جعل يضم الشكل الى الشكل يؤلف بينهما ، الى أن آخى بين ابي بكر وعمر ، وادّخر علياً لنفسه ، وخصّه بذلك ، فإياها من مفخرة وفضيلة^٢ .

ومن غريب ما يطالعنا في قضية المؤاخاة بين النبي عليه السلام والامام علي عليه السلام ، أن مناوئيه قد كبر عليهم نبيله هذه المرتبة العظيمة ؛ لما لها من الفضل الخاص به دون سواه ، كيف لا وهو نظير النبي محمد عليه السلام ، فماج الحقد والحسد والبغض في صدورهم الضيقة ، فراح كلٌ منهم يعمل بجد وحسب طاقته ووسعته ، لاجل ردها او نفيها ، او اشراك غيره فيها ، او سلبها منه عليه السلام ، وهذا هو ديدنهم مع فضائله عليه السلام^٣ ، متخذين عدة أساليب :

الأسلوب الأول: الإنكار الصريح بنفي أخوته عليه السلام .

١- ابن عبد البر: الاستيعاب : 511/2 ، 1098/3 . ابن حجر: فتح الباري: 82/4 . العيني: عمدة القاري: 80/11 . في حين نجد ان ابن سعد يقول: " لما قدم رسول عليه السلام المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض وآخى بين المهاجرين والانصار... " . الطبقات : 238 / 1 .

٢- الاميني: الغدير : 164 / 3 .

٣- ينظر : النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام المنسوبة لغيره الحلقة الاولى (الولادة في الكعبة) : ص 123 - 144 .

كان الردّ الاول لهذه الفضيلة بعد رحيل النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وعلى لسان اصحاب السقيفة ، عندما هُدد أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل عندما امتنع عن البيعة ، قال عليه السلام " اذا تقتلون عبد الله و أخا رسوله " فقالوا " اما عبد الله فنعم ، واما اخو رسول الله فلا " ^١ .

الأسلوب الثاني: الدسّ والتزوير: ترك بعضهم بصمة التحريف واضحة في مرويات هذه الحادثة ، وقد انتهجوا في ذلك منهجين :

الاول: وضع احاديث نسبت الى النبي صلى الله عليه وآله في حقّ عدد من الصحابة ، في قبال هذه الفضيلة لامير المؤمنين عليه السلام ؛ بغية إشراك غيره فيها ، فلا يكون له عليه السلام أيّ فضل او تقدم على غيره ، و منها : ما نسبوه الى النبي صلى الله عليه وآله : " لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن اخي وصاحبي " ^٢ ، قال ابن ابي الحديد ^٣ " فانهم وضعوه في مقابلة حديث الاخاء " .

الثاني: ما دسّ في مرويات حادثة الاخاء من سموم الوضع والتحريف كمن دسّ سماً في عسل ، فعدت ظاهرها مدحاً لامير المؤمنين عليه السلام وباطنها لا يخلو من ذم او اساءة لمقامه الشريف .

ليس الغاية الخوض في تفاصيل تلك الرويات ، لكن نقف في المحال التي قد أُضيفت عمداً بقصد الاساءة ، فمن ذلك ما اشارت به عدة روايات الى أنّ النبي صلى الله عليه وآله حين امره الله تعالى بأن يؤاخي بين اصحابه " جاءه علي تدمع عيناه ، فقال: يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بيني وبين احد " ، فقال له صلى الله عليه وآله : " انت اخي في الدنيا و الآخرة " ^٤ . بل ذهب عدة من الرويات بعيداً في ادعائها أنّه عليه السلام عاتب النبي صلى الله عليه وآله ، وخاف على نفسه الوقوع في محذور اسخطه صلى الله عليه وآله عليه ، فقال له : " لقد ذهبت روحي ، وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت باصحابك ما فعلت بغيري ، فان كان من سخطة علي فلك

١- ابن قتيبة: الامامة والسياسة (منسوب) : 1 / 20 . الطبري الصغير: المسترشد: ص 380 . الطبرسي: الاحتجاج:

109/1 . ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة: 2 / 60 . ابن سليمان الحلبي : المحتضر : ص 110 .

٢- ينظر: ابن حنبل: المسند : 1 / 412 . البخاري : الصحيح : 4 / 191 . مسلم: الصحيح : 7 / 108 . ابن حزم : المحلى 1 / 35 .

٣- شرح نهج البلاغة: 11 / 49 .

٤- الترمذي : السنن : 5 / 300 . الكوفي : المناقب : 1 / 357 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 42 / 51 . منتجب الدين بن بابويه : الاربعون حديثاً : ص 72 . ابن شهر اشوب : المناقب : 2 / 33 . ابن كثير : البداية والنهاية : 7 / 371 . ابن الدمشقي : جواهر المطالب : 1 / 69 . الحلبي : السيرة الحلبية : 2 / 293 - 294 .

العنبي والكرامة " ^١ ، وفي رواية " انقطع ظهري ، وساء ظني " ^٢ ، فقال رسول الله عليه السلام : والذي بعثني بالحق ما اخترتك الا لنفسي ، وانت مني بمنزلة هارون من موسى ، الا انه لا نبي من بعدي وانت اخي ووارثي ... " ^٣ .

فليُنظر كل لبيب الى هذه الاساءة لمقام أمير المؤمنين عليه السلام ، بل ذهبت روايات اخرى الى ابعد من ذلك ، فظهرته عليه السلام جاهلا بمقامه واطهرت النبي عليه السلام متجاهلا له عليه السلام - حاشاهما - فادعت قائلة : " إنّه لما كان النبي يؤاخي ، فحانت منه التفاتة ، فنظر الى علي بن ابي طالب جالسا ناحية ، وهو يرفع نفسه مرة ويتقاصر مرة ، والدموع تتحدر على خديه ، فقال له النبي عليه السلام ممّ بكأوك يا أبا الحسن ؟ لا ابكى الله عينيك ؟ فقال عليه السلام : بكائي على نفسي . قال النبي عليه السلام : ولم ذاك يا ابا الحسن ؟ فقال : لانك يا رسول الله كلما اقمتم رجلا من المؤمنين قلت : إنك ستقيمني إليه وتواخي بيني وبينه ، فتعدل عني الى غيري ، فقلت في نفسي : لا اصلح لمواخاة رجل من المؤمنين " ^٤ .

هذا هو المقطع الاول من الرواية والاساءة واضحة فيه للنبي الاعظم عليه السلام ولامير المؤمنين عليه السلام ، بل إن الراوي بالغ في تصوير الحادثة بهكذا مشهد تجنى فيه على مقام النبي والامام عليه السلام . ثم يأتي المقطع الآخر الذي ظاهره المدح لمقام الامام عليه السلام اذ يقول : " فقال النبي عليه السلام : ما عدلت عنك ، ولكن وجدت الله يعدل بي عنك ، فهذا جبرائيل قائم في الهواء كلما اقمتم رجلا من المؤمنين وارادت أن اقيمك يقول جبريل : اعد عليا ، وأخّره في هذا المقام ولا تقدمه ، فغمني ذلك ، واقلفني وساعني واحزنني ، فهبط

- ١- ابن ابي عاصم: الأحاد والمثاني: 5 / 172. ابن مخلد القرطبي: ما روي في الحوض والكوثر: ص 126 - 127. الطبراني: المعجم الكبير: 5 / 221. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 21 / 415. ابن البطريق: العمدة: ص 167. الخوارزمي: المناقب: ص 152. الزرندي: نظم درر السمطين: ص 94 - 95. الاربلي: كشف الغمة: 1 / 333-334. المتقي الهندي: كنز العمال: 9 / 167
- ٢- الكوفي: المناقب: 1 / 316
- ٣- ابن ابي عاصم: الأحاد والمثاني: 5 / 172. ابن مخلد القرطبي: ما روي في الحوض والكوثر: ص 126 - 127. الطبراني: المعجم الكبير: 5 / 221. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 21 / 415. ابن البطريق: العمدة: ص 167. الخوارزمي: المناقب: ص 152. الزرندي: نظم درر السمطين: ص 94 - 95. الاربلي: كشف الغمة: 1 / 333-334. المتقي الهندي: كنز العمال: 9 / 167 .
- ٤- ابن جبر: نهج الايمان: ص 414

علي جبريل عليه السلام وقال: يا محمد ، العلي الاعلى يقربك السلام ويقول لك قد علمت عزل علي ، فلا يغمك ذلك فانما خبأته لك ، وقرنته بك ، وأخيت بينك وبينه في السماء والارض ¹.

بل نلتقي رواية ثالثة يرويها الصحابي أنس بن مالك ت 92 هـ ، تظهر أنّ الامام عليه السلام قد ساءه فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فذهب منعزلاً شاكياً للسيدة فاطمة عليها السلام : " لما كان يوم الاخاء ، فأخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والانصار ، وعلي واقف يراه ويعرف مكانه ، ولم يؤاخ بينه وبين احد ، فانصرف علي باكي العين ، افتقده النبي: ما فعل ابو الحسن؟ فقالوا: انصرف باكي العين يا رسول الله . قال: يا بلال اذهب فلتني به . فمضى بلال الى علي عليه السلام ، وقد دخل منزله باكي العين ، فقالت فاطمة : ما يبكيك لا ابكي الله لك عينا ، قال : يا فاطمة ! أخى النبي بين المهاجرين والانصار وانا واقف يراني ويعرف مكاني ولم يؤاخ بيني وبين احد ، قالت فاطمة عليها السلام : لا يحزنك الله ، لعله انما ادخرك لنفسه . فقال بلال: يا علي اجب النبي : فلتني علي الى النبي ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما يبكيك يا ابا الحسن؟ قال: واخيت بين المهاجرين والانصار يا رسول الله وانا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تؤاخ بيني وبين احد ، قال: انما ادخرتك لنفسى. أما يسرّك أن تكون اخا نبيك؟ قال: بلى يا رسول الله، أنى لي بذلك . واخذه بيده و ارقاه المنبر، فقال: اللهم ان هذا اخي مني وانا منه ، الا انه بمنزلة هارون من موسى ، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، قال: فلنصرف عليّ قرير العين ، فاتبعه عمر، فقال: بخ بخ يا ابا الحسن اصبحت مولاي ومولى كل مسلم ².

ومن خلال تأمل ما جاء في هذه الروايات يمكن القول :

1 - أظهرت روايات التآخي بين النبي والامام (صلوات الله عليهما) اقتص ارها على حادثة " المؤاخاة " بين الصحابة ، في حين قد دلت المصادر على سبق هذا الإخاء في حادثة الانذار ³ ، وفي حادثة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين فداه بنفسه الشريفة ⁴ ، بل تكرر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم التأكيد على أنّ الامام " اخاه " في عدة مواضع كان من ضمنها " المؤاخاة " بين اصحابه¹.

١- ابن جبر : نهج الايمان : ص 414 - 415.

٢- ابن جبر : نهج الايمان : ص 426 - 427

٣- ينظر : الطبري : تاريخ : 2 / 228 - 229 ، جامع البيان 19 / 149 . ابن كثير: البداية والنهاية : 3 / 53 ، تفسير :

364/3 ، السيرة النبوية : 1 / 459.

٤- ابن شاذان: الروضة : ص 25.

2 يبدو مما تدعيه احدى الروايات في أعلاه ان النبي عليه السلام تجاهل الامام عليه السلام ، فيما تدعي ثانية أنه اراد أن يؤاخي به باي فرد من المسلمين ، ولكن جبريل كان يمنعه ، ولم يدرك الامام عليه السلام سر ذلك حتى ظن بنفسه ونبيه الظنون! بل إن النبي عليه السلام كما يبدو لم يدرك سر هذا المنع ، لذا فانه قد حزن واغتم لاجل ذلك !!

ولكن أليس رسول الله عليه السلام فيما سبق طلب من الله تعالى أن يجعل له من اهله عليا اخاه ووزيره يشدد به ازره ويعضده في امره ² . ثم ألم يدرك النبي الاعظم عليه السلام منزلة أمير المؤمنين عليه السلام ومقامه حتى تلك اللحظة؟! فظل متحيرا وحزينا لما حدث . والادهى من ذلك أن الامام نفسه ظنَّ بعدم اهليته لمؤاخاة أيّ احد من **المسلمين**؟! حتى أنه لم يطق ذرعا ؛ فغادر المكان وذهب حزينا باكيا شاكيا الى زوجته السيدة فاطمة عليها السلام من فعل أبيها ، ولكتها طمأنته ونبهته لما خفي عنه، ولم يخطر بباله بلقائه ربما يكون قد اخره عليه السلام مدخرا اياه لنفسه عليه السلام ! وأنَّ هذا لشيء عجاب ! ففي الوقت الذي يسيء الراوي للامام عليه السلام يقابل ذلك بمدح للسيدة فاطمة عليها السلام ، ولم يكن هذا حبا واجلالا للسيدة فاطمة عليها السلام وانما محاولة للتغطية على مقصد الاساءة ، ولكي تكون روايته مقبولة جعل هذا المدح صك شفاعاة لقبولها عند قراءها ، ولذا نرى امثال هذه الروايات مقبولة في المصادر كافة ومتداولة دون التنبه لهذا المدح المشوب بالذم .

3 أن ما ذكرته هذه الروايات حول ردة فعل أمير المؤمنين عليه السلام وبكائه ، وما فعله النبي عليه السلام من الارسال في طلبه وترضيته بأن آخاه بنفسه ، هي التي جرأت بعضهم للقول : " إن قضية المؤاخاة توحى بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ احدًا لحاجة منه اليه لكثرة اصحابه وخدامه من المهاجرين والانصار، وانما شرف المرتضى بالاخوة لحزنه وبكائه " ³ .

4 ان اوضح دليل على بطلان ما جاء في هذه الروايات من مزاعم أننا لو رجعنا الى المصادر الاقدم لوجدناها خالية من هكذا اضافات موضوعة : فابن اسحاق يروي : " وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من المهاجرين والانصار، فقال فيما بلغنا ، نعوذ بالله ان نقول عليه ما لم يقل : تأخوا

١- ابن هشام : السيرة النبوية : 2 / 351 - 352 .

٢- الكوفي : المناقب : 1 / 303.

٣- الدهلوي : قرة العينين في تفضيل الشيخين : ص 163 ، نقلًا عن : حامد النقوي : خلاصة عقبات الانوار : 4 /

في الله اخوين اخوين ، ثم أخذ بيد علي بن ابي طالب ، فقال: هذا اخي ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذي ليس له خطير ، ولا نظير من العباد ، وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوين ، وإليه اوصى حمزة يوم احد حين حضره القتال ان حدث به حدث الموت ، وجعفر بن ابي طالب^١ ذو الجناحين الطيار في الجنة ، ومعاذ بن جبل ، اخو بني سلمة ، اخوين ...^٢ . ولم تكن هذه هي الرواية الوحيدة ، بل هناك روايات على شاكلتها خالية من التحريف ، ناطقة بفضيلة الاخوة لامير المؤمنين عليه السلام^٣ .

الأسلوب الثالث: هناك إتجاه آخر تعامل مع فضيلة المؤاخاة لامير المؤمنين عليه السلام بطريقة أخرى ، إذ قابل القضية - مع كونها مجمع عليها في المصادر - بـ"الإنكار" ، كما فعل ابن حزم الأندلسي^٤ بقوله : " قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابا بكر خليلاً ، ولكن اخي وصاحبي . وهذا الذي لا يصح غيره ، وأما أخوة علي فلا تصح الا مع سهل بن حنيف " . ولقد كفانا الشيخ الأمين مؤونة الرد بابلغ رد ، و جاء في رده : " انا لا اروم الكلام حول حديث رآه صحيحاً ، ولا اناقش في صدوره ، ولا أزيفه بما زيف عمر بن الخطاب حديث الكتف والدواة ، اذ هذه لدة^٥ ذاك صدرا في مرض وفاته صلى الله عليه وآله كما في الصحيحين ، و لا اقول بما قال ابن ابي الحديد في شرحه من إنه موضوع وضعته البكرية في مقابلة حديث الاخاء . وانا لا ابسط القول في مفاده بما يستفاد من كلام ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث من أن الاخوة هناك منزلة بالاخوة الاسلامية العامة الثابتة بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

١- لم يكن جعفر موجوداً وقتها بالمدينة لأنه كان في الحبشة ولم يقدم إلا في فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة. ينظر : ابن سعد: الطبقات : 34/4 . ابن عبد البر: الاستيعاب : 242/1 .
 ٢- ابن هشام : السيرة النبوية : 2 / 351 - 352 .
 ٣- ينظر مثلاً: الكوفي : المناقب : 301/1 - 303 ، 319 . الصدوق : الخصال : ص 429-430 . الحاكم : المستدرک : 14/3 . ابن عبد البر: الدرر: ص 90-91 . ابن المغازلي : مناقب علي بن ابي طالب : ص 53-55 .
 ٤- الفصل في الملل والنحل : 4 / 147 .
 ٥- لدة: الترب المتساوون في السن. وتعني المماثلة والمشابهة. ينظر: ابن سيدة: المخصص 156/3/3 ، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث 246/4 ، الزبيدي: تاج العروس 443 / 18 .

¹ نظير ما ورد عنه عليه السلام من قوله لعمر: يا اخي، ولزيد: انت اخونا ، ولاسامة: يا اخي. وإنما يفسر تلك الاخوة لفظ البخاري ومسلم ، والترمذي : " لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت ابا بكر خليلًا ، ولكن اخوة الاسلام ومودته". كما أن الخلة المنقضية فيه هي الخلة بالمعنى الخاص، لا الخلة العامة الثابتة بقوله تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾². بل اقول عجبًا للصلافة التي تحدد الانسان لان يقول: لا يصح غير حديث حسبه صحيحًا، ويجهل مفاده او يعلم ويحب أن يغري الامة بالجهل ، ثم يعطف على حديث اعترفت به الامة جمعاء ، وجاء مثبتًا في الصحاح والمسانيد ويراه باطلا . اهكذا حب الشيء يعمي ويصم ؟ اهكذا خلق الانسان ظلوما جهولا ؟ هذه الاخوة بالمعنى الخاص الثابتة لامير المؤمنين مما يختص به عليه السلام ولا يدعيها بعده الا كذاب، على ما ورد في الصحيح...، وكانت مطردة بين الصحابة كلقب يعرف به ، تداولته الاندية، وحوته المحاورات ، ووقع الحجاج به ، وتضمنه الشعر السائر ، ولو ذهبنا الى جمع شوارد هذا الباب لجا من كتاب ضخم ، غير اننا نختار منه نبذا...³ . ثم اورد الحديث بمصادره الكثيرة والفاظه المختلفة المتعددة ومناسباته مما يدل على تواتره⁴ .

وجاء من بعد ابن حزم من يشاكله ويسير على نهجه وهو ابن تيمية ، ولبنس الخلف خلفا يتبع سلفا ، اذ حكم على قضية المؤاخاة كلها بالبطلان والوضع ، قائلا: " اما حديث المؤاخاة فباطل موضوع ، فليّن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ احدا ، ولا اخى بين المهاجرين بعضهم من بعض ، ولا بين الانصار بعضهم من بعض ، ولكن اخى بين المهاجرين والانصار"⁵ . وقال أيضا: " إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ عليًا ولا غيره ، بل كل ما روي في هذا فهو كذب "⁶ .

١- سورة الحجرات الآية 10 .

٢- سورة الزخرف الآية 67 .

٣- الغدير : 3 / 161 - 163 .

٤- ينظر الغدير : 3 / 164 - 481 .

٥- منهاج السنة : 2/119 ، 4/75 .

٦- منهاج السنة: 4/32 .

وقد تكفل احد الباحثين برد ادعائه وبيان زيف رأيه ، إذ استقصى موارد الاخاء بين الصحابة عامة ، وبين النبي والامام خاصة بتفصيل دقيق مما لا يتسع المجال لذكره هنا¹.

اما آية ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾² ، فقد احتج أمير المؤمنين عليه السلام بدلالاتها على أنه الاولى بالنبي عليه السلام ؛ لأنه الاشد قربا منه عليه السلام ، إذ يقول عليه السلام : " وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾³ ، فَخُنُّ مَرَّةً أَوْلَىٰ بِالْقَرَابَةِ وَتَارَةً أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ ، وَلَمَّا اخْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَجُوا⁴ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ بَعِيرُهُ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ⁵ .

لقد اشارت مجموعة من المصادر الى اختصاص أهل البيت عليهم السلام بهذه الآية ، وأن فيها دلالة على اولويتهم بالامامة والامرة بعد النبي الاعظم عليه السلام فقد روي أن الامام الحسين عليه السلام سأل جده المصطفى عليه السلام عن تفسير هذه الآية ، فقال: " والله ما عنى بها غيركم ، وانتم اولوا الارحام فاذا مت ، فابوك علي

-
- ١- محمد الرضي الرضوي: من اقطاب الكذابين احمد بن تيمية الحراني: ص 49- 235 . وكذلك ينظر: الميلاني: ابن تيمية والامام علي عليه السلام : ص 27 - 31 .
- ٢- سورة الاحزاب 6 .
- ٣- سورة آل عمران الآية 68 .
- ٤- فلجوا عليهم : اي ظفروا بهم. الجوهرى : الصحاح : 1 / 335 .
- ٥- نهج البلاغة: 529 .
- ٦- الكليني: الكافي 1 / 288. ابن بابويه: الامامة والتبصرة: ص 48. الصدوق: علل الشرائع: 1 / 207. ابن مردويه : المناقب : ص 250 ، 298. المحسن بن كرامة: تنبيه الغافلين: ص 133- 134. ابن شهر اشوب: المناقب : 17/2 - 31. ابن جبر: نهج الايمان : ص 375 - 382. البياضي: الصراط المستقيم: 65/1 - 67. الاربلي: كشف الغمة : 329/1. العلوي: المجدي في انساب الطالبين: ص 392 - 393. الحسيني: تأويل الايات: 447/2 - 449. التستري: الصوارم: ص 171-172. النمازي: مستدرك السفينة: 469/10 - 470 .

اولى بي وبمكاني... " ، وهو القائل عليه السلام : " أنا اولى بالمؤمنين منهم بانفسهم ثم انت يا علي اولى بالمؤمنين ... " حتى عد الائمة تباعا ^٢ .

إن الملاحظ على هذه الآية أنّ الاوصاف الثلاثة - (الايمان والهجرة وكونه ذا رحم) - لا تنطبق الا على أمير المؤمنين عليه السلام ويظهر أن القرابة القريبة هي جزء من مقومات الخلافة والولاية بعد رسول الله عليه السلام ^٣ .

١- الخزاز : كفاية الاثر : ص 175 . البياضي : الصراط المستقيم : 2 / 155 - 156 . المجلسي : بحار الانوار : 36 / 344 . البحراني : غاية المرام : 1 / 195 .
٢- الخزاز : كفاية الاثر : ص 177 . المجلسي : البحار : 36 / 345 . ميرزا محمد تقي الاصفهاني : مكيال المكارم : 10 / 44 . النمازي : المستدرك : 10 / 470 .
٣- الميلاني : حديث المنزلة : ص 35 ، و ذكر الفخر الرازي في تفسير هذه الآية استدلال محمد بن عبد الله بن الحسن المثني المعروف بذي النفس الزكية بالآية في مكتبة له مع المنصور العباسي ، فقد استدل بها على ثبوت الولاية لامير المؤمنين عليه السلام في خلافة النبي عليه السلام ، فاجابه المنصور بان العباس اولى بالنبي من الامام عليه السلام ؛ لانه عمه ، والامام ابن عمه ، والغريب ان الفخر الرازي وافق على ذلك ينظر: تفسير : 15/213-214، ويمكن ان يلاحظ على هذا الرأي جملة امور هي:

أ - ما يخص قريهما من النبي عليه السلام ، فيمكن الفصل فيه بالقول: ان الله سبحانه لم يذكر الاقرب للنبي عليه السلام دون ان علقه بوصف ، فقال تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) الاحزاب الآية 6 ، فشرط إن الاولى بالنبي عليه السلام أن يكون من أهل الايمان والهجرة . فاما عن ايمان امير المؤمنين عليه السلام وهجرته، فلا شك ولا اختلاف في تقدم الامام عليه السلام في هذا المقام بالشكل الذي يعجز غيره ان ينافسه فيه ، وهو القائل " وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ " وغيرها من ادلة سبقه كما سيتضح في صفحات البحث القادمة. واما العباس بن عبد المطلب فقد اختلف في موقفه من الدعوة الاسلامية، فقد حضر يوم الانذار ولم يبد رأياً . ينظر: اليعقوبي : تاريخ : 2/27 . الطبري : تاريخ : 2/62-63، وشمله حصار الشعب مع بني هاشم، ينظر : اليعقوبي : تاريخ : 2/31، ولما اراد الرسول عليه السلام الهجرة الى المدينة، قيل ان العباس اخذ العهود والمواثيق على الانتصار لنصرة النبي عليه السلام ، ابن سعد : الطبقات : 4/7. ولكنه شارك الى جانب المشركين في معركة بدر، ووقع اسيرا بيد النبي عليه السلام واطلقه بعد دفع الفداء ، ابن عبد البر : الاستيعاب : 2/811-812. اما هجرته فقد اختلفت المصادر في ذلك، فجمع منها يشير الى انه لم يهاجر حتى فتح مكة ، ينظر : الصدوق : عيون أخبار الرضا : 2/80، الطبرسي : الاحتجاج 2/163، ابن شهر آشوب : المناقب 2/35. وجمع آخر علل تأخر هجرته، انه كان ممن كتم ايمانه لمصلحة الاسلام ، فلم يهاجر ليكون عيناً للنبي الاعظم عليه السلام ، فقد ابغى النبي عليه السلام بغزو المشركين في احد والخندق للمدينة، ابن عبد البر : الاستيعاب : 2/812 . ثم انه

ثانياً: المنزلة الخصیطة :

يمكن القول بان من مصاديق هذه المنزلة التي اختص بها الامام عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله امور عدة

منها :

- 1 - تربيته نبوية . 2- المصاهرة . 3- خلافته للنبي صلى الله عليه وآله (الإمامة) .

1 - تربيته نبوية :

ان مكونات شخصية كل فرد تتأثر بعاملی الوراثة والبيئة معاً ، ولكن بدرجات متفاوتة ¹ . ويكون اثر الوراثة اكثر وضوحاً في النواحي الجسمية والعقلية ، اما أثر البيئة فيظهر بوضوح اكثر في التكوين

هاجر قبيل فتح مكة، فكان آخر من هاجر وختمت به الهجرة ،ابن الاثير:اسد الغابة : 110/3. ثم لنقف عند الاية الكريمة التي كانت الفيصل في التفاضل ما بين هاتين الشخصيتين: امير المؤمنين عليه السلام والعباس بن عبد المطلب: قال تعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)التوبة الاية19-20. اذ كان سبب نزول هذه الاية ان العباس بن عبد المطلب ذكر فضل ما في يده وما يظهر من عمله من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وذكر امير المؤمنين عليه السلام قديم اسلامه وهجرته واجتهاده في جهاد اعداء ربه وبذله مهجته لله ورسوله، فقضى الرحمن بينهما، وبين الفصل بين فضيلتهما بما ذكر وقال في كتابه،ينظر: يحيى بن الحسين: الاحكام 450/2 - 451. وينظر: مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل: 40/2. الصنعاني: تفسير القرآن : 268/2 - 269. ابن ابي شيبه: المصنف: 504/7. الكوفي: المناقب: 1 / 135، 193. الطبري: جامع البيان: 123 / 10 - 124 . العياشي: تفسير : 2 / 83 . الكليني: الكافي: 8 / 203 - 204 . القمي: تفسير القمي: 1 / 283 - 284 . النحاس : معاني القرآن : 192/3. ب- ان امير المؤمنين عليه السلام كان اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله واولى بمقامه ان ثبت ان المقام موروث، وذلك ان امير المؤمنين عليه السلام كان ابن عم النبي صلى الله عليه وآله لاييه وامه، والعباس عمه لاييه خاصة ، ومن تقرب بسببين كان اقرب ممن تقرب بسبب واحد، كما ذكر في فقه الفرائض، ولهذا حكم ابو بكر في الدرع والسيف والبقلة وغيرها من ميراث النبي صلى الله عليه وآله للامام امير المؤمنين عليه السلام دون العباس وقد روي عن الامام عليه السلام انه قال مفتخراً: **جدي وجد رسول الله منفرد وفاطم زوجتي لا قول ذي فند**

وقيل لقتم بن العباس: باي شيء ورث علي بن ابي طالب النبي دون العباس؟ قال: لانه كان اشدنا به لصوقا واسرعنا

به لحوقا، ابن شهرآشوب :المناقب :35/2 .

- 1 - مصطفى محمد الطحان : التربية ودورها في تشكيل السلوك : ص 118 - 126 .

الخطي والصفات النفسية والدوافع التي يكتسبها الفرد بالتعلم والخبرة ، وكذلك ما يتكون عنده من اتجاهات وآراء ومثل عليا ، وما يحصله من ضروب المعرفة والمهارات العملية وأنواع الثقافة ¹ .

إذاً تتبلور شخصية الفرد نتيجة تفاعل مكوناته الجسمية والعقلية مع البيئة التي يعيش فيها ² .
بمعنى آخر فإن العوامل الوراثية والبيئية تشترك معاً في رسم مسار النمو من حيث ان الوراثة تعطي الاستعداد ، وتحدد السقف الأقصى للنمو ، والبيئة تعمل على انجاز هذا الاستعداد ليصير واقعاً ³ . وإن كان بعضهم قد جعل العامل البيئي هو الأشد أثراً في تكوين شخصية الانسان ⁴ .

ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام - بوصفه بشراً - ، بمستثنى من هذه القاعدة ، فقد أثرت هذه العوامل في جوانب من شخصيته الروحية والنفسية والاخلاقية ، كما سيتضح لنا :

العامل الوراثي :

يقصد بالوراثة انتقال بعض الصفات الى الفرد من ابيه عن طريق الجينات . سواء كانت هذه الصفات فطرية عامة في الجنس ام كانت من التغييرات التي استجبت في الالباء ⁵ . ولكن لا يمكن الوقوف عند أثر هذا العامل في حد الاكتساب على الابوين ، بل ان عملية الاكتساب الوراثي للصفات والسمات قد تتجاوز الى ما هو ابعد من ذلك إلى الالباء والاجداد ، حتى يمكن ان تتصل باصل الخلق . اذ قدر علماء الوراثة ان للانسان جزءا نوعيا خاصا لا يموت صاحبه ، بل يمتد ويستأنف حياته في نسله ، وقسموا الوراثة حسب المشابهة الى ثلاثة اقسام :

- 1 - للوراثة بالتحيز: ومعناها أن يشابه الفرع احد اصلية في كل الصفات او معظمها ، كأن يكون الولد مثل ابيه في كثير من صفاته الجسمية والعقلية.
- 2 - للوراثة بالانتلاف : وهو مخالفة الفرع لصفات اصلية ، كأن يخالف الابن ابيه في مظاهرها الشكلية .

١ - جنان سعيد الرحو : اساسيات في علم النفس : ص 293 .

٢ - محمد خليفة بركات : علم النفس التعليمي : 43/1 .

٣ - صالح محمد ابو جادو : علم النفس التربوي : ص 57 .

٤ - الطحان : التربية : ص 122 - 125 . و ينظر : أنس شكشك : علم النفس العام : ص 142 - 143 .

٥ - ابو جادو : علم النفس : ص 57 .

- 3 الوراثة بالاقتران : وهي أن يكون الفرع مشابها لاحد اصلية في صفات ، ويشابه للثاني في صفات اخرى ، واكد ذلك (مندل) فقال : إن كثيرا من الصفات الوراثية تنتقل وبدون تجزئة او تغير من احد الاصلين او منهما الى الفرع .
- 4 وقد يرث الانسان صفات اجداده السابقين ومميزاتهم الشكلية^٢ .

ويقول الدكتور (الكسيس كاريل)^٣ : " يمتد الزمن مثلما يمتد في الفراغ الى ما وراء حدود جسمه ، وحدوده الزمنية ليست اكثر دقة ولا ثباتا من حدوده الاتساعية فهو مرتبط بالماضي والمستقبل على الرغم من أن ذاته لا تمتد خارج الحاضر . وتأتي فريديتا كما نعلم الى الوجود حينما يدخل الحويمن في البويضة ولكن عناصر الذات تكون موجودة قبل هذه اللحظة ومبعثرة في انسجة ابوينا واجدادنا واسلافنا البعيدين جدا لانا مصنوعون من مواد آبائنا وامهاتنا الخلوية ، وتتوقف في الماضي على حالة عضوية لا تتحلل ... وتحمل في انفسنا قطعا ضئيلة لاعداد من اجسام اسلافنا وما صفاتنا ونقائصنا الا امتداد لنقائصهم وصفاتهم ..."^٤ .

هذا المعنى أشار إليه النبي الاعظم عليه السلام من قبل ، اذ يروى : أن رجلا قال للنبي عليه السلام : " يا رسول الله! ولد لي غلام اسود ، فقال رسول الله عليه السلام : فأنى كان ذلك؟ قال: ما ادري . قال: فهل لك من ابل ؟

١- هو الكيميائي الأمريكي (Mendel Lafayette Benedict) ولد في 1872م ، درس في بيل وبريسلاو وفرابيرغ ، وترقى إلى أستاذ الكيمياء الوظيفية (الفيزيولوجية) في بيل ، اكتشف فيتامين (A) ووظيفة فيتامين (C) توفي 1935م . ينظر : صفاء كامل الجبوري : موسوعة العلماء والمكتشفين والمخترعين ص 399 .

٢- الصائغ : علي عليه السلام بين امه وابيه : ص 45 - 46

٣- هو عالم الاحياء والجراح الفرنسي (Alexis Carrel) ولد في 1873 وتعلم في ليون ، وقام بدراسات طبية في جامعتي ليون وشيكاغو ، منح جائزة نوبل للطب سنة 1912م ، توفي سنة 1944م . ينظر : الجبوري : موسوعة العلماء ص 314 .

٤- الصائغ : علي عليه السلام بين امه وابيه : ص 46 - 47 .

قال: نعم . قال: فما الوانها؟ قال: حمر . قال: فهل بينها جمل اوراق؟^١ قال: فيها ابل اوراق . قال: فاني ذلك؟ قال: ما ادري يا رسول الله، إلا أن يكون نزعه عرق . قال: هذا لعله نزعه عرق"^٢ .

فالحديث هنا صريح في أن الابناء والاحفاد يرثون اغلب صفات آبائهم واجدادهم النفسية والجسمية، وأنها تنتقل اليهم بلا ارادة واختيار . فما الذي ورثه أمير المؤمنين عليه السلام من اسلافه؟ في البدء يمكن القول: لو نأملنا قليلا في حديث للنبي صلى الله عليه وآله، إذ يقول: " ان الله تبارك وتعالى خلق عليا من نوري ، وخلقني من نوره ، وكلانا نور واحد ..."^٣ . وفي حديث اخر: " كنت انا وعلي بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم ..."^٤ . فلقد كانا صلوات الله عليهما في ارادة الله الازلية ، نورين متعانقين بساق عرشه ، فلسنا مبالغين إن قلنا : إن لعلي بن ابي طالب عليه السلام وجودا في الارادة الازلية الربانية^٥ .

ثم يقول صلى الله عليه وآله: " فلما خلق الله تعالى آدم سلك ذلك النور في صلبه ، فلم يزل الله تعالى ينقله من صلب الى صلب حتى اقره في صلب عبد المطلب ، فقسمة قسمين: قسما في صلب عبد الله، وقسما في صلب ابي طالب ، فعلي مني وانا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي"^٦ ، وفي حديث: " إن الله عز وجل نقلنا نقلنا من صلب آدم عليه السلام في اصلاب طاهرة الى ارحام زكية ، فما نقلت من صلب الا ونقل علي معي، فلم يزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة ، واستودع عليا خير رحم وهي فاطمة بنت اسد..."^٧ . بمعنى: ان الله قد قدر في سابق علمه لهذا النور أن ينزل الى الاصلاب الطاهرة من آدم عليه السلام ، " كَلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا"^٨ ، " مُسْتَقَرَّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرَّرٌ، وَمَنْبُتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ

- ١- الاورق : جمل ابيض يخالط بياضه سواد . ينظر : الشرييني : مغني المحتاج : 3 : 374
- ٢- النسائي : السنن الكبرى : 6 / 179 . وينظر : الشافعي : كتاب الام : 7 / 32 ، كتاب المسند : ص 270 . ابن حنبل : المسند : 2 / 234 . ابن قدامة : المغني : 9 / 43-44 .
- ٣- الكنجي الشافعي: كفاية الطالب: ص406. المرعشي : شرح احقاق الحق . 7 / 488 .
- ٤- ابن مردويه: المناقب : ص 286 . الخوارزمي: المناقب: ص 145 - 146 . الاربلي: كشف الغمة: 1 / 301 . الزرندي : معارج الوصول : ص 33 ، نظم درر السمطين: ص 79 . البحراني: غاية المرام: 1 / 28 .
- ٥- الاسدي: الامام علي بين طهر الميلاد ومجد الاستشهاد: ص 11 .
- ٦- ابن مردويه: المناقب : ص 286 . الخوارزمي : المناقب : ص 145 - 146 . الاربلي : كشف الغمة : 1 / 301 . الزرندي : معارج الوصول : ص 33 ، نظم درر السمطين : ص 79 . البحراني : غاية المرام : 1 / 28 .
- ٧- الكنجي الشافعي: كفاية الطالب : ص406. المرعشي : شرح احقاق الحق : 7 / 488 .
- ٨- نهج البلاغة : ص 447 - 448 .

الكَرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ^١ ، حتى انتهى الى صلب عبد المطلب ، فاجتزأ النور الى جزأين ، فجزأ في عبد الله والآخر في ابي طالب عليه السلام ثم نتج المولودان المباركان : النبي الاعظم عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام .

فمن جانب انهما من اصل نوراني واحد ، ومن جانب آخر ، فلياً اصل ارومتهما نبوية خالصة ، إذ كما قال عليه السلام في معنى الآية : ﴿ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ^٢ ، أي من " نبي الى نبي " ^٣ ، وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام ما يعضد هذا التأويل ؛ إذ يقول في معرض حديثه عن اصل النبي عليه السلام : " فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مُنْبِتًا ، وَأَعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرَسًا ، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أَمْنَاءَهُ " ^٤ . وهي شجرة النبي ابراهيم عليه السلام .

وبهذا يكون الامام أمير المؤمنين عليه السلام قد ورث صفات جسدية وعقلية ونفسية من تلك الاصلاب النبوية والارحام النورانية ، التي لم يخامرها رجس ولاشرك .

ويدلنا على ذلك بوضوح قوله عليه السلام في حديث الاشباه^٥ وهو من الاحاديث المعروفة : " من أحب ان ينظر الى آدم في خلقه ، وانا في خلقي ، والى ابراهيم في خلته ، والى موسى في مناجاته ، والى يحيى

١- نهج البلاغة : ص 178 .

٢- سورة الشعراء الآية 219 .

٣- ابن سعد: الطبقات: 25/1. ابن ابي حاتم: تفسير: 9 / 2828. الطبراني: المعجم الكبير: 287/11. الثعلبي: الكشف والبيان: 7 / 184 . الطوسي: التبيان: 8 / 68. البغوي: معالم التنزيل: 3 / 402 . ابن عساکر: تاريخ دمشق: 3 / 401 . ابن كثير: البداية والنهاية: 2 / 314 ، السيرة النبوية: 1 / 191 . السيوطي: الدر المنثور: 5 / 98 . الشوكاني: فتح القدير: 4 / 120 .

٤- نهج البلاغة : ص 176 .

٥- محمد عبده: نهج البلاغة (شرح) : ص 141.

٦- ورد هذا الحديث بالفاظ مختلفة وطرق متعددة ، ينظر: يحيى بن الحسين: التحفة العسجدية: ص 131. الصدوق: كمال الدين: ص 25- 26. ابن مردويه: المناقب: ص 147. المفيد: الامالي: ص 14. الطوسي: الامالي: ص 417. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: 1 / 103 ، 137. الخوارزمي: المناقب: ص 83. ابن عساکر: تاريخ دمشق: 313/42. ابن شهر اشوب: المناقب: 3/57. ابن الفثال: روضة الواعظين: ص128. ابن جبر: نهج الايمان: ص664-665. ابن البطريق: العمدة: ص 369. العلامة الحلي: كشف اليقين: ص 52 - 54، نهج الحق وكشف الصدق: ص236 - 237. ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤول: ص 129. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 7 / 220. ابن

في زهده ، والى عيسى في سنته، فلينظر الى علي بن ابي طالب اذا خطر بين الصفين ، فكأنما يتقلع من صخر أو يتحدر من دهر" ^١.

وفي لفظ آخر لهذا الحديث: " من اراد أن ينظر الى آدم في علمه ، والى نوح في فهمه ، والى ابراهيم في خلته ، والى موسى في مناجاته ، والى عيسى في سنته ، والى محمد صلى الله عليه وآله في تمامه وكماله ، فلينظر الى علي بن ابي طالب عليه السلام كأنما ينقلع من صلب ، وينحط من جبل" ^٢. وفي رواية : " من اراد ان ينظر الى يوسف في جماله ، والى ابراهيم في سخائه، والى سليمان في بهجته ، والى داود في قوته ، فلينظر الى هذا" ^٣.

تجدر الإشارة الى ان الشواهد المارة الذكر - في احاديث النبي صلى الله عليه وآله وكلمات الامام عليه السلام - وان كانت تدل على أثر للجانب الوراثي الرسالي بالدرجة الاساس الا انها لا تخلو من دلالة على اكتساب بعض الموروثات العقلية والجسمانية .

وأما ما ورثه واكتسبه من أبويه خاصة ، فغير خاف على كل منمئل في سيرة هذين الابوين الموحدين الطاهرين وما تميزا به من خصال الشرف والنبيل والكرم والشجاعة وغيرها من سمات كانت قد تركت اثراً كبيراً في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام ، ولا يتسع المجال هنا للتفصيل في هذا الجانب ، ونقتصر على اشارة ابن ابي الحديد حيث عد ابوة ابو طالب من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام اذ يقول : " وما اقول في رجل ابوه ابو طالب سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة " ^٤ وقال ايضا : " ان عليا عليه السلام كان يدعي التقدم على الكل ، والشرف على الكل ، والنعمة على الكل ، بابن عمه صلى الله عليه وآله ،

شاذان: الروضة: ص34، الفضائل: ص 98. الشامي: الدر النظيم: ص 270. ابن ميثم: النجاة في القيامة في تحقيق امر الامامة: ص161. الاربلي: كشف الغمة: 111/1. المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص 93 - 94. الذهبي: ميزان الاعتدال : 99/4. الايجي: المواقف: 626/3. ابن كثير: البداية والنهاية: 392/7. القاضي الجرجاني: شرح المواقف: 8 / 369. ابن حجر: لسان الميزان: 24/6. ابن الصباغ: الفصول المهمة : 571/1. القندوزي: ينابيع المودة: 363/1 .

١- ابن عساكر: تاريخ دمشق : 42 / 288 .

٢- الطبري الصغير : المسترشد : ص 287 .

٣- ابن شهر آشوب : المناقب : 3 / 57 .

٤- شرح نهج البلاغة : 29/1 .

وبنفسه ، وبأبيه ابي طالب ، فإنه من قرأ علوم السير عرف ان الاسلام لولا ابو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً" ¹ .

اما امه فتعد من شواخص نساء التاريخ ، وهي الزوجة الوحيدة لابي طالب عليه السلام ، اسلمت بعد عشرة من المسلمين فكانت الحادية عشرة ، وهي اول امرأة بايعت النبي عليه السلام من النساء وكان عليه السلام يكرمها ويدعوها (امي) ، وقد هاجرت الى المدينة ، ولما حضرته الوفاة اوصت الى النبي عليه السلام فقبل وصيتها ، وصلى عليها ونزل في لحدها ² .

العامل البيئي :

البيئة : مفهوم له معنى خاص من وجهة نظر علم النفس ؛ اذ يقصد بها جميع المؤثرات التي يتلقاها الفرد من المحيط الذي يكتنفه ³ .

أنّ المنتبغ لسيرة أمير المؤمنين عليه السلام الشريفة ، يلاحظ بدقة تدخّل العناية الالهية في كل شأن يرتبط بوجوده عليه السلام ، منذ ولادته حتى استشهاده ؛ مما يدل على أنّ هذا الوجود رشحة من ألطاف الله عز وجل ، واطلالة من نوره على هذه الخليقة .

إن هذه الرشحة المقدسة فرضتها حاجة الانسانية الى هذا اللطف الرباني ⁴ ، ووضح مصداق على ذلك ولادته في بيت الله الحرام ، فقد جرت مقادير السماء أن تكون " الكعبة " ° التي هي قبلة الموحدين

١- شرح نهج البلاغة : 1 / 142 .

٢- ولمزيد من التفاصيل عن ترجمتها ينظر : ابن سعد : الطبقات : 8 / 222 . ابن عبد البر : الاستيعاب : 4 / 1891 . ابن الاثير : اسد الغابة : 5 / 517 . ابن حجر : الاصابة : 4 / 380 .

٣- ابو جادو : علم النفس : ص 57 .

٤- الاسدي : الامام علي عليه السلام بين طهر الميلاد : ص 13 .

٥- الكعبة: (لغة) : كعبت الشيء اي ربعته، والكعبة البيت المربع، وسمي البيت الحرام بالكعبة لتكعيبه اي تربيعه، والعرب تسمي المكان المرتفع كعبة. ابن منظور : لسان العرب : 1 / 718 .

، موضعا لولادة علي بن ابي طالب عليه السلام، فكانت هذه الفضيلة مما انفرد بها عليه السلام، حتى عرف باسم وليد الكعبة^٢. وكأنما كان ميلاده إيذانا بعهد جديد للكعبة، والعبادة فيها^٣.

ان هذا التخطيط الالهي من اوضح الاشارات الى طهر هذه الذات المصطفاة وقداستها، هذه الذات التي من أجلها استثنيت اعتبارات والتزامات شرعية هامة، الزم الله - عز وجل - بها سائر الناس تجاه بيته الحرام، كحرمة دخول النساء والجنب، وقد استمر هذا الاستثناء من المادة الشرعية لخصوص رسول الله صلى الله عليه وآله والامام عليه السلام ليشمل كافة فصول حياتهما، مما يشير الى وحدة الاصل بينهما، فقد ورد في الحديث الشريف: "يا علي! لا يحل لاحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك"^٤. ومن دلالات الولادة في بيت الله، أن الله أعدّ هذه الشخصية المطهرة لعملية تغييرية مهمة في بيته الحرام، وهي تطهيره من رجس الوثنية الجاهلية. فلعطاه الله عز وجل ذا الاختصاص بالولادة في بيته، وفاءً مقدّماً منه تعالى الى الوجود المطهر الوفي المعطاء، الذي علم الله عز وجل أنه الرجل الذي لا يتغير جوهره، ولا تتحرف حركته عن خط الرسالة الاسلامية المرتقبة، تحت أي ظرف من الظروف والاحوال، وكما كرمه الله عز وجل مع ذلك الشرف والقدر، ان جعل محطّ قدمه منكب رسول الله صلى الله عليه وآله، اذ لم يتسن لعلي عليه السلام الصعود الى سطح الكعبة الا على كتف النبي صلى الله عليه وآله^٥.

وكما قدرت عناية السماء لهذا الامام أن يولد في بيت الله الحرام، فقد جرت قدرتها في أن ينتقل منه الى بيت الرسالة، ليحظى برعاية النبي الخاتم صلى الله عليه وآله بعد أن "غرس الله عز وجل فيه ادبه وغامض علمه

١- اشارت الرويات لولادة حكيم بن حزام في الكعبة، وقد قام احد الباحثين بتحقيق الروايات واثبت بطلانها وانفراد أمير المؤمنين عليه السلام بهذه المنقبة. ينظر: النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: (الصفحات جميعها).

٢- النصر الله: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي رؤية اعتزالية عن الامام علي عليه السلام: ص 120 - 121.

٣- العقاد: عبقرية الامام: ص 43.

٤- الترمذي: السنن: 303/5. ابو يعلى: المسند: 311/2. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 140/42. الزيعلي: تخريج الحديث والاثار: 326/1 - 327. الهيثمي: مجمع الزوائد: 115/9. المتقي الهندي: كنز العمال: 599/11. وفي حديث ان هذا الاستثناء شمل جميع اهل بيته عليه السلام، إذ قال صلى الله عليه وآله: "لا يحل لاحد أن يجنب في هذا المسجد الا انا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ومن كان من اهلي فانهم مني". الصدوق: الامالي: ص 413، من لا يحضره الفقيه: 557/3 - 558. الطوسي: تهذيب الاحكام: 15/6.

٥- الاسدي: الامام علي عليه السلام بين طهر الميلاد: ص 14.

استعداداً للتلقي من رسول الله عليه السلام " ١ . فكانت أوضح ما تزخر به سيرته الشريفة هذه الفضيلة التي اختص بها دون سواه من الخلق ، بان يكون في كنف النبي عليه السلام . واللافت للنظر أنه عليه السلام قد تعاوده منذ صغره ، بل منذ أن كان وليداً .

ومن كان في طفولته واجداً لأئمن الذخائر الروحية والمادية من الوجهة الوراثية ، ومن ناحية التربية قد تلقى المثل في اطهر اسرة ، وكان مربيه الرسول الأعظم عليه السلام ، لذا فهو جدير بأن يكون في الكبر قائد السعادة البشرية وأمير جيش الايمان والتقوى^٢ .

وعندما نقول : إن رسول الله عليه السلام قد تبنّى تربيته واعداده عليه السلام ، لا نعني أن تربية النبي عليه السلام للإمام عليه السلام كانت على نحو التأسيس لشيء كان يفقده عليه السلام ، او تعليمه لعلم كان يجهل اسسه وقواعده ، بل كان ذلك لعدة اغراض:

1 - إثارة المواهب الكامنة في ذاته وتنميها ، بالاسلوب الطبيعي الذي يخرج المسألة عن الاعجاز المحض.

2 - الكشف عن هذا الاستعداد الذي تلقاه الإمام علي عليه السلام في المعهد الرباني الاول.

3 - تأكيد الشعور في نفسه ، بفضل رسول الله عليه السلام عليه.

4 - إلفات نظر الامة الى جوهر الصلة الرابطة بينه وبين رسول الله عليه السلام^٣ .

والامر الجدير بالطرح هنا حول هذه العلاقة الخاصة الخالصة ما بين النبي عليه السلام والامام عليه السلام ، هل يمكن ان تقف عند حد علاقة رحم فيما بينهما ؟ او انها تلتزم جانباً خاصاً محدوداً على مستوى توفير سكن ومأكل وملبس؟ كما تحاول بضعة روايات بائسة ان تحجم ابعاد تلك العلاقة الفريدة ، لتعللها تعليلاً يقف بهذه الاصره عند حد ازمة اقتصادية عصفت بمكة فاضطرت والد أمير المؤمنين عليه السلام الى تفريق اولاده بين اقربائه ، فيكون أمير المؤمنين عليه السلام من حصة النبي الأعظم عليه السلام وبهذا تكون هذه الازمة الاقتصادية من نعم الله على الامام عليه السلام إذ قادت اتفاقاً الى احضان بيت الرسالة لينشأ في كنف النبي

١- الاسدي : الامام علي عليه السلام بين طهر الميلاد: ص 27

٢- محمد تقي فلسفي: الطفل بين الوراثة والتربية : 1 / 217 .

٣- الاسدي : الامام علي عليه السلام بين طهر الميلاد: ص 27 .

و بهذا يكون سبق اسلامه أمراً طبيعياً ما دام قد عاش في ظل تلك البيئة الرسالية التي تلقت وحي السماء ، فلذعن افرادها للتكليف الالهي ، وكانوا سباقين لاعتناق الدين الاسلامي .

وهذا ما يتضح من الرواية التي تقول في مطلعها ، عن ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن ابي نجيح ، عن مجاهد بن جبر ابي الحجاج ، قال: " كان من نعمة الله على علي بن ابي طالب او مما صنع الله له ، واراده به من الخير، ان قريشا اصابتها ازمة شديدة ... " ثم ساق الراوي تفاصيل ما جرى وكيف كانت هذه الازمة ذات مردود طيب على الامام أمير المؤمنين عليه السلام حصراً " فرب ضارة نافعة " ، ولكنها تركت اثارها السلبية على غيره بما فيهم ابو محبة الذين اضطروا الى التنازل عن ابنائهم ومفارقتهم حسب زعم الرواية كما سيتضح لنا: " .. وكان ابو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم للعباس عمه ، وكان من ايسر بني هاشم: يا عباس ، ان اخاك ابا طالب كثير العيال ، وقد اصاب الناس ما ترى من هذه الازمة ، فانطلق بنا اليه ، فلنخفف من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ انت رجلاً، فنكفلهما عنه ، فقال العباس: نعم ، فانطلقا حتى آتيا ابا طالب ، فقالا له: انا نريد ان نخفف من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما ابو طالب : اذا تركتما عقيلاً فاصنعا ما شئتما - قال ابن هشام : ويقال عقيلاً وطالبا، فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً فضمه اليه، واخذ العباس جعفرًا فضمه اليه ، فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [وآله] حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً ، فاتبعه علي رضي الله عنه ، وآمن به وصدقته ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى اسلم واستغنى عنه " ¹ .

١- ابن هشام: السيرة النبوية: 162/1. الطبري: تاريخ: 57/2 - 58. ابو الفرج: مقاتل الطالبين: ص 15. الصدوق: علل الشرائع: 169/1. الحاكم: المستدرک: 576/3. الثعلبي: الكشف والبيان: 84/5. الكراکجي: كنز الفوائد: ص 117. ابن عبد البر: الاستيعاب: 1/38-39. المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص 58. الاربلي: كشف الغمة: 77/1 - 78. ابن الفثال: روضة الواعظين: ص 86. الطبرسي: إعلام الوری: 105/1 - 106. الخوارزمي: المناقب: ص 51. ابن شهر آشوب: المناقب: 27/2. ابن البطريق: العمدة: ص 63. ابن جبر: نهج الايمان: ص 167. ابن الاثير: الكامل: 58/2. البري: الجوهرة في نسب الامام علي وآله: ص 10. ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤل: ص 58 - 59. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 198/13 - 199. ابن طاووس: الطرائف: ص 17 - 18. ابن سيد الناس: عيون الاثر: 124/1 - 125. الذهبي: تاريخ الاسلام: 136/1. ابن كثير: البداية والنهاية: 34/3. ابن عنبه: عمدة الطالب: ص 59. ابن الصباغ: الفصول المهمة: 181/1 - 182. ابن الدمشقي: جواهر المطالب: 41/1. الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد: 301/2. الحلبي: السيرة الحلبية: 432/1.

ونحن نتفق مع ما جاء لدى باحثين¹ تتاولوا هذه الرواية بالنقد والتحليل ، وخلصا الى نتيجة متوافقة ، وكان مما سجلا على ما ورد فيها من ملاحظات:

1 إنَّ السبب لدعوة النبي عليه السلام عمه العباس او العباس وحمزة عليه السلام معا² ، هو بسبب الازمة الاقتصادية التي حلت بقريش ، ولكن ما بال هذه الازمة شدت رحالها صوب بيت ابي طالب ، على حين لم نسمع باي اثر لهذه الازمة على باقي البيوت القرشية؟!³
ثم ان المصادر لم تحدد لنا تاريخ هذه الازمة⁴ التي اصابته قریشاً ومدى اثرها ، وكم دامت ؟ ويرجح - كما يبدو من الرواية - أنها وقعت بعد زواج النبي محمد عليه السلام من السيدة خديجة ، لأن الرواية واضحة في الاشارة الى أنه عليه السلام كان خارج بيت ابي طالب وانه متزوج وفي وضع مادي مقتدر يمكنه تخفيف الاعباء عن عمه⁵ .

2 تشير الروايات إلى أن طالبا هو اكبر اولاد ابي طالب ، فهو اكبر من عقيل بعشر سنوات ، وعقيل اكبر من جعفر بعشر سنوات ، وجعفر اكبر من علي بعشر سنوات ! فاذا كان عليُّ ابن ست سنوات ، فلا مانع من أن يأخذه رسول الله عليه السلام ويرببه ، ولكن هذا لا يصح بالنسبة الى جعفر الذي هو ابن ست عشرة سنة ، ولا بالنسبة لعقيل الذي له من العمر ست وعشرون سنة ، والامر يبدو مستحيلا بالنسبة لطالب الذي له من العمر ست وثلاثون سنة ، مع ان عمر النبي عليه السلام والحمزة وقتذاك ست وثلاثون سنة ايضا⁶ .

١- ينظر: النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : 209 - 210. المحمداوي : ابو طالب بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية وموقفه من الدعوة الاسلامية : ص 77 - 85.

٢- ورد ان النبي عليه السلام قد دعا عميه العباس والحمزة معا، ينظر: ابن شهر اشوب: المناقب: 2 / 27 .

٣- النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص 210 . الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة البصرة ص 19 - 20.

٤- حدد احد الباحثين تاريخا لهذه الازمة بقوله " نص بعض المؤرخين انه بعد بناء البيت بسنة ، وقبل البعثة بالنبوة باربع سنين كانت سنة اصابة قریش بقحط شديد كان من اثاره ان تكفل الرسول عليه السلام بمعيشة علي عليه السلام عنده في داره مع اولاده ". اليوسفي: موسوعة التاريخ الإسلامي: 351/1، ولكنه لم يدلنا على المؤرخين الذين نصوا على ذلك؟ الا ان يكون قد استوحى ذلك مما جاء عند ابن أبي الحديد بقوله: " وأخذ رسول الله عليا وهو ابن ست سنين ". شرح نهج البلاغة: 15/1. وينظر: ابن شهر اشوب : المناقب: 2 / 27 .

٥- المحمداوي : ابو طالب : ص 77 - 78 .

٦- النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص 210.

- 3 - ما السبب في إيثار ابي طالب لولده الاوسط عقيل؟! وكان الاجدر إيثار الإمام علي عليه السلام لكونه الاصغر وبحاجة لرعاية والديه؟! فهل يريد الرواة الربط ما بين المعتقد المستقبلي لاولاد ابو طالب ومعتقد من رباهم؟! فعقيل بقي مشركا لان اباہ بزعمهم كان مشركا! اما طالب فسلك مسلك مربيہ العباس فلم يؤمن ثم خرج في بدر لمحاربة الرسول عليه السلام كما فعل العباس! اما جعفر فاعتق الاسلام لان الحمزة قد اسلم¹ ، وكذا الحال بالنسبة للإمام علي عليه السلام فلم يعبد الاصنام لتربيته في بيت النبي عليه السلام².
- 4 - وضعت هذه الرواية لتدل على عدم ايمان ابي طالب ، فهناك تأكيد على أن إسلام عقيل كان بعد وفاة أبيه لأنه بقي في بيته ، فلذا فسروا تأخر اسلام ولده بتأثير منه ، ومن ثم فإني إشارة الرواية بلقائه كان الاقرب الى قلب ابيه حتى قال : " اذا تركتما لي عقيلًا فاصنعوا ما شئتم" ، فلماذا يفضله على باقي أولاده؟ وهل كان ابو طالب يفاضل بين أولاده؟ ثم أليس الاصغر سنا في الغالب هو الاشد تعلقا بوالديه؟ أليس الاولي أن يبقى جعفر او الامام علي عليه السلام في كنفه لأنهما اصغر منه؟ أم أن زعم الرواية لكونه الاشد قربا لقلب ابيه دعا الاخير لتفضيله على اخوته رغم كونهم اصغر منه سنا³.
- 5 - وردت ثمة اختلافات في التفاصيل بين هذه الرواية وباقي الروايات ، فمثلا الرواية اعلاه صرحت بلقن النبي عليه السلام قصد عمه العباس . على حين ذكرت رواية أخرى انه قصد العباس والحمزة معا⁴ ، وكما هو واضح من اشارة الرواية الى إن ابا طالب قد طلب منهم ان يتركوا له عقيلًا ، فقط في حين يعقب ابن هشام بلقنه يقال عقيلًا وطالبا⁵ .

١- وفق اشارة الرواية القائلة بان العباس قد اختار طالبا والحمزة قد اختار جعفرا . ينظر: أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص 15. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 1/15.

٢- النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص 210 .

٣- المحمداوي : ابو طالب : ص 82 . وجدير بالذكر ان الباحث يشكك في صحة الحديث المنسوب للنبي عليه السلام في قوله: (اني أحبك حين حباً لقرابتك مني، وحباً لما كنت أعلم من حب عمي إياك). ابن سعد: الطبقات : 4/44.

الطبراني: المعجم الكبير: 17/191، الحاكم: المستدرک: 3/576، ولمزيد من التفاصيل عن سبب التشكيك من الباحث أعلاه ينظر كتابه: عقيل بن ابي طالب بين الحقيقة والشبهة : ص22-26.

٤- ابن شهر آشوب : المناقب : 2 / 27 .

٥- ابن طلحة الشافعي : مطالب السؤل : ص 59 .

وفي هذه الرواية وقع اختيار العباس على جعفر عليه السلام ، فيما تشير رواية أخرى الى أنه ضم اليه طالبا الذي اهتمت ذكره الرواية السابقة وانه بقي معه الى يوم بدر ثم فقد ولم يعرف له خبر، وان الحمزة قد انتخب جعفرا وظل ملازما له حتى مقتله في احد¹ ، وتأتي رواية ابن معد² لتعيد جعفرا مرة أخرى الى احضان العباس بن عبد المطلب ، وتنقل طالبا الى حمزة عليه السلام ، وعلى الرغم من ان مصدر الرواية الاول مأخوذ عن ابن اسحاق ، عن رواية مجاهد بن جبر، وان باقي المصادر قد نقلت عنه وصرحت بهذا النقل ، الا أننا نلاحظ هذه الاختلافات والتناقضات في تفاصيل الرواية الواحدة !! وفي الوقت الذي اطنبت رواية ابن اسحاق اعلاه في بيان اقتسام اولاد ابي طالب ما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم واعمامه، اوجز البلاذري³ قائلا : " وكان ابو طالب قد اقل واقترب فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ."

6 في إشارة لافتة للنظر يقف باحث مستغربا عند رواية الطبري قائلا : " واكثر ما يدعو الى الاستغراب ، رواية الطبري التي اكدت وقوع الازمة قبل البعثة ، وان جعفرا بقي عند العباس الى ما بعد البعثة ، إذ أشار الى ذلك بقوله : " فلنَّ الاسلام قد جاء والعباس يمون ابا طالب وعياله للأزمة التي أصابته ولولا أن العباس اخرج الى بدر مكرها لمات طالب وعقيل جوعا " ⁴ .

ولتفنيد هذه الرواية يقول المحمداوي⁵ : " هل يجوز أن يستمر العباس في كفالته لجعفر حتى بعد زواجه واسلامه ؟ واذا كان جعفر قد اسلم قديما ، وقد اثبتنا أنه من اوائل المسلمين ، إذ قيل : إنه كان ثالث من اسلم بعد الامام علي عليه السلام وزيد بن حارثة ، وهناك من يرى انه اسلم بعد خمسة وعشرين رجلا ، ومهما يكن من شيء فانه اسلم مبكرا وهو في بيت العباس ، فلماذا لم يسلم العباس ، وبقي الى فتح مكة كما يدعي من يؤكد تأخر اسلامه ؟ فضلا عن ذلك عرف جعفر بسعة جوده وعطائه ، فاذا كان فقيرا ، فمن اين يعطي الفقراء حتى نعت بلبي المساكين ، لانه كان يأتي بهم الى بيته ، فاذا لم يجد لهم شيئا اخرج لهم آنية فيها عسل فيلغقون منها ، فاذا كان في بيت عمه هل يجوز له أن يعطي الفقراء من اموال عمه وكيف يجوز له ذلك وهو عالة على غيره " ؟

١- ابن شهر آشوب : المناقب : 2 / 27 .

٢- الحجة على الذاهب الى تكفير ابي طالب : ص 180 .

٣- انساب الاشراف : 90/2 .

٤- المحمداوي : ابو طالب : ص 46 ، وينظر النص عند الطبري : تاريخ : 6 / 199 .

٥- ابو طالب : ص 80 - 81 .

ثم يستطرد معترضاً على الرواية بمزيد من الملاحظات قائلاً : " يمكن رد رواية الطبري ، بالعودة الى مقدار اعمار اولاد ابي طالب ، فليقّ اصغرهم الامام علي عليه السلام اسلم وعمره حوالي احدى عشرة سنة ، واذا اضفنا الى عمره سنوات البعثة وهي عشر سنوات حتى هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله الى المدينة ، يصبح عمره حوالي احدى وعشرين سنة مضافا اليها سنتان على اعتبار ان معركة بدر الوارد ذكرها، كانت سنة 2 هـ وبهذا يكون مجموع عمره الشريف ثلاث وعشرين سنة ، فاذا كان عمر اصغرهم هكذا ، فجعفر يعلوه بعشر سنوات ، فيكون عمره طبعاً ثلاث وثلثين سنة ، والحال نفسها مع عقيل الذي يكون عمره طبقاً لما اوردناه ثلاثاً واربعين سنة، وطالب على فرض وجوده يكون عمره ثلاثاً وخمسين سنة ، اذن كيف يكون العباس يمّون عيال ابي طالب وهم في مثل هذه الاعمار؟ أليسوا هم باعمار تسمح لهم بالعمل والزواج ؟ وكيف لا وعقيل له عدة زوجات؟! " ¹.

7 يلاحظ على شخصية طالب انه شخصية لا اساس لها من الصحة ؛ إذ إن كتب التاريخ لم تقدم لنا أيّ معلومات عن شخصيته الا في هذه الرواية ، والاشارة الى خروجه في بدر مشركاً ، فهل القول بوجود شخصية طالب لمقاصد ما ؟ ! أم أنّ بعضهم تصور ان لابي طالب ولدا اسمه طالب ، فابو طالب اسم وليس كنية ، كما في اسم ابي لهب وابي جهل ، والظاهر أن ابا طالب عرف بذلك لكثرة استجابته للمطالب ² .

8 تقول الرواية : إنّ ابا طالب كان كثير العيال قليل المال ، والحال غير ذلك ، فليس له من الاولاد الا ثلاثة وبنات واحدة هي ام هاني ³ ، اذا لاحظنا ان شخصية طالب لم تقو الادلة على اثباتها ، واذا استثنينا جعفراً وعقيلاً لانهما كبيران وقت الأزمة ، فلا يبقى الا الامام علي عليه السلام وأمّ هاني ⁴ .

١- المحمداوي: أبو طالب ص 81 .

٢- النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص 210.

٣- ادعت بعض الروايات وجود بنات وأبناء آخرين لابي طالب الا ان التحقيق في تلك المرويات اثبت بطلانها . ينظر:

المحمداوي: ابو طالب: ص 34 - 35 .

٤- النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص 210 .

ثم لما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله يعيش في بيت ابي طالب ، لم ترد الاشارة الى تقاوم وضعه المعاشي واولاده آنذاك كانوا ما يزالون صغار العمر ، فلم يتدخل العباس ولا غيره في التخفيف عن كاهله ؟ فكيف وقد تزوج النبي صلى الله عليه وآله ، وولده عقيل وجعفر كانا في عمر ينبغي لهما العمل فيه ¹ ؟ .

هذا من جانب ومن جانب آخر فقد وردت شواهد تاريخية تفيد ان وضع ابي طالب المعاشي كان جيدا ؛ اذ كان يعمل تاجرا ويأعنا للطور والبرز ² وأتته خرج الى الشام لغرض التجارة ³ . وهي من الادلة التي تثبت أنه كان في وضع جيد ولم يكن فقيرا كما تصفه الرواية ⁴ .

9 يبدو أن هذه الرواية قد وضعت للطعن في تربية الامام عليه السلام في كنف النبي صلى الله عليه وآله ، وللقول بانها جاءت لاسباب مادية . ⁵ اذ ان تربيته في بيت النبي صلى الله عليه وآله هي التي جعلته يسبق الجميع في اسلامه ، إذ لو قدر له وبقي في بيت ابيه لما كانت له هذه المكانة وهذا المقام الرفيع والسبق في الاسلام .

10 - اما عن سند هذه الرواية ، فعلى الرغم من انتشارها ا للافنت للنظر في مصادر السيرة ، فان لها طريقين فقط ، الاول كما هو واضح في رواية ابن هشام ⁶ - آفة الذكر - ينتهي الى ابن اسحاق ، وهو اقدم من ذكرها الذي ينقلها عن مجاهد بن جبر ⁷ ، والطريق الثاني ورد برواية ابي الفرج الاصفهاني ⁸ الذي اسندها الى زيد الشهيد بن الامام زين العابدين عليه السلام ⁹ .

١- المحمداوي : ابو طالب : ص 79 .

٢- ابن قتيبة : المعارف : ص 575 .

٣- ابن اسحاق : السير والمغازي : ص 73 .

٤- لمزيد من التفاصيل يراجع : المحمداوي : ابو طالب : ص 71 - 85 .

٥- النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص 210 .

٦- السيرة : 1 / 162 .

٧ - ابو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي المكي ، مولى قيس بن السائب ، احد ائمة التفسير ، ولد سنة 23 هـ و توفي سنة 101 هـ او 102 او 104 . ينظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ : 1 / 92 - 93 ، سير اعلام النبلاء : 4 / 449 - 457 .

٨- مقاتل الطالبين : ص 15 .

٩ - هو ابو الحسين زيد بن علي بن الحسين عليه السلام احد سادة اهل البيت عليهم السلام علما وعملا ، كان يقال له حليف القرآن ، ومناقبه اجل من ان تحصى ، وفضله اكثر من ان يوصف ، وكان عين اخوته بعد الامام الباقر عليه السلام ، وكان ورعا فقيها سخيا شجاعا ، ظهر بالسيف مطالبا بئثار الامام الحسين عليه السلام وقد استشهد عليه السلام سنة 122 هـ وصلب

والملاحظ أنّ هاتين الشخصيتين كلٍ منهما من التابعين ، فبالنسبة الى مجاهد ولد في سنة 23 هـ وتوفي سنة 101 هـ او 103 هـ او 104 هـ على اختلاف الاقوال في ذلك . اما زيد الشهيد فقد توفي سنة 122 هـ . وتفصلهما عن الحادثة مدة زمنية ، ومن ثم فليقهما لم يسندا روايتهما الى احد الصحابة فجاءت مرسله ، وبهذا لا يمكن الاطمئنان الى الرواية من ناحية السند .

نخلص الى القول : إن العلاقة بين النبي عليه السلام والامام عليه السلام لم تقف عند الجانب المادي المزعوم ، فإنّ ابا طالب عليه السلام كان من اشرف قريش وسادات مكة ووجهائها ، وهو من تكفل برسول الله عليه السلام في طفولته ورعاه في هذه الجوانب ، ونصب نفسه منصب الحماية له من غوائل الدهر ومصاعب الزمن . فلا يعجزه جانب من هذه الجوانب المادية حتى يتصدى رسول الله عليه السلام ليرد الفضل الى عمه ، باشباع هذه الجوانب في حياة الامام علي عليه السلام ، بل تلقاه بيت الرسالة بطلا في صدارة ابطال الحق ، ورائدا في حركة التغيير ، وموجها للامة الى سبيل الهدى ، حاملا لها شعلة الاصلاح والفضيلة ، من مركز الفكر الناهض المشع ، من مدرسة الرسول الاعظم محمد عليه السلام التي واصلت عطاءها في اعداد الامام علي عليه السلام للقيادة العامة من بعده ، وتهيئته لاستلام منصب الامامة امتدادا لوجوده عليه السلام

والسؤال الجدير بالطرح : هل كان هذا الاعداد النبوي لشخصية أمير المؤمنين عليه السلام مقتصرًا على جانب واحد كالسياسي فقط او العقائدي او الاخلاقي مثلا ؟ وهل اقتصرت رعايته لشخص أمير المؤمنين عليه السلام على مرحلة الطفولة فقط ؟

في الواقع أنّ الشواهد كثيرة على انه عليه السلام كان يعد الامام عليه السلام اعدادا متكاملة ، شاملا لجميع الجوانب (روحيا وفكريا وعقائديا وسياسيا) ، وهذا ظاهر ملحوظ بارقامه الكثيرة في حياة أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن جانب آخر فلنّ الاستعداد في ذات أمير المؤمنين عليه السلام كان عاليا ودقيقا ، مستوعبا للمفاهيم التي كان النبي عليه السلام يغرسها في شخصيته عليه السلام . وقد روي عن العباس بن عبد المطلب قوله : لما سئل عن ولد رسول الله عليه السلام الذكور ايهم كان رسول الله عليه السلام له اشد حبا ؟ فقال العباس : علي بن ابي طالب

بالكناسة منكوسا اربع سنين . ينظر ابن حبان : مشاهير علماء الامصار : ص 104 - 105 . الذهبي : سير اعلام النبلاء : 5 / 389 - 391 . الامين : اعيان الشيعة : 7 / 107 - 125 .
1- الاسدي : الامام علي عليه السلام بين طهر الميلاد : ص 27 - 28 .

عليه السلام ، فقيل له : " سألتك عن بنيه ؟ فقال : انه كان احب عليه من بنيه جميعا وأرف ، ما رأينا زايه يوما من الدهر منذ كان طفلا ... وما رأينا ابا ابر بلين منه بعلي ، ولا ابنا اطوع لاب من علي له " .

ويقول الفخر الرازي : لا نزاع ان عليا عليه السلام كان في اصل الخلقة في غاية الذكاء والفتنة والاستعداد للعلم ، وكان محمد عليه السلام افضل العقلاء واعلم العلماء ، وكان علي عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم ، وكان محمد صلوات الله عليه وآله في غاية الحرص في تربية علي وفي ارشاده الى اكتساب الفضائل^١ .

وفي اشارة لابن ميثم^٢ في بيان كماله عليه السلام بحسب القوى النظرية : " قد علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية وهي كما علمت استعداد النفس الانسانية بتصور المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية ، ولا شك ان هذه الدرجة كانت ثابتة له عليه السلام على اتم ما يمكن ادراك هذه الاشياء ادراك بحسب قوته الحدسية القدسية وادراك كثير الحكماء لها ادراك فكري محتاج الى كلفة ومشقة يستلزم اغلاطا عظيمة لا يخلو عنها الا آحاد الحكماء : فاين احدهما من الآخر ؟! " .

ان انتخاب أمير المؤمنين عليه السلام من النبي عليه السلام كان مخططا هادفا لا شك ان للسماء اثراً واضحاً فيه ، حتى قال ابن شهر آشوب^٤ : " ولم يكن الرسول صلى الله عليه وآله ليتولى بأهله ويتضمن حضانتهم وحسن تربيتهم الا على ضربين : اما على التفرس فيه او الوحي من الله تعالى ، فان كان بالتفرس فلا تخطئ فراسته ولا يخيب ظنه ، وان كان بالوحي فلا منزلة اعلى ولا حال ادل على الفضيلة والامامة منه . قال الشاعر :

صغير السن عام المستنينا

ومن كفل النبي صبيا

يفوق بها جميع الخاطبيننا " .

وغذاه بحكمته فاضحى

١- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 200/13 .

٢- نقلها عنه في كتابه الاربعين : ابن طاووس : الطرائف : ص 515 . الشامي : الدر النظيم : ص 260 . الماحوزي : كتاب الاربعين : ص 461 .

٣- شرح مئة كلمة لامير المؤمنين عليه السلام : ص 217 .

٤- المناقب : 2 / 28 .

إن هذه العناية لم تكن مجرد علاقة رحم و قرابة ، بل إن الامر مرتبط بحياة هذه الامة وهذه العلاقة ترتبط بامتداد فرع النبوة ¹ .

ثانياً : المصاهرة ² :

ومن مصاديق منزلته الخصيصة عند النبي عليه السلام ان خصه عليه السلام بان يكون صهره ؛ اذ تزوج عليه السلام من البنت الوحيدة ³ للنبي عليه السلام السيدة فاطمة عليها السلام وهي ذات الكمالات المعروفة والمنزلة السامية ⁴ . وقد تم هذا الزواج بإرادة الهية ، اذ روى عليه السلام عن رسول الله عليه السلام " يا علي ان الله أمرني ان اتخذك صهراً " ⁵ ، وعن الإمام الرضا عليه السلام أن رسول الله عليه السلام قال : أتاني ملك ، فقال : يا محمد ! ان الله يقرأ عليك

1- لطيف الفزويني : رجال تركوا بصمات على قسماات التاريخ : ص 95 .

2- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 4 / 365 .

3- وقد تباينت الروايات في عدد الأبناء والبنات الذين رزقهم النبي عليه السلام من السيدة خديجة ، إلى ثلاثة آراء : - الرأي الأول : يرى إن السيدة خديجة عليها السلام أنجبت من النبي عليه السلام مجموعة من الأبناء والبنات ، فالأولاد هم : القاسم ، وعبد الله والطيب والظاهر على اختلاف الروايات فيهم ، والظاهر انه ولد واحد وهو القاسم ، والباقي مجرد ألقاب له ، وقد مات القاسم بعد البعثة ، وبه كان يكنى . ومن البنات له : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة عليها السلام ، وكلهن أدركن الإسلام ومُنن قبل وفاة النبي عليه السلام ، عدا السيدة فاطمة عليها السلام والتي ماتت بعده . ابن إسحاق : السير والمغازي : ص 82 . ابن سعد : الطبقات : 1 / 133 ، 16/8 . اليعقوبي : تاريخ : 2 / 14 . ابن عبد البر : الاستيعاب : 4 / 280 - 281 . ابن كثير : البداية والنهاية : 2 / 359 .

الرأي الثاني : يقول بأن السيدة خديجة عليها السلام ولدت للنبي : السيدة فاطمة عليها السلام والقاسم فقط ، أما باقي البنات فهن رثائب له عليه السلام إذ كن بنات أختها هالة . العاملي : بنات النبي عليه السلام أم رثائبه : ص 13 وما بعدها ، وله : القول الصائب في إثبات الرثائب : ص 16 وما بعدها ، الطائي : نساء النبي عليه السلام وبناته : ص 65 - 70 ، 121-122 . الحلي : نساء البيت الأموي : ص 78 - 81 . الرأي الثالث : ينفي وجود أبناء للسيدة خديجة عليها السلام غير السيدة فاطمة عليها السلام والقاسم ، ويقول بان باقي البنات إنما هن شخصيات مختلفة ، وانه لا اصل لوجودهن ، وبين فلسفة وضع الروايات القائلة بوجودهن ، داعماً برأيه بالأدلة العقلية والنقلية . النصر الله : محاضرات ألقيت في جامعة الصدر الدينية : ص 18 - 26 .

4- لمزيد من التفاصيل عن هذا الزواج المبارك ينظر : انتصار العواد : السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة تاريخية : ص 139 - 240 .

5- المحب الطبري : ذخائر : ص 86.

السلام ويقول لك : قد زوجت فاطمة من علي ، فزوجها منه ^١ ، وايضا روى عن أنس ، قال : كنت عند النبي عليه السلام فغشيه الوحي ، فلما سرى عنه قال : يا أنس أتدري ما جاءني به جبرائيل من عند صاحب العرش ؟ قال : ان الله أمرني ان أزوج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام . وقد عدت هذه المصاهرة من ابرز فضائله عليه السلام وقد افضت الى النسل الاطهر " ائمة اهل البيت عليهم السلام " ، وقد كان الصحابة يغبطونه عليها ، من ذلك ما روي عن عمر قوله : " لقد أوتي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لان تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم : زوجة ابنته فولدت له ، وسد الأبواب إلا بابه ، وأعطاه الواية يوم خيبر " ^٣ .

ثالثا : خلافته عليه السلام للنبي عليه السلام (الامامة) :

ان هذه العلاقة الفريدة التي جمعت بين النبي الاعظم عليه السلام والامام أمير المؤمنين عليه السلام - إذ نال من لدنه عليه السلام اهتماماً منقطع النظير، وإعداداً مميزاً لم ينله احد سواه ^٤ - مدعاة للتساؤل عن موقعية شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، التي استلزمت هذه الحظوة من لدن السماء على يد سيد المرسلين وخاتم الانبياء عليه السلام ؟ فما هو الهدف من وراء هذا الاعداد الالهي المحمدي ؟ بعد ان تخطت حدود العلاقة بينهما كل المسميات الثانوية ، لتقف عند مرتكز اساسي بتدخل السماء في كل خطوة خطاها النبي عليه السلام في طريق تهيئة شخصية أمير المؤمنين عليه السلام لمقام " الامامة " باعتبارها الامتداد الضروري للنبوة ؟

- ١- الخوارزمي : المناقب : ص 342 . ابن الفثال : روضة الواعظين : 1 / 146 . الحلي : المحتضر : ص 135 . المجلسي : البحار : 43 / 105 ، 124 .
- ٢- الخوارزمي : المناقب : ص 336 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 37 / 13 ، 42 / 129 . الزرندي : نظم درر السمطين : 186 . ابن حجر : لسان الميزان : 5 / 163 . المتقي الهندي : كنز العمال : 13 / 684
- ٣ - ابن ابي شيبة : المصنف : 50 / 7 . الحاكم : المستدرک : 3 / 125 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 9 / 120 . كما نسب هذا القول لابنه عبد الله بن عمر ، ينظر : ابن حنبل : 2 / 26 . القاضي المغربي : شرح الاخبار : 2 / 181 . وايضا ما روي عن سعد بن ابي وقاص ، ينظر : الدورقي : مسند سعد بن ابي وقاص : ص 51 . ابن ابي عاصم : السنة : ص 596 .
- ٤ - كما سيتضح لنا ابعاد هذه العلاقة بشكل مركز في المبحث الثاني من هذا الفصل .

وقد عجت خطب الامام عليه السلام وكلماته الشريفة في نهج البلاغة بالاشارة لهذا المقام " الامامة " تصريحاً وتلويحاً ، وليس غايتنا الخوض في تفاصيل هذا الموضوع كونه خارج موضوع البحث، لكن يمكن اجمال ابعاد موضوع الامامة الذي طرح الامام عليه السلام في اطاره رؤيته لهذا المقام الالهي.

إن الذي يميز هذه الرؤية عن غيرها ؛ كون الامام أمير المؤمنين عليه السلام هو صاحب هذا المقام فهو الاولى في بيان ماهيته وشرائطه والمهام المناطة بشخصه لاكمال الدور النبوي المنقطع برحيل خاتم الانبياء عليه السلام.

يمكن من خلال استقصاء سريع وموجز للاشارات الواردة عن مقام الامامة في نهج البلاغة ان نحدد الاطار العام لهذا الموضوع الهام دون تتبع التفاصيل والجزئيات، وسنستعرض ذلك وفق نقاط موجزة:

1- اشار الامام عليه السلام الى وجوب الامامة على الله سبحانه كما في قوله عليه السلام " لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا ، وَإِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا ، لِنَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ " ، فالامامة من مصاديق حجج الله على عباده ، وهي واجبة في كل زمان ما دام التكليف باقياً ، والائمة اما ان يكونوا ظاهرين معروفين ، او مستترين من الخلق لعلة وضرورة اقتضتها الحكمة الالهية كما هو حال الامام الحجة المنتظر (عج).

2- يؤكد الامام عليه السلام على اختصاص هذا المقام بنخبة مصطفاة من رهط النبي صلى الله عليه وآله ، من ذلك قوله : " إِنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ " .^٢

ثم عرفهم بسمات خاصة بأنهم " الْأَقْلُونَ عِدَدًا وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قُدْرًا " ،^٣ ، " أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ " ،^٤ ، وشبههم بنجوم السماء في دلالة على ضرورة استمرار الامامة فيهم : " أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ ، إِذَا حَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ " .^٥

١ - نهج البلاغة : ص 686-687.

٢ - نهج البلاغة : ص 263.

٣ - نهج البلاغة : ص 687.

٤ - نهج البلاغة : ص 371.

٥ - نهج البلاغة : ص 186.

3 - تعرض عليه السلام الى خصائص اهل البيت عليهم السلام والتي اختصوا بها فاستحقوا هذا المقام الالهي دون

غيرهم ، ومن تلك الخصائص : اصطفائهم من لدن الله سبحانه اذ خصهم بعنايته فهم كما قال عليه السلام : " فَأَنَا صَنَائِعُ رَبِّنَا ، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا " ^١ ، وقد عز نظيرهم في الوجود فلا يقاس بهم احد ^٢ ، وقد اشاد القرآن بفضلهم ونزلت آياته بمدحهم " فِيهِمْ كَرَامَةُ الْقُرْآنِ ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ " ^٣ . و" لَهُمْ حَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ " ^٤ ، فهم يمتلكون خصائص حق الولاية ولا يمتلك غيرهم تلك الخصائص. لذلك انحصرت فيهم الوراثة ^٥ .

ومن ابرز تلك الخصائص واهمها كونهم يشاركون النبي ، بل الانبياء جميعاً في خصائصهم ، فهم من طين سيد البشر عليه السلام ورزقوا فهمه وعلمه ^٦ .

ومن خصائصهم لزوم الرجوع اليهم في كل الامور " هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حَكْمِ مَنْطِقِهِمْ ، لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ ، وَوَلَانِجُ الْإِعْتِصَامِ ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ ، وَانزَاخَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنبِتِهِ " ^٧ . اذ بين علة دعوة الناس الى اتباعهم عليهم السلام ، وفي نص آخر : " فَأَيْنَ يُتَاهِ بِكُمْ ؟ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ ؟ "

١ - نهج البلاغة : ص 528.

٢ - اشارة لقوله عليه السلام : " لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا " نهج البلاغة : ص 25.

٣ - نهج البلاغة : ص 283.

٤ - نهج البلاغة : ص 25.

٥ - يقول الدرويش: ليس مراده الوراثة بالمعنى المتعارف منها بين الملوك والسلاطين حينما يورثون ابناءهم مناصبهم بل ان كلمة الوراثة تحتل التفسير بالاختصاص من باب الاستعارة؛ اي ان الولاية مختصة بهم، لذلك السبب الطبيعي التكويني، كما ان الارث يختص لاسباب معروفة. وقد فسر القرطبي لفظ الوراثة بهذا المعنى في الآية التي اطلقت لفظ " الوراثة " على اختصاص الصالحين بالجنة فقال: يحتمل ان يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث اختصاصهم بذلك دون غيرهم، فهو ارث بطريق الاستعارة. والتمعن في عبارة الامام يكشف عن ارادة هذا المعنى بقوة بحيث قال: " ولهم خصائص حق الولاية " ولم يقل لهم حق الولاية. ينظر: علي كما وصف نفسه: ص 21.

٦ - الدرويش: علي كما وصف نفسه: ص 22.

٧ - نهج البلاغة : ص 489.

وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيَّكُمْ ، وَهُمْ أَرْمَةُ الْحَقِّ ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ ، وَالسِّنَةُ الصَّدَقِ ، فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهَيْمِ الْعِطَاشِ" ^١.

وفي نص قال عليه السلام : " نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ ، وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سَمِيَ سَارِقًا" ^٢ ، الى غيرها من الخصائص التي انفردوا بها عليه السلام .

4- ورد في نصوص النهج الاشارة الى اهم المؤهلات الواجب توافرها في صاحب مقام " الامامة " ، يأتي في مقدمتها : العصمة ، وهي وإن لم ترد باللفظ في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام الواردة في نهج البلاغة ، لكنه ورد ما يدل عليها ، كلزوم الطاعة لهم عليه السلام : " انظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، فَالزُّمُوا سَمَتَهُمْ" ^٣ ، هذا المقطع متحد في معناه ودلالته مع حديث الثقلين اذ يقول صلى الله عليه وآله وسلم : اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ^٤ . فهو دال على العصمة من جانبين :

الاول: اقترانهم بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد أشار عليه السلام لهذه الملازمة بين الكتاب والعتره في عدة نصوص منها: " بِهِمْ عِلْمُ الْكِتَابِ وَبِهِ عِلْمُوا " ^٥ ، وفي قول يدل على انهم عليه السلام مستودع كتبه : " هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ ، وَلِجَأُ أَمْرِهِ ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ ، وَكُھُوفُ كُتُبِهِ ، وَجِبَالُ دِينِهِ" ^٦ .

الثاني : وجوب طاعتهم طاعة مطلقة " وَخَلْفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ" ^٧ .

١ - نهج البلاغة : ص141.

٢ - نهج البلاغة : ص283.

٣ - نهج البلاغة : ص181.

٤ - يعد حديث الثقلين من أشهر أحاديث النبي صلى الله عليه وآله الذي ورد ذكره في مختلف مصادر التراث الإسلامي.

للتفصيل عنه ينظر: نجم الدين العسكري: حديث الثقلين (الصفحات جميعها)، الميلاني: حديث الثقلين (الصفحات جميعها).

٥ - نهج البلاغة : ص749 .

٦ - نهج البلاغة : ص25.

٧ - نهج البلاغة : ص185.

إن من دلائل العصمة "الصدق" الذي يعد من الكمالات الذاتية إذ وصفهم عليهم السلام "إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا" ^١. وفي وصف "أَلْسِنَةُ الصِّدْقِ" ^٢ وفي قول آخر عنى به نفسه الشريفة: "وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ" ^٣. وأيضا قال: "وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ ... سَيِّمَاهُمْ سَيِّمَاتُ الصِّدِّيقِينَ" ^٤. ومن أدلة العصمة أيضاً ملازمتهم للحق ملازمة دائمة من ذلك قوله عليه السلام: "هم أزمة الحق" ^٥، "لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه" ^٦.

الإعلمية: أكد عليه السلام على أن العلم من سمات الإمام وجاء ذلك في موارد شتى في نهج البلاغة، منها قوله: "إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ" ^٧، وفي قوله: "إِنَّ أَوْلَى أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ" ^٨، الى غيرها من النصوص الناطقة بهذا المقام لهم عليهم السلام.

ثم بين عليه السلام مراتب الامامة من حيث كونها مرجعية دينية كما دلت النصوص الآتفة الذكر من وجوب الرجوع اليهم عليهم السلام وملازمتهم وطاعتهم. وايضاً كقيادة سياسية واجتماعية، كقوله: "مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، فَلْيُبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ ..." ^٩. وقوله عليه السلام: "لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ - وَإِنْ طَالَ السَّرَى" ^{١٠}. ففي الاول المنصب للامامة من الله، واما ما اشار له ففيه دلالة على الامامة السياسية، وكذلك في النص الثاني اشارة الى حق الامامة كسلطة سياسية والا فان حقه في الامامة الالهية لم يسلبه احد.

١ - نهج البلاغة: ص 283.

٢ - نهج البلاغة: ص 141.

٣ - نهج البلاغة: ص 406.

٤ - نهج البلاغة: ص 408.

٥ - نهج البلاغة: ص 141.

٦ - نهج البلاغة: ص 489.

٧ - نهج البلاغة: ص 329.

٨ - نهج البلاغة: ص 670.

٩ - نهج البلاغة: ص 656.

١٠ - نهج البلاغة: ص 654.

5- وفي نصوص اخرى بين الامام أمير المؤمنين عليه السلام وجوب معرفة الامة للامام وان لا عذر لهم في ذلك كما أشار عليه السلام : " عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذِرُونَ بِجَهَالَتِهِ " ، " وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ " .^١

هذا ملخص موجز لاهم الافكار التي وردت في نهج البلاغة التي تخص مقام " الامامة " . وبهذا يكون هذا المقام دليل آخر على المنزلة الخصيصة للامام أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو وصيه والمؤدي عنه والمكمل لمشروعه الالهي العظيم.

١ - نهج البلاغة : ص 690.

٢ - نهج البلاغة : ص 279.

البحث الثاني

مستويات العلاقة بين النبي عليه السلام والامام أمير المؤمنين عليه السلام

وفي محاولة لفهم مركز لعلاقة أمير المؤمنين عليه السلام بالنبي الاعظم عليه السلام ، ومن خلال الوقوف على الشواهد البيانية لتلك العلاقة في نهج البلاغة او في بقية المرويات التاريخية يمكن أن نحدد مسارات تلك العلاقة من خلال عدة جوانب وبيان آثارها الناتجة عنها ، وذلك من خلال دراستها على عدة مستويات هي:

أولاً: المستوى الروحي والاخلاقي.

ثانياً: المستوى العقائدي .

ثالثاً: المستوى الفكري او العلمي .

أولاً : المستوى الروحي :

إنّ المتأمل في دلالات تلك المعاملة الفريدة التي حظي بها الامام أمير المؤمنين عليه السلام من لدن النبي الاعظم عليه السلام ، ليقف على رعاية حانية عظيمة انعدم نظيرها ، إذ نراه عليه السلام يقول : " وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشَمِّنِي عَرْفَهُ " ^١ ، وهذا ما نجد صداه في بعض مرويات التاريخ ، فحين ولد أمير المؤمنين عليه السلام ، طلب النبي عليه السلام من أمّه السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام ، أن تجعل مهده الى جنب فراشه ، وكان يلي اكثر تربيته ، ويرعاه في نومه ويقظته ، ويحمله على صدره وكتفه ، ويحبوه بلطفاه وتحفه ^٢ . بل إنه عليه السلام كان يطهره وقت غسله

١- نهج البلاغة : ص 406 .

٢- الكراكي : كنز الفوائد : ص 117 . العلامة الحلي : نهج الحق : ص 233.

ويوجره اللبن عند شربه ، ويحرك مهده عند نومه ، ويناغيه في يقظته^١ ، وكان صلى الله عليه وآله يحمله دائما ويطوف به في جبال مكة وشعابها وأوديتها^٢ .

وقد بلغ من شديد عناية النبي صلى الله عليه وآله بالامام علي عليه السلام انه كان " يَمْضَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُقْمِنِيهِ " ^٣ ، وفي رواية أنه صلى الله عليه وآله كان : " يَمْضَعُ اللَّحْمَةَ وَالنَّمْرَةَ حَتَّى تَلِينِ ، وَيَجْعَلُهَا فِي فَمِ عَلِيٍّ عليه السلام وَهُوَ صَغِيرٌ فِي حَجْرِهِ " ^٤ ، بل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وآله اول وجه يراه أمير المؤمنين عليه السلام حين ولادته ، اذ " انه لما ولد علي لم يفتح عينيه ثلاثة ايام ، فجاء النبي ففتح عينيه ونظر الى النبي " فقال صلى الله عليه وآله : " خصني بالنظر وخصصته بالعلم " ^٥ .

ويمكن ان نستقي من هذه الروايات بضعة ابحاث مهمة ، وهي:

- 1- ان هذه الطريقة الفريدة في تعامله صلى الله عليه وآله مع الامام عليه السلام لم تكن نابعة من علاقة الرحم التي تربطه به عليه السلام ، إذ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله : " ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقربني ما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة " ^٦ ، فكل فعل منه صلى الله عليه وآله إنما كان لحكمة ولا يمكن أن يكون اعتباريا ، فهو صلى الله عليه وآله وإن لم يكن في تلك المدة مكلف بتبليغ الرسالة السماوية ، فانه - وبلا ادنى شك - كان مسددا من الله عز وجل ^٧ ، فكل ما يصدر منه فهو لحكمة بلا شك .
- 2- كما ذكره الامام أمير المؤمنين عليه السلام اعلاه ، وما يضارعه في مظان الروايات التاريخية الآتية فيما يتعلق بتعهد النبي صلى الله عليه وآله بتربيته عليه السلام ، وتفاصيل معاملته له ، يقودنا الى ترجيح انتقاله الى بيت النبي صلى الله عليه وآله في مرحلة طفولته ، أي منذ أن كان وليداً ، وليس كما ذكرته بعض المصادر الاخرى بان عمره حين انتقاله الى بيت النبي صلى الله عليه وآله ست سنوات ، وأشارت الروايات الى أن نفس عمر النبي

١- ابن شهر آشوب : المناقب : 2 / 92 .

٢- العلامة الحلي : نهج الحق : ص 233 .

٣- نهج البلاغة : ص 406 .

٤- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13/200 . ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 4/313

٥- ابن شهر آشوب : المناقب : 2 / 27 .

٦- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 20/299 .

٧- هذا ما اشار اليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : " ولقد قرن الله به - صلى الله عليه وآله - من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن اخلاق العالم ، ليله ونهاره " . نهج البلاغة: ص 406 .

عليه السلام حين انتقاله الى بيت عمه ابي طالب عليه السلام ^١. فيما انفرد ابن شهر آشوب ^٢ بالقول : " ان النبي حين تزوج خديجة قال لعمه ابي طالب اني احب ان تدفع اليّ بعض ولدك يعينني على امري ويكفيني واشكر لك بلاك عندي فقال ابو طالب خذ ايهم شئت فاخذ عليا عليه السلام . "

التأمل في ظاهر هذا الخبر يبعد التسليم له ؛ إذ كيف يمكن أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أخذه إليه " حين تزوج خديجة " في حين إن عليا عليه السلام ولد بعد ثلاثين سنة من عام الفيل - على المشهور - ، وهو عليه السلام قد تزوج خديجة قبل ذلك بخمس سنين على المشهور ايضا! اللهم إلا أن يحمل الخبر على خلاف المشهور في ميلاد الامام علي او زواج خديجة عليه السلام او المسامحة في قوله " حين تزوج خديجة " باكثر من سبع سنين ^٣.

ولكن ثمة تساؤل هنا : هل يمكن طرح احتمال أن يكون الامام عليه السلام قد عاش سنوات طفولته في كنف والديه ، وان النبي صلى الله عليه وسلم - بحكم علاقته بالبيت الذي نشأ فيه ببيت عمه ابي طالب عليه السلام - كان يرتاده ويزوره حتى بعد زواجه بالسيدة خديجة واستقلاله ببيتهما ، فيكون عليه السلام قد تولاه عليه السلام ، بتلك الرعاية الى ان بلغ عمر الاربع سنوات او الست سنوات ثم انتقل بعدها الى بيته عليه السلام ونشأ في كنفه ؟

إن التأمل في كلمات الامام أمير المؤمنين عليه السلام الانفة الذكر ، ومن يراقب فصول سيرته الشريفة - كما تحكيها الروايات التاريخية - سيجدها تنطق بوضوح أنّ النبي صلى الله عليه وسلم تكفل تربية أمير المؤمنين عليه السلام منذ صغره ، وتعد هذه القضية من المسلمات ، ومحل الخلاف فقط في السن التي انتقل فيها الى بيت الرسالة ، وان مقولة الامام عليه السلام الانفة الذكر ، فضلا عما يعضدها من روايات ذكرناها آنفاً تدل على انه عليه السلام تولى امره منذ طفولته ، وان ما قام به من تفاصيل تلك المعاملة تدل على قربه منه ، والتصاقه به ، بل يبدو الامر امر مداومة وليس عملا منفردا قام به عليه السلام لمرة واحدة ، كتعهدة بحمله وتغذيته ومناغاته وغسله وقرب مهده من فراشه عليه السلام ، ومن غير المقبول القول : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان له فراش في بيت عمه ينام فيه بعيدا عن زوجته السيدة خديجة عليه السلام؟! فالذي يبدو اقرب للمعقول أنه عليه السلام نقله الى بيته في كنفه وكنف زوجته بعد استئذانه من ابيه ابي طالب عليه السلام الذي لم يمانع كما مر في رواية ابن شهر آشوب الانفة .

١- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 15/1 .

٢- المناقب : 28 / 2 .

٣- اليوسفي : موسوعة التاريخ الاسلامي : 1 / 351 ، هـ 2 .

ولكن هل اقتصرت معاملة النبي صلى الله عليه وآله لامير المؤمنين عليه السلام على رعاية وحرص منقطع النظير على مرحلة الطفولة والصبا فقط ؟

إن الذي تدلنا عليه الروايات ان هذه العلاقة الروحية التلازمية التي كانت بين النبي صلى الله عليه وآله والامام أمير المؤمنين عليه السلام دامت حتى آخر لحظات حياته ، ومن شواهد ذلك ما جاء على لسان أمير المؤمنين عليه السلام ، اذ يقول مفتخرا بتلك الرعاية التي كان يحظى بها من لدنه صلى الله عليه وآله :

" الا وانا خاصته... وخالصته ، وصنوه^١ ، ووصيه ووليه ، وصاحب نجواه وسره^٢"

ان هذا القرب منه والاختصاص به انما كان بامر الله تعالى ، اذ يقول صلى الله عليه وآله : " يا علي ، إن الله عز وجل امرني أن ادنيك ولا اقصيك ، وأن اعلمك ولا اهملك ، وأن اقربك ولا اجفوك^٣ " ، وهذه المنزلة الخصيصة هي التي اسهرت رسول الله صلى الله عليه وآله لحمى اصابته أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة، اذ يقول عليه السلام : " أخذتني الحمى ليلة فاسهرتني ، فسهر رسول الله صلى الله عليه وآله لسهري ، فبات ليلته بيني وبين مصلاه ،

١- الصنو بالكسر : الصنو من النخل: نخلتان أو أكثر لهما أصل واحد، الاخ الشقيق. الفراهيدي: العين : 158/7. ابن سلام : غريب الحديث : 15/2 . الجوهري: الصحاح : 2404/6 . ابن فارس: معجم مقاييس اللغة : 312/3 . الفيروز آبادي: القاموس المحيط : 353/4.

٢- المفيد : الامالي : ص 6 . الطوسي : الامالي : ص 626 . الاربلي : كشف الغمة : 2 / 39. حسن سليمان الحلبي : المحتضر : ص 63 .

٣- القضاعي: دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب: ص 87. وينظر: أبو جعفر الاسكافي: المعيار والموازنة: ص 301. الكوفي: المناقب : 21/2. الطبري: جامع البيان: 69/29. ابن ابي حاتم: تفسير القرآن: 3370/10. الصدوق: الخصال: ص 576. ابن مردويه: المناقب : ص 337. الثعلبي: الكشف والبيان : 28/10. الطوسي: التبيان : 98/10. الواحدي: اسباب النزول: ص 294. ابن المغازلي : المناقب : ص 250. المحسن بن كرامة : تنبيه الغافلين : ص 174. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل : 363/2 - 377. الطبرسي: مجمع البيان : 107/10 - 108. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 376/42، 217/48. الخوارزمي: المناقب: ص 282. ابن شهر اشوب: متشابه القرآن ومختلفه: 42/2، المناقب : 275/2. ابن البطريق: العمدة : ص 290. ابن جبر: نهج الايمان : ص 551. العلامة الحلبي : كشف اليقين : ص 390 . ابن طلحة الشافعي : مطالب السؤول: ص 121. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن : 264/18. الاربلي: كشف الغمة : 118/1 - 329. ابن كثير: تفسير : 441/4. الهيثمي: مجمع الزوائد: 131/1. السيوطي: الدر المنثور: 260/6، لباب النقول: ص 201. الصالح الشامي: سبل الهدى : 289/11. المنقي الهندي: كنز العمال: 136/13. الشوكاني: فتح القدير: 282/5.

يصلي ما قدر له ثم يأتيني يسألني وينظر إليّ ، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح ، فلما صلى بأصحابه الغداة قال : اللهم اشف عليا وعافه ، فانه اسهرني الليل مما به ^١ ، وفي رواية تحكي صنيعه معه عليه السلام لما مرض مرضه ، اذ يقول " مرضت مرة مرضه ، فعادني رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل عليّ وانا مضطجع ، فاتى الى جنبي ، ثم سجانى بثوبه ، فلما رأني قد ضعفت قام الى المسجد يصلي ، فلما قضى صلاته ، جاء فرفع الثوب عني ثم قال : " قم يا علي ، فقد برأت " . فقامت وكأني ما اشتكيت قبل ذلك . فقال عليه السلام : " ما سألت ربي شيئا الا اعطاني ، وما سألت شيئا لي الا وسألت لك مثله ^٢ . ثم إن هذه الأصرة فيما بينهما متبادلة في عمق ودّها ، فنجده عليه السلام يشير الى هذا المعنى قائلا : " وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اراد ان يتجه الى موضع اعلمني بذلك ، فكان اذا ابطأ في ذلك الموضع صرت اليه لاعرف خبره ، لأنه لا يتصابر قلبي على فراقه ساعة " ^٣ . وكانت له خلوة برسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن لاحد غيره ، وهذا مما خصّ به دون سواه ، اذ يحدثنا قائلا : " كان لي منه مجلس سرّ لا يطلع عليه غيري " ^٤ ، وفي قول آخر : " كان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله مدخلان : بالليل وبالنهار ، وكنت اذا دخلت عليه وهو يصلي تتحنح " ^٥ . و " كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة من السحر آتية فيها ، فكنت اذا آتيت استأذنت ، فان وجدته يصلي سبّح " ^٦ ، بل إنّه عليه السلام دخل عليه يوما وهو في بعض حجراته فاستأذن عليه فأذن له ، فلما دخل قال له عليه السلام : " يا علي ، أما علمت ان بيتي بيتك ، فما لك تستأذن عليّ ! فقال عليه السلام : فقلت يا رسول الله ، احببت أن افعل ذلك " قال : " يا علي ، احببت ما احب الله ، واخذت بأداب الله " ^٧ .

١- الطبرسي : الاحتجاج : 1 / 233 . ابن شهر آشوب : المناقب : 61/2

٢- ابن عساكر : تاريخ دمشق : 42 / 311 .

٣- الطبرسي : الاحتجاج : 1 / 292 .

٤- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 20 / 316 .

٥- ابن حنبل : المسند : 1 / 80 . ابن ماجة : السنن : 2 / 1322 . النسائي : السنن : 3 / 12 . السرخسي :

المبسوط : 1 / 200 . ابو بكر الكاشاني : بدائع الصنائع : 1 / 235 . البهوتي : كشف القناع : 1 / 486 .

٦- ابو يعلى : المسند : 1 / 445 . النسائي : السنن : 5 / 141 . المتقي الهندي : كنز العمال : 4 / 132

٧- ابن عقدة : فضائل أمير المؤمنين : ص 52 . ابن شاذان : مائة منقبة : ص 60 . الكراكي : كنز الفوائد : ص 208 .

ومن اوضح الدلائل على أنّ تلك العلاقة فيما بينهما لا مثيل لها ، انها قد اثارت غيرة عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله فزجرها عليه السلام قائلاً : " لا تؤذيني في علي ، فانه اخي في الدنيا واخي في الآخرة " ^١ .

وكيف لا تثار الغيرة والامام عليه السلام قد كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله حال خاصة ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : " وكنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة ، وكل ليلة دخلة ، فيخيلني فيها ادور معه حيث دار ، وقد علم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ، وربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله اكثر ذلك في بيتي ، وكنت اذا دخلت عليه في بعض منازل اخلائي واقام عني نسائه فلا يبقى عنده غيري ، واذا اتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا احد من بني " ^٢ ، بل إنه عليه السلام كان يلزمه ليلا ونهارا ^٣ . واذا ما رآه صلى الله عليه وآله تهلل وجهه فرحا ، واذا افتقده او ابطأ عنه حزن وتأم ، كما في الحادثتين أدناه : " دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في قبا - وعند نفر من اصحابه - فلما بصر بي تهلل وجهه وتبسم ، حتى نظرت الى بياض اسنانه يبرق ، ثم قال: إلي يا علي ، إلي يا علي ، فما زال يدنيني حتى ألصق فخذي بفخذه ، ثم اقبل على اصحابه ، فقال: معاشر أصحابي ، اقبلت اليكم الرحمة باقبال علي اخي اليكم معاشر اصحابي ، ان عليا مني وانا منه، وروحه من روحي ، وطينته من طينتي ، وهو اخي ووصيي ، وخليفتي على امتي ، في حياتي وبعد موتي ، من اطاعه اطاعني ، ومن وافقه وافقني ، ومن خالفه خالفني " ^٤ .

والغريب انك تصادف في سيرته الشريفة ، أنه كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتولى تغذيته بيديه الشريفتين وهو صغير ، نجده يفعل مثل هذا في شبابه أيضا ، اذ تقول الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام : " اهدي الى النبي صلى الله عليه وآله قنوقوز - فجعل يقشر الموزة ويجعلها في فمي . فقال له قائل : إنك تحب عليا؟ قال: أو ما علمت أن عليا مني وأنا منه " ^٥ . فلو فسر بعضهم ذاك الفعل معه في صغره على أنه مجرد عناية

١- الطوسي: الامالي: ص290. عماد الدين الطبري: بشارة المصطفى: ص236. الطبرسي: اعلام الوری: 1/ 368 . ابن طاووس: التحصين: ص541.

٢- الكليني: الكافي: 1/ 64 . ابن عقدة: فضائل أمير المؤمنين: ص163 . النعماني: الغيبة: ص82

٣- ابن عساکر: تاريخ دمشق: 42/ 386 .

٤- الصدوق: الامالي: ص88 . البحراني: غاية المرام: ص244 . المجلسي: البحار: 40/ 4.

٥- قنوقوز: العنق، ومنه عنق النخل، الطريحي: مجمع البحرين: 1/ 350 .

٦- الخوارزمي: المناقب: ص64 . الاربلي: كشف الغمة: 1/ 95 . ابن جبر: نهج الايمان: ص480 - 481 . القندوزي: ينابيع المودة: 1/ 170 .

بطفل صغير تكفلها ذو رحم ينشد رد الفضل بها لابيويه على ما فعلاه معه حال يتمه وحاجته اليهما،
فماذا سيقول بهذا الصنيع منه عليه السلام في حال شبابه عليه السلام!؟

وفي الواقع أن هذه الشواهد تقودنا الى نتيجة اساسية مفادها: أنه لايمكن تحجيم ذاك الافق الواسع
لعلاقة النبي صلى الله عليه وآله بريبيه المرتضى عليه السلام وابقافها عند حدود علاقة القرب والرحم ورد الجميل! لأن ما فعله
معه في صغره ما زال دائما على مثيله او ما يقاربه من فعال في عمر الصبا والشباب وحتى آخر
لحظات حياته معه عليه السلام. وقد نسب اليه عليه السلام قوله:

ومن ضمنى مذ كنت طفلا وبافعا وانعشني بالبر والعل والنهل^١

وبعد هذا حق له أن يفتخر واصفا طبيعة علاقته بالنبي صلى الله عليه وآله بقوله عليه السلام: " وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
كَالضُّوْءِ مِنَ الضُّوْءِ ، وَالدَّرَاعِ مِنَ الْعُضْدِ " ^٢، وفي قول آخر: " انا من رسول الله صلى الله عليه وآله
كالعضد من المنكب وكالذراع من العضد ، وكالكف من الذراع ، رباني صغيرا ، وآخاني كبيرا " ^٣.

وقد شبه الامام عليه السلام نفسه بالضوء الثاني ، وشبه رسول الله صلى الله عليه وآله بالضوء الاول ، وشبه منبع
الاضواء والانوار بالشمس التي توجب الضوء الاول، ثم الضوء الاول يوجب الضوء الثاني " ^٤، وشبه
نفسه عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله بالذراع الذي اصله العضد ، كناية عن شدة الامتزاج والقرب بينهما ^٥.

لقد اجاد ابن ابي الحديد بقوله : إنَّ الامام عليه السلام بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وآله : " شعاع من شمس
وغصن من غرسه ، وقوة من قوى نفسه ، ومنسوب اليه نسبة الغد الى يومه ، واليوم الى امسه ، فما هما
الا سابق ولاحق ، وقائد وسائق ، وساكت وناطق ، ومجل ومصل ، سبقا لمحة البارق ، وانارا سدفة
الغاسق... " ^٦ ، ومن مظاهر اختصاصه عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وقربه منه ، تلك المصاهرة الطيبة ، إذ زوجه

١- ابن جبر : نهج الايمان : ص 432 . المجلسي : البحار : 34 / 435 .

٢- نهج البلاغة: ص 576 .

٣- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 2 / 315 .

٤- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 16 / 289 - 290 .

٥- صبحي الصالح : نهج البلاغة (الشرح) : ص 576 .

٦- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 3 .

من السيدة فاطمة عليها السلام التي هي بضعة منه وروحه التي بين جنبيه عليه السلام ، تلك المصاهرة التي افضت الى النسل الطاهر . وطالما افتخر أمير المؤمنين عليه السلام بذلك إذ قال :

محمد النبي اخي وصهري وحمة سيد الشهداء عمي^١

فكان عليه السلام كفؤ ابنته التي لولاه لم يكن لها كفؤ على وجه الارض آدم فما دونه^٢ .

ثم إن هذه العلاقة الروحية الوثيقة بين النبي صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام نجدها تتمثل ايضا في الايام الاخيرة من عمر النبي صلى الله عليه وآله فقد كان عليه السلام الى جواره ، فلم يرسله ضمن سرية اسامة بن زيد الى الشام ، ثم هو الذي تولى غسله عليه السلام وكفنه ودفنه^٣ .

يقول عليه السلام : " ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ لِقَاءَهُ ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُ عَنِ دَارِ الدُّنْيَا ، وَرَغِبَ بِهِ عَنِ مَقَامِ البُلُوَى ، فَقَبِضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا"^٤ .

وقد كان عليه السلام الاقرب الى النبي صلى الله عليه وآله في لحظاته الاخيرة ، بل إنه عليه السلام فاضت روحه الزكية في حجر أمير المؤمنين عليه السلام ، إذ يعبر عن ذلك قائلا : " وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي ، وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي فَأَمَرَتْهَا عَلَى وَجْهِي"^٥ . وفي موضع ثان قال : " وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ"^٦ ، وجعلها عليه السلام خصوصية احتج بها إذ قال : " أفیکم أحد ولي غمض رسول الله

١- البلاذري: انساب الاشراف: 111/ 5. ابن عقدة : الولاية : ص 171. المفيد : اقسام المولى : ص 38، الفصول المختارة : ص 280. ابن عساكر: تاريخ دمشق : 54/23. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 122/4. الزرندي: نظم درر السمطين: ص 97. ابن كثير: البداية والنهاية: 9/ 8. المتقي الهندي: كنز العمال: 112/13.

٢- الكليني: الكافي: 461/1. الصدوق: الامالي : ص 688، الخصال: ص 414. المفيد: المسائل العكبورية: ص 120. الطبري الصغير: دلائل الامامة: ص 80. ابن الفثال: روضة الواعظين: ص 148.

٣- النصر الله: شرح نهج البلاغة: ص 133.

٤- نهج البلاغة : ص 21 .

٥- نهج البلاغة : ص 422.

٦- نهج البلاغة : ص 434 .

الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الملائكة غيري؟ أفیکم أحد ولي غسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الملائكة يقبلونه لي كيف اشاء غيري؟
" ١ "

وقال: " أفیکم احد كان آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وضعه في حفرته غيري " ٢ ، وفي رواية عنه عليه السلام : " قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في مرضه ، ادعوا لي اخي ، قال: فدعي له ، فقال : ادن مني ، فدنوت منه ، فاستند إلي ، فلم يزل مستندا الي وانه ليكلمني حتى أن بعض ريق النبي صلى الله عليه [وآله] ، ليصيني ثم نزل برسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وثقل حجري... " ٣ .

لكننا نجد أن هذه الخصوصية والفضيلة نسبت إلى غير أمير المؤمنين وهي زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عائشة التي انفردت بروايتها تفاصيل تماثل ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام اعلاه ومن ذلك انها قالت : - " بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على صدري ، وقد وضع رأسه على عاتقي ، اذ مال رأسه ، فظننت أنه يريد شيئا من رأسي وخرجت من فيه نطفة باردة ف وقعت على ثغرة نحري ، فاقشعر لها جلدي ، فظننت أنه قد غشي عليه فسجيته بثوب " ٤ . وفي نص آخر عنها : " مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري ، وفي دولتي ، لم اظلم فيه احدا ، فمن سفهي ، وحدائه سني ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجري ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت التدم مع النساء واضرب وجهي " ٥ .

وقد جاءت بعدة الفاظ :

" فمرضته فقبض ولم يشهده غيري والملائكة " ٦

" وقد قبض ورأسه في حجري " ١

- ١- ابن عقدة: الولاية: ص178. القاضي المغربي: شرح الاخبار: 189/2. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 433/42.
 - ٢- ابن عقدة: الولاية: ص 178 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 433 / 42 .
 - ٣- ابن سعد: الطبقات : 2 / 263 . المتقي الهندي : كنز العمال : 7 / 253.
 - ٤- ابن سعد: الطبقات : 2 / 261 . ابن راهويه : المسند : 3 / 991 . ابن حنبل : المسند : 6 / 219 . ابن كثير : السيرة النبوية : 4 / 479 .
 - ٥- ابن هشام : السيرة النبوية : 4 / 1069 . ابن حنبل : المسند : 6 / 274
 - ٦- ابن سعد : الطبقات : 8 / 65 . الطبراني : المعجم الكبير : 23 / 30 . ابن حجر : الاصابة : 8 / 324 .
- السيوطي : المحاضرات والمحاويرات : ص 185

" فأنى لمسندته الى صدري " ٢

وقد حاول بعضهم التوفيق بين مارواه أمير المؤمنين عليه السلام وبين ما روته عائشة ، كما فعل ابن ابي الحديد^٣ ، إذ قال: " الله اعلم بحقيقة هذا الحال، ولا يبعد عني أن يصدق الخبران معا، بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وقت الوفاة مستندا الى علي وعائشة جميعا ، فقد وقع الاتفاق على أنه مات وهو حاضر لموته ، وهو الذي كان يقبله بعد موته ، وهو الذي كان يعلله ليالي مرضه ، فيجوز ان يكون مستندا الى زوجه وابن عمه ، ومثل هذا لا يبعد وقوعه في زماننا هذا ، فكيف في ذلك الزمان الذي كان النساء فيه والرجال فيه مختلطين ، لا يستتر البعض عن البعض ، فأن قلت : فكيف تعمل بأية الحجاب ، وماصح من استتار ازواج الرسول صلى الله عليه وآله عن الناس بعد نزولها ؟ قلت قد وقع اتفاق المحدثين كلهم على ان العباس كان ملازما للرسول صلى الله عليه وآله ايام مرضه في بيت عائشة ، وهذا لا ينكره احد ، فعلى القاعدة التي كان العباس ملازمه صلى الله عليه وآله كان علي عليه السلام ملازمه ، وذلك يكون بأحد امرين: إما بأن نسائه لا يستترن من العباس وعلي لكونهما اهل الرجل وجزء منه . او لعل النساء كن يخرمن بأخمرتهن ، ويخالطن الرجال فلا يرون وجوههن ، وما كانت عائشة وحدها في البيت عند موته ، بل كان نساؤه كلهن في البيت ، وكانت ابنته فاطمة عند رأسه عليه السلام .

لكن هذا التوافق لا يكون مقبول بسهولة ، فالحديثان - كما هو واضح - متعارضان ، و لا سيما قوله عليه السلام : " أفیکم أحد ولي غمض رسول الله صلى الله عليه وآله مع الملائكة غيري " ، بينما تقول عائشة في قبالة ذلك : " قبض ولم يشهده غيري والملائكة " .

ولكن ثمة ملاحظات تساعدنا في ترجيح الاقرب للواقع والقبول تاريخيا:

إن الذي يلاحظ على الروایتين اعلاه :-

١- ابن راهويه : المسند : 2 / 22 . الذهبي : سير اعلام النبلاء : 2 / 141 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 9 / 241 .

٢- ابن كثير : البداية والنهاية : 5 / 261 .

٣- شرح نهج البلاغة : 10 / 268 .

- 1 - تعدد رواة القائلين بأن النبي صلى الله عليه وآله مات بين سحر الامام وصدرة واقتصار القائلين على عائشة وعلى ابن اختها عروة بن الزبير¹ الذي اخذ عنها والمعروف بعدائه للودود للإمام علي عليه السلام
 - 2- إن الذي يستقرىء الروايات التي تتحدث عن الايام الأخيرة للنبي صلى الله عليه وآله ليشهد الدور الكبير للإمام والسيدة فاطمة عليهما السلام دون سواهما في هذا المجال².
 - 3- إن الملاحظ أن رواية عائشه لم تأت لتوضح أن النبي صلى الله عليه وآله مات بين سحرها ونحرها ، وانما لتنفى الوصية عن الإمام عليه السلام . وكأنها وضعت لهذا الغرض .
 - 4- فهل قام عروة بن الزبير³ بوصفه ممن اختيروا الى اللجنة التي وضعها معاوية لاختلاق فضائل مقابل فضائل الإمام علي عليه السلام ؟!!⁴
 - 5- إن المتأمل في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وعلاقته بالنبي صلى الله عليه وآله من جانب ، وسيرة عائشة وعلاقتها بالنبي صلى الله عليه وآله من جانب اخر ، يدرك أن الامام أمير المؤمنين عليه السلام هو الاقرب للنبي صلى الله عليه وآله . كما اتضح جليا من خلال البحث انفا ، وان هذا الاختصاص بالنبي صلى الله عليه وآله لايدانيه فيه احد حتى أنه أثار غيرة عائشة ، وكان احد الاسباب التي تقف وراء موقفها السلبي من أمير المؤمنين عليه السلام ، حتى ان النبي صلى الله عليه وآله عد
-
- 1- هو ابو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الاسدي، امه اسماء بنت ابي بكر، لازم خالته عائشة وتفقه عنها، عزم على مقاتلة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الجمل، لكنه رد لصغر سنه، وكان معلوم العداء لآل محمد صلى الله عليه وآله حتى روي ان الرعدة كانت تاخذه اذا ذكر الامام علي عليه السلام وكان يعيب عليه ويسبهه، وعد من المنحرفين عنه، ومتهم بايراده فضائل لخالته في امر لم تدعه هي لنفسها ، وسكن البصرة ، ثم انتقل الى مصر وعاد الى المدينة وتوفي سنة 93 هـ ينظر: ابن سعد: الطبقات : 178/5 - 182. ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 4 / 102. الذهبي : سير اعلام النبلاء : 4 / 421 - 437. محمد الفارس : عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية عن السيرة النبوية (الصفحات جميعها).
 - 2- لمزيد من التفاصيل ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام : ص 681- 725 .
 - 3- عن موقف عروة العدائي من أمير المؤمنين عليه السلام ، ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 63/4 - 64 ، 69. عبد الجبار ناجي : نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجا : ص 117 - 198 .
 - 4- لمزيد من التفاصيل عن هذه اللجنة ينظر: النصر الله: هياة كتابة التاريخ برئاسة معاوية : ص 89 - 117.

موقفها إيذاء للنبي نفسه إذ قال لها : " لا تؤذيني في علي " ^١ ، وقد برز موقفها السلبي بشكل جلي بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله حتى بلغ ذروته في خروجها محاربة له عليه السلام في حرب الجمل (36 هـ) .

ومن شواهد هذا الموقف السلبي من أمير المؤمنين عليه السلام نذكر هذه الحادثة : يروى أن رجلا وقع في أمير المؤمنين عليه السلام وعمار ابن ياسر رضي الله عنه عند عائشة . فقالت : " أما علي فلست قائلة لك فيه شيئا ، وأما عمار فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يخير بين أمرين إلا اختار أशدهما " ^٢ . وهنا موضع التأمل فهلا التزمت أم المؤمنين بما قاله النبي صلى الله عليه وآله في حق عمار ، إذ إن عمار اختار موالاته أمير المؤمنين عليه السلام ووقف الى جانبه في الجمل وصفين حتى استشهد بين يديه (رحمه الله) ^٣ .

ويلاحظ أنها كانت لا تطيب نفسا ان تذكره عليه السلام بخير ، كما قال ابن عباس " ولكنها لا تقدر ان تذكره بخير " ^٤ . ومن المؤسف أن بلغ بها الحال ان سجدت شكرا لله لما علمت باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام . ومن مصاديق موقفها السلبي منه عليه السلام انها كانت تروي احاديث تدعي لها ولايها ما لا اصل له من الفضائل التي اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام واهل بيته عليهم السلام بل انها وضعت احاديث تؤيد جانب المناوئين له عليه السلام وتدعمه ^٥ ، وخير شاهد على ذلك " الحديث " الذي نحن بصدد بحثه هنا اذ انها :

١- الطوسي : الامالي : ص 290 . الطبرسي : اعلام الوری : 1 / 368.

٢- ابن حنبل : المسند : 6 / 113

٣- ابن سعد : الطبقات : 3 / 246 - 264 . ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الامم والملوك : 5 / 119 . ابن الاثير : اسد الغابة : 4 / 43 - 47.

٤- البلاذري: انساب الأشراف: 545/1. الطبري الصغير: المسترشد: ص 126 . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 13 / 28 . ابن حجر: فتح الباري: 2 / 131 .

٥- وروى " لما أتى عائشة نعي علي أمير المؤمنين - عليه السلام - تمثلت :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

ثم قالت: من قتله ؟ فقبل رجل من مراد، فقالت:

فان يكنائيا فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب .

فقالت لها زينب بنت ام سلمة : ألعلي تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني". أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ص 26 - 27.

٦- من ذلك حديث نسبته للنبي صلى الله عليه وآله فيه تبرير المطالبة بدم عثمان وانه يقتل مظلوما ، فانفتح به معاوية اذ روت قائلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله : " يا عثمان ان الله عز وجل عسى ان يلبسك قميصا فان اردك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ، يا عثمان ان الله عسى ان يلبسك قميصا فان اردك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثا ، فاستغرب

1 - ادعت فيه حظوتها بالقرب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر لحظات حياته الشريفة ، حتى جاءت ألفاظ أحاديثها على اختلافها مماثلته لما رواه أمير المؤمنين عليه السلام .

2 -إنها لما ذكروا عندها " أن عليا كان وصيا ، قالت: متى أوصي اليه ؟ فقد كنت مسندته الي صدري ، او قالت في حجري ، فدعا بالطست ، فلقد انخنت¹ في حجري وما شعرت أنه مات ، فمتى أوصي اليه ؟² .

وقد شك أبو غطفان³ في مادعته ، فراح يسأل ابن عباس قائلاً : " أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه في حجر أحد ؟ قال : توفي وهو مستند الى صدر علي ، قلت : فان عروة حدثني عن عائشة انها قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري ، فقال ابن عباس : أتعقل؟ والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لمستند الى صدر علي وهو الذي غسله ..."⁴ . وكلمة: " أتعقل " لها دلالتها في اشارة الوعي والتنبيه على تلقي الجواب⁵ . ويؤكد صحة مارواه ابن عباس أن أم المؤمنين أم سلمة قد روت : " والذي احلف به ان كان علي لأقرب الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وآله ، عدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و آله غداة وهو يقول : جاء علي مرارا ، فقالت فاطمة رضى الله عنها : كأنك بعثته في حاجة ، قالت : فجاء بعد ، قالت ام سلمة : فظننت أن له إليه حاجة ، فخرجنا من البيت ، فقعنا عند الباب وكنت من ادناهم الى الباب ، فأكب عليه رسول الله

النعمان بن بشير - ناقل الحديث عنها - قائلاً: يا أم المؤمنين فإين كان هذا عنك؟ قالت نسيته والله فما ذكرته. قال النعمان فاخبرته معاوية بن ابي سفيان فلم يرض بالذي اخبرته حتى كتب الى ام المؤمنين ان اكتبني الي به، فكتبت اليه به كتابا. ابن حنبل: المسند : 6 / 86 - 87 . ابن ماجة: السنن : 1 / 41 . ابن عساکر : تاريخ دمشق : 39 / 279 . ابن كثير : البداية والنهاية: 7 / 232 .

1- انخنت: انثنى واسترخى، سعدي: أبو حبيب: القاموس الفقهي 123.

2- ابن حنبل : المسند : 6 / 32 . البخاري : الصحيح : 3 / 186 . مسلم : الصحيح : 5 / 75 . ابن ماجة : السنن : 1 / 519 .

3- هو أبو غطفان بن طريف المري ، من بني عصيم دهمان بن عوف بن سعد ، كان قد لازم الخليفة عثمان وكتب له، ثم كتب لمروان بن الحكم، روى عن أبي هريرة وابن عباس ، عرف بقلة الحديث، ووصف بأنه ثقة. ابن سعد: الطبقات 5/176، ابن معين: التاريخ1/142، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل 9/422، ابن ماكولا: إكمال الكمال: 7/314.

4- ابن سعد : الطبقات : 2 / 263 .

5- محمد مهدي الخرسان : المحسن السبط مولود ام سقط؟ : ص 259.

صلى الله عليه وآله وسلم وجعل يساره ويناجيه ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله من يومه ذلك ، فكان علي اقرب الناس عهدا " ١ .

وغير خاف على القارئ اللبيب أن كلا من أم سلمة وابن عباس اوردا الرواية مشفوعة بالقسم ، ردا على ادعاء عائشة الذي روجته في المجتمع آنذاك . ويزيد الامر تأكيدا ماجاء عن عمر بن الخطاب أنه لما سأله كعب الاحبار: ماكان آخر ماتكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال عمر: سل عليا ٢ . فلو كان غير أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي تعاهده في لحظاته الاخيرة لما قال عمر لكعب (سل عليا) . ولا سيما وأن الرجل كان من المناوئين لأمر المؤمنين عليه السلام .

3 رجح العسكري ٣ أن يكون هذا الحديث صادراً عن عائشة في حرب الجمل ، بقوله : " واغلب الظن.... انها قالت ذلك في حرب البصرة ، اي بعد زمان الخليفتين عمر وعثمان ، وكذلك يناسب هذا القول عصر معاوية حيث كان ينهى عن نقل فضائل الامام ويأمر بنقل مايناقضها " ٤ . والرواية التي توجه فيها كعب الاحبار الى سؤال الامام عليه السلام تثبت ذلك .

4 -الملاحظ ان رواية هذا الحديث عن عائشة هم : ابن اخيها القاسم بن محمد بن ابي بكر ٥ ، وبنو اختها عروة ابن الزبير واخ وه عبد الله بن الزبير وابنه عباد ٦ ومؤذنه وقاضيه ابن ابي

١- الحاكم: المستدرک: 138/3 - 139. وينظر: ابن ابي شيبة: المصنف: 494/7. ابن حنبل: المسند: 300/6. الكوفي: المناقب: 87/2. ابو نعيم الاصبهاني: ذكر اخبار اصبهان: 250/1. ابن عساکر: تاريخ دمشق: 394/42 - 395. المحب الطبري: الرياض النضرة: 141/3 - 142. الهيثمي: مجمع الزوائد: 112/9. المتقي الهندي: كنز العمال: 146/13.

٢- ابن سعد: الطبقات: 2 / 262 - 263 . السيوطي: كفاية الطالب اللبيب: ص 274.

٣- معالم المدرستين: 1 / 236.

٤- لمزيد من التفاصيل ينظر: النصر الله: هيئة كتابة التاريخ: ص 89 . 117.

٥- هو ابو محمد ويقال ابو عبد الرحمن القاسم بن محمد بن ابي بكر القرشي التيمي نشأ في حجر عائشة ، فاكثر عنها، احد الفقهاء السبعة في المدينة ، ولد سنة 37 هـ ، ومن سادات التابعين ، روى عن ابيه وعن عمته عائشة وغيرهم توفي سنة 102 أو بعدها. ينظر: ابن خياط: طبقات: ص 424. ابن حبان: مشاهير علماء الامصار ص 105. الذهبي: تذكرة الحفاظ: 96/1- 97. اليافعي: مرآة الجنان: 180/1.

٦- عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، تابعي ، له منزلة عند ابيه ، ولاه قضاء مكة أيام إدعائه الخلافة ، وكان يستخلفه اذا حج ، روى عن ابيه وجدته اسماء وخالة ابيه عائشة وغيرهم ، قال الذهبي: لم اظفر له بوفاة. ينظر: سير

اعلام: 4 / 217 . ابن حجر: تهذيب التهذيب: 5 / 85

مليكة^١. فالرواية لا تكاد تتجاوز دائرة عائشة واقربائها ومن لف لفيهم من متعهدي الرواية عنها. ولم يشهد بذلك فيها عداهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما فعلت ام سلمة^٢ رضي الله عنها وعمر بن الخطاب^٣ وجابر بن عبدالله الانصاري^٤ وابن عباس^٥ ومن التابعين الامام السجاد^٦ عليه السلام وابو غطفان^٧ والشعبي^٨ وغيرهم.

5 وتجدير بالأشارة أن هناك حديثاً ترويه عائشة نفسها يناقض أحاديثها السابقة ، ويؤيد رواية الامام أمير المؤمنين عليه السلام اذ روي أنها سئلت : " كيف كان عليا عنده ؟ فقالت: تسألوني عن رجل وضع يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعاً لم يضعها احد ، وسالت نفسه في يده ومسح بها وجهه ومات... " ^٩ .

وقد أرجع السيد العسكري^{١٠} هذا التناقض في احاديثها الى تباين موقفها من الامام أمير المؤمنين

عليه السلام .

١- ابو بكر عبد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة القرشي، التيمي ، مؤذن الحرم وقاضي مكة أيام ابن الزبير، الذي ولاه الطائف، ولد في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وتوفي في عام 117 هـ . وكيع: اخبار القضاة: 261/1 - 262. ابن حبان: مشاهير علماء الامصار: ص135. الذهبي: تذكرة الحفاظ: 101/1 - 102.

٢ - الحاكم: المستدرك: 138/3 - 139.

٣ - ابن سعد : الطبقات : 2 / 263 - 262 .

٤ - ابن سعد : الطبقات : 2 / 262 .

٥ - ابن سعد : الطبقات : 2 / 263 .

٦ - ابن سعد : الطبقات : 2 / 263 .

٧ - ابن سعد : الطبقات : 2 / 263 .

٨ - ابن سعد : الطبقات : 2 / 263 .

٩- ابن ابي شيبة: المصنف 501/7. الكوفي: المناقب : 91/2. ابو يعلى: المسند 279/8. ابن عساكر: تاريخ دمشق 394/42. ابن كثير: البداية والنهاية: 397/7.

١٠ - معالم المدرستين : 238/1 - 243 ؛ اذ يقول ما ملخصه : ما ان توفي النبي الاعظم صلى الله عليه وآله ، وبويع ابو بكر بالخلافة ، امتنع أمير المؤمنين عليه السلام من البيعة ، وبقي بعيداً عن الساحة حتى اخريات خلافة عثمان ، اذ قادت عائشة المعارضين من طلحة والزبير وغيرهما ضد عثمان ، املا منها بان يلي الامر من بعده ابن عمها طلحة بن عبيد الله التيمي، ولما قتل عثمان وبويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة ، اقامت ضده حرب الجمل ، وانكسرت فيها وارجعها أمير المؤمنين عليه السلام الى المدينة وبقيت حانقة عليه حتى استشهاده ، حتى أنها لم تستطع أن تخفي سرورها لمقتله ، ثم ولي الحكم معاوية ، وجمع بينهما الموقف الواحد من الامام عليه السلام ، ثم فترت العلاقة بينهما على اثر قيام معاوية بقتل الصحابي

اما المستوى الاخلاقي

فالمعلوم بان التربية من ابرز العوامل المؤثرة في عملية الاعداد الخلفي والسلوكي للفرد ¹ . وكان مما خص به الامام أمير المؤمنين عليه السلام انه تربي في كنف اديب السماء والذي شهد له القرآن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وقد اشار الامام أمير المؤمنين عليه السلام الى اثر السماء في اعداد النبي بقوله " وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صلى الله عليه وآله - مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ - يَسْئَلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ - وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ - وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَتْرَأُ أُمَّهُ - يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا - وَيَأْمُرُنِي بِالِإِفْتِدَاءِ بِهِ " ²

فالنبي صلى الله عليه وآله اديب الله ، والامام أمير المؤمنين عليه السلام اديب النبي صلى الله عليه وآله ³

وقد كان الاثر النبوي شديد الوضوح في اعداد شخصية الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، اذ صاغ منه خُلُقًا يماثل خلقه العظيم صلى الله عليه وآله فكان عليه السلام مثيله في الاخلاق والسلوكيات ¹ .

حجر بن عدي رحمته الله ، ولما اراد البيعة لابنه يزيد من بعده كان شقيقها عبد الرحمن بن ابي بكر من اشد المعارضين لهذه البيعة، وجرت بينه وبين مروان مساجلات لما بدا الاخير بحملة الدعاية لبيعة يزيد في الحجاز، ولكنه لاقى موقفا متشددا من قبل عبد الرحمن، ولما قدم معاوية حاجا ارسل بمبلغ من المال الى عبد الرحمن بغية استمالته، ولكنه رفضه قائلا: " ابيع ديني بدنياي! " ثم خرج الى مكة وتوفي فجأة، قبل اتمام البيعة ليزيد، فدخل في نفس عاتشة ان يكون صنع به شر وعجل عليه فدفن وهو حي. فتغير موقفها من بني امية، واقامت حربا دعائية ضدهم بدأتها بنشر احاديث النبي الاعظم صلى الله عليه وآله في شأن مروان وابيه الحكم، وقابلت سياسة معاوية بالصد، لما عكف الاخير على اتباعه سياسة ترمي الى طمس فضائل بني هاشم عامة وبيت أمير المؤمنين خاصة، لمقام الامامين الحسينين عليهما السلام المؤثر في المسلمين؛ مما يشكل عائقا في طريق توريث الخلافة ليزيد من بعده، وبلغ به الامر ان امر بلعن الامام أمير المؤمنين عليه السلام على منابر المسلمين، عندئذ قابلت عاتشة هذه السياسة مقابلة قوية واخذت تنشد فضائل الامام واهل بيته عليهم السلام ومن جملة تلك الفضائل الحديث مدار البحث الذي يشهد باختصاصه عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله دون غيره .

1- لمزيد من التفاصيل ينظر : الطحان: التربية : (الصفحات جميعها) . فلسفي : الطفل بين الوراثة والتربية : 1 / 254-255.

2- نهج البلاغة : ص 406 .

3- روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله : " انا اديب الله ، وعلي اديبي " ، الطبرسي : مكارم الاخلاق : ص 17 . الريشهري : ميزان الحكمة : 58/1 .

اذ كان للاساليب التربوية العميقة والحكيمة التي اتخذها النبي صلى الله عليه وآله مع أمير المؤمنين عليه السلام قد احييت جميع مواهبه الكامنة واوصلته في مدة قصيرة الى اعلى مدارج الكمال^٢

وبذا احتل أمير المؤمنين عليه السلام الذرى في كل ميادين الحياة ، وهو الذي عبر عن علو مرتبته وسمو مكانه بكلمة وجيزة قصرت الفاظها واتسعت معانيها لتجلي عظمته بكل ما فيها من تشعب وشمول واحاطة ، فقال عليه السلام : " يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ " ^٣

والمراد به انه عالي المكان بعيد المرتقى ، لان السيل لا ينحدر الا عن الاماكن العالية والمواضع المرتفعة . ثم اكد عليه السلام هذا المعنى بقوله : " وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ " ولأنه ليس كل مكان عال من استقرار السيل عليه و اقتضى تحدره منه ، يكون مما لا يرقى اليه الطير ، فان هذا وصف يقتضي بلوغ الغاية في العلو والارتفاع^٤.

وهذا من مختصاته ولم يحسن هذا القول من غيره عليه السلام . ومن ابرز جوانب التفرد في شخصيته عليه السلام مكارم اخلاقه التي ضرب بها مثلا فكان اسوة كما ان رسول الله صلى الله عليه وآله اسوة وقدوة في مكارم اخلاقه ، فعمت اخلاقه الحميدة حتى شملت اعداءه ، ومخالفيه^٥.

كان عليه السلام في الخصائص الخلقية ، والفضائل النفسانية - ابن جلاها وطلاع ثناياها^٦ - فكان عليه السلام من لطافة الاخلاق ، وسجاجة الشيم على قاعدة عجيبة جميلة^١

١ - للكنجي الشافعي تعليق ذا دلالة واضحة في هذا المضمار اذ قال في معرض حديثه عن مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله للإمام عليه السلام : تأمل صنيعه في المؤاخاة بين الصحابة ، جعل يضم الشكل الى الشكل ، والمثل الى المثل ، فيؤالف بينهم ، ... وادخر عليا عليه السلام لنفسه ، واختصه بأخوته . ينظر : كفاية الطالب : ص 194 .

٢ - محمد تقي فلسفي : الطفل بين الوراثة والتربية : 1 / 217 - 218 .

٣ - نهج البلاغة : ص 26 ، ينظر درويش : علي كما وصف نفسه : ص 99 .

٤ - الشريف المرتضى : رسائل الشريف المرتضى : 2 / 107 .

٥ - درويش : علي كما وصف نفسه : ص 100 .

٦ - مأخوذ من بيت شعر قاله - سحيم بن وثيل الرياحي - وهو :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

وقد اشار عليه السلام الى بعض تلك المكارم في مناسبات شتى ، منها قوله عليه السلام : " لَنْ يُسْرَعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ - وَصِلَةِ رَحِمٍ وَعَائِدَةِ كَرِيمٍ " ٢

وفي حديثه عن صدق لهجته وصواب منطقه يقول : " وَاللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَشَمَمَةً ٣ ، وَلَا كَذَبْتُ كَذِبَةً " ٤

وقد اشار عليه السلام الى جوانب متعددة من خلقه الكريم في تعامله مع من حوله : " وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ - وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ - وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّي الذُّلَّ وَحَلَقِ الصَّيِّمَ - شُكْرًا مِنِّي لِلْبَرِّ الْقَلِيلِ - وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ - وَشَهَدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ " ٥

فامير المؤمنين عليه السلام يشير هنا الى مظاهر منهجه الاخلاقي وسيرته مع الناس بأنه شكر قليل ما يصدر منهم بالبر والاحسان ، ويتغاضى عن كثير من الهفوات والاختفاء .

وهو الذي يطلق كلامه بكل ثقة واطمئنان فلا يجراً احد على ان يطعن فيما يقوله لانه قد وافق قوله فعله وهو القائل عليه السلام : " اني لارفع نفسي ان انهى الناس عما لست انتهي عنه ، او آمرهم بما لا اسبقهم اليه بعلمي ، او ارضى منهم بما لا يرضي ربي " ٦

وقد فرضت اخلاقه عليه السلام لونا من الجود والكرم قل نظيره اذ اختلف عما تعارف عليه الناس ، فنجده يقول : " ما توسل احد اليّ بوسيلة ، اجل عندي من يد سبقت مني اليه ، لأريها عنده ، باتباعها اختها ، فان منع الاواخر يقطع شكر الاوائل " ٧

وابن جلا : جلا أي النهار . والمقصود : الامر الواضح ، وطلاع الثنايا : كناية عن السمو الى معالي الامور . والثنايا جمع ثنية وهي الطريق في الجبل . ينظر : الميداني : مجمع الامثال : 33/1 . ابن منظور : لسان العرب : 152/14 . الفيروزآبادي : القاموس المحيط : 59/3 .

١- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 11 / 248 . وينظر : النصر الله : شرح نهج البلاغة : ص 203 .

٢- نهج البلاغة : ص 257 .

٣- وشمة : كلمة . الجوهري : الصحاح : 5 / 2052 .

٤- نهج البلاغة : ص 41

٥- نهج البلاغة : ص 294 .

٦- الواسطي : عيون الحكم والمواعظ : ص 170 .

وفي مثال آخر يوضح لنا بعدا آخر من ابعاد ذلك الخلق الفريد : " ما بات لرجل عندي موعد قط ، فبات يتململ على فراشه ليغدوا بالظفر بحاجته ، اشد من تمللي على فراشي حرصا على الخروج اليه من دين عدته ، وخوفا من عائق يوجب الخلف ، فان خلف الوعد ليس من اخلاق الكرام " ^٢ .

وما الذي يمكن عده من تلك الفضائل الخلقية في هذه العجالة فقد استفاضت المؤلفات التي تحدثت عن سجاياه ومكارم اخلاقه حتى بلغت من العظم والجلالة ، والانتشار مبلغا يسمح ^٣ منه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها ، فصارت كما قال ابو العيناء ^٤ لعبيد الله بن يحيى بن خاقان ^٥ : " رأيتني فيما انتعاطي من وصف فضلك ، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، الذي لا يخفى على الناظر ، فايقنت اني حيث انتهى بي القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ، ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك " ^٦ .

ثانيا المستوي العقائدي :

ان ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة وتربيته في بيت الرسالة تعني انه ولد مسلما على التحقيق اذا نظرنا الى ميلاد العقيدة والروح ، لانه عليه السلام فتح عينيه على الاسلام ، ولم يعرف عبادة الاصنام ^٧ . ثم إن قوله عليه السلام : " **إِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ** " ^٨ مدعاة للتساؤل فان كان كل مولود يولد على الفطرة ، يقول

-
- ١- الواسطي : عيون الحكم والمواعظ : ص 483 .
 - ٢- الواسطي : عيون الحكم والمواعظ : ص 477 .
 - ٣- سمج : قبح . الجوهرى : الصحاح : 322/1 .
 - ٤- هو محمد بن القاسم الهاشمي بالولاء ، اديب مشهور بالكتابة والترسل توفي سنة 283 هـ . ينظر ترجمته : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد : 389/3 - 396 . الذهبي : سير اعلام : 308/13 - 309 .
 - ٥- هو وزير المتوكل والمعتمد . ينظر ترجمته : ابن عساكر : تاريخ دمشق : 143-148 / 38 .
 - ٦- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 16 . وينظر النصر الله : شرح نهج البلاغة : ص 202 .
 - ٧- العقاد : عبقرية الامام : ص 43 .
 - ٨- نهج البلاغة : ص 94 .

عليه السلام : " كل مولود يولد على الفطرة ، وانما ابواه يهودانه وينصرانه " ^١ ، فماذا يقصد الامام بذلك ؟ هناك عدة آراء في تفسير معنى الفطرة :

اولا: ان الامام عليه السلام لم يولد في الجاهلية ، إذ كانت ولادته قبل البعثة بعشر سنوات ، وهذه السنوات العشر تعد مقدمة للاسلام وارهاسات النبوة ، إذ جاء في الاخبار الصحيحة انه عليه السلام مكث قبل الرسالة سنين عشرا يسمع الصوت ويرى الضوء ، ولا يخاطبه احد وكان ذلك ارهاسات لرسالته عليه السلام ، فحكم تلك السنين العشر حكم ايام رسالته عليه السلام فالمولود فيها اذا كان في حجره وهو المتولي لتربيته ، مولود في ايام كايام النبوة ، وليس بمولود في جاهلية محضة ^٢ . وهذا هو وجه المقارنة بمعنى ولادته عليه السلام على الفطرة ، وولادة غيره من الصحابة ، ثم ان هذه السنة لها اثر في حياة النبي عليه السلام وذلك :

ان السنة التي ولد فيها الامام علي عليه السلام هي السنة التي بدء فيها برسالة الرسول عليه السلام إذ سمع الهتاف من الاحجار والاشجار ، وكشف عن بصره ، فشهد انوارا ، واشخاصا ، ولم يخاطب فيها بشيء . في هذه السنة ابتدأ النبي عليه السلام بالتبئل ، والانقطاع والعزلة في جبل حراء ، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة ، ونزل عليه الوحي .

وكان عليه السلام يتيمن بتلك السنة ، وبولادة الامام علي عليه السلام فيها ، ويسميها سنة الخير والبركة ، وقال لاهله ليلة ولادته وقد شاهد فيها ما شاهد من الكرامات والقدرة الالهية ، ولم يكن من قبل شاهد ذلك : " لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به ابوابا كثيرة من النعمة والرحمة " . وفعلا كان كما قال عليه السلام ، فانه عليه السلام كان ناصره والمحامي عنه ، وكاشف الغماء عن وجهه ، وبسيفه ثبت دين الاسلام ، وورست دعائمه وتمهدت قواعده ^٣ .

١- ابن حنبل : المسند : 2 / 233 . البخاري : الصحيح : 2 / 97 . البيهقي : السنن الكبرى : 6 / 203 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 7 / 228 .

٢- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 4 / 114 .

٣- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 4 / 114 . 115 .

ثانيا : ويراد بها الفطرة التي لم تتغير ، ولم تحل ، وذلك ان معنى قوله عليه السلام : " كل مولود يولد على الفطرة " ¹ ان كل مولود فان الله تعالى قد هياه بالعقل الذي فلقه فيه ، وبصحة الحواس ، والمشاعر . لان يعلم التوحيد والعدل ، ولم يجعل فيه مانعا يمنعه من ذلك ، ولكن التربية والعقيدة في الوالدين ، والالف لاعتقادهما ، وحسن الظن فيهما ، يصدده عما فطر عليه . وامير المؤمنين عليه السلام دون غيره ، ولد على الفطرة التي لم تحل ، ولم يصد عن مقتضاها مانع ، لا من جانب الابوين ، ولا من جهة غيرهما ، وغيره ولد على الفطرة ، ولكنه حال عن مقتضاها وزال عن موجبها² .

ثالثا: انه اراد بالفطرة - العصمة - وانه منذ ولد لم يواقع قبيحا ، ولا كان كافرا طرفة عين ، ولا مخطئا ولا غالطا في شيء يتعلق بالدين³ .

يبقى الحديث عن ايمانه وبقينه عليه السلام في دائرة الوصف القاصر عن بلوغ حقيقة الموصوف ، وينسب كل كلام الى نوافل القول بعد ان افصح النبي الاعظم صلى الله عليه وآله عن عمق هذا الايمان ورسوخ هذا اليقين بكلمات نيرة تواتر نقلها واجمع المسلمون على اثباتها اذ روي عنه عليه السلام انه قال : " لو ان السموات والارض وضعتا في كفة وايمان علي في كفة ، لرجح ايمان علي " ⁴ .

وحين برز عليه السلام في يوم الخندق قال صلى الله عليه وآله : " برز الايمان كله الى الشرك كله " ⁵ ، هكذا عبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن ايمان أمير المؤمنين عليه السلام في معادلات ترجيحية تجاوزت مديات التحديد بكل ما

١- ينظر: مالك: الموطأ 1 / 241. البخاري: الصحيح : 2/104. الكليني: الكافي : 2/13. الصدوق : التوحيد : ص331. ابن رشد: بداية المجتهد : 1/193. السبكي: فتاوي السبكي : 2/360. المرتضى : شرح الأزهار : 1 / 426. السيوطي: تنوير الحوالك : ص248.

٢- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 4 / 115 .

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 4 / 115 - 116.

٤- القاضي المغربي : شرح الاخبار : 2 / 322 . الطوسي : الامالي : ص 238 ، 575 - 576 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 42 / 341 . ابن البطريق : العمدة : ص 370 . الذهبي : ميزان الاعتدال : 3 / 494 . البحراني : حلية الابرار : 2 / 66 - 67 . المجلسي : البحار : 30 / 112 ، 31 / 133 ، 38 / 208 - 209 ، 40 / 119 ، 101 / 153 .

٥- الجاحظ : العثمانية : ص 324 ، 333 . الكراكي : كنز الفوائد : ص 137 . ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13 / 261 ، 285 ، 19 / 61 . ابن طاووس : الطرائف : ص 35 ، 60 . الديلمي : ارشاد القلوب : 2 / 244 . الدميري : حياة الحيوان : ص 387 . الحسيني : تأويل الآيات : 2 / 451 . المجلسي : البحار : 39 / 1 - 3 .

يتعامل به البشر من وحدات القياس ومعرفة المقادير ، فما هو وزن السموات والارض يا ترى ؟ ، وما معنى الايمان كله ؟ ، كل ذلك متروك لايحاءات اللغة واساليبها في صياغة دوالها على مدلولاتها ، ولكن هذه الصياغات النبوية تكشف عن حقيقة واحدة مؤداها ان هذا الرجل المتفرد في ميادين الحياة له السبق والعمق والرسوخ ، في دائرة اليقين والايمان بالله الواحد ، حتى انك شخصه في ايمانه كما هو الحال في صفاته الاخرى¹.

وان المتتبع لكلامه عليه السلام في نهج البلاغة ليقف على عبارات توصيفية تبرز ماهية ايمانه ويقينه وإن كانت لا تعدو بضعة اشارات قليلة في عددها ، ولكنها دقيقة في وصفها ، مكثفة في صياغتها ، حيث اوضحت لنا بعض مزايا هذا الجانب الاعتقادي النفيس في شخصية الامام أمير المؤمنين عليه السلام .

والملاحظ على كلام الامام عليه السلام عن هذه المفردة (ايمانه) ، وكما هو الحال في كل احاديثه و في أي موضوع من هذا النوع ، فان كلامه عليه السلام يتخذ عدة وجوه ويعالج عدة جوانب ، ومع قلة النصوص الا انه من الممكن تصنيفها تبعا للجوانب التي تناولها الامام عليه السلام مع مراعاة الايجاز اذ لا يتسع المجال لاطالة البحث فيها :

السبق الى الايمان : إذ يشير عليه السلام الى هذه الفضيلة التي أختص بها بقوله : " **وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ** " ² وايضا قوله عليه السلام : " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَوْلُ مَنْ أَنَابَ - وَسَمِعَ وَأَجَابَ - لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِالصَّلَاةِ** " ³

وكثيرا ما كان يفتخر عليه السلام بسابقته في الاسلام ومسارعتة للايمان بالله ونبيه الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، اذ نجده يقول : " انا اول من اسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " ⁴ وفي رواية ثانية عنه : " انزلت النبوة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

1- درويش : علي كما وصف نفسه : ص 41 - 42 .

2- نهج البلاغة : ص 94 .

3- نهج البلاغة : ص 247 .

4- الكوفي: المناقب : 1 / 275 . وينظر ابن الجعد: مسند : ص 87 . أبو جعفر الاسكافي: نقض العثمانية: ص 302.

المحاملي: امالي المحاملي: ص 222. الخطيب : تاريخ بغداد : 4/456. ابن المغازلي: المناقب: ص 33. ابن عساكر: تاريخ دمشق : 31/42. الخوارزمي: المناقب: ص 57. الحلبي: السيرة الحلبية: 1/445.

يوم الاثنين ، واسلمت غداة يوم الثلاثاء ، فكان النبي صلى الله عليه وآله يصلي وأنا أصلي عن يمينه ، وما معه احد من الرجال غيري " ¹

ولما كان التوحيد من ابرز معالم دين الله قد قرن ايمانه عليه السلام بالتوحيد الخالص فكان ايمانه **إيمان الموحدين** الذين بعد إيمانهم عن كل مظهر من مظاهر الشرك ، ومن اقواله الدالة على ذلك : " **اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ - وَلَمْ يَرِ مُسْتَحَقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ** " ² .

وقال في موضع آخر : " **وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مِّنْ رَّجَاهِ مُوقِنًا ... وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا** " ³ .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام في ايمانه العميق قد **بلغ اعلى درجات اليقين** حتى قال : " **وَإِنِّي لَعَلِّي يَقِينٌ مِّنْ رَبِّي وَغَيْرِ شُبُهَةٍ مِّنْ دِينِي** " ⁴ .

واليقين في اللغة : هو الادراك العميق ، والعلم بالحق ، مع العلم بانه لا يكون غيره ، وهو سكون النفس وتلج الصدر بما علم ⁵ . ويطلق في الاحاديث المأثورة على الحالة التي تحصل للانسان في اعلى درجات التقوى نتيجة لوضوح حقائق الوجود ⁶ .

وفي مقولته المأثورة : " **لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً** " ⁷ دليل على انه تسنم درجة الوصول الى اعلى درجات الايمان .

١- الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: 300/2. محمدیان: حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه: 21/1.

٢- نهج البلاغة : ص 171 .

٣- نهج البلاغة : ص 348 .

٤- نهج البلاغة : ص 50 .

٥- ابو هلال العسكري : الفروق اللغوية : ص 373 .

٦- الريشهري : القيادة في الاسلام : ص 283 .

٧ - الخوارزمي : المناقب : ص 375 . ابن شهر آشوب : المناقب : 1 / 317 . ابن عربي : الفتوحات المكية : 3 /

131 . ابن طاووس : الطرائف : ص 512 . الاربلي : كشف الغمة : 1 / 169 ، 289 . ابن جبر : نهج الايمان :

ص 269 . السبكي : طبقات الشافعية الكبرى : 6 / 61 . البياضي : الصراط المستقيم : 1 / 230 . القندوزي : ينابيع

المودة : 1 / 203 .

ولو لم يفصح عليه السلام بهذا البيان عن يقينه لوجدنا عليه الف دليل ودليل في كل حرف نطق به وفي كل حركة او سكنه في سلوكه ، وهو من عرف الايمان بقوله : " **الإيمانُ معرفةٌ بالقلبِ - وإقرارٌ باللسانِ وعملٌ بالأركانِ** " ^١ ، فما نطق أمير المؤمنين عليه السلام بحرف الا وملؤه اليقين والايمن ، ولا اقدم ولا احجم الا وكان في اقدمه واحجامة ما يدل على يقينه بربه والايمن بخالقه ^٢ .

ومن اوضح الدلالات على قوة ورسوخ يقينه ما كان يواجه به تلك العقبات التي لاقاها في مسيرته فكان شعاره الدائم انه على يقين من ربه ، ومن ذلك قوله واصفا مناوئيه :

" **وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ - وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ - لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينِ مِنْ رَبِّي - وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَأِقٌ - وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ** " ^٣ .

وهكذا كان عليه السلام يوصف ايمانه بانه **ايمان من عاين الغيوب** ، وبلغ حد اليقين ، فهو ايمان العارف الموقن ، اذ عرض في احدى مقطوعاته الرائعة التي كان يفتتح بها خطبته الى نوع ايمانه وكيفيته المستوعبة التي تطرد جميع ما يتعارض مع هذا الايمان ، او ما يتزاحم معه في نفس الانسان التي فطرت على طبيعة يمكن ان تضطم على المتناقضات ، وتتلاطم فيها المتخالفات ، اذ قال عليه السلام : " **الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ ... وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ - عَمَّا أَمَرَتْ بِهِ ... وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ مِنْ عَايِنِ الْغُيُوبِ - وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ - إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشَّرْكَ وَيَقِينُهُ الشُّكَّ** " ^٤

تنطوي الكلمات اعلاه على معاني جليلة تنبئ عن مقام خاص بامير المؤمنين عليه السلام ، وهو مقام اولياء الله واصفيائه ، الذي يكشف عن بعد معنوي تتميز به تلك الذوات العارفة ، هذا البعد ميز هذه الصفة من الناس وجعلهم نخبة مختارة من عباد الله او كما عبر عنهم عليه السلام بقوله : " **فَأَنَا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا** " ^٥ .

١- نهج البلاغة : ص 700 .

٢- درويش : علي كما وصف نفسه : ص 46 .

٣ - نهج البلاغة : ص 627 .

٤ - نهج البلاغة : ص 219 . وينظر : درويش : علي عليه السلام كما وصف نفسه : ص 44 - 45 .

٥- نهج البلاغة : ص 528 .

وقد كان عليه السلام سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك ببيان انه كان قد تسنم درجة الوصول والذي يحق اذا غاب العارف عن نفسه فلحظ جناب الحق حيث انه هو فقط وان لحظ نفسه من حيث هي لاحظة - لا من حيث هي متزينة بزينة الحق ، وقد وجد في كلامه و اشاراته ما يستلزم حصول هذه المرتبة ^١ .

وهكذا وصف أمير المؤمنين عليه السلام ايمانه ، انه من القوة والاستحكام التي ترقى الى ايمان المشاهدة ، وصدق تصديق من لاقى ما يوعد ، وكل ذلك مقرونا باخلاص لم يتسلل الى ساحته أي مظهر من مظاهر الشرك ، ويقين لم يمازجه أي لون من الوان الشك ^٢ .

ومن امثلة تلك المعاينة هي قوله عليه السلام : " أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوءَةِ - وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ (ص لى الله عليه وآله) - فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّئَةُ - فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ " ^٣

وذلك انه عليه السلام رأى بعين بصيرته الصور الالهية امثال الانوار البهية وفي ذلك دلالة على وصوله واتصاله بأرباب حظيرة القدس وقرب منزلته من تناول صورة الوحي وان صدق انه دون درجة النبوة ^٤ .

فالانسان حينما يتوفر على البصيرة العلمية ، ويرى الله في ضوء نور المعرفة ، ومن خلال ملاحظة اثاره الوجود يمكنه ببسر ان يعرف رسل الله الواقعيين على اساس نفس البصيرة العلمية وفي ضوء عين المعرفة ، ومن خلال ملاحظة آثار النبوة . غير ان الرؤية تبلغ في بعض الاحيان درجة من القوة . بحيث يشاهد الانسان نور النبوة في شخص الرسول بواسطة الرؤية القلبية كما في كلام الامام عليه السلام اعلاه ، ومثل هذه المعرفة تدعى " المعرفة القلبية والكشف والشهود الباطني " ^٥ .

١- ابن ميثم : شرح مئة كلمة : ص 219 .

٢- درويش : علي عليه السلام كما وصف نفسه : ص 45 .

٣ - نهج البلاغة : ص 406 .

٤- ابن ميثم : شرح مئة كلمة : ص 221 .

٥- الريشهري : ميزان الحكمة : 4 / 3191 .

ويرى الغزالي ان افضل طرق معرفة انبياء الله واكثرها قطعية هو المعرفة القلبية والكشف والشهود الباطني^١ ، وهو كذلك ، فالشخص الذي يرى من خلال بصيرته القلبية ، ويلاحظ نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله بطريقة علوية ، فهو مضافا الى استغنائه عن أي دليل لاثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله يبلغ ارقى درجات المعرفة والبصيرة^٢ .

وقد شهد النبي الاعظم صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام بهذا مقام يسمو فوق كل الكمالات ليبلغ درجة الوصول التام ويكون في قمة المعرفة اذ قال له : " **إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى - إِلَّا أَنْكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ** " ^٣

فالنبي صلى الله عليه وآله كان له اتصال بالحق تعالى والوصول التام ، وكان ذلك الاتصال حاصلًا للامام أمير المؤمنين عليه السلام وان كان دون درجة النبوة .

ومن دلالات معانيته للغيوب عليه السلام ، اشارته برؤيته للملائكة كما في حادثة تغسيله لجثمان النبي الاعظم صلى الله عليه وآله اذ يقول عليه السلام : " **وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي - فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ - مَا لَمْ يَهْبِطْ وَمَا لَمْ يَعْزُجْ - وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْئَةً مِنْهُمْ - يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْبِهِ** " ^٤

هكذا كانت كلماته عليه السلام - وان كانت موجزة وقليلة كما - الا انها غنية مضمونا، وان كنا قد تعرضنا لها بايجاز تطلبه مقام البحث ، الا انها كشفت عن عمق هذا الايمان ورسوخه ، انه ايمان من عاين الغيوب وبلغ حد اليقين فكان في قمة ايمان العارفين الموحدين الموقنين.

وما ان بزغ نور الاسلام حتى كان أمير المؤمنين عليه السلام اول من اعتنقه وآمن به ، اذ يقول عليه السلام : " **وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ** " ^٥ ، وفي موضع آخر يقول عليه السلام : " **إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ** " ^٦ ، وكثيرا ما ما نجده يفتخر بسابقتها في الاسلام ومسارعتها للايمان بالله ونبيه الاعظم صلى الله عليه وآله .

١- المنقذ من الضلال : ص 110-114.

٢- الريشهري : ميزان الحكمة : 4 / 3192 .

٣ - نهج البلاغة : ص 406 .

٤ - نهج البلاغة : ص 422.

٥- نهج البلاغة : ص 94.

وقد ولد مسلماً ، لأنه عليه السلام من معدن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مولدا ونشأة ، ومن ذاته خلقا وفطرة ، ثم ان الظرف الذي اعلن فيه عما يكمن في كيانه من روح الاسلام ، ومن حقيقته لم يكن شيئا من ظروف الآخرين ، ولم يرتبط بموجبات العمر ، لان اسلام الامام علي عليه السلام كان اعمق من ضرورة الارتباط بالظروف ، اذ كان جاريا من روحه كما تجري الاشياء من معادنها والمياه من ينابيعها ^٢ . ومع ان الروايات لم تتفق على سنة يوم اسلامه ، وظهرت فيها نزعات مختلفة ، ولكن من مجموعها يستطيع الباحث ان يجزم بانه كان في مطلع شبابه ^٣ . إذ ملأ الدين الجديد قلبا لم ينازعه فيه منازع من عقيدة سابقة ، ولم يخالطه شوب يكدر صفاءه ، فبحق ما يقال: ان عليا عليه السلام كان المسلم الخالص على سجيته المثلى ، وان الدين الجديد لم يعرف قط احد اصدق اسلاما ولا اعمق نفاذا منه ^٤ . ولكن بعض الشائنين له عليه السلام وكما هو دينهم مع فضائله عليه السلام لم يرق لهم التسليم بسبقه بالاسلام دون ان ينتقصوا من هذا السبق ، فمنهم من عد إسلامه عليه السلام إسلام تقليد ومحاكاة لانه اسلم في عمر الصبا ^٥ ، ومنهم من وضع تصنيف من عند نفسه ليجعل أسبقية الامام عليه السلام لا تعدو الصبيان ، فقال : أول من اسلم من النساء خديجة ، ومن الصبيان علي عليه السلام ومن الموالى زيد ، ومن العبيد بلال ، ومن الرجال ابو بكر ^٦ .

وللاميني ^٧ التفاتة طيبة حول مسألة القول بسبقه عليه السلام في الاسلام : " ومتى كفر أمير المؤمنين حتى يسلم ؟ ومتى اشرك بالله حتى يؤمن ؟ وقد انعقدت نطفته على الحنيفية البيضاء ، واحتضنه حجر الرسالة ، وغذته يد النبوة ، وهذبه الخلق النبوي العظيم ، فلم يزل مقتصا اثر الرسول قبل ان يصدع بالدين الحنيف وبعده ، فلم يكن له هوى غير هواه ، ولا نزعة غير نزعته ... ان المراد من اسلامه وايمانه واوليته فيهما وسبقه الى النبي في الاسلام هو المعنى المراد من قوله تعالى عن ابراهيم ﴿ وَأَنَا أَوْلُ

١- نهج البلاغة: ص 408 .

٢- جورج جرداق : الامام علي عليه السلام صوت العدالة الانسانية : 52/1 .

٣- هاشم معروف الحسني: سيرة الائمة الاثني عشر: 149/1 .

٤- العقاد : عبقرية الامام : ص 45 .

٥- الحسني : سيرة الائمة : 1 / 148 - 149 .

٦- الثعلبي: الكشف والبيان: 85/5 . البغوي: معالم التنزيل: 322/2 . عبد الله بن قدامة : المغني : 89/10 . الشهروري:

مقدمة ابن الصلاح : ص 179 . القرطبي: الجامع : 237/8 . ابن حجر: الاصابة : 84/1 . الحلبي: السيرة الحلبية:

444/1 .

٧- الغدير : 3 / 239 .

المُسْلِمِينَ ^١ ، وفيما قال سبحانه عنه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^٢ ، وفيما قال سبحانه عن موسى عليه السلام : ﴿ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^٣ ، وفيما قال تعالى عن نبيه العظيم ﴿ أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ^٤ ، وفي قوله: ﴿ أَمَرْتُ أَنْ أَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^٥ .

" وهل يدل تأمل حال الامام عليه السلام مع الانصاف الا على انه اسلم ، لانه شاهد الاعلام ، ورأى المعجزات ، وشم ريح النبوة ، ورأى نور الرسالة، وثبت اليقين في قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح ، لا بتقليد ولا حمية ، ولا رغبة ولا رهبة ، الا فيما يتعلق بامور الآخرة " ^٦ .

ثالثا: المستوى الفكري او العلمي :

اما علاقة الامام عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وفق هذا المستوى فسيأتي الحديث فيه بشيء من التفصيل في الفصل الخامس ^٧ .

وعوداً على بدء يمكن القول انه : حسبنا التأمل في كلماته عليه السلام ، وهو يتحدث واصفا النبي صلى الله عليه وآله بالصفات التي لم يصفه بها احد من الخلق كما وصفه بها هو عليه السلام ، والتي تنبئ عن معرفة واجلال عز نظيرهما لشخص النبي صلى الله عليه وآله ومنها قوله في رثائه صلى الله عليه وآله عند تغسيله : " يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ ، مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْإِنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ ، خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءً ، وَلَوْ لَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ

١- سورة الأنعام الآية 163.

٢- سورة البقرة الآية 131 .

٣- سورة الأعراف الآية 143.

٤- سورة البقرة الآية 285 .

٥- سورة غافر الآية 66.

٦- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13 / 246 .

٧ - ينظر ص 411 - 416

، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤْنِ ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا ، وَقَلَّا لَكَ وَلِكِنَّهُ مَا لَا يُمَلِّكَ رَدَّهُ ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ " ١

وقد اثرت مصيبة فقده عليه السلام على أمير المؤمنين عليه السلام اشد تأثير حتى انه ترك الخضاب ، وقد قيل له : " لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْخِضَابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ " قال الشريف الرضي موضحا يريد برسول الله صلى الله عليه وآله . ٢

ومنها قوله عليه السلام وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وآله شارحا صفاته :

" اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوتَاتِ وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ ، وَجَابِلِ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيهَا وَسَعِيدِهَا ، اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ ، وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالِدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ ، وَالِدَّامِعِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِرًا فِي مَرْضَاتِكَ ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنِ قُدَمٍ وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ ، وَاعِيًا لَوْحِيكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ ، مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَاطِطِ ، وَهَدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنِيَّاتِ الْأَحْكَامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبِعَيْتِكَ بِالْحَقِّ ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ " ٣ .

وقوله في الدعاء له عليه السلام برفع درجاته " اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ ، اللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمِ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ ، وَاجْزِهِ مِنْ ابْتِعَاتِكَ لَهُ مَقْبُولِ الشَّهَادَةِ ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَخُطْبَةٍ فَصْلِ ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النِّعْمَةِ ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ وَأَهْوَاءِ اللَّذَاتِ وَرِخَاءِ الدَّعَةِ ، وَمُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ وَتَحْفِ الْكِرَامَةِ " ٤

١ - نهج البلاغة : ص 486 .

٢ - نهج البلاغة : ص 756 .

٣ - نهج البلاغة : ص 106- 108 .

٤ - نهج البلاغة : ص 108 - 109 .

الفصل الثاني

بيئته النبي ﷺ والدروسه

المبحث الاول: الجانب الجغرافي والاقتصادي

المبحث الثاني: الجانب السياسي والاجتماعي

المبحث الثالث: الجانب الديني

الفصل الثاني

بيئة النبي
صلوات الله
وسلامه

تمهيداً

تعد البيئة من العوامل الرئيسية التي تلعب دوراً هاماً في تكوين شخصية الفرد وتحديد مسار نموه، وتتنوع البيئات التي يحدث فيها ذلك التكوين والنمو الانساني، وأول هذه البيئات هي البيئة التي تحتضن الفرد وهو لا يزال جنيناً في أحشاء امه، اذ لها آثار واضحة اثبتها العلم الحديث. ومن ثم يأتي دور البيئة الأسرية التي ينشأ في كنفها الطفل بعد ولادته. اما البيئة الاوسع فهي البيئة الاجتماعية التي تساعد على تشرب عادات الجماعة وتمثلها، وامتصاص معاييرها وتقاليدها، وتوفر له الانتماء القوي للمجتمع، وتعمل على اشباع حاجاته النفسية في جو من التفاعل الاجتماعي، إن الآثار تكون سلبية او ايجابية في تكوين الشخصيات تبعاً لطبيعة تلك البيئة المحيطة بالفرد.¹

وللبينة الطبيعية (الجغرافية) أثرها ايضاً في نمو الفرد وتكوين شخصيته². كما اكد العلماء على اهمية (الموقف والمحيط) في تحديد الشخصية، فسلوك الفرد هو عملية ديناميكية حيوية مكونة من تفاعل المحيط والفرد. فالمحيط يؤثر في سلوك الفرد، والفرد يعيد تأثيره على المحيط بالتبادل.³

وأمام هذه النقاط الهامة التي تشكل حصيلة تجارب علمية و أبحاث ودراسات جادة ادلى بها المختصون في مجال أثر وتأثر الشخصية بالمحيط نضع في البدء ثمة تساؤلات هامة:

1- ابو جادو: علم النفس التربوي: ص71- 72.

2- ابو جادو: علم النفس التربوي: ص71.

3- لمزيد من التفاصيل ينظر: الرحو: اساسيات في علم النفس: ص320 - 324.

1- ما مدى أثر البيئة (بانواعها المذكورة اعلاه في تكوين شخصية " محمد " النبي الخاتم وسيد الخلق اجمعين ﷺ .

2- هل كانت شخصية النبي ﷺ كباقي الشخصيات الانسانية تتأثر بالموثرات البيئية؟

3- ما مديات التفاعل بين شخصية النبي ﷺ وبيئته التي احتضنته وأيهما كان الأكثر أثراً في الآخر؟

تتطلب الاجابة على هذه التساؤلات عدة خطوات هامة تحدد مسار البحث للتوصل الى نتائج قريبة للواقع وفق ما قدمه الامام امير المؤمنين ﷺ من نصوص يمكن الاستدلال بها.

أولى هذه الخطوات الوقوف عند شخصية النبي الخاتم ﷺ واستجلاء ابعاد هذه الشخصية ، وهل يمكن ان تقاس بمن سواها من بني البشر؟ ام لها ميزات اختلفت بها؟ ومن ثم البحث عن مصاديق لأثر البيئة (بكافة اقسامها) في تكوين شخصية النبي ﷺ ووفق ما ورد في كلام الامام امير المؤمنين ﷺ .

فأما عن شخصية النبي الاعظم ﷺ فهي من الذوات المعّدة إلهياً، أي ان للسماء عنايق خاصة بها، ويدلنا على ذلك مثلاً قضية الاصطفاء التي خُص بها بعض العباد من الانبياء والاولياء وفي طليعتهم النبي ﷺ وهو " الْمَجْتَبَى مِنْ خَلْقِهِ ... وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ ، وَالْمُصْطَفَى لِكِرَامِ رِسَالَاتِهِ " .
ولبيان خصوصية اصطفائه قال الامام ﷺ : " وَقَدَّمَهُ فِي الْإِصْطِفَاءِ " .^٢ لانه جعله " وَمُهَيِّمًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ " .^٣ و " وَسَيِّدُ عِبَادِهِ " .^٤ وأمثال هكذا شخصيات ، وبالأخص شخصية النبي الخاتم ﷺ

التي أعدت لمهمة عالمية تحمل رسالة الله الى عباده لا يمكن ان تقاس في مكوناتها وصفاتها وأثارها بباقي البشر ويكفيها قول الامام امير المؤمنين ﷺ عن خصوصية محمد وأهل بيته ﷺ إذ يقول: " لَا يُقَاسُ بِأَلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ " ، ويمكن تعميم هذه الحقيقة على كافة الابعاد والجزئيات المنطوية عليها شخوصهم القدسية.

١- نهج البلاغة ص342.

٢- نهج البلاغة :ص 447 .

٣- نهج البلاغة :ص626 .

٤- نهج البلاغة: ص447 .

٥- نهج البلاغة : ص25 .

والقول اعلاه يلزمنا التوقف عن البحث و إطالة الكلام حول شخصية النبي الأعظم ﷺ في هذا الجانب ما دامت متسامية عن القياس بمن سواه من البشر.

اما عن أثر البيئة في تكوين هذه الشخصية ، فبالنسبة لأثر البيئة الأولى حين كان جنيناً فليس لدينا معلومات يمكن ان نستشفها من كلام الامام ﷺ ، عدا ما أشار اليه بشيء من التعميم عن طهارة الارحام والاصلاب التي احتضنته مثل قوله " مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا ، وَمَنْبُتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ " ^١.

وسوف يأتي الحديث عنها تفصيلا في الفصل التالي ^٢ فان الله اختار له أكرم واطهر الارحام والاصلاب لتناقله.

وفيما يخص البيئة الأسرية فمن المعلوم تاريخيا انه ﷺ نشأ يتيم الاب ، فحظى برعاية أمه السيدة أمنة بنت وهب ﷺ ^٣ ، وجده عبد المطلب بن هاشم ﷺ ذاك الذي كان سيد قومه ، ذو السجايا الرفيعة والمحامد الكريمة ^٤ ، ومن بعد وفاته انتقل الى كنف عمه ابي طالب ﷺ وزوجته السيدة فاطمة بنت اسد ﷺ ، إلا أنه لا نجد في نصوص نهج البلاغة إشارة من الامام امير المؤمنين ﷺ الى هذه المرحلة من حياة النبي ﷺ .

وسيختص حديثنا عن البيئة الاوسع التي عاش في كنفها النبي الاعظم ﷺ ، اذ وردت في مظان كلامه ﷺ معلومات شتى، يمكن على اساسه ا دراسة هذه البيئة من أوجه عدة (جغرافيا واقتصاديا ، ودينيا ، وسياسياً و اجتماعيا).

ويبقى التساؤل الهام والجدير بالاجابة : هل لبيئة النبي ﷺ أثر على تكوين شخصيته ؟ وما مدى هذا الأثر؟ وهل أثر النبي ﷺ في بيئته المحيطة به ؟ وأيها كان الاشد تأثيرا ؟

١- نهج البلاغة ص178.

٢- ينظر ص 231 - 259

٣- عن السيدة أمنة بنت وهب ينظر: ايمان حسن الساعدي: والدا النبي محمد ﷺ : ص19 - 21.

٤- عن عبد المطلب وسيرته ينظر علي كريم القرشي : آل عبد المطلب واثرم في الحياة العامة حتى نهاية العصر

الراشدي : ص 10 - 95 .

ان شخصية لشخصية النبي العظيم ﷺ وكما مرت الاشارة لا يمكن قبول أي أثر أرضي في تكوينها ما دامت السماء قد تعاهدته ، وخلق الله من نوره ، واختاره نبياً وآدم بين الماء والطين^١ ، ونقله من الاصلاب الشامخة الى الارحام المطهرة عبر توالي القرون حتى اودعه في افضل مستودع^٢ ، وما ان خرج وليداً الى الحياة " كريماً ميلاده " حتى قرن به ملكاً من اعظم ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن اخلاق العالم^٣ ، لم يتركه لحظة وقد عرف منذ صغره بصفات الكمال الخلفي ، كالصدق ، والامانة ، والنجدة ، والكرم ، والشجاعة وغيرها . هذا من جانب ، ومن جانب آخر لو تأملنا في البيئة التي كانت تحيط به ، لبرزت لنا سمات غاية في التدني وعلى كافة المستويات - كما سيتبين من خلال البحث - ويمكن ان يتسم الطابع العام بغلبة الجانب السلبي على النادر من الايجابيات التي عرف بها هذا المجتمع.

إذن يمكن القول بعدم وجود أي أثر لهذه البيئة في تكوين هكذا شخصية عظيمة صاغتها العناية الربانية.

وبالمقابل نجد أثر النبي ﷺ كان عظيماً في بيئته ولا تحده حدود ، ففي هكذا بيئة متردية نشأ وترعرع ، وخط مساراً اخلاقياً عالياً قبل ان يكلف بالدعوة الى دين الله ويجاهر بها ، وإذا به قد بُعث بأصول وآداب ومعارف ، تضاد ما كان سائداً في تلك البيئة " فلو كان هو في تعاليمه مستمداً من بيئته ، لكان قد تأثر بها ولو في بعض هذه التقاليد " . وهذا التأثير كان بشخصيته وما تحمل من مزايا وبرسالته السماوية ، اذ كونه اتحاداً انصهرت ذاته في رسالته فكان انموذجاً إلهياً على الارض.

ونجد في نصوص النهج اشارات كثيرة عن الحالة التي كان عليها المجتمع قبل بعثته ﷺ ، وقد يفهم من تلك النصوص تركيزاً منه ﷺ على بيان الوضع الذي كانوا عليه وما آلت إليه أمورهم في ظل

١- الفخر الرازي: مفاتيح الغيب 6/213. ابن عربي: تفسير ابن عربي 1/417. الأيجي: المواقف 3/340.

٢- نهج البلاغة : ص175.

٣- نهج البلاغة : ص21.

٤- نهج البلاغة : ص406.

٥- جعفر سبحاني : محاضرات في الالهيات : ص 300.

الاسلام ف " من خلال معرفة هذا التاريخ وسماته يستطيع المتلقي إدراك الاهمية الحقيقية لمجيء الاسلام ، ومن ثم تعيين المستوى الثقافي والحضاري الذي جاء به هذا الدين الجديد" ¹ .

إن من بين أهم المؤثرات البيئية التي تؤثر في الشخصية هو النسق الثقافي (culture – pattern) بما فيه من قيم وآمال ومعتقدات وعادات راسخة تنظم المجتمع الذي يحيا فيه الفرد . والدليل على اهمية هذا العامل هو ما جاء به علماء الانثروبولوجيا الذي يعنون بالدراسات الاجتماعية ، الذين اهتموا بدراسة الطريقة التي تشجع الانساق الثقافية المختلفة ونمو الاتجاهات والاستعدادات المتباينة فيها . إذ إن ثقافة المجتمع تعيش فينا كما نعيش فيها ، ويمكن لشخصياتنا ان تكون المرآة التي تتعكس عليها صورة هذه الثقافة ، حتى قيل ان الشخصية هي المظهر الذاتي للثقافة . ومع ذلك لا يمكن اغفال اثر العوامل الاخرى ² .

ولكن لا نجد أثراً واضحاً لذلك في شخصية النبي ﷺ ، لكن العكس هو ما حصل ، إذ ترك وجوده المبارك تأثيراً عظيماً في من حوله، ويتضح ذلك جلياً من خلال أثر رسالته السماوية، وما أحدثته من تغيير جذري شامل في المجتمع الجاهلي الذي انطلقت بين ثناياه ، ومن أبرز سمات وخصائص الرسالة الاسلامية التي حملها النبي ﷺ : " انها جاءت بنمط فريد من الثقافات الالهية عن الله سبحانه وتعالى ، وصفاته ، وعلمه ، وقدرته ، ونوع العلاقات بينه وبين الانسان ، ودور الانبياء في هداية البشرية ، ووحدرة رسالتهم ، وما تميزوا به من قيم ، ومثل ، وسنن الله تعالى مع انبيائه ، والصراع المستمر بين الحق والباطل ، والعدل والظلم ، والارتباط الوثيق لرسالات السماء بالمظلومين ، والمضطهدين ، وتناقضها المستمر مع اصحاب المصالح والامتيازات غير المشروعة ، وهذه الثقافة الالهية لم تكن اكبر من الوضع الفكري والديني لمجتمع وثني منغمس في عبادة الاصنام فحسب ، بل كانت اكبر من كل الثقافات الدينية التي عرفها العالم يومئذ ، حتى ان المقارنة تبرز بوضوح ، انها جاءت لتصحيح ما في تلك الثقافات من اخطاء ، وتعديل ما اصابها من انحراف ، وتعيدها الى حكم الفطرة والعقل السليم " ³ .

١- عبد الرحمن الوائلي: جدلية العلاقة بين العقل والتجربة الاجتماعية: ص 59.

٢- الرحو: اساسيات في علم النفس: ص 292 .

٣- محمد باقر الصدر: المرسل والرسول والرسالة : ص 66 - 67 .

فالامام امير المؤمنين ﷺ اهتم باستعراض تلك الاوضاع المتردية التي صبغت بيئة النبي ﷺ من اجل ابراز اثره ﷺ ، فيما بعد في تغيير تلك الاوضاع.

ومثال على ذلك نجد هـ ﷺ يستعرض احوال قريش وثقافتهم ومواجهتهم لرسول الله ﷺ في معرض حديثه عن جزء من تاريخه هو مع النبي ﷺ ليوظف هذا التاريخ في عملية بناء الوعي التاريخي والحث على الاستفادة منه والاعتبار بحوادثه بعد استيعابها على حقيقتها ومعرفة كل العوامل المشتركة في تكوينها ثم اندراجها كتجربة تاريخية تستحق التوقف عندها والتزود من دروسها ^١ . ومثل ذلك ما جاء في وصفه الدقيق للحال التي كانوا عليها فيقول ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُمٍّ ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ ، وَتَسْنَفُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقَطُّعُونَ أَرْحَامَكُمْ ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ " ^٢ .

ففي هذا النص الشامل والموجز الدقيق يصف الامام ﷺ حالهم لان الموقف كان يستدعي ذلك فهو يتحدث عن تأريخهم وضمن مقطع زمني هو الفترة التي سبقت البعثة ، إذ كانت الثقافة السائدة هي ثقافة الحجارة التي ضربت طوقاً فكرياً " ديموغاجيا " على العرب في تلك العصور فجعلتهم من الامم المنسية والمهملة - لا سيما وهم يقعون بين حضارتين كبيرتين كانتا تحيطانهم في ذلك الوقت ، وهما دولة الفرس ودولة الروم ، إذ يبدو التخلف العربي آنذاك كبيراً، ثم من الله على هذه الامة بالنبي الاعظم ﷺ الذي اخرجها من الظلمات الى النور، وسلمها المشعل الذي قدره الله لها لتتير به العالم وتقوده الى بر الامان في ظل رسالة شاملة متكاملة هي الرسالة الاسلامية ^٣ .

وتجدر الاشارة الى ان هذه الامة على تلك الحال وتلك الاوصاف ، تحولت الى امة عالم يتقارست قواعد الحضارة الانسانية في مدة قصيرة ، ولم يتحقق ذلك الا في ظل العناية الالهية والامدادات الغيبية ^٤ ، وهذا ما اشارت اليه السيدة فاطمة ؑ في خطبتها الغراء:

١- الوائلي : جدلية العلاقة: ص 63 .

٢- نهج البلاغة : ص56.

٣- الوائلي: جدلية العلاقة: ص 64 .

٤- سبحاني : محاضرات: ص 302 - 303 .

" ابْتَعَثَهُ اللهُ إِتْمَاماً لِأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفَاذاً لِمَقَادِيرِ حَتْمِهِ، فَرَأَى الْأُمَّمَ فِرْقاً فِي أَدْيَانِهَا، عَكْفاً عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا، مُنْكَرَةً لِلَّهِ مَعَ عِزْفَانِهَا، فَأَنَارَ اللهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ظُلْمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا، وَجَلَا عَنِ الْأَبْصَارِ عَمَهَا، وَعَنِ الْأَنْفُسِ غَمَمَهَا، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهُدَايَةِ، فَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ"^١.

ان الامام امير المؤمنين ﷺ رغم انه كان يعي تماماً قيمة هذا الحدث الكبير الذي غير مجرى التاريخ لكنه يريد لمستمعيه ان يعوا هذا الامر ومن ثم يعوا من خلاله دورهم الذي يتوجب عليهم القيام به ، وكل ذلك اراده الامام من خلال استدعائه للحدث التاريخي وللتجربة التاريخية التي كان يتوخى تنمية الوعي التاريخي من خلالها. ولعل هذا النمط من الاستدعاء للتجربة الاجتماعية التاريخية هو الذي يولد ما اصطلح عليه في الفكر الحديث بـ " التحيز الثقافي " الذي يشير الى تغليب بعض القيم والمعتقدات المشتركة في المجتمع الواحد على غيرها، فالامام ﷺ اراد ان يوج هالذهن العربي في ذلك الوقت الى قيمة ما يملكون من افكار جديدة جاء بها الاسلام العظيم ، ولم يجد طريقة لتوضيح هذا الامر غير عرض النقيض الذي كان يسبق هذا التحول التاريخي الخطير، وبأضدادها تعرف الاشياء كما هو معروف، ف جاء تفصيله للاحوال التي سبقت الرسالة تفصيلاً دقيقاً وهاماً^٢.

١- الطبرسي: الاحتجاج 1/133، الشامي: الدر النظيم ص468.

٢- ينظر الوائلي : جدلية العلاقة : ص 64 - 65 .

المبحث الاول

الجانب الجغرافي والاقتصادي

اولاً: الجانب الجغرافي

المعلوم أن النبي محمد ﷺ قد عاش حياته في كنف بيئتين (مكة والمدينة) ؛ إذ كانت مكة المكرمة محل ولادته ونشأته " مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ " ^١ التي عاش فيها ثلاث وخمسون سنة ، واما يثرب التي سميت بمدينة الرسول ﷺ واختصارا المدينة المنورة ، التي اضطر الى الهجرة اليها ، وامضى السنوات العشر الاخيرة من حياته الشريفة في نشر مبادئ الدين الاسلامي حتى وفاته فيها ، يقول الامام عليم : " وَهَجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ ، وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ " ^٢.

تعد مكة والمدينة من إقليم الحجاز الذي يعد جزءاً من شبه الجزيرة العربية ، التي تقع في اقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا ، وتعد من حيث المساحة اكبر شبه جزيرة في العالم ^٣. ويطلق العرب عليها تجوزا اسم (جزيرة العرب) ^٤ ؛ لان البحار والانهار تحيط بها من جميع جهات ها ، فيحدها من الشرق الخليج العربي ، ومن الجنوب البحر العربي ، أما من الغرب فيحدها البحر الاحمر (القلزم) ، ويكمل الفرات الحد الشرقي ، ومن الشمال الشرقي بلاد الشام والبادية التي تمتد بين العراق والشام ، أما بادية سيناء فنخلت كلها في حدود جزيرة العرب بإدخال نهر النيل ليكمل الحد الغربي ويصب في البحر المتوسط (بحر الروم) الذي يمثل الحد الشمالي الغربي ^٥.

١- نهج البلاغة : ص 302 .

٢- نهج البلاغة : ص302.

٣- فورترز هومل: التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية : ص55-56 . جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 1/ 110 . الملاح: الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام : ص 15.

٤- البلاذري: أنساب الأشراف 409/10. وكيع: أخبار القضاة 97/2، ابن الفقيه الهمداني: مختصر البلدان ص 86، الهمداني: صفة جزيرة العرب: ص39. ياقوت الحموي: معجم البلدان: 11/1، 263. الالوسي: بلوغ الارب: 1/186.

٥- الهمداني: صفة جزيرة العرب: ص39-40. الشريف: مكة والمدينة: ص13.

وهناك من يطلق على بلاد العرب اسم (شبه الجزيرة العربية) بإخراج بادية الشام وشبه جزيرة سيناء منها ، إلا ان طبيعة الارض الجيولوجية تحتم ضمها ، لانهما تمثلان اجزاء هامة لا يمكن فصلها عن الطبيعة الصحراوية لسائر بلاد العرب ¹.

ان نهر الفرات لا يمكن ان يكون حدا لشبه جزيرة العرب لذا وصف بانه خط وهمي ، وعلى الرغم من احاطة البحار بها الا انه لم يستطع الجو البحري التغلب على جفافها فلم يخفف من حدة الحرارة فيها ، فان الابخرة المتصاعدة من البحر لا تكاد تصل الى اواسط الجزيرة العربية ، اذ ان رياح السمائم الشديدة الحر تقاومها مقاومة شديدة وتمنعها في الغالب من الوصول الى وسط شبه الجزيرة ².

تعد شبه جزيرة العرب من جملة الاراضي التي تقل بها الانهار والبحيرات ، إذ ليس فيها نهر واحد بالمعنى المعروف من الانهار ³ كما هو الحال في نهر دجلة والفرات والنيل ، بل ان فيها انهار صغيرة ، فضلا عن غلبة الجفاف ، وقلة سقوط الامطار ، لذلك غدت اكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان ، غير انها كثيرة الاودية تغطي عليها السيول عند سقوط الامطار ⁴.

لقد استمدت شبه الجزيرة العربية اسمها من اسم الاقوام الذين كانوا يعيشون فيها وهم العرب ⁵ ، فذكر الهمداني إنها: " تسمى جزيرة العرب ، لان اللسان العربي في كلها شائع " ⁶ ، ولا ريب ان كلام الهمداني

يصح على الحقبة الاسلامية والمدة التي سبقت الاسلام بقليل ، اما قبل ذلك فلم تكن وحدة اللغة هي السبب في ظهور التسمية وانما طبيعة حياة السكان من الاعراب التي اتسمت بالنباوة ⁷.

١- جواد علي: المفصل: 1 / 112. فيليب حتي: تاريخ العرب ص 17. الشريف: مكة والمدينة ص 14. عرفة محمود: العرب قبل الاسلام : ص 17.

٢- جواد علي: المفصل 1/110. حتي: تاريخ العرب ص 9. الشريف: مكة والمدينة ص 19. محمود: العرب قبل الإسلام ص 20.

٣- الاصطخري: المسالك والممالك ص 21.

٤- حتي: تاريخ العرب ص 31 .

٥- الملاح : الوسيط : ص 17.

٦- صفة جزيرة العرب : ص 39 .

٧- الملاح: الوسيط: ص 18.

وهنا يمكن ان يصح اطلاق كلمة الامام بقوله " مَعَشَرَ الْعَرَبِ " ^١ على كافة اجزاء الجزيرة العربية لتكون الصفات التي ذكرها محل انطباق على ارض الجزيرة بشكل عام ألا وهي قوله " وَأَنْتُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ ، وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةِ حُثْنٍ ، وَحَيَاتٍ صُمٌّ " ^٢. كما سنقف على بيانه فيما يأتي من البحث .

لقد وردت معلومات في خطب الامام ﷺ وكلماته يمكن من خلالها تصور الواقع الجغرافي على مستوى التضاريس والمناخ لشبه الجزيرة العربية آنذاك وما يحيط بها . فقد وردت الإشارة إلى الأقاليم السبعة ^٣، وإقليم الحجاز ^٤، الذي يضم مكة ^٥ والمدينة ^٦ وما بينهما ، كالعرج ^٧ وفدك ^٨ والقليب ^٩، ^٩، ومنعرج اللوى ^{١٠} .

ووردت الإشارة إلى اليمن ^{١١}، والبحرين ^{١٢} ومنها مدينة هجر ^{١٣}، واليمامة ^{١٤}. وإقليم العراق ^{١٥}، وذكر من

مدنه البصرة ^١ والكوفة ^٢. فقد أشار إليهما مرة بالمصريين ^٣، وورد ذكر قرقيسيا ^٤ .

- ١- نهج البلاغة : ص56.
- ٢- نهج البلاغة : ص56.
- ٣- نهج البلاغة : ص 473.
- ٤- نهج البلاغة : ص66 ، 567، 574.
- ٥- نهج البلاغة : ص302، 637.
- ٦- نهج البلاغة : ص302.
- ٧- نهج البلاغة : ص487.
- ٨- نهج البلاغة : ص573.
- ٩- نهج البلاغة : ص407.
- ١٠- نهج البلاغة : ص75.
- ١١- نهج البلاغة : ص55، 610، 644.
- ١٢- نهج البلاغة : ص569.
- ١٣- نهج البلاغة : ص526.
- ١٤- نهج البلاغة : ص574.
- ١٥- نهج البلاغة : ص66 ، 105 ، 402 ، 511 .

ومن الأنهار أشار إلى نهر دجلة ° وورد ذكر بحر العراق ٦ ، والنهر الذي وقعت قربه معركة النهروان ٧ . و إقليم الشام ٨ ، وإقليم مصر ٩ ، والمغرب ١٠ .

إن الذي يهمننا هنا هو ما يتعلق بإشارات الامام ﷺ الخاصة ببئة النبي ﷺ وهو إقليم الحجاز الذي يضم مكة والمدينة وما حولهما. فالإمام يختصر تلك البئة بقوله : " مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ ، وَهَجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ ، وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ " ١١ .

مع ملاحظة مهمة لا بد من التنويه اليها هنا :

يجب علينا الاخذ بنظر الاعتبار ، ونحن رقبس تلك الاشارات المتعلقة بالجانب الجغرافي ، إن هذه الاشارات ، التي تجمعت لندنيا ؛ انما هي متفرقات في خطبه المتعددة ولم ترد في خطبه واحدة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ان تلك الخطب يرجح احتمال انه ألقاها ﷺ بعد توليه الخلافة ١٢ ، أي بعد توسع رقعة الدولة الاسلامية ، من هنا تنوعت انتماءات المتلقين - المخاطبين - بهذه الكلمات . أي لم يقتصر انتمائهم المناطقي على مكة والمدينة ، وبما ان الإمام ﷺ وجه خطابه للجميع ، وخاطبهم بصيغة المجموع ، فهذا يطرح امامنا عتبة لا يمكن تجاوزها دون الوقوف عندها قليلا : وهي ان الاوصاف التضاريسية الواردة في خطب الامام ﷺ التي يمكن انطباقها على بيئة النبي ﷺ - سيما

١- نهج البلاغة : ص 328، 512، 572.

٢- نهج البلاغة : ص 54 ، 85 ، 180 ، 187 ، 188 ، 257 ، 495.

٣- نهج البلاغة : ص 631 .

٤- نهج البلاغة : ص 625 .

٥- نهج البلاغة : ص 86 .

٦- نهج البلاغة : ص 402 .

٧- نهج البلاغة : ص 75 .

٨- نهج البلاغة : ص 81 ، 92 ، 104 ، 134 ، 180 ، 187 ، 199 ، 257 ، 511 ، 557 ، 569 ، 619 ، 621 .

٩- نهج البلاغة : ص 103 ، 559 ، 589 .

١٠- نهج البلاغة : ص 557 . ولم يتضح ما المقصود بالمغرب هنا .

١١- نهج البلاغة : ص 302

12- على سبيل المثال: مثلا قوله ﷺ : " وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ ... " اذ انه ﷺ القى هذه الخطبة قبل مسيره الى

النهروان . حبيب الله الخوني : منهاج البراعة : 3 / 314 .

وهو يتحدث عن وضع المقاييس بين ما كانوا عليه وما أصبحوا عليه بمجيء النبي ﷺ ودعوته - هل عنى الامام بهذه الاوصاف مكة والمدينة فقط أم منطقة الحجاز كلها ؟ فالى أي مدى يمكن توسيع مدى الخطاب وما عنيه ﷺ به ؟ وهنا يمكن ان يقال: ان بعض العبارات التوصيفية واضحة في دلالتها المكانية لاحتياج الى جهد جهيد في تحديد المنطقة المقصودة بذلك الوصف كما في قوله ﷺ عن البيت الحرام : " ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرَ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا ، وَأَقْلَّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدْرًا ، وَأَضْيَقَ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْرًا " ، فالإمام ﷺ هنا يعطي دلالة واضحة في تحديد المكان المقصود بهذا الوصف ألا وهو مكة المكرمة لأنها المكان الذي احتضن الكعبة المشرفة ، والامام ﷺ - كما هو واضح في النص - انما يتحدث عن المكان الذي فيه الكعبة . ومع ذلك فلا اشكال في توسيع رقعة الخطاب الى منطقة الجزيرة سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار غلبة الطابع الصحراوي وان الصفات اعلاه تنطبق على منطقة الحجاز بأكملها.

اما قوله ﷺ : " وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةِ حُشْنٍ وَحَيَاتِ صُمٍّ ، ... " ² فالكلام واضح انه انما عنى ارض الحجاز عموما ومكة على وجه الخصوص . اما اما لو قلنا بان قوله " وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ " قد يوسع مدى الخطاب ليشمل بدوره كل ارض العرب ، فهو ايضا ممكن القبول خاصةً بغلبة الاراضي الجبلية على واقع منطقة العرب ، واما بعض المناطق الزراعية والمزدهرة السهلة قياسا بالأعم الاغلب وهو التصحر والوعورة قد لا يشكل استثناء ملحوظا . ولكن يبقى ترجيح ارض الحجاز ومكة خصوصا هو الاقرب للواقع بملاحظة :

- 1 انها الارض التي ينطبق عليها وصف الامام عليه السلام بشكل تام .
 - 2 انها البيئة التي انطلقت منها الدعوة المحمدية وبهذا تكون مركز التغيير الاول .
- ومن ثم فان المتأمل في كلام الامام ﷺ ليلحظ أن من جملة اهدافه في حديثه عن حال العرب قبل الاسلام وعلى كافة المستويات ومنها الجغرافي انما كان لغرض تذكيرهم بفضل ونعمة وجود النبي ﷺ بينهم ، وكيف غير حالهم المأساوي الى حال افضل ، فمن الطبيعي ان تكون بيئة دعوته الاولى محل تركيز للمقايسة لان منها كانت بداية التغيير.

١- نهج البلاغة : ص394.

٢- نهج البلاغة : ص56 .

لقد وصف أمير المؤمنين ﷺ أرض العرب بأنها شر دار، فقد جاء في كلامه ﷺ مخاطبا العرب : " وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَاةِ خُشْنٍ ، وَحَيَاتٍ صُمَّ ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ " .^١

فهل هنا الإمام ﷺ يقصد شبه الجزيرة العربية كلها^٢ ؟ إن هذا لا يمكن القول به إذا نظرنا إلى أرض اليمن والسواد في جنوب العراق ، أم أنه يقصد أرض الحجاز التي تعد مكة أهم مدنها بل هي أم القرى ومقل أرض العرب ؟ وهذا هو الأقرب للواقع . ولكن لماذا وصفها أمير المؤمنين ﷺ بأنها شر دار ؟

لعل علة وصفها بشر دار يعود الى الجانب الجغرافي ، وما تركه من اثر على جميع نواحي حياتهم الاقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية اذ " بين كونها شراً ببيان فساد احوالهم " ^٣ ، إذ يجوز ان يعني بقوله : " بَيْنَ حِجَاةِ خُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُمَّ " ^٤ الحقيقة ، وذلك أن البادية بالحجاز ونجد وتهامه وغيرها من أرض العرب ذات حياة وحجارة خشن، وقد يعنى بالحجارة الخشن الجبال أيضا ، أو الأصنام ، فيكون داخلا في قسم الحقيقة إذا فرضناه مرادا ، ويكون المعنى بذلك وصف ما كانوا عليه من البؤس وشظف المعيشة وسوء الاختيار في العبادة ، فأبدلهم الله تعالى بذلك الريف ولين المهاد وعبادة من يستحق العبادة . ويجوز أن يعني به المجاز ، فالمقصود بالحيات هنا الأعداء وهو الأحسن^٥ ، يقال للأعداء حيات . والحية الصماء أدهى من التي ليست بصماء ، لأنها لا تنزجر بالصوت . ويقال للعدو أيضا : إنه لحجر خشن المس إذا كان ألد الخصام. والجشب من الطعام الغليظ الخشن ..^٦

١- نهج البلاغة : ص 56.

٢- ذهب بعضهم للقول أنها نجد وتهامه والحجاز: ينظر: ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 19/2. ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 37/2. في حين اشار البيهقي ان مراد الامام ﷺ بها : مكة والمدينة حصرا ، ينظر: معارج نهج البلاغة : ص115.

٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 37/2. وينظر: حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 315/3.

٤- نهج البلاغة : ص56.

٥- إذ كانوا تحيطهم الاعاء (فارس وبيزنطة) ، وقد اشار لذلك ﷺ ، ينظر نهج البلاغة : ص 401-402. وسيأتي بيانه في الجانب السياسي من هذا الفصل.

٦- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 2 / 19.

وقد علق شارح معاصر على التفسير أعلاه بالقول : " ولقائل يقول : ان هذا التفسير لا يستقيم وذلك لأن كثيرا من الاعراب لولا اكثرهم كانوا ساكنين في البلاد كالمدينة ومكة والطائف واليمن والشام ومصر وامثالها من البلدان ، واما الساكنون في البوادي فهم كانوا قليلين بالنسبة الى غيرهم ، فتفسير العبارة بما ذكروه لا معنى له فان المنادى بقوله ﷺ : " وانتم يا معشر العرب عام والخطاب للجمع كما هو ظاهر على المتأمل "¹.

ثم قدم الجواب بوجهين ورجح ثانيهما :

الاول: انه من باب التغليب لو قلنا اكثر العرب كانوا ساكنين بالبوادي واثباته مشكل .

الثاني: وهو الحق عندي انه لا اشكال في كون العرب باجمعهم على شر دين وفي شر دار وذلك لان الدار التي لا دين فيها فهي شر قطعاً سواء كانت في المدينة او مكة او غيرها ، والذي صار سببا لحملهم العبارة على ما قالوه ، هو ان المدينة ومكة المكرمة مثلا كيف يمكن القول بانهما تتصفان بالشر، فحملوا العبارة على دور البوادي ، ولم يعلموا ان اتصاف مكة والمدينة وما شابهها بالشر ليس فيه اشكال فان الشر شران : ذاتي وعرضي والمقصود هو الثاني ، فان القائل مثلا ليس بشر ذاتاً وانما هو شر بالعرض لكونه قاتلاً ، وليكن ما نحن فيه من هذا القبيل . هذا مع انه ﷺ لم يقل في شر بلد بل قال في شر دار ، ولا منافاة في كون الدار شرا والبلد غير شر فان دار ابي لهب وابي جهل وامثالهما من المشركين كانت شرا من جهة عدم نفوذ الدين فيها سواء كانت في مكة او غيرها ، وعبارة اخرى لا ملازمة بين البلد والدار من هذه الجهة . والحاصل: انه لا كلام لاحد في ان العرب قبل البعثة كانوا في شر دين وشر دار كما قال الله ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۚ ﴾².

وقد أشار البلدانيون إلى واقع الجزيرة العربية الجغرافي ، إذ قسم العرب جزيرتهم تقسيماً مسائراً لطبيعتها الجغرافية على خمسة اقسام ، يقول الهمداني³ : (فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها خمسة اقسام عند العرب في اشعارها واخبارها ، تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعروض

١- الخراساني : مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة : 5 / 190 .

٢- سورة آل عمران الآية 164 .

٣- الخراساني : مفتاح السعادة : ص 190 - 191

٤- صفة جزيرة العرب : ص 85 .

، واليمن). وزاد الاصطخري^١ ثلاثة أصقاع ، وهي بادية العراق ، وبادية الجزيرة ، وبادية الشام . إذ يتألف سطح الجزيرة العربية من هضبة تشبه الصحراء الافريقية في اتساعها وسهولها القاحلة الرملية والصخرية ، التي تتخللها بقاع ينذر فيها النبات ، وهي عبارة عن ارض واسعة تنحدر تضاريسها من الغرب متجهة نحو الشرق ، وهي مرتفعة غربا اذ تكثر الجبال المرتفعة ، واشهرها جبال السراة التي تمتد من اقصى شمال الجزيرة حتى جنوبها موازية لساحل البحر الاحمر^٢.

وتعرف المنطقة الممتدة بين سلسلة جبال السراة وبين ساحل البحر الاحمر- وهي عبارة عن سهول ضيقة في الغالب- باسم تهامة ، وتعني الارض المنخفضة ، وقد اتسم مناخها بسبب انخفاض ارضها وقربها من البحر بشدة الحر والرطوبة^٣. اما نجد فتمتد بين عسير والطائف وهي هضبة عظيمة الارتفاع ، وتقع في قلب الجزيرة ، ويحدها من الغرب جبال السراة ، وسميت نجد لارتفاع ارضها^٤. وتشكل - الحجاز - الفاصلة بين المرتفعات العالية (نجد) وبين الهضاب المنخفضة (تهامة) وتتخللها اودية عدة .

الحجاز :

- ١- المسالك والممالك : 20 - 21 ، القلقشندي : صبح الاعشى : 4 / 245 .
- ٢- ياقوت الحموي : معجم البلدان : 204/3 . محمود : العرب قبل الاسلام : ص 17 .
- ٣- جواد علي : المفصل : 134/1 .
- ٤- ياقوت الحموي : معجم البلدان : 261/5-262 .
- ٥- القلقشندي : صبح الاعشى : 252/4. وينظر : الشريف : مكة والمدينة : ص 23. الملاح : الوسيط : ص 20.

الحجاز: بالكسر، لغة فيه ثلاثة أوجه: الأول: مأخوذاً من قول العرب حجز الرجل بغيره يحجزه ، إذا شده شداً يقيده به ، الثاني : سمي حجازاً لأنه يحتجز بالجبـال ، يقال: احتجرت المرأة إذا شدت ثيابها على وسطها واتزرت ، ومنه قيل حجة السراويل ، الثالث : من قولهم حجزه يحجزه حجزاً أي منعه^١ .

أما اصطلاحاً: فالحجاز: جبل ممتد بين تهامة ونجد ، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، قال **الخليل** : أنه فصل بين الغور والشام وبين البادية ، وقال **الأصمعي** : الحجاز اثنتا عشرة داراً : المدينة ، وخيبر، وفدك ، وذو المروة ، ودار بلي ، ودار أشجع ، ودار مزينة ، ودار جهينة ، ونفر من هوازن وجل سليم وجل هلال وظهر حرة ليلي ، ومما يلي الشام شغب وبداء. وروي عن **هشام الكلبي** أنه قال: الحجاز ما بين جبلي طىء إلى طريق العراق لمن يريد مكة ، وقيل لما تبلبلت الألسن ببابل وتفرقت العرب إلى مواطنها سار طسم بن إرم في ولده وولد ولده يقفو آثار إخوته وقد احتوا على بلدانهم ، فنزل دونهم بالحجاز فسموها حجازاً لأنها حجزتهم عن المسير في آثار القوم لطبيها في ذلك الزمان وكثرة خيرها^٢ .

والحجاز أحد أقسام العرب الخمسة ، قال هشام الكلبي : صارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب في أشعارهم وأخبارهم : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن^٣ .

لقد وردت الإشارة إلى الحجاز ثلاث مرات في نهج البلاغة ، الأولى في يوم الجمل وهو يخاطب الزبير مستغرباً من موقفه السلبي منه بعدما كان من مرديه في الحجاز ، فقال له: " **عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ** " ^٤ . والثانية كتبها لأحد ولاته الذي خان الولاية وأخذ أموالها ورحل للحجاز^٥ فكتب له

١- الفراهيدي: العين 3/ 70 . الجوهرى: الصحاح 3/ 872 . ياقوت الحموي: معجم البلدان : 2/ 218.

٢- البكري: معجم ما استعجم : 1/ 9 - 12. ياقوت الحموي: معجم البلدان : 2/ 218- 219.

٣- الهمداني: صفة جزيرة العرب : ص 85 . البكري: معجم ما استعجم : 1/ 16. ياقوت الحموي: معجم البلدان : 2/ 219.

٤- نهج البلاغة: ص66.

٥- تباينت الآراء في الوالي أعلاه وإن كانت القرائن تشير إلى عبد الله بن العباس والي الإمام عليه السلام على البصرة. لمزيد من التفاصيل ينظر: النصرالله: شرح نهج البلاغة : ص 383 - 401.

عَلَيْهِ السَّلَامُ : " إِنِّي كُنْتُ أَشْرَكَتُكَ فِي أَمَانَتِي ، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي ، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي ، لِمُؤَاسَاتِي وَمُؤَازَرَتِي وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلَبَ ، ... قَلْبَتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ الْمَجَنُّ ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَائِلِينَ ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ ، ... فَلَمَّا أَمَكْنَتْكَ الشَّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ ، اخْتِطَافَ الذَّنْبِ الْأَزْلَ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ ، غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ " ١ . والنص الثالث حينما ذكر فدكا قال ﷺ : " وَلَوْ شِئْتُ لَأَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَى هَذَا الْعَسَلِ ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمَحِ ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَرِّ ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ، وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعِمَةِ ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشُّبْعِ ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَانًا ، وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرَثِي ، وَأَكْبَادٌ حَرَى " ٢ .

أما مدن الحجاز التي وردت الإشارة إليها في نهج البلاغة فمكة والمدينة وبعض المواقع التي تقع

فيهما أو بينهما

أولاً: مكة المكرمة

١- نهج البلاغة: ص 567.

٢- نهج البلاغة: ص 574.

إن اسم مكة^١ أخذ من مك أي مص أو استخرج أو جذب ، أو ازدحم ، ولعلها سميت مكة لؤلة مائها ، وذلك لانهم كانوا يتمكنون الماء فيها أي يستخرجونه ، أو لأنها تجذب الناس إليها^٢ ، وتسمى بكة ، وهو مأخوذ من البك وهو الازدحام^٣ . وتباينت الآراء في هل إن بكة هي مكة ذاتها أم البيت الحرام فقط^٤ .

يبدو ان معنى الازدحام مأخوذ مما تشهده مكة في موسم الحج الذي قد يؤدي احيانا الى الهلاك او ذلك الاعناق اثناء الطواف حول البيت^٥ ، حتى ان بعض المعاني المستمدة من بكة تساعد على ذلك فـ " البكبة " تعني المجيء والذهاب^٦ . وواضح انها ربما كانت مشتقة من الطواف او السعي بين الصفا والمروة^٧ .

١- إن الاسم مشتق من لفظ " مك " البابلية التي تعني البيت ينظر حسن المعمري: مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية : ص 10 ، واما بكة فهو اسم لبطن مكة لانهم يتباكون فيها وهو ازدحامهم ايضا الحميري: الروض المعطار: ص93 . وقد ذكرها بطليموس الاسكندري باسم (مكربة) (مكريا) (Macoraba) وهي تقابل كلمة (مكرب) لقب ملوك اليمن قديما تعني (مقرب) لان مكة تقرب الى الاله جواد علي : المفصل: 7/4 - 8 . توفيق برو: تاريخ العرب القديم: ص165.

٢- وقيل سميت بذلك لأنها وسط العالم كالمخ أذي هو أصل ما في العظم . الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن : ص470 .

٣- الفراهيدي: العين : 5 / 285. ابن سلام: غريب الحديث : 3/123. الأزرقى : أخبار مكة : 1/281. ابن الفقيه: مختصر البلدان : ص 74. الراغب الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن : ص 470. ابن سيده : المخصص : 1/261 . ياقوت الحموي : معجم البلدان : 5/182. ابن منظور: لسان العرب : 10/491 . العيني : عمدة القاري: 9/214. الزبيدي: تاج العروس : 13/645.

٤- ياقوت الحموي : معجم البلدان : 5/181-182. ابن منظور: لسان العرب : 10/491. الزبيدي : تاج العروس : 13/645.

٥- الفراهيدي: العين : 5/285. علي غانم: بيئة النبي ﷺ في القران الكريم : ص25.

٦- ابن سيده: المخصص : 3/106.

٧- علي غانم جثير: بيئة النبي ﷺ: ص 25.

كما جاء ذكرها في القرآن الكريم على انها بكة في قوله ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾^١ وقد ذكر الاخباريون والبلدانيون ان بكة موضعا ما او موضع البيت الحرام او بطن مكة^٢. وهناك من يرى ان بكة هي نفسها مكة ابدلت فيها الميم باء على عادة اهل الجنوب^٣.

وردت بعض الاشارات التوصيفية لارض مكة في معرض حديث الامام عن البيت الحرام ، اذ يقول ﷺ : " ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا ، وَأَقْلَّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدْرًا ، وَأَضْيَقِ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْرًا ، بَيْنَ جِبَالِ حَشْنَةٍ ، وَرِمَالِ دَمْنَةٍ ، وَعُيُونِ وَشِلَّةٍ ، وَفُرَى مُنْقَطِعَةٍ ، لَا يَزْكُو بِهَا حُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظَلْفٌ " ^٤.

ويمكن الوقوف هنا على أهم الاوصاف التضاريسية التي أشار لها الامام ﷺ في ضمن نقاط توضيحية:

1 قوله ﷺ: " بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا " إذ إن مكة هي أكثر الاراضي المرتفعة وعورة وخشونة ، فهي تقع في واد على شكل سهل منبسط محاط بجبال ذات شعاب تحيط بالوادي احاطة كاملة^٥. وصفه القرآن ﴿ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾^٦، وقد اغتنت مكة على مر الزمان عن بناء سور لحماية المدينة^٧. واما نوعية تربتها فانها من النوع الحجري المرافق لوجود الجبال فضلا عن الرمال الدمثة (اللينة) وتأثيرها على الحركة ، وقد اثر هذا الحجر على وعورة المنطقة وعدم ملائمتها للانتاج الزراعي . و اشار الامام الى نوعية التربة الصالحة للزراعة التي غابت نوعا ما

١- سورة آل عمران الآية 96.

٢- الأزرقى: أخبار مكة : 280/1. ياقوت الحموي: معجم البلدان : 181/5 - 182. ابن منظور: لسان العرب : 491/10 . الزبيدي: تاج العروس : 645 / 13.

٣- ياقوت الحموي: معجم البلدان : 475/1 ، 181 / 5 . الفلقشندي: صبح الأعشى : 255/4 . الحميري: الروض المعطار: ص93.

٤- نهج البلاغة : ص 394 .

٥- فالى الشرق منها يقع جبل ابو قبيس ، والى الغرب منها يطل عليها جبل قعيقعان . ينظر الفلقشندي: صبح الاعشى : 253/3 :

٦- سورة إبراهيم الآية 37.

٧- الشريف : مكة والمدينة: ص28.

عن ارض مكة وهي التربة الطينية بنفس الوقت فان ارضها كانت رملية لينة وليست صلبة اذ ان اللينة ضعيفة الانتاج الزراعي¹.

2 اشار الامام ﷺ الى ان مكة كانت قليلة المياه اذ كما قال ﷺ انها ذات " عُيُونٍ وَشِلَّةٍ " لقلة الامطار فيها ، التي مع سقوطها أحيانا إلا انها لا تكون غزيرة ، ولكنها تشكل سيولا تنحدر من الجبال الى الوديان والشعاب².

3 تقع مكة في واد محاط بجبال ، او كما عبر عنه ﷺ " وَأَضْيَقَ بُطُونِ الْأُودِيَةِ قَطْرًا ، بَيْنَ جِبَالٍ خَشْنَةٍ " فان الجبال قريبة بعضها الى بعض فلا سهل يوجب الانبساط في النفس والسعة في محل الحركة والعمل³ ، وهي بين جبال خشنة لا لين في احجارها ورمال لينة يصعب السير فيها فيها⁴.

4 انتقطاع القرى وتباعدها بعضها عن البعض الآخر ، " وَفُرَى مُنْقَطِعَةٍ " ، فلا يتيسر التواصل فيما بينها⁵.

5 يشير ﷺ الى انها بقعة لا تساعد على بقاء الفصائل الحيوانية الضرورية ، وهي ذات الخف والحافر والظلف - الجمال والخيل والبقر والغنم - ، ولا تفيد في زيادتها ونموها فهي هزيلة . أو أن طبيعة الرمال اللينة يصعب معها مشي الدواب . ولعل هزالها يعود الى عدم وجود نباتات في هذه المنطقة ومن ثم عدم وفرة الكأ ، " ولعل الامر اكثر وضوحا واسهل بيانا من هذا الالتباس اذ ان القول ان الرمال هي السبب في عدم نمو الحيوانات يلزم القول بعدم تربيتها هناك اصلا ، لا نموها فقط ، وهذا ما لم يثبت ، فالامام ﷺ يذكر ان حيوانات مكة ضعيفة وهزيلة اكثر من حيوانات بقية المناطق التي تعتمد على الزراعة التي لا تكون ارضها حجرية جافة، لذلك حمل اغلب الشارحين كلام الامام ﷺ على هذا الاساس وهو اساس قلة الغذاء " ⁶.

١- حميد سراج جابر: الفكر الاختباري في نهج البلاغة: ص 238 - 239 .

٢- نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول : ص 225 .

٣- الشيرازي : توضيح نهج البلاغة : 199/3 .

٤- جابر : الفكر الاختباري : ص 235 .

٥- العاملي : تخطيط المدن في الاسلام : ص 28 .

٦- جابر: الفكرالاختباري: ص237 .

ولعله يمكن التوفيق بين الرأيين وارجاع السبب في عدم نمو الحيوانات الى قلة النباتات نتيجة طبيعة هذه الارض ، والى تكون هذه الارض من رمال لينة يصعب معها تحرك الحيوانات ، مما ادى الى صعوبة البيئة وتأثيرها السلبي على الحيوان ¹ .

6 - وصف الامام عليه السلام مكة بالنتيقة ، ولقد تعددت الآراء في معناها:

أ - انه عليه السلام اراد بها البلاد لرفع بنائها وشهرتها في موضعها ² . يقول ابن ميثم : النتق بمعنى الجذب وسميت المدن نتائق لارتفاع بنائها وشهرتها كانها جذبت ورفعت ³ .

ب - الاراضي المرتفعة باعتبارها ارض جبلية ⁴ .

ج - ان ابنية المدن ودورها بمثابة المظلة التي يستظل بها لذلك سميت المدن نتائق، وهي متأتية من كلمة انتق أي جعل مظلة ⁵ .

د - اما الراوندي ⁶ فيقول: استعمل النتق على وجوه أليقها بهذا الموضع ان تكون الارض مثارا للزراعة، وهي - أي ارض مكة - اقل الارضين مدرا، يرفع ويزرع فيه، لان تلك الارض ذات حجارة ، ومدرها المستصلح للزراعة قليل ، ومن هذا جاء قوله تعالى ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ ⁷ أي رفعنا.

ويمكن استخلاص ثمة معنى من الآراء أعلاه أنها تعني الرفعة والارتفاع لارض مكة.

واما ابرز معالم مكة التي ورد ذكرها في نهج البلاغة :

١- محمد عبدة : نهج البلاغة (شرح) : ص 279

٢- ابن الاثير : النهاية : 5 / 13 . ابن منظور : لسان العرب : 10 / 351 - 352 . البديري : نزهة النظر في غريب النهج والاثر : ص 809 .

٣- شرح نهج البلاغة : 4 / 315

٤- الشيرازي : توضيح نهج البلاغة : 3 / 198 .

٥- حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 11 / 281

٦- منهاج البراعة : 251/2 .

٧- سورة الاعراف الاية 171 .

أولاً : الكعبة:

ورد ذكر الكعبة في القرآن بلفظ الكعبة ، أو البيت الحرام ، أو البيت العتيق ، كما في قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾^١ ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لِيُقْضَىٰ لَهُمْ وَأَلْيَوْمًا نُذَوِّرُهُمْ وَأُلَيُّطُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾^٢ . وقد وردت الإشارة من الإمام ﷺ إلى الكعبة بلفظ البيت الحرام في اكثر من مورد منها قوله ﷺ : " وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ " ^٣ ، " حج البيت واعتماره " ^٤ ، " فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا " ^٥ ، " وَاللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ " ^٦ . وتطرق الإمام ﷺ إلى جملة أمور تخص البيت الحرام ، منها تاريخ البيت الحرام ، إذ جاء في كلامه:

" أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تَبْصُرُ وَلَا تَسْمَعُ ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا ، ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا ... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَنَوَّأُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْنِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ ، وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ ، وَجَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ ، حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ دُلًّا ، يَهْلُلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ وَيَزْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شَعْنًا غَيْرًا لَهُ ، قَدْ نَبَدُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ، ابْتِلَاءً عَظِيمًا ، وَامْتِحَانًا شَدِيدًا ، وَاخْتِبَارًا مُبِينًا ، وَتَمْحِيسًا بَلِيغًا ، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ ، وَوَصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ " ^٧ .

يتطرق الامام في النص اعلاه الى امور عدة، منها: تاريخ وجود البيت الحرام (الكعبة) الذي يرجع إلى زمن آدم ﷺ وهذا ما اشارت اليه بعض الروايات التاريخية والتي على اختلاف المعلومات الواردة فيها الا انها ربطت زمن وجود هذا البيت بالنبي آدم ﷺ. لكن الروايات تباينت فيما يلي:

- ١- سورة المائدة الآية 97.
- ٢- سورة الحج الآية 29.
- 3- نهج البلاغة : ص 22 .
- 4- نهج البلاغة : ص 211 .
- 5 - نهج البلاغة : ص 394 .
- ٦ - نهج البلاغة : ص 582 .
- ٧- نهج البلاغة : ص394 _ 395.

- ان الله هو الذي انزل البيت على شكل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت، ثم امر ادم ﷺ بالطواف حوله ¹ .

- ان آدم ﷺ فقد اصوات الملائكة فشكا ذلك الى الله فاهبط اليه بيت يطوف به كما يطاف بالعرش ² .
- ان الله هو الذي امر آدم ﷺ ببناء البيت " اوحى الله الى آدم ان لي حرما بجنة عرشي، فانطلق فابن لي بيتا ثم طف به ... " ³ .

- اشارت رواية ان الله لما خلق السموات والارض كان اول شيء وضعه فيها البيت الحرام ⁴ .
- ان الله عزى ادم ﷺ بخيمة من حلي الجنة فلما مات ادم رفعت فبنى بنوه مكانها بيتا بالطين والحجارة ⁵ .

- عن الصادق ﷺ : كان البيت درة بيضاء فرفعه الله الى السماء وبقي اساسه ⁶ .

ان التناقضات في هذه الروايات فضلا عن غلبة الطابع القصصي على ما ورد فيها هو الذي حمل عددا من الباحثين على التشكيك فيها، وعدم التسليم بقبول ما جاء فيها ؛ اذ يقول جواد علي ⁷ " ومعارفنا عن البيت الحرام ضئيلة ، وفي الذي يذكره اهل الاخبار عنه ما لا يمكن قبوله ولا الاخذ به ، لانه لا يدخل في حدود التاريخ ، ولغلبة الطابع القصصي عليه، ثم ان بعضه يناقض بعضا..." .

وذهب الملاح ⁸ بعيدا في تشكيكه حتى نسب بناء البيت الى تجار القوافل اذ يقول: " وقد زعم اهل الاخبار بان مكة قد اتخذت مقاما للعبادة قبل مجيء ابراهيم ﷺ اليها بزمن طويل، وربما كان هذا البيت قد انشأه تجار القوافل من العرب الذين كانوا يتوقفون في هذا الموضع لغرض اخذ قسط من الراحة والتزود بالماء من الابار التي كانت موجودة فيه".

١- الطبري: تاريخ : 1 / 84 .

٢- الطبري: تاريخ : 1 / 84- 85 .

٣- الطبري: تاريخ : 1 / 85 .

٤- الازرقى: أخبار مكة : 1/ 50 . العياشي: تفسير : 1 / 60 .

٥- الازرقى: أخبار مكة : 1 / 51 .

٦- العياشي: تفسير : 1 / 60 .

٧- المفصل : 6 / 336 .

٨- الوسيط : ص 272 .

ولكن كيف يمكن القول : ان هذا البيت المقدس بناه التجار او اناس عاديون دون تدخل السماء في ذلك؟! وهو البيت الذي خصه الله بعنايته، فجعله اول بيت بني لعبادته ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾^١ بنسبته اليه جل وعلا اذ يقول : ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِّلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^٢ ، وكل الايات الذاكرة له تدلل على عظمته وارتباطه بالذات الالهية ، وان كنا لا نسلم بكل ما جاء في المرويات التاريخية التي تناولت قصة وجود هذا البيت وبناؤه من قبيل ان الله قد انزله على آدم ﷺ تسلياً له بعد حزنه او غيرها من الاسباب ، وانه انزله ياقوته حمراء او بيضاء او خيمة في اصله ثم بنوه أبناءه من بعده، وما في ذلك من تفاصيل مبالغ فيها ، ويصعب التسليم بها .

وقد جاء في اشارة الامام ﷺ في أعلاه ان البيت منذ زمن آدم ﷺ كان من الحجر، وان جعله من الحجر كان لحكمة، وهذا يعارض ما جاء في الروايات بانه كان خيمة من حلي الجنة انزلها الله من السماء او ياقوته حمراء او بيضاء، فيما ذكرت رواية اخرى انه بعد موت آدم قام ولده ببناء البيت بالحجارة والطين بعد ان رفع الله الخيمة او الياقوته، وان خير دليل على نفي هذِهِ الروايات ما اشار اليه أمير المؤمنين ﷺ بقوله: " وَلَوْ كَانَ الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا ، بَيْنَ زُمْرَةٍ خَضْرَاءَ ، وَيَأْقُوتَةَ حَمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ... " ^٣ .

ان لهذا النص اهمية خاصة في سد ثغرة احدثها غياب التوثيق قبل الاسلام ، اذ يقول جواد علي^٤ : " ولم يعثر حتى الان على كتابة جاهلية تكشف القناع عن تاريخ (البيت الحرام) ، ولذلك انحصر علمنا بتاريخه بما ورد في الموارد الاسلامية عنه".

وإذا كانت المشكلة عند جواد علي مع الموارد الاسلامية لان اكثرها عن الاخباريين " وفي الذي يذكره اهل الاخبار عنه ما لا يمكن قبوله ولا الاخذ به ، لانه لا يدخل في حدود التاريخ ، ولغلبة الطابع القصصي عليه... " ^٥ . فالراوي هنا هو امير المؤمنين ﷺ باب علم مدينة رسول الله ﷺ وعدل القرآن، القرآن، فلا جدال في صحة ما جاء عنه ﷺ، فهل نهج البلاغة لم يكن من مصادر الدكتور جواد علي حينما كتب سفره القيم عن تاريخ العرب قبل الإسلام؟.

١- سورة آل عمران الآية 96.

٢- سورة الحج الآية 26.

٣- نهج البلاغة ص 396.

٤- جواد علي : المفصل : 6 / 336.

٥- المفصل : 6 / 336 .

أما عن بناء النبي إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام للبيت الحرام الذي أشار له القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^١ . فهذا إشارة إلى تجديده من قبلهما عليهما السلام.

ويشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى حكمة الله في بناء هذا البيت إذ اختبر الله العباد من اول الخلق بهذه الاحجار التي لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، وان جل ما فيها نسبتها لله سبحانه، فهو الذي ارادها بهذه الكيفية والبساطة.

وان الله تعالى اتماما للاختبار والابتلاء جعل البيت في اوعر بقاع الارض واصعب ها ، فهي غير صالحة للزرع وغير صالحة ايضا لحياة الحيوان فيها ، فلا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف ، وهذا عين ما جاء في قوله تعالى على لسان النبي إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ^٢ ﴾ ^٣ .

وقد بين عليه السلام السر وراء جعل البيت في هكذا موضع تكتنفه الصعوبات بقوله " وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ ، أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ ، بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ ، جَمِّ الْأَشْجَارِ ، دَانِي الثَّمَارِ ، مُتَنَفِّئِ الْبُنَى ، مُتَّصِلِ الْفُرَى ، بَيْنَ بَرَّةٍ سَمْرَاءَ ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، وَأَزْيَافٍ مُحَدِّقَةٍ ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ ، وَرِيَاضٍ نَاصِرَةٍ ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ ، وَلَوْ كَانَ الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا ، بَيْنَ زُمُرَدَةٍ خَضْرَاءَ ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ ، وَلَوْضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ

١- سورة البقرة الآية 127.

٢- سورة إبراهيم الآية 37 .

٣- فارس حسون : الحج في نهج البلاغة : ص 9

المَكَارِهِ ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْبُرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نَفْسِهِمْ ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ ، وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ " ١ .

يتضح جليا من هذا النص ان الله سبحانه قد شرع الحج الى بيته الحرام منذ زمن آدم ﷺ، إذ يقول ﷺ: " ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَنَوَّأُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ " ٢ ، " عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ " ٣ ، وغدا البيت " قِبْلَةً لِلْأَنَامِ " ٤ " ٥ .

- ١- نهج البلاغة : ص 396_ 397. ولكن نلاحظ ان هذا البيت رغم ما يكتنفه من صعوبات طبيعية مرت الاشارة اليها وصعوبات المناسك ايضا الا انه من خصائصه واسراره " تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْنَدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ " نهج البلاغة : ص 395 ، كما ورد في دعاء النبي إبراهيم ﷺ: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ سورة إبراهيم الآية 37، وقد ذكر امير المؤمنين ﷺ هذا الشوق في تمثيل رائع ، إذ قال: " وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ " نهج البلاغة : ص 22 ، أي يشتد شوقهم اليه حتى تكاد تذهب عقولهم من شدة الاشتياق كاشتياق الحمام الى وكرها ، وقد " جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ ، وَوُصَلَّةً إِلَى جَنَّتِهِ " نهج البلاغة : ص 396 وينظر : فارس حسون : الحج في نهج البلاغة : ص 9.
- ٢- نهج البلاغة ص 394_ 395.
- ٣- نهج البلاغة ص 20.
- ٤- نهج البلاغة ص 22.

- ٥- الانام هنا: الجن والانس، وقيل: ما على وجه الارض من جميع الخلق، وبناء على التفسير الاول، يكون بيت الله الحرام قبله للانس والجن، اما الانس فواضح، اما الجن، فيدل كلامه ﷺ: جعله قبله للانام - بناء على تفسير الانام للجن والانس - على ان بيت الله الحرام قبله للجن ايضا ، يتوجهون اليه حين عبادتهم، وان كانت ماهية عبادتهم لنا مجهولة . وقد أشار القرآن إلى إيمان الجن بالنبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَظُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَا كُنَّا نَعْبُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا * وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا * وَأَنَا مِنْهَا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا * وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا * وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ . سورة الحج الآية 1_ 15. وبناء على التفسير الثاني، يكون بيت الله الحرام قبله لجميع ما على وجه الارض من الخلق، ومعلوم ان المخلوقات كلها تعبد خالقها، وان كانت كيفية عبادتها مجهولة لنا الا ان المفهوم من قوله ﷺ: جعله قبله للانام، بناء على تفسير الانام بأنهاكل ما

ويظهر من كلامه ﷺ أن الانبياء ﷺ كانوا يحجون البيت الحرام ، ففي إشارة منه ﷺ في معرض حديثه عن عبادته ممن يحج البيت انهم " وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ " ^١ . وفيه إشارة إلى متابعتهم لهم في مواقف الحج ^٢ .

ومع وجود بيوت أخرى للعبادة عرف بعضها بالكعبات ، فقد جاء في صحيح البخاري ^٣ " كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخصلة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية " ، ورغم ذلك بقيت الكعبة صاحبة المكانة المتميزة عند العرب .

ثانياً: حراء:

بالكسر والتخفيف والمد ، جبل من جبال مكة على ثلاثة اميال ، وهو أحد الجبال التي بنى منها آدم أو إبراهيم ﷺ الكعبة ^٤ ، وفيه الغار الذي كان النبي ﷺ يتحنث فيه قبل بعثته الشريفة مدة شهر أو أكثر ^٥ . وذكره أمير المؤمنين ﷺ وهو يتحدث عن رسول الله ﷺ بقوله: " وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي " ^٦ . ويظهر أنه ﷺ استمر في ذلك حتى بعد البعثة مستترا من المشركين ^٧ .

على وجه الارض من الخلق، فبيت الله الحرام قبلة لجميع المخلوقات تتوجه اليه في عبادتها ربها وخالقها. فارس الحسون : الحج في نهج البلاغة: ص 22- 23 .

١- نهج البلاغة ص 22.

٢- وفي ذكر الأنبياء هاهنا استدراج حسن للطباع اللطيفة المتشوقة إلى لقاء الله والتشبه بأنبياؤه ﷺ . فإن الكعبة وما يتعلق بها مقام الأنبياء عليهم السلام فمن حج ودخل الحرم فقد دخل مدخلهم ومقامهم . ينظر ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 398 . الخراساني : مفتاح السعادة : 2 / 12 .

٣- 111/5 . و لمزيد من التفاصيل ينظر: الشريف يوسف : الكعبات المقدسة عند العرب قبل الاسلام : (الصفحات جميعها) .

٤- ابن طاووس: سعد السعود ص37، النوري: المستدرک: 328/9، .

٥- ابن هشام: السيرة النبوية : 154/1. ابو جعفر الإسكافي: نقض العثمانية: ص 306. الطبري: تاريخ 48/2. الزمخشري: الفائق: 237/1. ياقوت الحموي: معجم البلدان: 233/2، 182/4. ابن الاثير: الكامل في التاريخ : 48/2. ابن سيد الناس: عيون الاثر: 114/1. ابن كثير: البداية والنهاية : 5/3.

٦- نهج البلاغة : ص 406.

٧- المجلسي: البحار: 7/19.

ويستشف من بعض النصوص أن النبي تعرض لمحاولة اغتيال وهو في حراء^١.

المدينة:

تقع المدينة على بعد ثلاثمائة ميل الى الشمال من مكة ، كما تبعد عن يربع ميناؤها على البحر الاحمر مائة وثلاثين ميلا^٢. وهي ارض بركانية بين حرتين^٣ ، وقد اشتهرت بالخصب والنماء ، وفي شمالها جبل احد، كما ان المزارع تحيط بها من جميع الجهات ما عدا الجبهة الغربية وإن المسافر يجد فيها كما يجد المقيم حاجته من زاد وامن^٤ .

قال البكري^٥: (هي مدينة الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم. فإذا قيل المدينة ، غير مضافة ولا منسوبة ، علم أنها هي، قال الله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لئن رجعنا إلى المدينة لخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾^٦. وهي يثرب ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ

١- البحراني: حلية الأبرار : 61 / 1.

٢- ياقوت الحموي: معجم البلدان : 88-82 / 5 .

٣- الحرة ، قال ياقوت تحت عنوان: ذكر الحرار في ديار العرب: (قال صاحب كتاب العين: الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار، والجمع الحرات والاحرون والحرار والحرور، وقال الأصمعي: الحرة الأرض التي ألبستها الحجارة السود، فإن كان فيها نجوة الأحجار فهي الصخرة، وجمعها صخر، فإن استقدم منها شئ فهو كراع، وقال النضر بن شميل: الحرة الأرض مسيرة ليلتين سريعتين أو ثلاث، فيها حجارة أمثال الإبل البروك كأنها تشطب بالنار، وما تحتها أرض غليظة من قاع ليس بأسود وإنما سودها كثرة حجارتها وتدانيها، وقال أبو عمرو: تكون الحرة مستديرة فإذا كان فيها شئ مستطيل ليس بوسع فذلك الكراع واللابة والحرة بمعنى، ويقال للظلمة الكبيرة، وهي الخبزة التي تنضج بالملة: حرة، والحرة أيضا: البثرة الصغيرة، والحرة أيضا: العذاب الموجع، والحرار في بلاد العرب كثيرة، أكثرها حوالي المدينة إلى الشام، وأناذكرها مرتبة على الحروف التي في أوائل ما أضيفت الحرة إليه). ثم ذكر عدد من هذه الحرار كحرة أوطاس، وتبوك، ونقده أو نقده، وحقل، والحمارة، وراجل، وراهص، والرجلاء، ورماح، وسليم ، وشرج، وشوران، وضارج ، وضرغد، وعباد، وعذرة، وعسعس، وغلّاس، وقباء، والقوس، ولبن، ولفلف، وليلي، ومعشر، وميطان، وحررة النار، وواقم، غيرها. معجم البلدان 2/ 245 - 249.

٤- الشريف : مكة والمدينة : ص 29.

٥- معجم ما استعجم : 4 / 1202.

٦- سورة المنافقون الآية 8.

لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴿١﴾ . وهي الدار، قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ﴿٢﴾ . وهي طيبة وطابة والعذراء ، وهي جابرة ، والمجبورة ، والمحبة ، والمحبوبة ، والقاصمة ، قصمت الجابرة) .

كانت تسمى يثرب قيل نسبة إلى يثرب ابن قانية من إرم بن سام بن نوح ، لان أول من نزلها . وقال النبي ﷺ ، تسمونها يثرب ، ألا وهي طيبة . كأنه كره أن تسمى يثرب ، لما كان من لفظ التثريب ^٣ . فيروى أنه كان ﷺ يخاطبها بقوله : " يا طيبة ، يا سيدة البلدان " ^٤ ، وفي رواية : " ان الله عز وجل امرني ان اسمي المدينة طيبة " ^٥ ، وكان ﷺ يقول: " لكل نبي حرم، وحرمي المدينة " ^٦ . ومن هنا ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام بذكر خصيصة هجرته ﷺ اليها، فقال: " هجرته بطيبة " ^٧ .

ومن المواقع التي تقع ما بين مكة والمدينة :

القليب: بفتح القاف وكسر اللام وسكون الياء ، هو البئر قبل ان تطوى ^٨ ، فاذا طويت فهي الطوي ، والجمع القلب ، وقيل هي البئر العادية القديمة التي لا يعلم لها رب ، ولا حافر ، تكون في البراري ، تذكر وتؤنث وقيل هي البئر القديمة ، مطوية كانت او غير مطوية ^٩ ، ذات ماء او غير ذات ماء ، جفر جفر او غير جفر . وقيل القليب ما كان فيه عين والا فلا . وسميت قليبا لانها كالشيء يقلب من جهة

١- سورة الأحزاب الآية 13 .

٢- سورة الحشر الآية 9 .

٣- معجم ما استعجم : 4 / 1389 .

٤- المتقي الهندي: كنز العمال: 259/12 .

٥- السيوطي : الجامع الصغير : 1 / 258 . المتقي الهندي : كنز العمال : 12 / 232 .

٦- ابن حنبل : المسند : 1 / 318 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 3 / 301

٧- نهج البلاغة : ص 302 .

٨- الفراهيدي: العين : 5 / 71 . الجوهرى : الصحاح : 1 / 206 .

٩- ابن منظور: لسان العرب : 1 / 689 .

الى جهة وكانت ارضا فلما حفرت صار ترابها كانه قلب^١ . وقيل انما سميت كذلك لان ترابها قلب^٢ ، والقليب بدر من العودة الدنيا من بطن وادي ليليل^٣ الى المدينة^٤ .

والامام ﷺ يقصد هنا قليب بدر الذي يقع على ثمانية وعشرين فرسخا^٥ من المدينة في طريق مكة^٦ ، وهذا يعني ان القليب يقع بين مكة والمدينة . وقد ورد ذكر القليب في كلام الامام ﷺ وهو يشير الى رد الرسول ﷺ على المشركين بعد طعنهم في نبوته ، اذ تحدث ﷺ عن حادثة الشجرة وكيف تنبأ النبي ﷺ للمشركين بقوله " **وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ** "^٧ .

إن قضية من طرح في القليب وردت في كتب الحديث لكن برؤية فيها بعض الاختلاف، فقد جاء في صحيح البخاري^٨ : " عن عبد الله بن مسعود حدثه، ان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم كان يصلى يصلى عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجئ بسلا جزور بنى فلان يضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه ، وانا انظر لا أغنى شيئا لو كان لي منعة ، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ورسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة ، فطرحت عن ظهره ، فرفع رأسه ، ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات ، فشق عليهم ، إذ دعا عليهم ، قال: وكانوا يرون ان الدعوة في ذلك البلد مستجابة . ثم سمى اللهم عليك بأبي جهل ، وعليك بعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأممية بن خلف ، وعقبة بن أبي

١- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة : 5 / 18 .

٢- ابن منظور : لسان العرب : 1 / 689 .

٣- وادي يقع بين ينبع والغديبة ، وهو واد أصفر الرمل . ابن سيدة : المخصص : 5 / 1 / 47 . ياقوت الحموي: معجم البلدان: 248/1 .

٤- البكري : معجم ما استعجم : 1 / 232 . ياقوت الحموي : معجم البلدان : 5 / 441 .

٥- مقدار من مقاييس الطول عند العرب ، أختلف هل هو عربي أم معرب ، يساوي ثلاثة أميال ، وحاليا اختلف فيه بين (5) و(7) و(8) كم . العاملي: الاصطلاحات الفقهية ص160 . أبو حبيب: القاموس الفقهي : ص282 .

٦- البكري: معجم ما أستعجم : 1 / 231 .

٧- نهج البلاغة: ص407 .

٨- 1 / 65-66 . وينظر: ابن حنبل: مسند احمد: 1/417 . مسلم: الصحيح: 5/180 .

معيط ، وعد السابع لم نحفظه ، قال : فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صرعى في القليب قليب بدر ."

الذي يلاحظ :

1 - أن أمير المؤمنين ذكر الحادثة في موضع قيام النبي ﷺ بإفحام المشركين وردة على تخرصاتهم في محاولة إثباتهم عدم صحة نبوته . فعندها تتبأ النبي ﷺ لعدة أمور منها أنه مع تقديمه ما طلبوا منه ، فإنهم لن يؤمنوا به ، ثم تنبؤه ﷺ لمصير هؤلاء إذ يسحبون إلى القليب .

2 - أما البخاري فنذكرها في حادثة عرضية دفعت النبي ﷺ للدعاء على المشركين . وكأنه من باب الانتقام ، مع أن سيرة النبي ﷺ مع ألد أعداءه تنفي أن يكون لديه حب الانتقام وفتح مكة أصدق دليل على ذلك !

3 - أوضحت رواية البخاري إن دعاء النبي ﷺ المستجاب ليس لأنه من النبي ﷺ وإنما لأن مكة بلد مستجاب الدعوة ؟

4 - ذكر البخاري أن سحبهم إلى القليب ليس نبؤة من النبي ﷺ وإنما حدث واقعي رآه ابن مسعود . مع أن هذا الخبر يعد من أعلام نبوته ﷺ¹ .

إن التأمل الدقيق في كلام الإمام عيسى بن عيسى ورواية البخاري لتوحي إلى محاولة تحريف في الواقعة وتوجيهها في مسار آخر .

١- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 4 / 374 . وقد تحققت نبؤة النبي ﷺ ، فقد روى انه ﷺ وقف على ذاك القليب وناداهم رجلا رجلا فقال : " هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا ، بئس القوم كنتم لنيكم... " . الواقدي : المغازي : 112/1 . الطبري : تاريخ : 155/2 - 156 . وقد انكر عمر بن الخطاب عليه ذلك فقال : " انتادي قوما قد ماتوا " ؟ فقال ﷺ : " ما أنتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يستطيعون ان يجيبوني " . ابن حنبل : المسند : 27/1 ، 104/3 . البخاري : الصحيح : 5 / 8 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 91/6 . العيني : عمدة القاري : 8 / 202 .

العرج: بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وجيم ، عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، وقيل هي قرية جامعة على طريق مكة من المدينة ، بينهما وبين الروثة ^١ أربعة عشر ميلا ^٢ ، وبين الروثة والمدينة واحد وعشرون فرسخا ، ووادي العرج يدعى المنبجس ^٣ ، وفيه عين عن يسار الطريق في شعب بين جبلين ، وعلى ثلاثة أميال منها مسجد النبي ﷺ الذي يدعى مسجد العرج ^٤ . وقيل في تسميتها : عن ابن الكلبي: لما رجع تبع ^٥ من قتال أهل المدينة يريد مكة رأى دواب تعرج فسامها العرج ، وروى انه قيل لكثير: لم سميت العرج عرجا ؟ قال: يعرج به عن الطريق ^٦ . وأشار السمعاني ^٧ إلى إن " العرج " موضع بمكة ولعله قد توهم في ذلك ، إذ تعقبه ابن الأثير ^٨ بقوله : " العرج بين مكة والمدينة وليس بمكة .

- ١- الروثة: تصغير الروثة من روث الدواب أو روث الأنف وهي طرفه ، وقيل سماها تبع الروثة من راث أي أبطأ ، قرية جامعة تبعد عن المدينة سبعة عشر فرسخا. البكري : معجم ما أستعجم : 686 / 2 . الإدريسي: نزهة المشتاق : 145/1 - 146 . ياقوت الحموي : معجم البلدان : 105/3 . الحميري : الروض المعطار : ص 277 . العيني : عمدة القارئ : 272/4 ، 260 / 15 .
- ٢- الميل عند العرب: ما اتسع من الأرض حتى لا يكاد بصر الرجل يلحق أقصاه . وهو اسم لمسافة يساوي أربعة إلى ستة آلاف ذراع ، وهو ثلث الفرسخ ، فيساوي مايزيد على الكيلو متر أو الكيلومتريين . عبد المنعم: معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية 386/3 . العاملي: الاصطلاحات الفقهية ص213 .
- ٣- هو وادي العرج ، يقال ان مائها يسمى المنبجس وهي بئار (جمع بئر) . البكري : معجم ما استعجم 930/3 . ياقوت الحموي : معجم البلدان : 514/1 .
- ٤- مسجد العرج : يبعد عن وادي العرج ثلاثة اميال . البكري: معجم ما استعجم : 930/3 .
- ٥- لقب لمن يتولى حكم اليمن. لمزيد من التفاصيل عن التبابعة ينظر: محسن مشكل فهد : التبابعة في اليمن (الصفحات جميعها) .
- ٦- ياقوت الحموي: معجم البلدان : 98/4 - 99 . البكري : معجم ما استعجم : 3 / 930 . الزمخشري : الفايق : 2 / 389 . الصالحي الشامي: سبل الهدى : 5 / 281 . ابن منظور : لسان : 1 / 196 . الطريحي : مجمع البحرين : 3 / 149 .
- ٧- الأنساب 177/4 .
- ٨- اللباب في تهذيب الأنساب: 2 / 334 .

وقد ورد ذكر العرج في كلام امير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن هجرة النبي ﷺ ولحاقه به، إذ قال: " فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرْجِ " ^١.

فدك:

لغة: فَدَكٌ - بالتحريك - آخره كاف . قال ابن دريد : فَدَكْتُ القطن تفديكاً إذا نفشته ، وهي لغة أزدية ^٢.
أما اصطلاحاً : هي موضع بالحجاز شمال الجزيرة العربية على طريق الشام وهي قرية زراعية على بعد يومين أو ثلاثة أيام من المدينة المنورة ، وتبعد عن خيبر دون مرحلة ، والمرحلة هي المسافة التي يقطعها الراكب في اليوم الواحد ، وكانت يسكنها اليهود ^٣.

لقد كان لقرب فدك من خيبر أولاً ، ولسكنها من قبل اليهود كما هو الحال بالنسبة لخيبر ثانياً ، ولأن طريقة فتحها شابها فتح حصري من حصون خيبر ثالثاً ، لذا اشتبه الأمر على بعضهم فتصوروا إنها من توابع خيبر ^٤. لقد فتحت فدك صلحا ، وأصبحت فيئا للنبي ﷺ بموجب النص القرآني ، وتشير الروايات أن النبي ﷺ أعطى فدكا للسيدة فاطمة عليها السلام بموجب النص القرآني ﴿ وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ ^٥، وقد أشارت كتب التفسير أن المقصود بذلك السيدة فاطمة عليها السلام وقد تصرف عليها السلام بهذه الأرض أربع سنوات حتى وفاة النبي ﷺ ، فارتأى نظام الحكم بعد النبي ﷺ مصادرتها بعد أحداث جسام ^٦.

١- نهج البلاغة : ص487.

٢- الجوهرى : الصحاح : 4 / 1602 . الحموي : معجم البلدان : 4 / 238 . ابن منظور : لسان العرب : 10 / 473 . وقيل في سبب تسميتها بفدك نسبة إلى فدك بن حام بن نوح ﷺ لأنه أول من نزلها. الحموي : معجم البلدان : 4 / 240 . الحميري : الروض المعطار : ص437.

٣- انظر : الفراهيدي : العين : 5 / 332 . الحموي : معجم البلدان : 4 / 238 . ابن منظور : لسان العرب : 10 / 473 . الطريحي : مجمع البحرين : 3 / 371 . الجالي : فدك : ص80-83.

٤- من هؤلاء الذين اشتبه عليهم الأزهرى . انظر : ابن منظور : لسان العرب : 10 / 473 . وصاحب شرح مواقف . انظر : التبريزي : اللعنة البيضاء : ص292.

٥- سورة الإسراء الآية 26.

٦- لمزيد من التفاصيل راجع دراستنا التفصيلية: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة تاريخية : ص789 - 900.

لقد ورد ذكر فدك في كلام أمير المؤمنين ﷺ في رسالته إلى واليه عثمان بن حنيف^١، جاء فيها " بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانها في غد جدت، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق"^٢.

منعرج اللوى

اللوى من إلتوى، تعني الرمل الذي تغيره الريح متى ما هبت، ومنعرج اللوى هو منعطف الرمل^٣، وهو المكان الذي وقعت فيه معركة بين هوازن بقيادة أبو عبد الله أخو دريد بن الصمة وبين غطفان، بعد أن نهبهم فلحقوه، وكان قد نزل في منعرج اللوى وقتلوه وجرحوا دريدا. وكان دريد قد نصح أخاه ألا يقيم في منعرج اللوى لان غطفان ستلاحقه، فلم يأخذ بنصيحة أخيه لذا قال:

امرتهم امرى بـمن عرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

فلما عصوني كنت منهم وقد ارى غواييتهم واننى غـير مـهتدى

وهل انما الامن غزيرة ان غوت غوييت وان يرشده غزيرة ارشده

فان يك عند الله خلوى مكانه فما كان وقافا ولا طائش اليد

وقد تمثل أمير المؤمنين ﷺ بالبيت الأول لما بلغه ما جرى بين الحكيمين أبو موسى الاشعري وعمرو بن العاص^٤. ولم يتضح في المصادر المتوفرة اين مكان هذا المنعرج.

١- عثمان بن حنيف الأنصاري، أرسله عمر بن الخطاب لمسح السواد، ولاه أمير المؤمنين ﷺ البصرة، ثم خرج منها إثر مجيء أصحاب الجمل، فقبضوا عليه وخنقوا شعر لحيته، ثم اطلقوه، سكن الكوفة. حتى مات أيام معاوية. ينظر: ابن سعد: الطبقات : 255/3، 8/6. ابن خياط: تاريخ : ص 136-152. البخاري: التاريخ الكبير: 6/209. العجلي: معرفة الثقات : 128/2.

٢- نهج البلاغة : ص573-574.

٣- ياقوت الحموي: معجم البلدان : 365/1. البديري: نزهة النظر: ص770.

٤- البيهقي: معارج نهج البلاغة : ص 125-126.

الجانب الاقتصادي:

أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الواقع الاقتصادي السيء عند العرب قبل بعثة النبي ﷺ الذي يعود إلى:

أولاً: طبيعة أرض شبه الجزيرة: التي يغلب عليها إما أن تكون أراضي جبلية صخرية أو صحراوية . كما تبين في الجانب الجغرافي.

ثانياً: سيطرة القوى الأجنبية على الأراضي الخصبة ودفع العرب نحو الأراضي الصحراوية ، يقول عليه السلام : " يَحْتَارُونَهُمْ عَنْ رَيْفِ الْآفَاقِ وَيَحْرِ الْعِرَاقِ ، وَخُضْرَةَ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْحِ ، وَمَهَافِي الرِّيحِ ، وَتَكَدِ الْمَعَاشِ ، فَتَرْكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبْرٍ وَوَبْرٍ ، أَدَلَّ الْأُمَمَ دَارًا ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَارًا " .^١

هنا الإمام عليه السلام يشير إلى سيطرة الساسانيين على سواد العراق ، وهو المشهور بخضرته ، وأما بحر العراق فيقصد نهري دجلة والفرات ، فضلا عن شط العرب الذي كان يسمى دجلة العوراء^٢ ، والووم أبعدوا العرب عن المناطق الخصبة في الشام ، واضطروا القبائل العربية إلى مناطق البادية^٣ ، التي وصفها الإمام بأنها " مَنَابِتِ الشَّيْحِ ، وَمَهَافِي الرِّيحِ " ، فالشيخ نبات صحراوي^٤ ، ومهافي الرياح إشارة إلى الأثر السيء للرياح في الصحراء ، حيث لا يصددها شجر أو مانع ما^٥ ، يبحثون عن الماء والكلأ ، ف " تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ " .^٦ فالكدر: الماء غير الصافي الذي يتجمع في الأودية بعد

١- نهج البلاغة : ص75.

٢- نهج البلاغة : ص402.

٣- ياقوت الحموي: معجم البلدان: 183/3، 167/4.

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 13 / 173.

٥- الفراهيدي: العين: 263/3 . الجوهرى: الصحاح : 379/1.

٦- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 13 / 173.

٧- نهج البلاغة : ص56.

سقوط الأمطار ، فيشربون منه ^١ ، والجشب هو الطعام الغليظ ، او الذي لم ينخل كالشعير وغيره ، او الذي ليس فيه آدم ^٢ . فحياتهم قاسية ، و (نكد المعاش) ضيقه وقلته ، قال ابن أبي الحديد ^٣ : وتركوهم عالة ، أي فقراء ، جمع عائل ، والعائل ذو العيلة والعيلة: الفقر، قال تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ^٤ ، ... وقوله " إِخْوَانٌ دَبْرٍ وَوَيْرٍ " ، الدبر مصدر دبر البعير، أي عقره القتب. والوبر للبعير بمنزلة الصوف للضان والشعر للمعز. ووصف ﷺ أرضهم بأنها " أَذَلُّ الْأُمَمِ دَارًا " ، لعدم المعائل والحصون المنيعة فيها. " وَأَجْدَبُهُمْ قَرَارًا " ، لعدم الزرع والشجر والنخل بها. والجذب المحل.

لكن هذا الواقع الاقتصادي المأساوي تغير بعد البعثة النبوية الشريفة ، يقول ﷺ " فَأَنْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، ... كَيْفَ نَشَرْتِ النِّعْمَةَ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَأَلَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالتَّقَاتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَاتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرَقِينَ، وَفِي خُضْرَةٍ عَيْشِهَا فَكِهِينَ " ^٥ .

فقد امتدت رقعة دولة الإسلام على مساحات شاسعة من العالم يومذاك ، وغدت أراضي الدولة الساسانية والبيزنطية تتبع الدولة الإسلامية، وخيرات البلاد جميعا تدر عليهم من الخيرات ما لا يوصف.

١ - الفراهيدي: العين : 325/5 . الجوهري: الصحاح : 803/2 . ابن منظور: لسان العرب : 134/5.

٢ - ينظر: الفراهيدي: العين : 39/6 . ابن الأثير: النهاية: 272/1.

٣ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 173/13 - 174.

٤ - سورة التوبة الآية 28.

٥ - نهج البلاغة : ص402-403 .

البحث الثاني الجانب السياسي والاجتماعي

أولاً: الجانب السياسي :

أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الواقع السياسي عند العرب قبل البعثة المحمدية الشريفة، وهي إشارة أبانت الوضع السلبي الذي عاشه العرب آنذاك، إذ تميز واقعهم بـ :

أولاً: التفرقة: كان للنظام القبلي أثره في تفرق العرب قبائل متناثرة في شبه الجزيرة العربية ، وصفها عليه السلام بأنها " قُرَى مُنْقَطِعَةٍ " ^١، وقال عليه السلام واصفا حالهم: " تَأْمَلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتَتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ ... لَا يَأُؤُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ " ^٢.

ثانياً: الحروب: مع هذه الفرقة ، تميز تاريخ العرب قبل البعثة المحمدية بحروب متواصلة، تقع أحيانا لأتفه الأسباب ، مما أدى إلى أن تقطع الأرحام كما وصف حالهم الإمام " وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ " ^٣، حتى إن بعثة النبي ﷺ جاءت (على حين ... تلظ من الحروب) ^٤. هذه الحروب - التي سميت بليام العرب ^٥، وكانت موضع فخرهم في أنديةهم ومجالسهم ^٦ - كانت سببا لقيام بعض القبائل بوأد بناتها ^٧.

١ - نهج البلاغة : ص 394.

٢ - نهج البلاغة : ص 401 - 402.

٣ - نهج البلاغة : ص 402.

٤ - نهج البلاغة : ص 144 .

٥ - عن هذه الأيام ينظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر : 101/2 . ابن حمدون : التنكرة الحمدونية

ص: 382-384 . ابن الأثير: الكامل: 1/502 - 506.

٦ - الملاح: الوسيط : ص 407.

٧ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 13/ 174 - 175. الألوسي : بلوغ الارب 3 / 42 - 43 .

ثالثاً: الهيمنة الأجنبية: أشار أمير المؤمنين إلى أن حالة التفرقة هذه والحروب فيما بينهم أدت إلى سهولة السيطرة عليهم من قبل القوى الكبرى يومذاك " لِيَالِي كَانَتْ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ " ^١ ، فقد تمكن الساسانيون من مد سيطرتهم على العراق واتخذوا من المدائن ^٢ عاصمة لهم ^٣ ، ولا يبعد أنهم شجعوا الخلافات بين القبائل العربية ، ونصبوا المناذرة ملوكاً على العرب في العراق ، مقابل قيامهم بحماية المصالح الفارسية ^٤ ، وكذلك مد الرومان سيطرتهم على بلاد الشام ونصبوا الغساسنة ملوكاً لحماية لحماية مصالحهم ولصد الغارات العربية عن حدودهم ^٥ . وكان الغساسنة مخلصين للرومان إلى درجة أن قام الملك الغساني بقتل الرسول الذي أرسله النبي محمد ﷺ يدعوهم للإسلام إرضاءً لأسياده الرومان ^٦ .

لكن هذا الحال تغير بعد البعثة النبوية الشريفة إلى حال مغاير تماماً، إذ تميز واقعه بإن الدعوة التي جاء بها النبي ﷺ أدت إلى توحدهم تحت لواء واحد ، مما ألفت بين قلوبهم ، فزالت الحروب والمنازعات

- ١ - نهج البلاغة : ص401-402.
- ٢ - مدينة تقع شمال شرق بغداد على بعد ستة فراسخ ، وقد اختلف في أول من بناها هل هو الاسكندر المقدوني ؟ ، أم اردشير بن بابك أول ملوك الدولة الساسانية الذي اتخذها عاصمة ؟ ، وقد دأب الملوك من بعده على أن يبني احدهم مدينة إلى جوار السابقة حتى أصبح عددهن سبع مدن ، عندها سميت بالمدائن ، وقد افتتحها سعد بن أبي وقاص سنة 16 هـ ، أيام الخليفة عمر ، ولما فتحت البصرة والكوفة انتقل أكثر أهل المدائن اليهما ، ولما بنى المنصور بغداد انتقل من تبقى إلى بغداد . قال الحموي ت 626 هـ : ((فأما في وقتنا هذا فالمسمى بهذا الاسم بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ ، وأهلها فلاحون يزرعون ويحصدون ، والغالب على أهلها التشيع على مذهب الامامية ، وبالمدينة الشرقية قرب الإيوان قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وعليه مشهد يزار إلى وقتنا هذا)) . وينسب لهذه المدينة طائفة من حملة العلوم كالمدائني الإخباري ، وابن أبي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة ، وغيرهم . انظر : السمعاني : الأنساب 5 / 230 . 232 ، ياقوت الحموي : معجم البلدان : 5 / 74 - 75 . السيوطي : لب اللباب : ص 239 .
- ٣ . للتفاصيل ينظر : اليعقوبي: تاريخ : 1 / 137 وما بعدها، المسعودي: مروج الذهب: 1/221 - 253. آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين (كل الصفحات). طه باقر : تاريخ إيران القديم : ص 111 وما بعدها. شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية : ص 69 - 74.
- ٤ - الملاح: الوسيط : ص 219 - 220 ، 242. ولمزيد من التفاصيل عن المناذرة ينظر: اليعقوبي: تاريخ : 1 / 178-185 ، الملاح: الوسيط : ص 213-253.
- ٥ - الملاح: الوسيط : ص 256. ولمزيد من التفاصيل عن الغساسنة ينظر : اليعقوبي: تاريخ : 1 / 176-178 . الملاح: الوسيط : ص 254 - 269.
- ٦ - الواقدى: المغازي : ص514.

، وغدا لهم سلطان واحد يفزعون إليه ، فلم يعودوا بعد أتباعا للأجنبي ، بل أصبحوا هم حكاما على الناس بعد أن كانوا تابعين للغير، يقول ﷺ :

" فَاَنْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا ، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ ، كَيْفَ نَشَرْتَ النِّعْمَةَ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَأَلْتَ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، وَالنَّفَقَاتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَاتِهَا ، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ ، قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ ، وَأَوْتَهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنْفِ عِزِّ غَالِبٍ ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ ، يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمَضِّيهَا فِيهِمْ، لَا تُغْمَرُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلَا تُفْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ^١ ."

وقوله ﷺ : لا تغمر له قناة ، أي هو صلب. والقناة إذا لم تلتن في يد الغامر كانت أبعده عن الحطم والكسر. وأما قوله: لا تفرع لهم صفاة ؛ فهو مثل يضرب لمن لا يطمع في جانبه لعزته وقوته^٢.

١ - نهج البلاغة : ص 402-403.

٢ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 13 / 179.

ثانيا : الجانب الاجتماعي :

طبيعة المجتمع قبل الاسلام :

المعلوم أن المدة الزمنية من تاريخ العرب التي سبقت الإسلام قد نعتت بالجاهلية ، فما هي الجاهلية ؟ ولماذا نعت العرب وقتذاك بذلك ؟ .

الجاهلية : لغة ، مصدر جهل ، والجهل نقيض العلم ، وتجاهل : اظهر الجهل ، والجهالة : ان تفعل فعلا بغير علم ، والمجهلة : ما يملك على الجهل ¹ .

اما اصطلاحا: فهو لفظ مستحدث ظهر بظهور الاسلام ، وقد اطلق على حال العرب قبل الاسلام تمييزا وتفريقا لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور الرسالة ² .

ولكن لماذا عرفت المدة السابقة للإسلام من تاريخ العرب بالجاهلية ؟ ، هناك من يرى انه غلبت على العرب البداوة ، وانهم قد تخلفوا حضاريا عن معاصريهم ، فعاشوا عيشة قبائل رحل في جهل وغفلة ولم تكن لهم صلوات بالعالم الخارجي ، اميون ، عبدة اصنام ، ليس لهم تاريخ حافل ³ .
لقد تباينت الآراء حول سبب اطلاق هذه اللفظة (الجاهلية) على تلك الحقبة من تاريخ العرب التي سبقت الاسلام ، و يمكن ايجازها بثلاثة آراء:

الاول: لانهم لا يعرفون القراءة والكتابة.

الثاني: لعدم امامهم بالعلوم، وانهم اناس غلبت عليهم البداوة والجهل بالعلوم.

الثالث: لعدم معرفتهم بالدين الصحيح.

وقد اخضع احد الباحثين هذه الآراء للدراسة والتحليل ، واثبت عدم انطباقها على واقع العرب في تلك المدة . إذ رجع إلى المصدر الذي أطلق لفظ الجاهلية ، ألا وهو القرآن الكريم الذي وجد أن لفظة (الجاهلية) وردت في القرآن الكريم في السور المدنية دون المكية ⁴ ، مما يدل على ان ظهورها كان بعد

١- الجوهري: الصحاح : 4 / 1663 - 1664.

٢- جواد علي: المفصل: 1/ 29 .

٣- جواد علي: المفصل: 1 / 29 .

٤- النصرالله: الجاهلية فترة زمنية ام حالة نفسية: (الصفحات جميعها)

الهجرة الى المدينة ، وان اطلاقها بهذا المعنى كان بعد الهجرة ، وان المسلمين استعملوها منذ هذا العهد فما بعده ^١ .

وقد جاء امير المؤمنين ﷺ ليقتبس هذه اللفظة من القرآن الكريم ، جريا على عادته في محاكاة آياته الشريفة ، فهو الذي كان اقدر و " اكثر من غيره على محاكاة ومجازاة كتاب الله والاستفادة منه في استعمال الكلمة القرآنية ، ووضعها في موضع جديد، واستعمال علوي بليغ ، واذا البلاغة القرآنية تتجسد على لسان علي " ^٢ . ولا بأس من الاشارة الى النصوص التي وردت فيها لفظة الجاهلية في كلام الامام امير المؤمنين ﷺ : ففي حديثه عن الأجواء التي بعث فيها النبي ﷺ قال: " بعثه والناس ضلالاً في حيرة ، وحاطبون في فتنه ، قد استهوتهم الأهواء ، واسترلتهم الكبرياء ، واستخفنتهم الجاهلية الجهلاء " ^٣ . وفي مقام نصحه أصحابه قال: " لا تكونوا كجفاة الجاهلية ، لا في الدين يتفقون ، ولا عن الله يعقلون " ^٤ ، ووصف حال المسلمين بعد مقتل عثمان بانه " إن هذا الأمر أمر جاهلية " ^٥ ، وأشار إلى أن من يتبع الشيطان هم: " صدقه به أبناء الحمية ، وإخوان العصبية ، وفرسان الكبر والجاهلية " ^٦ . وعاد ﷺ محذرا من الكبر فقال: " فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية ، فإنه ملائح الشنان ، ومنافخ الشيطان ، التي خدع بها الأمم الماضية والقرون الخالية، حتى أعنفوا في حنادس جهالتهم ، ومهاوي ضلالتهم ، ذللاً عن سبيله ، سلساً في قيادته ، أمراً تشابهت القلوب فيه ، وتتابعت القرون عليه ، وكبراً تصايقت الصدور به " ^٧ .

وفي وصفه المتكبرين او الكبراء والتحذير من طاعتهم " ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم ، الذين تكبروا عن حسيهم ، وترفعوا فوق نسيهم ، وألقوا الهجينة على ربيهم ، وجاحدوا الله على ما صنع بهم ، مكابرة لفضائه ، ومغالبة لآلئه ، فإنهم قواعد أساس العصبية ، ودعائم أركان الفتنه ، وسيوف اغتراب الجاهلية " ^٨ .

١- جواد علي: المفصل: 1 / 29.

٢- الساعدي: علي القران الناطق: 1 / 12.

٣- نهج البلاغة: ص 177 - 178.

٤- نهج البلاغة: ص 320.

٥- نهج البلاغة: ص 323.

٦- نهج البلاغة: ص 387.

٧- نهج البلاغة: ص 389 - 390.

٨- نهج البلاغة: ص 390.

وقال ﷺ موبخا العصاة الخارجين عن الطاعة " أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ ، وَتَلَمَّتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ " ^١.

ومن وصاياه العسكرية ﷺ التي تعد من آداب الحروب أوصى بعدم التعرض للنساء ، " وَلَا تَهْجُوا النِّسَاءَ بِأَدَى ، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أَمْرَأَكُمْ ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ ، إِنْ كُنَّا لَنُؤَمِّرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، بِالْفَهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ ، فَيُعِيرُ بِهَا وَعَقْبَهُ مِنْ بَعْدِهِ " ^٢.

وفي موضع اخر " فَاطْفُوا مَا كَمَنْ فِي قُلُوبِكُمْ ، مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ " ^٣.

وقال ﷺ مفتخرا : " فَاسْلَمْنَا قَدْ سَمِعَ ، وَجَاهِلِيَّتَنَا لَا تُدْفَعُ " ^٤.

وفي كتابه لابن عباس يستنكر عليه موقفه السلبي من بني تميم في البصرة ، يصف الامام بني تميم " وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبِقُوا بَوْغِمَ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ " ^٥.

الى غيرها من النصوص التي وردت فيها لفظة مشتقة من لفظ الجاهلية ، ك الجهل ^٦ ، وجهالة ^٧ ، والجاهلية الجهلاء ^٨ ، والجهلاء ^٩ . وغيرها.

والمتأمل في النصوص اعلاه يمكن ان يسجل الملاحظات الآتية :

اولا: إن الامام امير المؤمنين ﷺ أطلق - صراحة - هذه اللفظة على المدة التي سبقت الاسلام من تاريخ العرب ، ووضح مثال على ذلك قوله مفتخرا : " فَاسْلَمْنَا قَدْ سَمِعَ ، وَجَاهِلِيَّتَنَا لَا تُدْفَعُ " ^{١٠}.

١- نهج البلاغة : ص403.

٢- نهج البلاغة : ص509.

٣- نهج البلاغة : ص388.

٤- نهج البلاغة : ص529.

٥- نهج البلاغة : ص513.

٦- ينظر: نهج البلاغة : ص80، 178، 203، 269، 346، 489، 757.

٧- ينظر مثلا: نهج البلاغة : ص137، 458، 468.

٨- صفة مبالغة للجهل: ينظر مثلا: نهج البلاغة : ص178.

٩- جمع جاهل: ينظر مثلا: نهج البلاغة : ص398.

١٠- نهج البلاغة : ص529.

اشارة الى شرف بيته على غيره أنه لا يختص بدورهم في الاسلام فقط ، بل أن شرف بني هاشم قبل الإسلام (الجاهلية) مشهور ، ومكارم اخلاقهم لا يدفعها دافع ولا ينكرها منكر¹ .
ويظهر أن بعضهم تصور أن الإمام يشير إلى الجاهلية بمعناها الخلقية ، لذا استبعد ذلك وأشار الى ان اللفظة هكذا " وجاهليتكم لا تدفع " ² . لكن الواضح من سياق الكلام ان استعمال الامام ﷺ لفظة الجاهلية كانت في مقابل لفظة الاسلام " فاسلامنا " مقابل " جاهليتنا " وهذا دليل التقابل الزمني ، فان في كلا المديتين كان لبني هاشم مآثر محمودة . وكذلك في معرض كتابه لابن عباس واليه على البصرة يوصيه ببني تميم ، قائلاً ﷺ: " **وَأِنَّهُمْ لَمْ يُسَبِّقُوا بِوَعْمٍ³ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ⁴** " .
إن الإمام هنا يقصد بلفظ الجاهلية المدة الزمنية التي سبقت الدعوة المحمدية.

ثانياً: يبدو واضحاً في النصوص ان لهذا النعت " الجاهلية " اسباباً ودوافع استوجبت وسم المجتمع انذاك بهذه الصفة ، منها الممارسات السلبية التي ابتعدت بهم عن هدى الشرائع السماوية ، كما هو واضح في اشارته ﷺ: " **لَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْفُونَ** " ⁵ .

كما تنبئ تلك النصوص عن تفشي امراض اجتماعية مقبلة في ذلك المجتمع كالكبر والحمية والعصبية والاستخفاف والحقد ، وعدم احترام المرأة ، فضلا عن غيرها من السمات التي سيأتي الحديث عنها تفصيلاً .

ثالثاً: غير خاف على المطالع للنصوص السابقة ان الامام امير المؤمنين ﷺ قد القى تلك الخطب التي حوت هذه النصوص - في اغلبها ان لم تكن كلها - في مدة خلافته ، أي بعد ظهور الاسلام ومضي مدة ليست بالقليلة ، ومع ذلك فاننا نلاحظ وبشكل لافت للنظر ان الدلائل واضحة على عودة مظاهر الجاهلية ونشاطها من جديد في المجتمع الاسلامي انذاك.

١- ألف الجاحظ رسالة في فضل بني هاشم على عبد شمس، ينظر رسالة في فضل بني هاشم على عبد شمس (الصفحات جميعها). وكذلك ألف المقرئ رسالة في أسباب وصول بني أمية للحكم منابذة لبني هاشم بعد أن بين فضلهم . ينظر: النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وهاشم (الصفحات جميعها).

٢- الراوندي : منهاج البراعة : 78/3 . نلاحظ ان ابن ميثم في شرحه اوردها بلفظ " جاهليتنا " وكذلك في كتابه مصباح السالكين : ص 500 اذ ذكر اللفظة في اصل الخطبة " جاهليتنا " ولكن في شرحها قال : " جاهليتكم لا تدفع شرفنا وفضلنا فيها .

٣- الوغم : الحرب والحقد . ينظر : ابن الاثير : النهاية : 209 /5 ، ابن منظور : لسان العرب : 641 / 12 .

٤- نهج البلاغة : ص 513 .

٥- نهج البلاغة : ص320 .

مما دعاه ﷺ الى الجد في اعادتهم لهدي الشريعة السمحاء ووضعهم على الطريق الصحيح ، بالوعظ والانذار والتوضيح لمكامن العلل والحرص منه ﷺ على معالجتها ، ومن ذلك : قوله ﷺ : " فَأَطْفَنُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ ، مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ " ^١ . وفي قول آخر يحذر من كبر ابليس والانقياد له " صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وَإِخْوَانُ الْعَصِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ ، فَجَمَعَتِ الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ ، فَأَفْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذَّلِّ ، وَأَحْلَوْكُمْ وَرَطَّاتِ الْقَتْلِ ، وَأَوْطَنُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْدًا لِمِقَاتِلِكُمْ ، وَسَوْفًا بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجًا ، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ " ^٢ .

وعاد يؤنب سامعيه و ماهم عليه من روح قبلية وتعصب عنصري ذميم وهما من شر سمات الجاهلية ، مبينا ان هذه الافة الخطيرة قد ابتليت بها الامم الماضية : " أَلَا وَقَدْ أَمَعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُصَارَحَةَ اللَّهِ بِالْمُنَاصِبَةِ ، وَمُبَارَزَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُ مَلَأَقِحُ الشَّنَنَانِ ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَّمَ الْمَاضِيَةَ وَالْفُرُونَ الْخَالِيَةَ ، حَتَّى أَعْقَفُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ ، وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ، ذُلًّا عَنْ سِيَاقِهِ سُلْسَاءً فِي قِيَادِهِ ، أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ ، وَتَتَابَعَتْ الْفُرُونَ عَلَيْهِ ، وَكِبْرًا تَضَايَقَتْ الصُّدُورُ بِهِ " ^٣ . وحذر من تكرار التجربة التاريخية في هذا المضمار : " واجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ ، وَأَوْهَنَ مُنْتَهُمَ ، مِنْ تَضَاعُنِ الْقُلُوبِ ، وَتَشَاخُنِ الصُّدُورِ ، وَتَدَايُرِ النُّفُوسِ ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي ... " ^٤ . الى غيرها من النصوص التي تتطوي تحت هذا الجانب .

والغاية من هذا العرض الموجز لبعض الامثلة اعلاه انه بدلالة قول الامام ﷺ وبيناته فان " الجاهلية " لم تكن سمة مقتصرة على المدة التي سبقت الاسلام ، بل هي سارية في كل مجتمع تتوافر فيه مصاديقها ، وهذا ما يوافق النظرة القرآنية كما سيتضح لنا .
رابعا: ان ما ذكره الامام امير المؤمنين ﷺ عن موجبات ذلك النعت للمجتمع في الفترة السابقة للاسلام وحتى المدة الاسلامية ، يحاكي ما جاءت به آيات الذكر الحكيم التي ستكون مدار البحث فيما يأتي :

١- نهج البلاغة : ص388.

٢- نهج البلاغة : ص387-388.

٣- نهج البلاغة : ص389-390.

٤- نهج البلاغة : ص400.

لقد سبقت الإشارة الى ان هذه اللفظة وردت في القرآن الكريم في السور المدنية في اربع مواضع من القرآن الكريم وهي كالاتي :

- ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^١ .
 ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾^٢ .
 ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^٣
 ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾^٤

ومن خلال تأمل ما جاء في كلام امير المؤمنين عليه السلام نجد تناغما واضحا ما بين الاستعمال القرآني للفظه الجاهلية وما بين استعماله عليه السلام لها ، ولاسيما في الآيات الثلاثة الاولى كما سنبينه الان :

الآية الاولى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^٥ .
 لقد حصرت الآية الأحكام في نوعين ، اما احكام من الله او من غيره ، وقد اطلقت الاحكام الصادرة عن غير الله بانها احكام جاهلية ، والقرآن هنا يشير الى جماعة لم تقبل باحكام الله وارادت احكاما اخرى^٦ .

وهذا ما نجد له صدى واضحا في كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام ، ومن ذلك اشارته عليه السلام الى بعض الاحكام المخالفة للشريعة الالهية ، التي عدّها عليه السلام من احكام الجاهلية ، ومن أبرزها ظاهرة " الواد"^٧ ، اذ يقول عليه السلام واصفا المجتمع آنذاك: " الْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ

١- سورة المائدة الآية 50 .

٢- سورة الفتح الآية 26 .

٣- سورة آل عمران الآية 154 .

٤- سورة الأحزاب الآية 33 .

٥- سورة المائدة الآية 50 .

٦- ابن كثير: تفسير: 67/2 . النصر الله: الجاهلية : ص15 .

٧- واما عن اسباب او دوافع الواد عند العرب قبل الاسلام ، فهي متعددة منها:

العامل الديني: وذلك من خلال تقديم بعض البنات كقرابين للإلهة ، كإظهار الشكر على النعم ، وقد استنكر القرآن الكريم ذلك بقوله ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُزِدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ بَيْنَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ سورة الأنعام الآية 137 . واحيانا تم وأد البنات بسبب عقيدة بعض المشركين بان الملائكة بنات الله ، فالحقوا البنات به ، فهو أحق بهن ، والى ذلك اشار القرآن الكريم ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهِ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾

، فِي بَلَاءِ أَزَلٍ ، وَأَطْبَاقِ جَهْلِ ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْعُودَةٍ ...^١ .

الوَأْدُ - لغة - النُّقْلُ ، واطلقت الكلمة على البنات التي تدفن حية لأنها تنقل بالتراب ، جاء في اللغة :
وَأْدُ الرَّجُلِ ابْنَتُهُ إِذَا دَفَنَهَا فِي الْقَبْرِ حَيَّةً وَاتَّقَلَهَا بِالتَّرَابِ^٢ ، وهو ما اكده المفسرون انما سميت المؤودة
كذلك " لما يطرح عليها من التراب فيؤودها ، أي يتقلها حتى تموت " ^٣ .
اما المعنى الاصطلاحي للوَأْدُ ، فهو قتل الطفل ، ذكرا كان او انثى سواء بالدفن او بغيره كالفائه من
شاهق ، او إغراقه ، أو ذبحه ^٤ .

والامام عليه السلام هنا يشير الى " وأد البنات " تحديدا ، ولكن يمكن ان يحمل قوله في موضع آخر "
تسفكون دمائكم وتقطعون ارحامكم " على قتل الوالد لولده ^٥ . وقد استنكر القرآن الكريم هذه الظاهرة
وعدها من المسائل التي تأخذ حيزا كبيرا يوم القيامة كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ
ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾^٦ .^١

سورة النحل الآية 57. العامل الاقتصادي: ان شحة موارد الصحراء جعلت الاعراب يعيشون حياة الكفاف والفرق ،
فاضطربهم ذلك لوأد البنات ؛ الألوسي: بلوغ الإرب : 44 / 3 . قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ سورة
الإسراء الآية 31. العامل الاجتماعي: يكاد يكون هذا العامل في مقدمة العوامل المسببة للوَأْدُ حيث ان المجتمع البدوي
قائم على الغزو وهذا يؤدي الى وقوع المرأة في الاسر مما يجلب العار لاهلها ؛ الألوسي : بلوغ الارب : 3 / 42 - 43 .
السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية : 2 / 24 . قال تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ
كَظِيمٍ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ ؛ سورة النحل الآيتان 58 - 59 .
العامل الصحي: كان البعض يتشاءم اذا ولدت له بنت مصابة بالكساح او ان تكون برشاء او زرقاء او عرجاء او غير
ذلك ، فكانوا يندون من تولد على هذه الصفات ؛ الألوسي: بلوغ الإرب : 3 / 43 .

وتجدر الاشارة ان هذه الحالات شاذة وانحصرت لدى بعض القبائل البدوية ، وظهر من يستنكر ذلك عند العرب كما
فعل عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ ، اليعقوبي: تاريخ : 2/12. وصعصعة بن ناجية جد الفرزدق الذي كان يشتري
المؤودة ، لذا كان الفرزدق يقول مفتخرا: **ومنا الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يؤد**

ينظر ديوان الفرزدق ص173، وينظر: النصر الله : الجاهلية: ص 17 .

١- نهج البلاغة : ص402.

٢- أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية : ص 75. ابن منظور: لسان العرب : 442/3 . الزبيدي: تاج العروس :
289/5.

٣- الثعلبي: الكشف والبيان : 139/10. البغوي: معالم التنزيل : 452/4 . وينظر: الشريف الرضي: تلخيص البيان في
مجازات القرآن : ص302. الطوسي: التبيان في تفسير القرآن : 283/10. الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل : 456/2.
الألوسي: روح المعاني : 52 / 30.

٤- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 3 / 317. المحمودي: مفتاح السعادة: 5 / 195 - 196 .

٥- حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 3 / 317 .

٦- سورة التكويد الآيتان 8 ، 9 .

اما الآية الثانية : قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾^٢ الحمية في الاصل من مادة " حمي " ومعناها الحرارة ، ثم صارت تستعمل في معنى الغضب ، ثم استعملت في النخوة والتعصب الممزوج بالغضب ايضا^٣ ، والحمية : هي السفه والحمق والانفة والخفة والغضب ، وعدم الانقياد الى قانون او حكم ، هي شعور بالاعتداد بالنفس^٤ . ويقال نو حمية منكرة اذا كان ذا غضب وانفة ، أي حميت قلوبهم بالغضب ، كعادة آبائهم في الجاهلية ان لا يذعنوا لاحد ولا ينقادون له^٥ . قال الراغب^٦ : عبر عن القوة الغضبية اذا ثارت بالحمية ، فقيل: حميت على فلان اذا غضبت.

وهذه الكلمة (الحمية) قد تستخدم في هذا المعنى المذموم " مقرون بالجاهلية او بدونها " بعض الاحيان ، وقد تستعمل في المدح حيناً آخر، فتكون عندئذ بمعنى التعصب في الامور الايجابية البناءة^٧ .

ولكلا الحالتين مصداق في كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام ففي الجانب السلبي نجده عليه السلام يعدها من مظاهر الكبر والافتخار المذموم ، وذلك حينما استدل عليه السلام بقصة ابليس وعصيان الامر الالهي بالسجود لآدم ، اذ قال عليه السلام: " اعْتَرَضْتَهُ الْحَمِيَّةُ ، فَافْتَحَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ " ^٨ ، وفي مورد آخر لزم الشيطان ومن نهج نهجه يقول عليه السلام : " صَدَّقَهُ بِهِ اَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ ، وَاِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ " ^٩ ، وفي موضع آخر قال عليه السلام محذرا: " قَالَلَّهُ اللَّهُ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخَّرِ الْجَاهِلِيَّةِ " ^{١٠} . وقد عدها عليه السلام من خطرات الشيطان: " فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ

١- النصر الله : الجاهلية: ص 17.

٢- سورة الفتح الآية 26.

٣- ناصر مكارم الشيرازي: الامثل : 16 / 351 .

٤- ابن الاثير: النهاية : 447/1. ابن منظور: لسان العرب : 11 / 14 ، 129 ، 199 .

٥- الطبرسي : مجمع البيان : 210/9.

٦- المفردات في غريب القرآن : ص132.

٧- ناصر مكارم الشيرازي: الامثل : 16 / 351.

٨- نهج البلاغة : ص385.

٩- نهج البلاغة : ص387.

١٠- نهج البلاغة : ص389-390.

الشَّيْطَانِ وَنَحْوَاتِهِ وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ " ^١ ، ومن مظاهر الكبر اذ يقول ﷺ في صفة المتكبر " وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ " ^٢ .

اما الجانب الايجابي لها فيمكن الاستدلال عليه بقول امير المؤمنين ﷺ مخاطبا المتقاعسين في جيشه " أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ " ^٣ .

ومظهر آخر من مظاهر الحمية المذمومة وردت الاشارة اليه في كلام امير المؤمنين ﷺ " العصبية " الجاهلية . والعصبية : مشتقة من عصب وجمعها اعصاب ، والعصب هو الطي الشديد ، وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به ، ويقال عصب الرجل بالرجل عسبا أي احاطو به لقتال او حمية ، وعصب القوم بالنسب احاطوا به ، وعصبة الرجل بنوه الاقربون ^٤ . وكان المجتمع انذاك يعتبر رابطة الدم والرحم اساس الروابط الاجتماعية فيضع مبدأ القرابة فوق مبادئ الحق والعدالة في حال التعارض بينهما ^٥ ، والقرآن الكريم قد ذم هذه الحمية كما مر في الآية السابقة .

ان العصبية والحمية من توابع الكبر - كما سيأتي بيانه - والفرق بينهما ان الحمية للنفس ، والعصبية للاقارب ، والحمية للاهل والعصبية للقبيلة ^٦ .

وقد اشار امير المؤمنين ﷺ الى ان كل تعصب لعلة ما مقتضيه لتعصبه اذ يقول ﷺ : " وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ - يَتَّعَصِبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ " ^٧ مقتضية لتعصبه حاملة له عليه .

ثم شرع ﷺ في تفصيل بعض وجوه العصبية واسبابها ، فبدأ بذكر مبدأ العصبية لابليس وهذه العلة كما يقول امير المؤمنين ﷺ : " تَحْتَمِلُ تَمْوِيَةَ الْجُهْلَاءِ ، أَوْ حُجَّةَ تَلِيْطِ بَعْضِ الْعُقُولِ السُّفْهَاءِ " ^٨ ، أي تحتمل تشبيه الامر على اهل الجهل بحيث يظن سببا صحيحا للتعصب او عن حجة ملتصق بعقول

١- نهج البلاغة: ص388-389.

٢- نهج البلاغة : ص389.

٣- نهج البلاغة : ص78.

٤- خريسات : العصبية القبلية : ص21

٥- الملاح: الوسيط: ص376.

٦- المجلسي: مرآة العقول: 11 / 159.

٧- نهج البلاغة : ص398.

٨- نهج البلاغة : ص398.

السفهاء فيقلبها ، وهذا هو مقتضى العقل ، اذ كان الترجيح من غير مرجح محال في بداية القول ، وتقدير الكلام : فما وجدت احدا يتعصب الا وجدته يتعصب عن علة ^١ .

يقول شوقي ضيف ^٢ : وهي عصبية سيطرت على نفوسهم قدسوها تقديسا كان اعظم من تقديسهم للشعائر الدينية ، تلك الشعائر التي كانت تشاركهم فيها قبائل اخرى ، اما الشعائر العصبية القبلية فانها خاصة بالقبيلة الواحدة وابنائها الذين يجمعهم دم واحد ونسب واحد ، وربما تسامح الواحد في دينه ، اذ لم يكن يهمه في كثير من الاحوال ، اما في العصبية فانه لا يتسامح في أي واجب من واجباتها " .

وقال ﷺ موضحا سبب تعصب ابليس : " اما ابليس فتعصب على ادم لاصله ، وطعن عليه في خلقته فقال : انا ناري وانت طيني " فكانت علة تعصبه انه تعزز بخلقه النار واستوهن خلقه الصلصال ^٣ . ولذا نعته ﷺ بانه " إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ " ^٤ وفي موضع اخر اشار ﷺ الى ان الشيطان هو الذي وضع اساس العصبية ونزع الله رداء الجبرية ، وكان ﷺ قد حذر الناس من ابليس لانه عدو الله وامرهم باعتبار حاله وما لزمه من الشقاء بسبب معصيته وتكبره وتعصبه " فَاخْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعْذِبَكُمْ بِدَائِهِ ، وَأَنْ يَسْتَفْزِكُمْ بِبِدَائِهِ ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ ، فَلَعْمَرِي لَقَدْ فَوْقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، فَ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^٥ ، فَذُنُفًا بَعِيْبٍ بَعِيدٍ وَرَجْمًا بَظُنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ ، صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وَإِخْوَانُ الْعَصْبِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فَيُكْمُ ، فَتَجَمَّتِ الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيلِ " ^٦ .

ثم بين من هم تلامذة ابليس ومن سار على نهجه واستسلم لغوايته اذ اشار ﷺ الى عصبية الاغنياء والجهال من مترفة الامم ، وبين علة تعصبهم ، وهي اثار مواقع النعم والاموال والاولاد وسائر ما ينتفع به اذ يقول ﷺ : " وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النَّعْمِ ، فَ ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ ^٧ " ^٨ .

١- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 4 / 341.

٢- العصر الجاهلي: ص 61.

٣- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 11 / 308.

٤- نهج البلاغة : ص385.

٥- سورة الحجر الآية 39.

٦- نهج البلاغة : ص386-387.

٧- سورة سبأ الآية 35.

٨- نهج البلاغة : ص 398-399.

وفي الماحة منه ﷺ لما رأى ان عمدة منشأ تعصب اغلب الناس هو اتباع الرؤساء وحذرهم من متابعتهم بقوله : " أَلَا فَالْحَدَرَ الْحَدَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبْرَائِكُمْ " ^١ والتكرير لتأكيد التحذير، ولا يكونوا مثل الكافرين الذين ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا ٢ ﴾ أي اطعنا قادة الكفر وائمة الضلال ^٣ ، ووصف ﷺ الكبراء السادات بانهم " الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ " ^٤ أي جهلوا انفسهم ولم يفكروا في اصلهم من النطف النطف المستقدرة ومن الطين المنتن ونحوه ^٥ .

ثم مضى ﷺ في بيان اوصافهم بانهم " أَلْقُوا الْهَجِيئَةَ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ ، مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ ، وَمُغَالَبَةً لِآلَائِهِ " ^٦ ، ولذا نعتهم ﷺ " فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أُسَاسِ الْعُصْبِيَّةِ " ^٧ ، أي بهم بهم قوام الكبر العصبية وثباته ، كما ان قوام الاساس يقوا غيره واستحكام بها ^٨ . واضاف ﷺ في نعتهم أنهم " دَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ ، وَسُيُوفُ اغْتِرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ " ^٩ ، واراد ان اعتزائهم الى الجاهلية وانتسابهم اليها بمنزلة السيوف القواطع للحق المهلكة للدين ^{١٠} . وهنا ﷺ انما استعار لفظ السيوف لهم باعتبار صرامة عزومهم ومضيههم عند الاعتزاء فيما يعتزى له كمضي السيوف وصرامتها في مضاربها ، ويحتمل ان يريد بقوله (واصحاب سيوف اعتزاء الجاهلية) وذلك عند قولهم : يا لفلان ! والاعتزاء منهى عنه لكونه مبدأ الفتن ^{١١} .

ان ما ذكر اعلاه هو حديثه ﷺ في مقام الدم لتلك السمة ، أي العصبية المذمومة . ولكن يجدر التنبيه الى ان للامام ﷺ كلاما ايضا في العصبية الممدوحة ، والمرغوبة في الشريعة فقال ﷺ: " فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعُصْبِيَّةِ ، فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ ، الَّتِي

١- نهج البلاغة : ص390.

٢- سورة الأحزاب الآياتان 66-67.

٣- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 11 / 258

٤- نهج البلاغة : ص390.

٥- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13 / 149 .

٦- نهج البلاغة : ص390.

٧- نهج البلاغة : ص390.

٨- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة 11 / 260.

٩- نهج البلاغة : ص390.

١٠- الحسني: الديباج الوضي: 4 / 1996.

١١- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 4 / 307 - 308.

تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ بِيُوتَاتِ الْعَرَبِ ، وَيَعَاسِبِ الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ ، وَالْأَخْلَامِ الْعُظِيمَةِ ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ " ١ .

وهنا إشارة واضحة منه ﷺ الى وجود عصبية محمودة الى جانب العصبية المنفرة المذمومة ، وهذا يعني ان معرض الذم وان كان غالبا على المجتمع في تلك الفترة السابقة للاسلام الا انه ليس شاملا بل فيه ما يدعو الى المدح والافتخار ، وخير مثال على ما ذكره بعض الكرام من العرب من اهل المجد والشرف والذين عبر عنهم ﷺ بقوله " المجداء والنجداء من بيوتات العرب ، ويعاسيب القبائل " . ورغم تعدد الامثلة بين ثنايا الروايات التاريخية الا اننا سنركز الحديث لاحقا عن الابرز وضوحا في تاريخ العرب ألا وهم اجداد النبي الاعظم ﷺ من بنو هاشم ممن تعارف باكرم الخصال واعلى رتب الشرف ، وممن انف عن افعال الجهل والكبر والعصبية الا للخلال المحمودة - كما سياطينا بيانه ٢ - ومن مصاديق ذلك ما كان منهم من نصره الدين الالهي ومنعة لرسوله الكريم ﷺ ، وقد ورد في الحديث " ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه " ٤ .

ولنا تحفظ بشأن ما ورد لدى البعض من تحليل لموقف سيدنا ابي طالب ﷺ وسيدنا الحمزة ﷺ فعللوا موقف الاول تجاه الرسالة السماوية وابن اخيه النبي الاعظم ﷺ وما ابداه من موقف ايجابي ، انه كان لتعصبه القبلي او لحميته لقريبه ٥ ؟! وكذلك فسر اسلام الحمزة ﷺ انه جاء نتيجة غضبه وعصبيته للقراية ٦ . ولكن المطلع المتأمل لمواقف هذين السيدين ليقف على ايمان عميق بالله ورسوله ﷺ والا لما استحقا هذه المكانة في تاريخ الاسلام فغدا ابو طالب حامي الرسول والمدافع عنه وناصره اذ سماه الله سبحانه ناصر النبي ، إذ قال جبرئيل للنبي ﷺ اثر موت ابي طالب : " اخرج منها فقد مات ناصرك " ٧ ، واما الحمزة فهو اسد الله ، واسد رسوله ، وسيد الشهداء ٨ .

١- نهج البلاغة : ص399.

٢- ينظر الفصل الثالث ص : 254 - 259 .

٣- ينظر من هذا الفصل ص : 137 - 141 .

٤- ابن حنبل: المسند: 533/2 . السمعاني: تفسير: 448/2.

٥- لمزيد من التفاصيل عن هذا الرأي وما جاء في رده ينظر المحمداوي : ابو طالب : ص 107 - 314 .

٦- ابن هشام : السيرة النبوية : 1 / 184 - 185 . ولمزيد من التفاصيل عن سيرة الحمزة ﷺ ورد الشبهات عنها ، ينظر : سعدي المالكي : حمزة بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية : (الصفحات جميعها) .

٧- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 29/1 ، 128/4.

٨- الصفار: بصائر الدرجات : ص141.

ولنترك الحديث لامير المؤمنين عليه السلام يحدثنا عن هاتين الشخصيتين، فنجده يفخر بابيه قائلا: " ولا ابو سفیان كأبو طالب " ^١، ويفخر بعمه حمزة فيقول: " ومنا أسد الله " ^٢.
 إن الحمية والعصبية من توابع الكبر، الذي كان من ابرز سمات المجتمع الجاهلي انذاك، وقد وردت الاشارة اليه في كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام فما هو الكبر؟
 الكبر: هو حالة تدعو الى الاعجاب بالنفس والتعاطف على الغير، بالقول او الفعل ، وهو من اخطر الامراض الخلقية ، واشدها فتكا بالإنسان ، وادعاها الى مقت الناس له وازدراؤهم به ، ونفرتهم منه . قال تعالى ذاما لهذه الخصلة ﴿ انه لا يحب المستكبرين ﴾ ^٣ وقال: ﴿ جعل جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ ^٤ .
 فالكبرياء من السمات الخاصة بالله " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ الْغَرْ وَالْكِبْرِيَاءَ ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمَا حِمَى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ ، وَاصْطَفَاهُمَا لَجَلَالِهِ " ^٥ ، وقد حذر امير المؤمنين عليه السلام من هذه الحالة التي كانت من ابرز الظواهر في المجتمع انذاك " بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالًا فِي حَيْرَةٍ ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ " ^٦ في مواضع عدة " وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لُؤَاقِحِ الْكِبْرِ ، كَمَا تَسْتَعِيدُونَ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ ، فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ ، لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ " ^٧ ، وقال عليه السلام : " فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبُغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ " ^٨ ، وضرب الامثلة لعاقبة الذي يتكبر بالشيطان اولا الذي اضاع عبادة ستة الالاف سنة عن كبر ساعة واحدة ^٩ " فَعَدُّوا لِلَّهِ إِمَامَ الْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ ، وَنَارَعَ لِلَّهِ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّدَلُّلِ . أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ ؟ وَوَضَعَهُ بِتَرْفُعِهِ ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْحُورًا ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا " ^{١٠}

١- نهج البلاغة : ص 511 .

٢- نهج البلاغة : ص 528 .

٣- سورة النمل الآية 23.

٤- سورة الزمر الآية 60.

٥- نهج البلاغة : ص 384-385.

٦- نهج البلاغة : ص 177

٧- نهج البلاغة : ص 392.

٨- نهج البلاغة : ص 397.

٩- نهج البلاغة : ص 386.

١٠- نهج البلاغة : ص 385.

فدعا الناس للاعتبار بحاله " إِذْ أَحْبَطَ عَلَيْهِ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ " ١ " فَأَطْفَنُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ قُلُوبِكُمْ ، مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ ، مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ ، وَاعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّدَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ ، وَالْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلَعَ التَّكْبِيرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ " ٢ .

ثم دعا للحذر من التآسي بفعال المثال الثاني من امثلة المتكبرين ، وهو قابيل ابن آدم ، اذ يقول ﷺ : " وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ ، مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ ، سِوَى مَا أَحَقَّتِ الْعِظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عِدَاوَةِ الْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْعُزْبِ ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ ، الَّذِي أَعَقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ ، وَالزَّمَهِ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " ٣

وما زال ﷺ محذرا من هذا المرض الاخلاقي البغيض وآثاره الوخيمة اذ يقول ﷺ : " اللَّهُ اللَّهُ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ - فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَائِنِ وَمَنَافِحُ الشَّيْطَانِ - الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأَمَمَ الْمَاضِيَةَ وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ - حَتَّى أَعَفُّوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ - ذُلًّا عَنْ سِيَاقِهِ سُلْسًا فِي قِيَادِهِ - أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونَ عَلَيْهِ - وَكِبْرًا تَضَايَقَتْ الصُّدُورُ بِهِ - ... فَأَعْتَبَرُوا بِمَا أَصَابَ الْأَمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ ، وَاتَّعَظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ ، وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لُؤَاقِحِ الْكِبْرِ ، كَمَا تَسْتَعِيدُونَ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ " ٤ .

لعل اهم ما ميز حياة العرب في الجاهلية انها كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء حتى كأنها سنة من سننهم، فهم دائما إما قاتلون أو مقتولون، لا يفرغون من دم إلا الى دم آخر. ° والى ذلك اشار الامام امير المؤمنين ﷺ في معرض حديثه عن المجتمع آنذاك اذ يقول: " قَدْ قَادَتْهُمْ أَرِمَةُ الْحَيْنِ " ٦ أي أي قد تداعوا الى الموت والفناء من كثرة الغارات وشدائد سوء المعاش وظلم بعضهم لبعض، لان الناس اذا لم يكن بينهم نظام عدلي ولم يجر في امورهم قانون شرعي اسرع فيهم ظلم بعضهم لبعض واستلزم ذلك فنائهم. ٧

١- نهج البلاغة : ص 386.

٢- نهج البلاغة : ص 388-389.

٣- نهج البلاغة : ص 389.

٤- نهج البلاغة : ص 389-390.

٥- ضيف : العصر الجاهلي : ص 62

٦- نهج البلاغة : ص 381.

٧- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 4 / 255.

اذ كان اكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الاخذ بالتأثر^١ ، فهو شريعته المقدسة، فكأن التأثر هو واجبهم الاول الذي لا يتساهلون فيه، ومن هنا تحولت القبائل العربية وتوزعت ما بين طارد ومطروود وغاز ومغزي كل يسعى الى اخذ غيره بسلطان قوته وخاصة اذا لمس في الخصم ضعفا^٢.

لذا عد الامام ﷺ " الغارات " من ابرز مظاهر حياتهم آنذاك بقوله في وصف حالهم: " فَأَلْحَوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلَاءِ أَزَلٍ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتِ مَوْعُودَةٍ، وَأَصْنَامِ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامِ مَقْطُوعَةٍ، وَعَارَاتِ مَشْنُونَةٍ " ^٣. فقد تحولوا بسبب اختصاصهم على المراعي واتخاذهم الغزو وسيلة من وسائل عيشتهم الى ما يشبه كتائب حربية ، فكل قبيلة مستعدة دائما للحرب والاغارة على من حولها من البدو والحضر ، وهي دائما شاكية السلاح حتى تحمي حماها ومنازلها وآبارها ومراعيها^٤ . وكانوا يسمون وقائعهم اياما^٥ ، فهي ليست حروبا بالمعنى المفهوم من الحرب ، فان منها ما هو مجرد مناوشات او مهازرات او غزوات ، ومنها ايام وقعت واستمرت لعدة سنين^٦ . ولذا قال ﷺ : " وانتم معشر العرب ... تسفكون دمائكم وتقطعون ارحامكم ... " في دلالة على الاثر السلبي الذي جنته تلك الحروب والغزوات على علاقاتهم وتسببت بفرقتهم .

ولذا وصفهم الامام امير المؤمنين ﷺ بالجفاء والغلظة وعبر عن مزيتهم قائلا : " الْجَفْوَةُ الْجَافِيَّةُ " ^٧ يريد غلظة العرب وما كانوا عليه من قساوة القلوب وسفك الدماء ، ووصفها بما اشتق منها مبالغة وتأكيدها لها ، واراد الجفوة القوية^٨ ثم نجده ﷺ يشير الى سلوك اجتماعي مقيت اذ مما يشاع فيهم انهم " يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ ، وَيَسْتَدْلُونَ الْحَكِيمَ " ^٩ فضلا عن ارتباكهم الفواحش والمحرمات ، ظهر من

١- لمزيد من التفاصيل عن التأثر واثاره السلبية ينظر : بيئة الزبيدي : التأثر في العصر الاموي : ص 7 - 62

٢- خريسات : العصبية القبلية : ص 90

٣- نهج البلاغة : ص 402.

٤- ضيف : العصر الجاهلي : ص 61 - 62

٥- لمزيد من التفاصيل ينظر : الالوسي : بلوغ الارب : 2 / 67 - 73 . جواد علي : المفصل : 5 / 260 - 311

٦- جواد علي : المفصل : 5 / 268.

٧- نهج البلاغة : ص 275.

٨- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 3 / 222.

٩- نهج البلاغة : ص 275.

عاداتهم استدلال من عقل منهم وحلم الغارة والنهب واثارة الفتن ، واستنهاضه بنسبته الى الجبن والضعف .

الآية الثالثة : ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^٢

الظن: هو ان ترجح مضمون الخبر وعدمه ، مع تجويز الطرف الاخر^٣ ، واحيانا ياتي الظن بمعنى العلم ، قال تعالى ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾^٤ وقال ايضاً : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾^٥.

والاية هنا تشير الى بعض افكار الجاهلية التي تبتني على غير ادلة سواء كانت ادلة شرعية او عقلية ، ومن تلك الافكار قولهم بتعدد الالهة واتخاذ وسائط الى الله تمثلت بالاصنام ، وانكار بعضهم حياة ما بعد الموت ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾^٦ . ولذلك سموا بالمعطلة ، وكانوا يحملون الدهر مسؤولية ما يمر بهم من نكبات وتقلبات^٧ ، اذن القرآن يرد القول ان أي ظن ياتي عن غير دليل شرعي او عقلي فهو جاهلي ، بغض النظر عن زمانه ومكانه^٨ .
ومن مصاديق ذلك في كلام امير المؤمنين عليه السلام ما اشار اليه في معرض حديثه عن اديان العرب ، ومنها عبادة الاوثان بقوله عليه السلام: " فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ ، لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ " ^٩ ، وقال في موضع آخر " الْأَصْنَامُ

١- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 3 / 222.

٢- سورة آل عمران الآية 154.

٣- محمد رضا المظفر: المنطق : 18/1.

٤- سورة ص الآية 24.

٥- سورة الكهف الآية 53، وكذلك: البقرة الآية 46، سورة الحاقة الآية 20.

٦- سورة الجاثية الآية 24.

٧- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 117/1 - 120.

٨- النصر الله : الجاهلية : ص 20 - 21.

٩- نهج البلاغة : ص 267 .

فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ " ١ " وَأَصْنَامٌ مَعْبُودَةٌ " ٢ ومن اديان العرب الاخرى التي اشار اليها ﷺ : " وَأَهْلُ الْأَرْضِ يُؤْمِنُونَ بِمِثْلِ مَثَرَفَةَ ، وَأَهْوَاءَ مُنْتَشِرَةً وَطَرَائِقُ مُتَشَتَّةٌ ، بَيْنَ مُشَبَّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحَدٍ فِي اسْمِهِ ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ " ٣ والتي سنقف عليها بشكل تفصيلي في بحث الجانب الديني.

دور النبي ﷺ في اصلاح مجتمعه :

وبعد هذا العرض الموجز الذي تم لملمة شتاته من بين مواضع شتى تناثرت في كلامه الشريف ﷺ ، حتى تكونت لنا هذه الصورة عن تاريخ العرب قبل الاسلام وقبيل بعثته الشريفة ﷺ وبعد ان شخص ﷺ وجوه الفساد والانحراف في ذلك المجتمع بين ان علاجها واصلاحها هو وظيفه النبوة التي وضعت العلاج اللازم لتلك الامراض العقيمة ، لذا عبر ﷺ عن دور النبي ﷺ بقوله : " طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، مِنْ قُلُوبٍ عُمِيٍّ وَأَدَانٍ صُمٍّ ، وَالسِّنَةِ بِكُمْ ، مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْعَفَلَةِ ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ " ٤ .

فالنبوة تعالج وجوه الفساد كلها في الانسان والمجتمع في الروح والمادة ، والمؤسسات لتحقيق الغاية العظيمة النبيلة ، وهي تكوين الانسان المتكامل ، وقد اعلن الانبياء صلوات الله عليهم هدفهم هذا على مدى التاريخ ، كل واحد منهم في المحيط الذي بعث اليه في الزمان الذي كان فيه ، الى ان ختمت النبوة بمحمد ﷺ فكان هذا الهدف العظيم بحجم امتداد الرسالة الخاتمة في الزمان والمكان على مستوى البشرية كلها ، وعلى مدى المستقبل كله الى نهاية الزمان : " فَبَالِغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي النَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ " ٥ ، " ... فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ " ٦ ، وقد اثمر جهد الانبياء العظيم النبيل وجهادهم ومن اتبعهم وجرى على سنتهم ، في تحقيق هذا الهدف العظيم الذي وضع الانسانية على طريق التكامل ٧ .

ويقول ﷺ في وصف النبي الاعظم ﷺ وتجربته الرسالية العظيمة واثره في عملية التغيير الشاملة التي قامت بها الدعوة الاسلامية " أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ

١- نهج البلاغة : ص 56.

٢- نهج البلاغة : ص 402.

٣- نهج البلاغة : ص 21.

٤- نهج البلاغة : ص 201.

٥- نهج البلاغة : ص 178.

٦- نهج البلاغة : ص 21.

٧- شمس الدين: حركة التاريخ : ص 83.

أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ"

وقد بين ﷺ النهج الذي اتبعه ﷺ في هداية الناس ، الذي كان يعتمد على الرفق واللين والنصح والموعظة ، يقول ﷺ : قَبَالَغَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي نَصَحِهِمْ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ^٢ وذلك استجابة لامر السماء ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ ^٣ ، " أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ " ^٤ ، وكان ﷺ الرحمة الالهية المتجسدة بشخصه بين الخلق، لذا برز في فعالة رحمه ورفق لا مثيل له حتى عبر عن ذلك الامام امير المؤمنين ﷺ بذكر انموذج من فعالة فقال: " يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَيَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ " ^٥ ، وذلك اشارة الى وصفه ﷺ بالشفقة على الخلق في حال اسفارهم معه في الغزوات ونحوها، أي انه كان يسير في آخرهم ويفتقد المنقطع منهم عن عياء وانكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتى يبلغه اصحابه الا ما لا ايصاله و لا يرجى. وقيل: كنى بالحسير والكسير عن عجز ووقف قدم عقله في الطريق الى الله لضعف في عين بصيرته، واعوجاج في آلة ادراكه ، وبقيامه عليه حتى يلحفه الى غايته عن اخذه له بوجوه الحيل والجوانب الى الدين حتى يوصله الى ما يمكن من العقيدة المرضية والاعمال الزكية التي هي الغاية من طريق الشريعة المطلوب سلوكها. ^٦

وفي نص آخر يضيء به الامام امير المؤمنين ﷺ جانبا آخر من جوانب وظيفة النبوة قال: " صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْنِدَةُ الْأَبْرَارِ، وَتُنِيَّتْ إِلَيْهِ أَرْمَةُ الْأَبْصَارِ، دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّعَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ النَّوَائِرَ أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا، أَعَزَّ بِهِ الدَّلَّةَ، وَأَدَلَّ بِهِ الْعِرَّةَ " ^٧ . ففي هذا النص كشف الامام امير المؤمنين ﷺ عن عمل النبوة في تغيير القيم السائدة في المجتمع ، هذه القيم التي تحكم وتوجه العلاقات داخل المجتمع بين فئاته وافراده ، وابدالها بقيم اخرى متنسقة في طبيعتها مع طبيعة الرسالة النبوية لانها مستمدة منها.

١- نهج البلاغة : ص192، وينظر: عبد الرحمن الواثلي: جدلية العلاقة : ص 159 - 160.

٢- نهج البلاغة ص178.

٣- سورة النحل الآية 125.

٤- نهج البلاغة ص107.

٥- نهج البلاغة ص192-193.

٦- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 3 / 35 .

٧- نهج البلاغة : ص 178-179.

وما يترتب على ذلك من تغيير في المفاهيم والقناعات ومن تبدل في نوع العلاقات نتيجة لتبدل القيم الجاهلية بالقيم النبوية. لقد تثبتت أزمة الابصار نحو الرسول الاكرم ﷺ كما كانت تثني نحو كل نبي في مجتمعه، لانه قد اثار اهتمام الناس كلهم واوجد هزة راحت تتداح على المجتمع كله وتتفد في اعماقه.¹ وقد كانت للفحاح² وقفة جيدة عند الصور الفنية التي رسمتها نصوص نهج البلاغة عن الوظيفة النبوية وما احدثته من تغيير فعلي وصل حد الاعجاز في توحيد القبائل العربية ولم الصف ونقل المعرفة ومحاربة الجهل ومن تلك الصور :

1 قوله ﷺ : " أَضَاعَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ " ³ وهذه صورة اختصرت سنوات طوال من نضال النبي ﷺ وصبره حتى مكنه الله من بسط الفكر التوحيدي الجديد وتشريع قوانين العدالة السماوية الجديدة التي أنارت العقل وبسطت النفوذ ووحدت الكلمة .

والامام اكتفى بقوله " أَضَاعَتْ بِهِ الْبِلَادُ " مقابل اطنابه بالصور الثلاث اللاحقة ، لأن مراده بيان الحال لما بعد البعثة النبوية وأثر النبي ﷺ في استجلاب الخير للعرب خاصة ، لذلك أشار الى بعض الصفات الجاهلية الغالبة عليهم التي قضى عليها النبي ﷺ فوصف الضلالة بالمظلمة كناية عن المبالغة في عدم الاهتمام ، وقال " وَالْجَفْوَةُ الْجَافِيَةُ " لأن طباعهم كانت غلظة وشناعة مثل وأد البنات وفعل السبي والنهب في الناس ، ووصف الجهالة بالغالبة نظر الى خفة العقول واشعال الحروب وسفك الدماء لأتفه الاسباب كما في حرب البسوس وحرب داحس والغبراء المشهورتين في الجاهلية . والصفات التي اطنب بها الامام في اطلاقها على المواصفات للمبالغة ومراعاة السياق ، اذ هو لما قال " أَضَاعَتْ " حسن ايراد صفة الظلام على الضلالة ، ووصف الجهالة بالغالبة للإشعار بهذه الصفة السائدة في عقول الناس قبل بعثة النبي ﷺ ، واطلاق لفظ الجافية على المصدر للمبالغة من باب المجاز العقلي كما يقال جن جنونه .

2 - وفي موضع آخر رسم الامام للنبي صورة مشرقة للتغيير فقال : " جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ " ⁴ . فوصف رسالة النبي بالبلاغ اشارة لإتمام النعمة على الناس ولطف الله بالبرية " واما باقي رسله ، وان ادوا ما عليهم

1- شمس الدين: حركة التاريخ : ص 85.

2- بلاغة النهج : ص 41-50 .

3- نهج البلاغة : ص 275 .

4- نهج البلاغة : ص 428 .

من الابلاغ ، الا انه لما كانت رسالاتهم مؤقتة محدودة لم يحصل منهم بلاغ منه تعالى كـ " ١

وجعل الله ختام النبوة بمحمد ﷺ كرامة للعرب كونه منهم واختتام الاديان بالاسلام فبعد ان كانوا قبائل متناحرة في تخوم الصحراء كرمهم الله فأصبحوا سادة العالم والحاملين اليه لواء التوحيد . وجعله الله " **وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ** " صورة للنماء والخيرات والبركات حتى لغير المؤمنين في عاطفة من المديح الصادق تطابق فيه الاداء مع المضمون ايما تطابق ، تطابق يستشعر فارقه كل دارس لادب مديح السلاطين حين تسبغ مثل هذه الصفات على غير مستحقيها . وقول الامام هذا يشبه قول ابيه رضوان الله عليه من قبل في النبي ﷺ .^٢

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامي عصمة للارامل

وقوله^٣:

وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً على ربوة في رأس عنقاء عيطل

وقوله الأخير إشارة الى ما خلف النبي فيهم من فهم جديد في النظر الى الحياة ووظيفة الانسان فيها رفع من مكانتهم بين الامم ، قال ابو ذر : " تركنا النبي صلى الله عليه وسلم وما يتقلب في السماء طائر الا ذكرنا منه علما " .^٤

3 - وقال في موضع آخر : " **فَرْتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ وَسَهَّلَ بِهِ الْحُرُونَةَ ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَّالَ عَنِ يَمِينٍ وَشِمَالٍ** " .^٥ والمفاتيح التي رتقها النبي كناية عامة عن كل مفسدة اصلحها النبي^٦ وكل سيئة وفعل من شأنه سفك الدم وفرقة الكلمة وهد الصف .
والمفاتيح جمع مفتق وهي الشقوق .

ويبدو من سياق الربط بين الفعل رتق ومفعوله المفاتيح ان المراد ب هـ غير الظاهر من اسم الفاعل " المفاتيح " بضم الميم المقابل في الصورة الثانية للمغالب ، وثمة معنى فارق بينهما ، اذ الصورة تريد الجمع لا اسم الفاعل وان كان يوهمه الصورة الثانية . بقرينة المغالب ، واراد من المساورة (الموائبة أي كسر به صلى الله عليه وآله سورة من اراد الطغيان) .^٧

١- التستري : بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : 192/2 .

٢- ابو طالب : ديوان شيخ الاباطح : ص 26 .

٣- ابن معد : الحجة على الذاهب الى تكفير ابي طالب : ص 219 . ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 14 / 63

٤- ابن حنبل : المسند : 162/5 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 8 / 263 .

٥- نهج البلاغة : ص 447 .

٦- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 11 / 64 .

٧- المجلسي : البحار : 18 / 225 .

وقوله " **وَدَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ** " كناية عن التسهيل والتخفيف ، وقوله " **وَسَهَّلَ بِهِ الْحَزُونََةَ** " تعزيز لمعنى الأولى ، والحزونة : ضد السهولة ، والحزن هي ما غلظ من الارض وخشن ، واستعير لوصف الاخلاق الخسنة ، وكلام الامام يحمل معنيين : عام كنى به عن المعنى الاول ذاته في توحي التلبيين والتخفيف في التعامل اليومي ، وخاص اوماً به الى حادثة أفاد منها للانطلاق الى المعنى العام . ولا ريب تلك نظرة جديدة الى بناء الانسان في ظل مفهوم المدنية وحياة اللاعنف التقت اليها النبي في ادق تفاصيلها . لذلك سرح الله به الضلال سريعاً ، واكد تشبثه بقوله " **عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ** " .

وكلام الامام كثير في تصوير احوال العباد والبلاد بعد التغيير النبوي يعجز التفاصيل إيفاءه حقه لذلك كثيراً ما يعمد الامام الى التكنية عنه بصور مختصرة تدع الازهان تذهب فيه كل المذاهب في تصويره كقوله : " **... حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعُ عُذْرَهُ وَنَذْرَهُ** " ^١ . ومقطع الشيء نهايته وما يقطع به ولا يبقى خلفه شيء ^٢ . أي ليس ثمة رسول ينتظر بعد النبي محمد لأنه تمت الحجة به على العباد وبلغ الامر مقطعه " وانتهت عذر الله تعالى ونذره ، فعذره ما بين المكلفين من الاعذار في عقوبته لهم ان عصوه ، ونذره ما انذرهم به من الحوادث ، ومن انذرهم على لسانه من الرسل " ^٣

لقد ادت القيم الجديدة التي جاء بها النبي ﷺ الى تغيير المفاهيم، ومن ثم الى تغيير عميق وجذري في العلاقات الاجتماعية بين الافراد والفئات، والى احداث التبدلات الاجتماعية. لقد دفنت به الضغائن، لان اسباب تولدها قد زالت، ومن ثم فقد زالت اسباب تفجرها فزالت الثوائر. وقد ادت القيم الجديدة الى ايجاد علاقات جديدة: فالف الله بالنبي ﷺ بالقيم التي بشر بها واذاعها في الناس، اخوانا في الايمان، وفرقت هذه القيم الايمانية بين اقران اختلفت بهم الطريق حين هتف بصوت النبوة في المجتمع، فسلك بعضهم طريق الايمان وبقي الاخر على طريقه القديم، كما ادت هذه القيم الجديدة الى تغيير في المراتب الاجتماعية، وغدت التقوى هي الاساس للتفاضل بين افراد المجتمع، ومن ثم فقد اعز الله به ﷺ وبقيمه الالهية الذلة التي كانت تفرضها القيم الجاهلية القديمة على الفقراء والمستضعفين، واذل به العزة التي كانت تنشأ من قيم غير ايمانية^٤.

١- نهج البلاغة : ص166-167 .

٢- ابن منظور : لسان العرب : 278/8 .

٣- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 7/7 .

٤- شمس الدين: حركة التاريخ : ص 85-86 .

فكان من آثار نهجه العظيم ﷺ: " فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَّقَ بِهِ الْفَتَقَ، وَأَلْفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعِدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْفَاحِشَةِ فِي الْقُلُوبِ " .^١

المكون المجتمعي:

لو تأملنا في المكون المجتمعي الذي احاط بالنبي الاعظم ﷺ في موطنه الاول ومحل ولادته وانطلاق دعوته (مكة المكرمة) لوجدناه يتكون من:

أولاً: المسلمون الاوائل: " الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ " ^٢، وقد كان لثلاثة منهم قصب السبق في الايمان الخالص بالله ورسوله، وهم الذين تمايزوا بهذه الفضيلة، وتقدموا على من سواهم ممن أسلم أو آمن فيما بعد ^٣. وفي طليعة هؤلاء كانت **اسرة النبي ﷺ** التي تشكل المكون البيئي الاول الذي احتضنه ﷺ وهم الذين اصطلح على تسميتهم بـ " أهل البيت " ^٤. والمتأمل في كلامه ﷺ يلاحظ انه ﷺ قد طرق هذا المفهوم تارة على وجه العموم، وأخرى على وجه الخصوص ، وذلك تبعاً لموارد الاستخدام ^٥.

فأما الوجه الاول الذي استخدم فيه الامام ﷺ هذا المصطلح بشكل عام يشمل بعض أقرباء النبي ﷺ من بني هاشم - خاصة - كالحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث ^٦، إذ كان في معرض حديثه عن المواقف الجهادية لهؤلاء الافاذ وكيف قدمهم النبي ﷺ قبل غيرهم

١- نهج البلاغة: ص 483 .

٢- نهج البلاغة : ص 231.

٣- يتضح لهم هذا الفضل في اشارة الامام ﷺ محاججا معاوية بقوله: " لما ادخل الله العرب في دينه افواجا، واسلمت له هذه الامة طوعاً وكرهاً، وكنتم ممن دخل في الدين اما رغبة او رهبة، على حين فاز اهل السبق بسبقهم... " نهج البلاغة: ص 512.

٤- لمزيد من التفاصيل ينظر: حاكم الكريطي : اهل البيت ^٦ في نهج البلاغة قراءة تأويلية : (الصفحات جميعها) .

٥- تجدر الاشارة الى ان الامام ﷺ في هذا المنهج سار على نهج القرآن الكريم في استخدام مصطلح أهل البيت ^٦ الذي تارة يستخدم لعموم بني هاشم، وأخرى لخصوص آل بيت النبي ﷺ وهم المشار إليهم بأصحاب الكساء . لمزيد من التفاصيل ينظر: عباس غياض : السياق واثره في دلالة النص القراني عند مفسري الامامية في العصر الحديث : ص

263 - 282 .

ليكونوا أنصارا للإسلام^١. وأما الوجه الخاص الغالب في استخدام الامام ﷺ لهذا المصطلح ، فقد عنى به " أهل البيت " ممن هم عترته وخاصته الذين خصتهم آية التطهير^٢.

لقد تحدث الامام أمير المؤمنين ﷺ عن أهل البيت ﷺ مشيرا الى جوانب متعددة وخصائص متنوعة ، منها ما كان وصفاً لخصال وسجايا ذاتية ووراثية تلازم أجيال هذه الدوحة المباركة السابقة لرسالة الاسلام وعلاقتها بالرسالات السماوية المتقدمة ، وكذلك تحدث الامام ﷺ عن مكارم الاخلاق، ومحامد الفعال التي اتصفت بها أسرة النبي ﷺ، وما عرف عنها وعن سادتها وقادتها الذين لعبوا أدواراً مشرفة وبارزة في حوزة الجزيرة العربية وما حولها، فقال في ذلك : " **فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾**^٣ " .^٤

وفي كلام الامام ﷺ عن رسول الله ﷺ ثمة إمعان في التركيز على طهارة النسب وشرف الآباء ، وإنه من سلالة الانبياء وذريتهم تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴾^٥ .^٦ ولسنا هنا في محل التفصيل في شرف النسب ، اذ للحديث عنه محل آخر^٧.

إن المساحة الاوسع التي استوعبها الامام أمير المؤمنين ﷺ في كلامه بخصوص أهل البيت ﷺ هي فيما كان من مواقفهم وردود فعلهم إزاء الحدث الاكبر أهمية في جزيرة العرب حينما بُعث الرسول الاكرم ﷺ نبياً ، فأحدثت بعثته زلزالاً على كافة الاصعدة والمستويات ، فاختلفت مواقف الطبقات الاجتماعية آنذاك ، وتأرجحت بين قبول الرسالة الجديدة والإيمان بها وبقيمها والدفاع عنها ، وبين رفضها ومقاومتها بل ومحاولة القضاء عليها ، فقد وصف الامام ﷺ مواقف الجيل الاول من بني هاشم الذي

١- نهج البلاغة : ص503 .

٢- حول اختصاص آية التطهير باهل البيت ينظر: السيد علي الحسيني الميلاني: آية التطهير : ص7-34.

٣- سورة الانفال الآية 75 .

٤- نهج البلاغة : ص 529. وينظر: درويش: علي كما وصف نفسه: ص11.

٥- سورة آل عمران الآية 34.

٦- الفحام: نهج البلاغة : ص 22.

٧- ينظر الفصل الثالث : ص .

عاصر البعثة ، كما بسط القول فيما يخص العبء الاكبر والمسؤولية العظمى التي تحملها اهل البيت ﷺ عندما انيط بهم حمل الرسالة والنهوض بأعبائها بعد رحلة النبي ﷺ¹.

فما ان كلف النبي ﷺ بالدعوة الى دينه الحنيف ، حتى حطت الرسالة السماوية رحالها في أفناء هذا البيت الرفيع " وَمَحَطَّ الرَّسَالَةَ " ² ، فكان أهل بيته ﷺ أول من لبي هذه الدعوة ، فكانوا أول بيت في الاسلام يدخله نور الوحي ، وأول قلوب أشرق فيها نور الايمان بالدعوة المحمدية ، إذ يقول ﷺ : " وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا ، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةَ وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوءَةِ " ³.

اما عن دور هذه الاسرة المباركة في مؤازرة دعوته ﷺ ، فقد أشار ﷺ إن عترة النبي ﷺ هي الرائدة ورجالها هم السابقون لنداء السماء ، وليس لأحد أن يدعي إنه يوازي فضلهم أو يقارب صنعهم ومرتبتهم في النصح لله ورسوله ﷺ ، فهم أول من احتضن الاسلام ودافع عنه ، وهذا ما عبر عنه ﷺ بخصوص أهل البيت ﷺ : " وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ ، وَوَلَائِحُ الْإِعْتِصَامِ " ⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن النبي الاعظم ﷺ منع التفاضل بين أهل البيت ﷺ ومن سواهم مهما سمت مرتبته وعلا شأنه ، إذ يقول ﷺ : " نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد " ⁵. وهو ﷺ في ذلك قد جعل الافضلية المطلقة لاهل بيته ﷺ.

ولقد حذا أمير المؤمنين ﷺ حذو رسول الله ﷺ في بيان تفرد أهل البيت ﷺ وتقدمهم دون منافس، إذ يقول مضيفا لحديث النبي ﷺ أعلاه ما يظهر بعض العلل الموجبة لعدم التجرؤ في وضع أهل البيت في كفة واحدة مع من سواهم من الناس ، إذ يقول ﷺ : " لَا يُقَاسُ بِأَلِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا " ⁶.

1- درويش: علي كما وصف نفسه: ص11-12.

2- نهج البلاغة : ص 210 . وورد ايضا في بعض الروايات بلفظ " موضع الرسالة " وهي من نعوت أهل البيت ﷺ ، ينظر : الصفار: بصائر الدرجات ص 82 . الصدوق: كمال الدين :ص206 . الطوسي: أمالي : ص 654 . القندوزي : ينابيع المودة 77/1 . وللتفصيل عن هذا النعت ينظر: الكريلائي : الأنوار الساطعة : 403/1 - 430.

3- نهج البلاغة : ص406 . لقد مر بنا الحديث بشيء من التفصيل عن إيمانه ﷺ ، ينظر الفصل الاول: ص 69 - 78.

4- نهج البلاغة : ص489.

5- المتقي الهندي : كنز العمال : 12 / 104 . المجلسي: البحار : 45/65 ، 13/110.

6- نهج البلاغة : ص25 . وينظر: الصدوق: عيون أخبار الرضا ﷺ: 71/2.

وفي شرحه لكلام أمير المؤمنين ﷺ أعلاه يشير ابن ابي الحديد^١ أنه لا شبهة أن المنعم أشرف من المنعم عليه ، ولا ريب أن محمداً ﷺ والأدنين من بني هاشم - لا سيما علي ﷺ - أنعموا على الخلق كافة بنعمة لا يقدر قدرها وهي الدعاء الى الاسلام والهداية اليه أما أمير المؤمنين ﷺ فنعمته على من تقدم عليه تتمثل بجهاده وهم قاعدون ، وعلمه الذي احتاج اليه الجميع ولولاه لما حكم بالصواب.

ويشير الامام ﷺ إلى موقعية أهل البيت ودورهم في حياطة الدعوة المحمدية بقوله : " هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ ، وَجِبَالُ دِينِهِ ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ ، وَأَذْهَبَ اِرْتِعَادَ فِرَائِصِهِ"^٢. وأبان ﷺ حاجة الامة الى الاعتماد عليهم ، إذ أنهم المسجد الحقيقي للإسلام بكل تفاصيله إذ يقول: " نَحْنُ النُّمُرُقَةُ الْوَسْطَى بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي ، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْعَالِي"^٣.

وشبهه ﷺ وجودهم كالنجوم الزواهر لمن أراد الهدى أو أراد أن يتخذ الى ربه سبيلا قويمًا ، فيقول: " أَلَا إِنَّ مَثَلِ آلِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ"^٤.

وعرض الامام ﷺ عدة خصائص انفرد بها أهل البيت ﷺ مما جعلهم الاولى بالاتباع إذ يتضح من خلالها علة دعوة الناس لاتباعهم ﷺ منها: " فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ ، هُمْ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْنَتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ، لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ"^٥، ومنها: " وَعِنْدَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ ، وَضِيَاءُ الْأَمْرِ"^٦، ومنها: " انظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، فَأَلْزَمُوا سَمْتَهُمْ ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى ، فَإِنْ لَبِدُوا فَالْبُدُوا ، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا ، وَلَا تَسْفِقُوهُمْ فَتَضَلُّوا ، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا"^٧.

١- شرح نهج البلاغة : 1 / 140.

٢- نهج البلاغة : ص25.

٣- نهج البلاغة : ص675.

٤- نهج البلاغة : ص186.

٥- نهج البلاغة : ص269.

٦- نهج البلاغة : ص230.

٧- نهج البلاغة : ص181.

لقد استنكر ﷺ على الامة حيرتها وتخبطها وهي تبتعد عن هذا المنهل الصافي الذي يمثل النبي ﷺ ونهجه القويم إذ يقول: " فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ ؟ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ ؟ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيِّكُمْ ، وَهُمْ أَرْمَهُ الْحَقُّ ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ ، وَالسِّنَةُ الصِّدْقِ ، فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ " ١ .

واما عن نصح هذه الاسرة الطيبة لله ورسوله ﷺ في مواطن الجهاد ، ومؤازرة النبي الاعظم ﷺ ونصرة دعوته ، فقد تعددت موارد الاشارة لذلك ، فضلا عما سبق ذكره من إشارات بشكل عام وموجز ومركز ، نأتي إلى ذكر الموارد الاخرى التي ركز فيها الامام ﷺ على بعض المواقف الجهادية الصلبة التي وقفها أهل بيت النبي ﷺ بالشكل والصورة التي ندر مثلها ، ففي معرض حديثه ﷺ عن جهاد اصحاب النبي ﷺ ممن كان له موقف وحضور مع النبي ﷺ نجد تميزا لاهل بيته ﷺ لا يوازيه في الفضل أي احد من صحابته ، يدلنا على ذلك شهادة الامام امير المؤمنين ﷺ بما كان يصنعه النبي ﷺ في مواطن الشدة في الحروب ان كان ﷺ " إِذَا احْمَرَ الْبَأْسُ ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ ، فَوْقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ " ٢ .

وقد سارت الركبان وطارت الاخبار بشجاعة الامام ﷺ ، وقيل عنها ما لا يحصى ، فهو الشجاع الذي ما فر قط ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز احداً الا قتله ، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الاولى الى ثانية ، وفي الحديث كانت ضرباته وتراً " ٣ ولكننا ملزمون بخطة تقتصر على ما ذكره الامام فقط في نهج البلاغة ، وقد أجمل الامام ﷺ القول بخصوص ما يمتلك من الشجاعة والاقدام بقول موجز ولكنه معبر " أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بِكَلِّهِ الْعَرَبَ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونٍ رَبِيعَةً وَمُضَرَ " ٤ . وأبان ﷺ سبقه في مجال نصرة النبي ﷺ ودوره المتميز في الجهاد ، ردا على من اتهمه بان لا علم له بالحرب ، فجاء رده " لِلَّهِ أَبُوهُمْ ، وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي ، لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ " ٥ .

١- نهج البلاغة : ص141.

٢- نهج البلاغة : ص503.

٣- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 20/1.

٤- نهج البلاغة : ص 405.

٥- نهج البلاغة : ص61.

ومن اوضح صور المؤازرة التي وقف بها أهل البيت الى جانب النبي ﷺ ودعوته الغراء ، تحملهم ألوان الاذى في سبيل الله ، وأصدق مصاديق ذلك هو الموقف الشجاع الذي كان لهم في شعب ابي طالب لما قاطعتهم قريش^١.

ثم ذكر ﷺ متفاخرا كيف كان أهل بيت النبي ﷺ في طليعة الشهداء الذين ثبت أساس الدين بتضحياتهم العظيمة " فُقِتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقُتِلَ حَمْرَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُوتَةَ^٢ " ففي كل المواطن لهم ذكر وحضور وأثر فاعل ، وكان أمير المؤمنين ﷺ بالموقع الذي لا يجارى في تلك الميادين إذ وصى رسول الله ﷺ " فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ^٣ ، وكان ﷺ تواقا لنيل الشهادة^٤ كما نالها اخوته وبني عمومته من بني هاشم " وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ دَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ ، وَلَكِنَّ آجَالَهُمْ عَجَلَتْ ، وَمَنْيَتُهُ أُجَلَّتْ^٥ .

ومن دلالات فضل أهل البيت ﷺ وسابقتهم وتقدمهم في المواقع الجهادية ، تفرد شهدائهم وجرحاهم عن سائر من سواهم " أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحَدْتُ ، أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ ، حَتَّى إِذَا اسْتَشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ ، أَوْ لَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ ، حَتَّى إِذَا فَعَلَ بَوَاحِدِنَا مَا فَعَلَ بَوَاحِدِهِمْ ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ^٦ .

ولا يخفى أن هذه الاشارة في المثال الاول الى عمه الحمزة بن عبد المطلب ذو المواقع المشرفة في مجاهدة اعداء الدين وقد ابلى البلاء الحسن في سبيل نصره الاسلام . والمعني الثاني بكلام الامام امير

١- نهج البلاغة : ص 502.

٢- نهج البلاغة : ص 503.

٣- نهج البلاغة : ص 422.

٤- وقد نقل عنه ﷺ في حوار مع رسول الله ﷺ حينما سأله عن موعد الشهادة التي وعده بها ، اذ جاء في ذلك الحوار: " فقلت: يا رسول الله ! ، أو ليس قد قلت يوم أحد حيث استشهد من المسلمين من استشهد ، وحيزت عني الشهادة ، فشق ذلك عليّ ، فقلت لي: أبشر فإن الشهادة من ورائك ؟ فقال لي: ان ذلك كذلك ، فكيف صبرك اذاً ! فقلت: يا رسول الله ! ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشري والشكر . نهج البلاغة : ص 288 - 289.

٥- نهج البلاغة : ص 503.

٦- نهج البلاغة : ص 527 - 528.

المؤمنين ﷺ هو أخوه جعفر بن ابي طالب الذي استشهد في واقعة مؤتة ^١. والامام ﷺ اقتصر على هذين المثالين للدلالة فقط ، والا فمفاخر هذه الاسرة من الكثرة التي تحتمل المزيد من الكلام.

بل ذهب الامام الى اكثر من ذلك، فقد روى عن النبي ﷺ فيما يتعلق باموات اهل البيت ﷺ، وما في ذلك من الخصوصية والتفرد فقال: " أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ". ويظهر من شرح ابن ابي الحديد ان هذا النص من المتشابه الذي يصعب تفسيره واستكشاف مدلوله القطعي، وقد استبعد الشارح كون المراد هو بقاء الذكر الحسن او الاشارة الى مدلول الآية التي تصرح بان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون. وذلك لأن ظاهر النص وما يحيطه من قرائن لا يمكن حمله على هذا المعنى، حسب قول ابن ابي الحديد ^٢. ولكنه على جميع الاحتمالات والتفاسير يشير الى فضيلة وكرامة بيئته لاهل البيت ﷺ. ^٣

وهؤلاء هم السابقون الى الاسلام مع باقي من اسلم فيما بعد شكلوا النواة التي كونت مجتمع ما اصطلح على تسميته بـ " المهاجرين "، ممن استجاب لامر الله سبحانه وأطاع نبيه ، فترك الديار والأموال والأهلين وهاجر الى الله طائعا، بعد ان لاقوا في سبيل دينهم ما لاقوه من الاذى والتعنيف من قبل المشركين.

إن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا على درجة واحدة من الفضل ، إذ إن للهجرة قيود وشرائط ، لا تقف عند حدود الهجرة الظاهرية (ترك المكان الى مكان آخر) دون تحقق حصول الهجرة الواقعية المقيدة بالايمان القلبي وكونها في الله والى الله ورسوله ^٤. والدليل على وجود التفاضل بين افراد هذا المكون، ان الامام امير المؤمنين ﷺ وسم ثلثة منهم بـ " المهاجرون الاولون "، والاولية هنا قد تشمل السبق في الهجرة أو الصدق في النية كما سنتلنا أبعاد مفهومه (الهجرة):

الهجرة لغة : أنها جاءت من هجر: وكلمة هجر تأتي بمعنيين:

١- لمزيد من التفاصيل عن شخصية جعفر بن ابي طالب ﷺ وجهاده الفريد ، ينظر: الحجاج : جعفر بن ابي طالب ﷺ دراسة تاريخية : (الصفحات جميعها) .

٢- شرح نهج البلاغة : 377/6 - 380.

٣- درويش : علي كما وصف نفسه : ص 29 .

٤- للسيد محمد السند تحقيق جدير بالتأمل حول عنواني " المهاجر " و " الانصاري " ، اذ تتبع الاستعمال القرآني لكلا العنوانين ووقف على دلالات اللفظة والقيود الملزمة لمقامات المدح والذم لمن تسمى بهما من صحابة النبي ﷺ . ينظر: الصحابة بين العدالة والعصمة: ص56- 61 .

الأول: الهَجَرَ بالفتح يعني الهذيان ، والهَجْر بالضم الاسم من الالهجار ، وهو الإفحاش في المنطق^١ ، ويقال للنخلة الطويلة ذهب الشجرة هجرا أي طولاً وعظماً ، وهذا أهجر من هذا أي أطول منه ، وناقاة مهجرة ، أي فائقة في الشحم ، ويقال لكل شيء أفرط في الطول أو تمام وحسن إنه لمهجر ، ويقال جارية مهجرة ، إذا وصفت بالفراهة والحسن ، وإنما قيل ذلك لان واصفها يخرج من الحد المقارب للشكل الموصوف في صفة فكأنه يهجر فيها أي يهذي^٢ .

الثاني: الهجر ضد الوصل ، وقد هجره هجرا وهجرانا : صرمه ، والاسم الهجرة. ويقال هجرت الشيء هجرا إذا تركته وأغفلته ، وهجر فلان الشرك هجرا وهجرانا وهجرة حسنة ، والتهاجر: التقاطع^٣ . والهجرة: بالكسر والضم ، الخروج من أرض إلى أخرى ، ولقيته عن هجرة ، بالفتح أي بعد حول أو بعد ستة أيام فصاعداً أو بعد مغيب^٤ . وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن ، يقال: هاجر الرجل إذا فعل ذلك ، وكذلك كل مغل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه ، فقد هاجر قومه^٥ .

وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومسكنهم التي نشئوا بها لله ، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة ، فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلد آخر ، فهو مهاجر ، وكل من أقام من البوادي بمبائدهم ومحاضرهم في القبيظ ، ولم يلحقوا بالنبي ﷺ ولم يتحولوا إلى أمصار المسلمين وان كانوا مسلمين ، فهم غير مهاجرين ، وليس لهم في الفيء نصيب^٦ .

١- ابن منظور: لسان العرب: 5 / 250-251. الفراهيدي: العين: 3 / 386. الجوهري: الصحاح: 2/851. الرازي: مختار الصحاح: ص 353 . الفيروز آبادي: القاموس المحيط: 2 / 158 - 159 . الزبيدي: تاج العروس: 7 / 607 - 613 .

٢- ابن منظور: لسان العرب : 5 / 252 .

٣- ابن منظور: لسان العرب : 5 / 250-251. الفراهيدي: العين : 3 / 386 . الجوهري: الصحاح : 2 / 851 . الرازي : مختار الصحاح : ص 353 . الفيروز آبادي : القاموس المحيط : 2 / 158 - 159 . الزبيدي : تاج العروس : 7 / 607 - 613 .

٤- الفيروز ابادي : القاموس المحيط : 2 / 158 - 159 .

٥- ابن منظور: لسان العرب : 5 / 250 .

٦- ابن منظور: لسان العرب : 5 / 251 .

لقد كان لهؤلاء (المهاجرين) ميزة في تاريخ الإسلام ، إذ مثلوا الحجر الأساس لصرح الإسلام ، فقد أتى عليهم القرآن بالتكريم ، وأولاهم عنايته الخاصة ؛ لأنهم بذلوا في سبيل الله كل ما ملكوا من غال ونفيس¹ .

إن الهجرة في نظر الإسلام لا تقتصر على الهجرة المكانية والخارجية بل يلزم قبل ذلك أن تتحقق لدى الفرد المسلم هجرة داخلية باطنية ، يترك فيها كل ما ينافي الأصالة والكرامة الإنسانية ، لكي يتيسر له بهذا السبيل إلى الهجرة المكانية - إذن فالهجرة الباطنية ضرورية قبل أن يبدأ الإنسان المسلم هجرته

1- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ سورة البقرة الآية 218؛

- ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكَم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ سورة آل عمران الآية 195.

- ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ سورة آل عمران الآية 195 .

- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ سورة الأنفال الآية 74 .

- ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ سورة التوبة الآية 20.

- ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ سورة التوبة الآية 100.

- ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَالْآخِرَةَ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة النحل الآية 41.

- ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ سورة الحشر الآية 8. وغيرها من الآيات الكريمة التي أشادت بفضلهم

الخارجية - وإذا لم يكن هذا الإنسان بحاجة إلى الهجرة الخارجية ، يكون قد نال درجة المهاجرين بهجرته الباطنية ^١ .

نجد هذا المعنى ماثلاً في أحاديث النبي الأعظم ﷺ كما في قوله ﷺ : " أفضل الهجرة أن تهجر ما كره الله " ^٢ ، وأوضح ﷺ أن أفضل الهجرة " أن تهجر سوء " ^٣ ، وفي حديث آخر إن النبي ﷺ قال : إن الهجرة خصلتان إحداهما أن تهجر السيئات والأخرى أن تهجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ^٤ . وفي رواية " أشرف الهجرة أن تهجر السيئات " ^٥ .

وفي حديث لأمير المؤمنين ع يقول فيه " ويقول الرجل هاجرت ولم يهاجر، إنما المهاجرون الذين يهجرون السيئات ولم يأتوا بها " ^٦ .

نجد في هذا الحديث ما يدل على أن الذين هاجروا بأجسامهم دون أن تتحقق هجرة حقيقية في بواطنهم، هم ليسوا في درجة المهاجرين الذين استوجبوا رضا الله ورسوله.

ولقد جاء في أحاديث النبي ﷺ بشأن الهجرة ما قد يبدو للوهلة الأولى أنها متناقضة أو متعارضة، إذ يقول ﷺ : " لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية " ^٧ ، ولكنه في حديث آخر يقول : " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة " ^٨ . وقد جمع ابن الأثير ^٩ بين الحديثين ، بالتأويل الآتي ، قائلاً : الهجرة

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: 3 / 276.

٢- ابن حنبل: المسند: 2 / 195 . النسائي: السنن الكبرى: 4 / 425.

٣- الصنعاني: المصنف: 11 / 127. الهيثمي: مجمع الزوائد: 1 / 59 .

٤- ابن حنبل: المسند: 1 / 192. الطبراني: الدعاء: ص 616، المعجم الأوسط: 1 / 23. البيهقي: شعب الإيمان: 444/5.

٥- الطبراني: مسند الشاميين: 378/1، المعجم الصغير 1 / 13. الهيثمي: مجمع الزوائد: 60/1. السيوطي: الجامع الصغير: 161/1.

٦- النقي: الغارات: 2 / 502. الميرجهاني: مصباح البلاغة: 3 / 323.

٧- ابن حنبل: مسند أحمد: 226/1. البخاري: الصحيح: 200/3. الدارمي: السنن: 239/2. ابن حزم: المحلى 45/7. النووي: المجموع: 19 / 263.

٨- الطوسي: المبسوط 4/2. ابن إدريس الحلي: السرائر 14/2. ابن قدامة: المغني 10 / 513. المدني: رياض السالكين 107/2 ، 606 .

٩- النهاية: 5 / 244. وينظر: المجلسي: البحار: 66 / 229 - 230.

هجرتان : أحدهما التي وعد الله عليها الجنة في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾^١ ، فكان الرجل يأتي النبي ﷺ ويدع أهله وماله لا يرجع في شيء منه ، وينقطع بنفسه إلى مهاجره ، وكان النبي ﷺ يكره أن يموت الرجل في الأرض التي هاجر منها، فقال حين قدم مكة " اللهم لا تجعل منايانا بها " ^٢ فلما فتحت مكة صارت دار إسلام كالمدينة ، وانقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية : من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين ، ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى ، فهو مهاجر، وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة ، وهو المراد بقوله: " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة " فهذا وجه الجمع بين الحديثين .

ولكن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكشف عن مفهوم آخر للهجرة إذ يقول : " وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ ، مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ ، مِنْ مُسْتَسِرِّ الْإِمَّةِ وَمُعَلِّمِهَا ، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ ، فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاَهَا قَلْبُهُ " ^٣ .

وفي هذا النص جملة أمور يستلزم المقام الوقوف عندها بمزيد من التأمل:

لقد اختلف الشراح في هذا المقطع من كلامه الشريف فابن أبي الحديد المعتزلي ^٤ فرق بين هذه الهجرة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام وبين الهجرة التي ذكرها النبي ﷺ بقوله: " لا هجرة بعد الفتح " إذ شفع عمه العباس بن عبد المطلب في نعيم بن مسعود الأشجعي ^٥ أن يستثنيه ، فاستثناه ، وخص الأولى بالهجرة إلى الإمام ، التي عدها من أسرار الوصية .

١- سورة التوبة الآية 111.

٢- ابن حنبل: المسند: 2/ 25. الطبراني: الدعاء: ص 268. ابن عبد البر: الاستنكار: 7/ 277، التمهيد 8/ 393. الذهبي: ميزان الاعتدال: 4/ 343. الهيثمي: مجمع الزوائد: 5/ 253. المجلسي: البحار: 66 / 229 - 230.

٣- نهج البلاغة: ص 375.

٤- شرح نهج البلاغة: 13 / 81.

٥- هو نعيم بن مسعود الأشجعي أسلم يوم الخندق، وينسب له دور في تخذيل المشركين واليهود في معركة الخندق، أرسله رسول الله ﷺ إلى ابن ذي اللحية، أستشهد في يوم الجمل الأصغر مع حكيم بن جبلة العبدي . ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب: 4/ 1508، الدرر ص177.

بينما نجد ابن ميثم^١ يعطي لكلامه تأويلاً آخر إذ عند شرحه لكلام الإمام ﷺ: " الهجرة قائمة على حدها الأول " ، يقول: " إذ لما كانت حقيقة الهجرة ترك منزل إلى منزل آخر لم يكن تخصيصها عرفاً بهجرة رسول الله ﷺ ومن تبعه وهاجر إليه من مكة إلى المدينة ، مخرجاً لها عن حقيقتها وحدها اللغوي ، إذ كان أيضاً كل من ترك منزله إلى منزل آخر مهاجراً .

ويضيف ابن ميثم^٢: إذا عرفت ذلك فنقول : إن مراده ﷺ من بقاء الهجرة على حدها بقاء صدقها على من هاجر إليه وإلى الأئمة من أهل بيته في طلب دين الله وتعرف كيفية السلوك لصراطه المستقيم كصدقها على من هاجر إلى الرسول ﷺ وفي معناها ترك الباطل إلى الحق وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول.

ثم يبين ابن ميثم^٣ بيان ذلك نقلاً وعقلاً ، فيذكر: أما المنقول فمن وجهين : أحدهما: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾^٤ ، فقد سمى من فارق وطنه وعشيرته في طلب دين الله وطاعته مهاجراً. وقد علمت في أصول الفقه : من للعموم فوجب أن يكون كل من سافر لطلب دين الله من معادنه مهاجراً. الثاني: قول الرسول ﷺ: " المهاجر من هجر ما حرم الله عليه " ^٥ ، وظاهر إن من هاجر معصية الأئمة إلى طاعتهم والافتداء بهم ، فقد هاجر ما حرم الله عليه فكان اسم الهجرة صادقاً عليه.

وأما المعقول: فلأن المفارق وطنه إلى الرسول ﷺ مهاجر، فوجب أن يكون المفارق لوطنه إلى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرين مهاجراً لصدق حد الهجرة في الموضوعين ، ولأن المقصود من الهجرة ليس إلا اقتباس الدين وتعرف كيفية سبيل الله ، وهذا المقصود حاصل ممن يقوم مقام الرسول ﷺ من الأئمة

١- شرح نهج البلاغة: 227/4 .

٢- شرح نهج البلاغة : 4 / 227 .

٣- شرح نهج البلاغة: 4 / 227 - 228 .

٤- سورة النساء الآية 100 .

٥- ابن سلامة: مسند الشهاب: 138/1، ابن عبد البر: الاستنكار: 277/7.

الطاهرين ﷺ بحيث لا فرق بين النبوة والإمامة ، ولا مدخل لأحد هذين الوصفين في تخصيص مسمى الهجرة بمن قصد الرسول ﷺ دون من قصد من الأئمة فوجب عموم صدقه على من قصدهم^١ .

ولكن أين أبي الحديد^٢ يرى أن هذا معارض بقوله ﷺ : " لا هجرة بعد الفتح " حتى شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعي أن يستثنيه فاستثناه .

أجاب ابن ميثم^٣ على ذلك قائلاً: يحمل ذلك على انه لا هجرة من مكة بعد فتحها إلى المدينة ، توفيقاً بين الدليلين ، وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام . واعلم أن فائدة هذا القول الدعوة إلى الدين واقتباسه منه ومن أهل بيته ﷺ بذكر الهجرة والتنبه بها وما تستلزم من الفضيلة ، على أن التارك لأهله ووطنه إليهم طلباً للدين منهم يلحق بالمهاجرين الأولين في مراتبهم وثوابهم.

وأيدته على ذلك حبيب الله الخوئي^٤ بقوله في تأويل النص نفسه : " لم تتغير ولم تتبدل أي من أراد الفوز بالإيمان والوصول إلى معارج اليقين فليهاجر إلى أئمة الدين ، لان الهجرة قائمة على حدها الأول الذي كان في بدء البعثة ، إذ الغرض الأصلي في ذلك لم يكن إلا الوصول إلى حضور حجة الله ورسوله ، وتحصيل الإيمان والمعرفة ومعالم الشرع معه ، وهذا الغرض موجود الآن ويحصل بالوصول إلى حضور الأئمة ، لكونهم حجج الله على عباده وخلفائه في بلاده وقائمين مقام الرسول ﷺ ، فالهجرة إليهم هجرة إليه " .

وبعد أن ذكر أمير المؤمنين ﷺ قيام الهجرة وبقائها على حدها الأول تنبيهاً بذلك على مطلوبيتها ووجوبها أرفده بقوله : " مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ ، مِنْ مُسْتَسِرِّ الْإِمَّةِ وَمُغْلِنِهَا " ° . فقد عد الراوندي^٦ أن ما هنا نافية ، أي لم يكن لله في أهل الأرض ممن أسر دينه ، أو أعلنه وأظهر حاجة ،

١- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 227 - 228 .

٢- شرح نهج البلاغة: 13 / 103 .

٣- شرح نهج البلاغة : 4 / 227 - 228 .

٤- منهاج البراعة: 11 / 139 .

٥- نهج البلاغة : ص 375 .

٦- منهاج البراعة : 2 / 445 . ينظر أيضاً: ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4/ 228 .

فتكون " من هنا لبيان الجنس " ، وقد اعترض على ذلك ابن أبي الحديد ^١ بقوله : " وهذا ليس صحيح لأنه إدخال كلام منقطع بين كلامين متصل احدهما بالآخر " ، وفسر كلامه ﷺ أعلاه : كناية عن بقاء التكليف كما يدل عليه قول النبي ﷺ : " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة " .

وبين ابن ميثم ^٢ مراده من ذلك بقوله : " وجعلها هو - أي ابن أبي الحديد - بمعنى المدة : أي والهجرة قائمة على حدها الأول ما دام الله في أهل الأرض ممن اسر دينه ، أو أعلنه حاجة : أي ما دامت العبادة مطلوبة لله تعالى من أهل الأرض بالتكليف ، وهو كقولك في الدعاء : (اللهم أحييني ما كانت الحياة خير لي) ، ويكون لفظ الحاجة مستعاراً في حقه تعالى باعتبار طلبه للعبادة بالأوامر وغيرها كطلب ذي الحاجة لها .

وأيده في ذلك المجلسي ^٣ بقوله : " والظاهر أن قوله ﷺ ما كان الله في أهل الأرض حاجة " كناية عن بقاء التكليف كما يدل عليه قول النبي ﷺ : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، وللتجوز مجال واسع ، وفي الصحيفة السجادية : " ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه ، ولا حاجة بك إليه " ، وقيل كلمة ما ها هنا نافية ووجهه بتوجيهات ركيكة " .

وتوقف ابن ميثم ^٤ في كلام ابن أبي الحديد المعتزلي إذ يقول : " إنه غير بعيد أن تكون نافية مع اتصال الكلام بما قبله ، ووجهه إنه لما رغب الناس في طلب الدين والعبادة ، فكأنه أراد أن يرفع حكم الوهم بما عساه يحكم به عند تكرار طلب الله للدين والعبادة من حاجته تعالى إليها من خلقه إذ كرر طلبه منهم بتواتر الرسل والأوامر الشرعية، ويصير معنى الكلام : إن الهجرة باقية على حدها الأول في صدقها على المسافرين لطلب الدين ، فينبغي للناس أن يهاجروا في طلبه من أئمة الحق ، وليس ذلك

١- شرح نهج البلاغة : 13 / 103 .

٢- شرح نهج البلاغة : 4 / 228 - 229 .

٣- البحار : 66 / 230 - 231 .

٤- وهو مقطع من دعاء الإمام زين العابدين ﷺ يوم عرفة . ينظر : الصحيفة السجادية ص 328 . ويعد من مناسك الحج ومستحباته أن يدعو به الحاج يوم عرفة . ينظر : السيد السيستاني : مناسك الحج ص 325 ، وحيد الخراساني : مناسك الحج ص 352 ، محمد إسحاق الفياض : مناسك الحج ص 292 .

٥- شرح نهج البلاغة : 4 / 229 .

لأن الله تعالى إلى أهل الأرض ممن أسر دينه ، أو أظهره حاجة ، فإنه تعالى الغني المطلق الذي لا حاجة به إلى شيء "

في حين إن حبيب الله الخوئي ضعف مقالة ابن أبي الحديد بل أنكر حتى على ابن ميثم البحراني تأويله ، مستعرضا ما يراه مناسبا لشرح كلام امير المؤمنين عليه السلام فيقول: " مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةً ، مِنْ مُسْتَسِرِّ الْإِمَّةِ وَ مُغْلِنِهَا " إشارة إلى مطلوبيتها ليس لأجل حاجة وافتقار منه إلى المهاجرين وغيرهم من أهل الأرض مضميرين لما قصدوه بالهجرة أو مظهرين له . وبعبارة أخرى أنه سبحانه طلب الهجرة من المهاجرين ، لا لأجل حاجة منه في هجرتهم ، وغرض عائد إليه تعالى عن جلب منفعة أو دفع مضرة أو طلب ثناء ومحمدة ، بل هو الغني المطلق المتعالي عن الفاقة والافتقار ، وإنما حثهم على الهجرة وعلى الإيمان المتحصل بالهجرة وسائر التكاليف الشرعية المتفرعة عليه لأجل إيصال النفع إلى العباد وانجائهم من العقوبة يوم المعاد.

فهذه الجملة - اعني قوله: (ما كان لله) - بمنزلة الاستئناف البياني ، فإن قوله: والهجرة قائمة ، لما كان دالا بدلالة التنبيه والإشارة على مطلوبية الهجرة ، وربما يسبق منه إلى الأوهام القاصرة إن مطلوبيتها لأجل حاجة إليها منه سبحانه أتى بهذه الجملة دفعا لذلك التوهم.

وأضاف: قد ظهر بما ذكرناه ضعف ما قاله الشارح المعتزلي من أن معناه: ما دام لله في أهل الأرض المستسر منهم باعتقاده والمعلن حاجة أي ما دام التكليف باقيا زعما منه أن جعل " ما " نافية موجب لإدخال كلام منقطع بين كلامين يتصل أحدهما بالآخر.

ثم أوضح وجه الضعف في كلام ابن أبي الحديد وهو منع استلزام كونها نافية ، لا انقطاع هذه الجملة عما قبلها ، إذ قد ظهر بما ذكرناه اتصالها وحسن ارتباطها به كما لا يخفى . مضافا إلى أن وصف الله سبحانه بالحاجة على إبقائها على حقيقتها باطل ، وعلى تأويلها بالمعنى المجازي كما أولها الشارح البحراني ، فقد جعل لفظ الحاجة مستعارا في حقّه تعالى باعتبار طلبه للعبادة بالأوامر وغيرها ، كطلب ذي الحاجة لها مما تشمئز منه الطباع ، ويأبى عنه الذوق السليم كما لا يخفى .

وخلص للقول: وبالجملة فهذه الجملة معترضة بين الجملتين، والغرض من الاعتراض تنزيه الله سبحانه من الحاجة والافتقار إلى عبادة أهل الأرض، فهي نظير الجملة المعترضة في قوله سبحانه: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾^١، فان قوله (سبحانه) جملة لكونه بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام، لان قوله: ولهم ما يشتهون، عطف على قوله: (الله البنات)، والنكته فيه تنزيه الله وتقديسه عما ينسبون إليه^٢.

ثم أوضح أمير المؤمنين عليه السلام شرطاً أساسياً في مصداق الهجرة، بقوله: " لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة في الأرض، فمن عرفها، وأقر بها، فهو مهاجر " ^٣ يعني انه لا يستحق احد إطلاق اسم المهاجر عليه ووصفه بالهجرة إلا بمعرفة حجة الله في أرضه والإيمان به، وهذا الحجة هو النبي ﷺ في زمانه والأئمة المعصومون القائمون مقامه بعده^٤.

إن اشتراط " المعرفة " بقوله " فمن عرفها " إن الفرد يعد مهاجراً بشرط الخروج إلى الإمام والسفر إليه، أو المراد بالمعرفة المعرفة المستندة إلى المشاهدة والعيان، ويحتمل أن يكون المراد إن مجرد معرفة الإمام والإقرار بوجوب إتباعه كاف في إطلاق اسم الهجرة كما هو ظاهر الجزء الأخير من الكلام. فمعرفة الإمام والإقرار به في زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة في زمان الرسول ﷺ.

١- سورة النحل الآية 57 .

٢- منهاج البراعة : 11 / 139 - 140.

٣- نهج البلاغة: ص 375 .

٤- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 11 / 140.

٥- المجلسي: البحار: 66 / 231.

وهنا يمكن أن نفهم القصد من كلامه ﷺ حين وبَّخ فئة من الناس ممن شدَّ عن طاعة الله ورسوله ﷺ وطاعته ﷺ في خطبة مشهورة عرفت بالقاصعة^١ فقال لهم: " **وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا** " ٢ .

إن " التعرب بعد الهجرة " يعدّ من كبائر الذنوب في الإسلام^٣ ، لأنه يوجب الرجوع عن الدين ، والتخلُّق بأخلاق الجهلة. ولذا فإن الأعراب من أهل البادية ممن أظهر الشهادتين على وجه حكم بإسلامه ظاهراً، ولا يعرف من معنى الإسلام ومقاصده وأحكامه سوى الشهادتين^٤.

وقال ابن أبي الحديد^٥: إن الأعراب على عهد رسول الله ﷺ من آمن به من أهل البادية ، ولم يهاجر إليه ، وهم ناقصو المرتبة عن المهاجرين لجفائهم ، وقسوتهم ، وتوحشهم ، ونشأتهم في بعد عن مخالطة العلماء ، وسماع كلام الرسول ﷺ وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿ **الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ ٦ .

إن حقيقة الهجرة هو الهجرة إلى الحجة وهو أمير المؤمنين ﷺ لمعرفة العلم وبوجوب إطاعته وامتثال أحكامه ، وعلى هذا فيكون كلامه ﷺ في مقام التوبيخ على أنهم " بعدما كانوا عارفين به وبمقامه ﷺ ووجوب طاعته وعالمين بأحكام الشرع وآدابه ، ووظائف الإسلام كما هو شأن المهاجر ، قد تركوا ذلك كله وصاروا مثل الأعراب الذين لا يعرفون إلا ظاهر الإسلام كما قال الله عز وجل ﴿ **وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ** ﴾ أي أخرى بان لا يعلموا حدود الله في الفرائض والسنن والحلال والحرام .

١- جاء في سبب إلقاء هذه الخطبة المسماة بالقاصعة: " إن أهل الكوفة كانوا في آخر خلافته ﷺ قد فسدوا، وكانوا قبائل متعددة، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنزل قبيلة أخرى، فيصيبه أدنى مكروه، فينادي باسم قبيلته، ... فنثور الفتن، وتسل السيوف، ولا يكون لها أصل في الحقيقة إلا تعرض الفتیان بعضهم لبعض، وكثر ذلك، فخرج ﷺ على ناقته فخطبهم بهذه الخطبة كسرا لصولتهم. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 13 / 167-168 حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 11 / 224.

٢- نهج البلاغة: ص404.

٣- الكليني: الكافي: 2 / 281 . الطبري: جامع البيان: 5 / 54 . المناوي: فيض القدير: 1 / 73 . السيد السيستاني: فقه المغتربين: ص 51.

٤- الشهيد الثاني: مسالك الإقحام: 3 / 65.

٥- شرح نهج البلاغة : 13/181.

٦- سورة التوبة الآية 97.

يعني إنكم قد صرتم بالعصبية والاستكبار والعناد وإثارة الفتن بمنزلة الأعراب الجاهلين بما لهم وما عليهم بعدما كنتم عارفين بذلك كله " ١ .

ويتجلى هذا المعنى بوضوح في تنمة كلامه ﷺ وهو يشير إلى الحال الذي آل إليه هؤلاء بقوله " مَا تَتَّعِقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ " ٢ ، فهم لم يأخذوا من الإسلام وأحكامه شيئاً إلا أنهم يتسمون بالمسلمين ، ولم يعرفوا من الإيمان إلا صورته . ومن هنا صح إطلاق لفظ الأعراب عليهم كما ورد في الحديث: " التعرّب بعد الهجرة : التارك لهذا الأمر بعد معرفته " . ٣ وفي حديث للإمام الرضا ﷺ أنه قال: " حرّم الله عز وجل التعرّب بعد الهجرة للرجوع عن الدين ، وترك المؤازرة للأنبياء والحجج ﷺ وما في ذلك من الفساد ، وإبطال حق كل ذي حق لا لعة سكنى البدو " ٤ ، وبالفعل فإننا نلمح في كلام أمير المؤمنين ﷺ ما يقارب هذا المعنى إذ يقول ﷺ: " أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ ، وَتَلَمَّنْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ " ٥ . فما هم قد خذلوا الإمام أمير المؤمنين ﷺ وتركوا مؤازرته ، وبذلك فقد وقعوا في معصية أمر الله ورسوله ﷺ الذي أوجب طاعته ﷺ بقوله ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ٦ .

وحين نطل على المشهد من زاوية أخرى فإننا ندرك معنى الحديث النبوي الذي يقول : " لا هجرة بعد الفتح ولكن إنما هو الإيمان والنية والجهاد " ٧ ، وفي حديث " لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ،

،

١- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 11 / 12 .

٢- نهج البلاغة: ص 404 .

٣- الصدوق: معاني الأخبار: ص 265 .

٤- الصدوق: علل الشرائع: 2 / 481 ، عيون أخبار الرضا ﷺ : 1 / 99 .

٥- نهج البلاغة: ص 403 .

٦- سورة النساء الآية 59 .

٧- المتقي الهندي: كنز العمال: 10 / 500 ، 16 / 660 . الريشهري: ميزان الحكمة: 4 / 3429 .

وإذا استنفرتم فانفروا " ١ . وفي حديث: " لا تتقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل " ٢ أو " ما دام الجهاد " ٣ . ونحن نعلم أن المقام قد استوجب من الإمام ﷺ محاربة البغاة والخارجين عن الدين من الناكثين والقاسطين والمارقين ، إذ يقول ﷺ: " أَلَا وَقَدْ قَطَعْنَا قَيْدَ الْإِسْلَامِ ، وَعَطَلْنَا حُدُودَهُ وَأَمْتَمْنَا أَحْكَامَهُ ، أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ ، بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكَثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَخْتُ ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّذْهَةِ فَقَدْ كُفَيْتُهُ ، بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجِبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةٌ صَدْرِهِ ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ ، وَلَئِنْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْكُرَّةِ عَلَيْهِمْ ، لِأَدِيلِنَّا مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا فَضَلَ الْوَحْيِ أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّعْرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونٍ رَبِيعَةً وَمُضَرَ " ٤ .

ولسنا بصدد إيراد شرح تفصيلي لهذا الكلام ، وإنما ذكرناه بطوله ليتبين لنا ما يناسب مقام البحث وما استلزم من إيراده بيان انطباق حديث رسول الله ﷺ وما فيه من ضرورة على استمرار خط الجهاد لأعداء الدين مما يضمن استمرار فضيلة الهجرة إلى الله بنصرة أوليائه وحماة دينه ، وعدّ خذلانهم في قمع المنكر وقتال أهل البغي.

إن إشارة الإمام ﷺ في صدر هذا المقطع تبين حال المتخاذلين الذين خالفوا أمر الله ورسوله ﷺ بوجوب إطاعة أمير المؤمنين ﷺ الذي نبههم إلى أن قتاله لهذه الفرق إنما كان بأمر الله وعلى لسان رسوله ﷺ كما هو واضح في كلامه : " أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ " وكما مر في حديث الرسول ﷺ: " فان استنفرتم فانفروا " ولكنهم تخاذلوا ولم يطيعوه ﷺ .

١- ابن حنبل: المسند: 1 / 226 ، 316 ، 3 / 401 . الدارمي: السنن: 239/2 . البخاري: الصحيح: 2 / 214 . مسلم: الصحيح: 4 / 109 .

٢- ابن حنبل: المسند: 1 / 192 . الهيثمي: مجمع الزوائد: 5 / 250 . المتقي الهندي: كنز العمال: 16 / 659 .

٣- الطبراني: الأحاديث الطوال: ص 34 . الهيثمي: مجمع الزوائد: 9 / 395 . السيوطي: الجامع الصغير: 1 / 328 . المتقي الهندي: كنز العمال: 4 / 382 .

٤- نهج البلاغة: ص 404 - 405 .

هذا من جانب فيما لو اختص حديثه ﷺ بالقوم الذين حضروا خطبته من أهل الكوفة ، فإن من عصاه ولم يطع أوامره فقد كان متخلفاً عن مقام الهجرة إلى الله ، أما لو توسعت دائرة الحديث فإنها تشمل كل من كان في عصره أولاً ، بل وكل آت بعده ثانياً فإن الأمر يستلزم وقفة توضيحية موجزة :

فأما الذين كانوا في عصره ممن كانوا يفخرون بهجرتهم مع النبي ﷺ فإنهم أتموا تلك الفضيلة بمعرفة الحجة على الخلق من بعده ﷺ والقائم مقامه ألا وهو أمير المؤمنين ﷺ فأزروه ونصروه وهاجروا إلى طاعته وجاهدوا معه ، فإنهم قد فازوا بمرتبة المهاجرين الأولين الذين حازوا رضا الله ورسوله ﷺ . وأما من نقض شرط الهجرة فقد كان ممن تعرب بعد هجرته فهم ممن ترك أمر طاعته ﷺ بعد معرفته ، فاستوجبوا غضب الله ولعنته عليهم .

وأما شمول حديثه لكل أهل زمان أتوا بعده ، فدليله قائم من حديثه ذاته إذ يقول ﷺ: " لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ " . ومعلوم أن " لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْموراً ، لِنَلَّا تَبْتَطَلْ حُجَجَ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ ، وَكَمْ ذَا وَابِنٍ أَوْلَيْكَ وَأَوْلِيكَ وَاللَّهِ الْأَقْلُونَ عَدَدًا ، وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا ، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوها نُظْرَاءَهُمْ ، وَيَزْرَعُوها فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ " ١

وهذا الكلام نص صريح على وجوب دوام الحجة وبقائه في الأرض ما دام التكليف باقياً ، فما أن يموت منهم أحد حتى يخلفه من يقوم مقامه ، وقد دلت الآثار وتواترت الأخبار على أن المقصود بهم أئمة أهل البيت ﷺ ف " لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت " ٢ ، فهم الأمان لأهل الأرض كما النجوم أمان لأهل السماء ٣ .

فأئمة أهل البيت ﷺ أحدهم يقوم مقام الآخر حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وبهذا فإن الهجرة قائمة على حدها الأول كما أشار بذلك أمير المؤمنين ﷺ ، وهي مستوجبة معرفة أولئك الأئمة الأطهار

١- نهج البلاغة : ص 686-687.

٢- الصفار: بصائر الدرجات: ص 508. الكليني: الكافي: 1 / 179 . الصدوق: علل الشرائع: 1 / 196.

٣- نسبة للحديث " النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض " ينظر: الصدوق: علل الشرائع: 1 / 123 ، كمال الدين: ص 205. الزرندي: درر السمطين: ص 234. السيوطي: الجامع الصغير: 2 / 680 . المتقي الهندي: كنز العمال: 12 / 96 ، 101.

كل منهم في زمانه ومقامه ، وبهذا فإن " معرفة الإمام ، والإقرار به في زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة في زمان رسول الله ﷺ " ١ .

أما المستضعفون في الأرض - في كل زمان - فقد ذكر امير المؤمنين ﷺ الحكم الذي يخصهم في قوله بهذا البيان ، إذ يقول ﷺ : " وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ ، فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ " ٢ .

قال الراوندي ٣ : يمكن أن يشير هذا الكلام إلى إحدى آيتين : أحدهما : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ٤ ، فيكون مراده ﷺ - على هذا - أنه لا يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الإمام وبلغته أحكامه ووعاها قلبه ، وإن بقي في وطنه ولم يتجشم السفر إلى الإمام كما لا يصدق على هؤلاء المذكورين في الآية. والثانية : قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حَبْلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ٥ ، فيكون مراده ﷺ على هذا إن من عرف الإمام ، وسمع مقالته ، ووعاها قلبه لا يصدق عليه الاستضعاف كما يصدق على هؤلاء ، إذ كان المفروض على الموجودين في عصر الرسول ﷺ المهاجرة بالأبدان دون من بعدهم بل يقنع منه بمعرفته والعمل بقوله دون المهاجرة إليه بالبدن . وكان الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ قد سئل عن الضعفاء ، فقال : " الضعيف من لم ترفع له حجة ، ولم يعرف الاختلاف ، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف " ٦ .

١- المجلسي: البحار: 66 / 231.

٢- نهج البلاغة: ص375.

٣- منهاج البراعة: 2/445-446 .

٤- سورة النساء الآية 97.

٥- سورة النساء الآية 98.

٦- الكليني: الكافي: 8 / 125 . المجلسي: البحار : 48 / 244.

وفي رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام لما سئل عن المستضعف قال " هو الذي لا يستطيع حيلة إلى الكفر فيكفر ، ولا يهندي سبيلاً إلى الإيمان ، لا يستطيع أن يؤمن ، ولا يستطيع أن يكفر ، فمنهم الصبيان ، ومن الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم " ^١.

إذن فلا عذر لمن بلغته دعوة الحجة وسمعها وتأخر عن النهوض والمهاجرة إليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان حتى يكون ذلك عذراً له ، بل يكون في تأخره ملوماً مستحقاً للعذاب كالذين قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، ويكون مخصوصاً بالقادرين على النهوض دون العاجزين فان اسم الاستضعاف صادق عليهم ، وهذا الاحتمال إنما يكون جائز الإرادة من هذا الكلام المقدم مشروطاً بمعرفة الإمام بالمشاهدة والسفر إليه ، إذ لو جاز أن يطلق عليه المهاجرة مع عدم السفر إلى الإمام لما كان ملوماً في تأخره عنه ^٢.

ولما علم من المقاطع السابقة تصريحاً أو تلويحاً بوجود السعي والهجرة إليه عليه السلام وإلى الأئمة من ولده ممن حق على الخلق طاعتهم ولا تخلو الأرض من بركة وجودهم ، وبين عليه السلام انه لا يسوغ التقصير والاستضعاف في معرفة حقهم أردف ذلك بالتنبيه على أن معرفتهم حق المعرفة من خواص المؤمنين المخلصين : " إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ، اِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ " ^٣. وبهذا فإن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أعطى للهجرة مفهومها ومقامها الصحيح وفق مارسمته الشريعة المقدسة ، ونجد في كلماته إشارات في معرض المدح لمن حاز تلك الرتبة السامية في الإسلام ممن هاجر طائعا لله ورسوله ﷺ ونصرة الدين الحق ، ومن ذلك قوله بادئاً بنفسه في بيان سبقه عليه السلام للإيمان والهجرة إذ يقول : " فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ " ^٤.

١- الكليني: الكافي : 2 / 404 . الكاشاني: الوافي 4/220. البحراني: البرهان 2/156. المجلسي: مرآة العقول: 11/201، هادي النجفي: موسوعة أحاديث أهل البيت: 3 / 248 - 249 .
٢- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 230 - 231.
٣- نهج البلاغة: 375.
٤- نهج البلاغة: ص94.

لقد أورد ابن ابي الحديد¹ تساؤلا عن قول الامام ﷺ اعلاه : إنه سبق إلى الهجرة ، ومعلوم إن جماعة من المسلمين هاجروا قبله ، منهم عثمان بن مظعون² وغيره ، وقد هاجر أبو بكر قبله ، لأنه هاجر في صحبة النبي ﷺ ! وتخلف علي ﷺ ، فبات على فراش رسول الله ﷺ ، ومكث أياما يرد الودائع التي كانت عنده ، ثم هاجر بعد ذلك ؟ وقال في جوابه :

1 أنه ﷺ لم يقل " وسبقت كل الناس إلى الهجرة " وإنما قال : " وسبقت " فقط ، ولا يدل ذلك على سبقه للناس كافة ، ولا شبهة انه سبق معظم المهاجرين إلى الهجرة ، ولم يهاجر قبله أحد إلا نفر يسير جدا. وإن سيل الهجرة استمر حتى فتح مكة سنة 8 هـ.

2 وأيضا فإن اللام في " الهجرة " يجوز ألا تكون للمعهود السابق ، بل تكون للجنس ، وأمير المؤمنين ﷺ سبق أبا بكر وغيره إلى الهجرة التي حصلت قبل هجرة المدينة ، فان النبي ﷺ هاجر من مكة مرارا يطوف على أحياء العرب ، ويتنقل من ارض قوم إلى غيرها ، وكان علي ﷺ معه دون غيره ثم ذكر عدد هجراته ﷺ التي سبقت الهجرة إلى المدينة التي رافقه فيها أمير المؤمنين ﷺ³ .

إن التعليل الثاني مقبول ولا إشكال فيه ، وأما ما ذكره أولا وانه ﷺ قد سبقه احد من الصحابة إلى الهجرة فلا نجده متوافقا مع واقع أمير المؤمنين ﷺ وان كلامه صريح جدا في سبقه للجميع بلا استثناء ، وأما كيفية ذلك ، فنحن قد أدركنا المعنى الواقعي الحقيقي " للهجرة " من خلال ما بينه أمير المؤمنين ﷺ وإنها هجرة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ ومعرفة مقامه ﷺ والإيمان به وتحصيل معالم الشريعة منه والتسليم له تسليم مطلقا.

ومما لا خلاف فيه أن ذلك كله متحصّل له ﷺ ومن أسبق منه لنيل هذه الرتبة من اليقين والمعرفة بحجة الله على خلقه وهو النبي الأعظم ﷺ؟! ، فهو ﷺ وان تأخر عن الهجرة بدنيا ليسبقه

١- شرح نهج البلاغة : 4 / 97 . وينظر : ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: 2 / 410 - 411.

٢- هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي. أسلم في مكة بعد اثني عشر ، وقيل هاجر الهجرتين وشهد بدرًا، ومات بالمدينة بعد معركة بدر، كان من المقربين إلى أمير المؤمنين ﷺ لذا سمي ﷺ أحد أولاده عثمان على اسمه. ينظر : ابن سعد: الطبقات : 3 / 393. ابن عبد البر: الاستيعاب 3 / 1053 . القرشي: نقد الرجال: 3 / 197.

٣- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 4 / 97 - 99.

إليها غيره إلا أنه قد هاجر ذاتيا وأدرك المقام الأسمى لتلك الفضيلة التي لم يسبقه إليها احد . وقد مر علينا أن صحة إطلاق اسم " الهجرة " على احد لا يستلزم السفر والمسير من مكان إلى مكان بل يكفي معرفته وقراره ونيته.

وفي إشارة أخرى له ﷺ حول مقام الهجرة الممدوح لديه وممن خصه بالذكر من المهاجرين قوله ﷺ لمعاوية ، وقد استنكر عليه ﷺ خوضه في شأن لا يعنيه وهو لما أرسل إليه معاوية كتابا اقتص فيه ذكر بعض الصحابة معرضا بأفضليتهم - حسب زعمه - على أمير المؤمنين ﷺ فأجابه قائلا:

" ... وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَانٌ وَفَلَانٌ ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَرَلَكَ كُلُّهُ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ تَلْمُهُ ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ ، وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوْلَى ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ ، هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قَدْحَ لَيْسَ مِنْهَا ، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا ، أَلَا تَرَى أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ دَرْعِكَ ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَحْرَكَ الْقَدْرُ ، فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةَ الْمَغْلُوبِ وَلَا ظَفْرَ الظَّافِرِ ، وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التِّيهِ رَوَاغٌ عَنِ الْقَصْدِ ، أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ ، أَنَّ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ ، حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ ، أَوَّلًا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قَطَعَتْ أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ ، حَتَّى إِذَا فَعَلَ بِوَاحِدِنَا مَا فَعَلَ بِوَاحِدِهِمْ ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَدُو الْجَنَّاحِينَ " ١ .

وكما هو واضح في كلام أمير المؤمنين ﷺ كيف انه استنكر على معاوية الخوض في مسألة التفضيل والترتيب بين الصحابة ، إذ يقول له ﷺ إن هذا الترتيب إما أن يتم أو لا ، فان تم فهو - أي معاوية - بمعزل عنه ، إذ ليس له نصيب في تلك المراتب والسبق في الإسلام ، وان نقص فلا يلحق معاوية عيبه أو نقصه لأنه لم يكن منهم ، فعلى كلا الوجهين كان معاوية خائضا فيما لا يعنيه ٢ .

١- نهج البلاغة : ص 526 - 528 .

٢- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 521. حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 19 / 93.

ثم بين ﷺ عدم لياقة معاوية لتمييز الفاضل والمفضول منهم ، وترتيب درجاتهم ، فوجه إليه استفهاماً على سبيل الاستحغار والإنكار عليه أن يخوض على صغر شأنه وحقارته في هذه الأمور ، لأنه وأبوه أبو سفيان من الطلقاء. ممن كانوا في زمن الهجرة مشركين ، ولما رفع الله الكلمة العليا ودخل الناس في دين الله أفواجا استسلما ، وما اسلما كما قال بذلك أمير المؤمنين ﷺ : " فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ اسْتَسَلَّمُوا وَأَسْرُوا الْكُفْرَ ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ " ١ .

وأما قوله ﷺ : " بين المهاجرين الأولين " ، فإنه يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ٢ .

لقد جاء في تفسير الطبرسي^٣ لهذه الآية : إن فيها دلالة على فضل السابقين ، ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من أنواع المشقة في نصرة الدين ، فمنها مفارقة العشائر والأقربين ، ومنها مباينة المؤلف من الدين ، ومنها نصرة الإسلام وقلة العدد وكثرة العدو ، ومنها السبق إلى الإيمان والدعاء إليه ، إلى أن قال : وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني^٤ في قوله تعالى بإسناده مرفوعاً عن عبد الرحمن بن عوف (والسابقون الأولون) قال : هم عشرة من قريش أولهم إسلاماً علي بن أبي طالب .

وبالجملة فإن شأن معاوية وقدره أدنى من أن يدخل في التمييز بين هؤلاء ونحوهم وليس بأهل لذلك^٥ .

ونجد في كتاب آخر لأمير المؤمنين ﷺ وجهه لمعاوية ذكر فيه المعنى نفسه بقوله : " وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً ، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً ، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ " ٦ .

١- نهج البلاغة : ص 511 .

٢- سورة التوبة الآية 100 .

٣- مجمع البيان : 5 / 113 .

٤- عند مراجعة الحاكم الحسكاني كانت الإشارة هكذا " هم ستة من قريش " شواهد التنزيل : 1 / 334

٥- حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 19 / 93 .

٦- نهج البلاغة : ص 512 .

ثم نبّه أمير المؤمنين ﷺ على ضعفه وقصور ذرعه عن البلوغ لتلك المراتب السامية ، وأنى للأعرج العروج إلى قتل شامخة ، فقال ﷺ: " ألا تربع أيها الإنسان ... الخ " استفهام على سبيل الاسترحام أو الاستحقار والتقرير ، فهل للظالع - وهو الأعرج - أن يحمل حملا ثقيلًا ؟ فرفقا بنفسك حتى لا تحمل ما لا تطيق ؟ وألا تعرف قصور ذرعتك وعدم قدرتك عن بلوغ درجات السابقين ؟ ألا تضع نفسك حيث وضعها الله؟! ¹ .

ويواصل أمير المؤمنين ﷺ تربيته وتوبيخه لمعاوية ، إلى أن بلغ إلى تذكيره وتنبهه بأفضليته ﷺ وأهل بيته وتقديمهم على من سواهم ، وإن شاركهم بعضهم في تلك الخصائص والفضائل ، وذكر لهم مثالين وهما : حمزة سيد الشهداء ﷺ الذي كان من المهاجرين الأولين ، وممن حاز مرتبة الشهادة وخصّه الله ورسوله ﷺ بما ذكره ﷺ فيما تقدم ، جعفر بن أبي طالب ﷺ أيضا الذي هاجر هجرتين ، كانت الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة ، وكان سباقا في نيل رتبة الهجرة والجهاد ، ومن ثم الشهادة ، وخص بذي الجناحين والطيار في الجنة.

وفي مقام آخر نجده ﷺ يستنكر على معاوية ما ادعاه الأخير بأنه لا موجب للتفاضل بينهما ما دام من أصل واحد إذ أرسل إلى الإمام يقول : " إنا بنو عبد مناف " فأجابه الأمير ﷺ مستنكرا " ولا المهاجر كالطليق " ² .

فعرض الإمام ﷺ " شرفه من جهة هجرته مع الرسول ﷺ وخسة خصمه من جهة كونه طليقا وابن طليق ، وهذه الفضيلة وإن كانت خارجية إلا أنها تستلزم فضيلة نفسانية ، وهي حسن الإسلام والنية الصادقة الحقة " ³ .

فالإمام ﷺ يستنكر على معاوية المساواة بين فضيلة الهجرة التي اختص بها ﷺ وبين كون معاوية طليقا لم يحظ بشرف تلك الرتبة في الإسلام.

١- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 19 / 94.

٢- نهج البلاغة: ص 511.

٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 467.

وفي الوقت الذي يفتخر فيه أمير المؤمنين ﷺ بان جيشه يشتمل على نخبة من المهاجرين ، مشرعا في وصفهم بأوصاف تزلزل أركان العدو من شدة الزحام و سطوع القتام إذ يقول ﷺ مخاطبا معاوية : " وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكُ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قِتَامُهُمْ ، مُتَسَرِّبِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ ، أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ " ١ .

فهؤلاء الأفياذ ممن صدق عليه " الهجرة " بواقعها السامي الذي اشترطه أمير المؤمنين ﷺ ، إذ إنهم فضلا عن تلك الهجرة المتحققة في عهد رسول الله ﷺ فإنهم لم ينحرفوا عن جادة الصواب ، وحافظوا على مراتبهم العليا في نيل فضيلة المهاجرة إلى حجج الله في أرضه ، فنالوا بذلك رضا الله سبحانه وجنانه إذ يقول الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ٢ .

وفي موضع آخر نجد أمير المؤمنين ﷺ يرد مزاعم معاوية حين توعد الأخير بأنه قادم إليه بجيش يضم المهاجرين والأنصار ، إذ قال له ﷺ : " وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ انْقَطَعَتِ الْهَجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ " ٣ .

وكلامه ها هنا تكذيب لمعاوية فيما ادعاه ، إذ ليس معه مهاجر لان أكثر من معه ممن رأى رسول الله ﷺ هم أبناء الطلقاء ، ومن أسلم بعد الفتح ، وقد قال ﷺ : " لا هجرة بعد الفتح " ، وعبر عن يوم الفتح بعبارة حسنة فيها تقريع لمعاوية وأهله بالكفر ، وإنهم ليسوا من ذوي السوابق ، فقال ﷺ : " وقد

١- نهج البلاغة : ص 532.

٢- سورة التوبة الآية 100 .

٣- نهج البلاغة: ص 631.

انقطعت الهجرة يوم اسر أخوك " ١ ، يعني يزيد بن أبي سفيان ٢ أسر يوم الفتح في باب الخندمة ٣ ، وكان قد خرج في نفر من قريش يحاربون ويمنعون من دخول مكة ، فقتل منهم قوم وأسروا يزيد بن أبي سفيان ، أسره خالد بن الوليد ، فخلصه أبو سفيان منه ، وأدخله داره ، فأمن لان رسول الله ﷺ قال يومئذ : " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن " ٤ .

ومن ثم نراه يُعرض بحال أهل الشام ممن كان في ركب معاوية إذ يقول ﷺ عنهم : " جُفَاءَ طَغَامٍ وَعَبِيدٍ أَقْرَامٍ ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أُوْبٍ وَتُلْقُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهُ وَيُؤَدَّبَ ، وَيُعَلَّمَ وَيُدْرَبَ

١- إن ابن ميثم لما ذكر أصل الخطبة أورد المقطع كالاتي " وقد انقطعت الهجرة يوم اسر أخوك " لكنه لما جاء على شرحه فانه ذكر المقطع بالصيغة الآتية " وقد انقطعت الهجرة يوم اسر أبوك " [شرحها قائلاً] أي حين الفتح ، وذلك إن معاوية وأباه وجماعة من أهله إنما اظهروا الإسلام بعد الفتح وقد قال ﷺ : " لا هجرة بعد الفتح " فلا يصدق عليهم إذن اسم المهاجرين ، وسمى ﷺ اخذ العباس لأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ غير مختار وعرضه على القتل أسرا . ثم شرح : وروى : يوم أسر أخوك ، وقد كان أسر أخوه عمرو بن أبي سفيان يوم بدر ، فعلى هذه الرواية يكون الكلام في معرض التنكرة له بأن من شأنه وشأن أهله أن يؤسروا أولاً فيسلموا ، فكيف يدعون مع ذلك الهجرة ، فان الهجرة بهذا الاعتبار منقطعة عنهم ، ولا يكون " يوم أسر " ظرفاً لانقطاع الهجرة ، لان الهجرة انقطعت بعد الفتح . ينظر شرح نهج البلاغة: 5 / 258.

٢- هو أبو خالد يزيد بن أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، اسلم يوم فتح مكة ، فكان من الطلقاء ، والمؤلفة قلوبهم مع أبيه وأخيه معاوية ، لأنه أراد الحرب لكنه أسر من قبل خالد بن الوليد ، بدأ نجمه مع خلافة أبي بكر إذ استعمله على الشام ، ولما تولى عمر الخلافة ولاه فلسطين ، ثم الشام ، حتى وفاته بالطاعون سنة 18 هـ ، فولى مكانه أخيه معاوية ، ينظر: ابن سعد: الطبقات : 405/7 ، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ص 35 ، ابن عبد البر : الاستيعاب : 4 / 1575 ، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 8/298 ، 15/95 ، 17/256. الخرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : ص432.

٣- الخندمة: جبل في مكة في ظهر أبي قبيس لما اراد النبي ﷺ فتح مكة اجتمع صفوان بن امية ، وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو في الخندمة ، وفيه قال حماس بن قيس لزوجته :

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة
وحيث أبو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتنا بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ضربا فلا تسمع إلا غمغمة

لم تنطفي باللوم أدنى كلمة

ينظر: الحموي: معجم البلدان 2/393، وينظر: الأزرقى: أخبار مكة 1/222 ، 2/269.

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 17 / 197.

ويؤلى عليه ، ويؤخذ على يديه ، ليسوا من المهاجرين والأنصار ، ولا من (الذين تبوءوا الدار والإيمان)^١ .

إن الذي يعنينا من كلامه الشريف ﷺ أن هؤلاء ليسوا من المهاجرين والأنصار في معرض الذم لهم لكون ذلك نقصانا لهم عن المهاجرين والأنصار وقد سبقت الإشارة إلى افتخاره ﷺ بتواجد هذه الفئة في جيشه ﷺ.

وفي معرض مدحه للمهاجرين نجده خص أحد الصحابة بالذكر وهو خباب بن الارت^٢ ، إذ يقول عنه : " يَرْحَمُ اللَّهُ خَبَّابَ بْنَ الْأَرْثِّ فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا وَقَنَّعَ بِالْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ وَعَاشَ مُجَاهِدًا " ^٣.

كان خباب بن الارت من أفاض أصحاب النبي ﷺ المخلصين والحاملين لأسرار الشريعة الإسلامية ، ممن تلمسوا الحقيقة بقلوبهم وبلغوا الدرجة القصوى من اليقين بالنسبة إلى معالم الدين ، ومن الذين كانوا شهداء على الناس ومؤازرين للحق عند ظهور الخلاف ، فكونه في صف أصحاب أمير المؤمنين ﷺ مجاهدا معه في صفين من الأدلة القاطعة على أن الإمام علياً ﷺ مع الحق والحق مع علي يدور معه أينما دار^٤ ، مثله في أصحابه ﷺ مثل عمار^٥ . و قال ابن أبي الحديد: هو قديم الإسلام ، قيل:

١- نهج البلاغة: ص 488 .

٢- هو خباب بن الارت بن جندلة التميمي النسب، الخزاعي بالولاء، حليف بني زهرة، كان عبدا يعمل السيوف قبل الإسلام، فأصابه سبي، فبيع بمكة، كان من المسلمين الأوائل ومن خيار المهاجرين، قيل هو سادس ستة، وقد تعرض إلى تعذيب المشركين حتى هاجر الى المدينة، شهد جميع مشاهد النبي ﷺ، وكان إلى جانب أمير المؤمنين ﷺ في حروبه، حتى مات سنة 37 أو 39 هـ. وصلى عليه الإمام ودفن في الكوفة. وكان ابنه عبدالله على منهج أبيه في موالاته أمير المؤمنين ﷺ وهو الذي قتلته الخوارج لمولاته الإمام. ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب 437/2، ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين 39/4، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 172-171/18، التبريزي: الإكمال في أسماء الرجال ص57، الكرياسي: إكليل المنهج ص542 .

٣- نهج البلاغة: ص 662.

٤- حديث خرجه: أبو جعفر الإسكافي: المعيار والموازنة ص 35، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة (المنسوب) 73/1، ابن مردويه: المناقب : ص 113، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 322/14، ابن عساكر: تاريخ دمشق 449/42، الشامي: الدر النظيم ص441.

٥- حبيب الله الخوني: منهاج البراعة: 21 / 86.

إنه كان سادس ستة ، وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وهو معدود في المعذبين في الله ^١ . وورد في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام : " السباق خمسة : فانا سابق العرب ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبشة ، وصهيب سابق الروم ، وخباب سابق النبط " ^٢ .

وقد وصفه أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الوجيز من الكلام بما لا مزيد عليه، واثبت له فضيلة الرغبة في الإسلام، والطوع على الهجرة، وصراف الحياة في الجهاد فناهيك بهذه الفضائل عن التتبع للأقوال، وثناء سائر الرجال ^٣ .

ومن حظوة مقام الهجرة قوله عليه السلام في المهاجرين في كتاب إلى معاوية " إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمَ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ، عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا ، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ ، بَطَّغْنِ أَوْ بَدَعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى " ^٤ .

أولاً لا بد من الإشارة إلى أن كلامه " على مقتضى عقيدة القوم مداراة ومماشاة معهم بما اعتقدوا من أمر الخلافة إنما هو بالبيعة من أهل العقد والحل لا بالنص ، وإلا فإمامته بلا فصل كانت ثابتة بالبراهين القطعية ، فالقياس جدلي على اصطلاح أهل الميزان ، لأنه اعتبر في مقدماته التسليم من الخصم أي تبيكيت الخصم إلزامه بما سلم به " ^٥ . فهو بمقتضى المقام قد حصر الشورى في المهاجرين والأنصار لأنهما أهل الحل والعقد في أمة محمد ﷺ فمتى انفتحت كلمتهم على أمر اجمعوا عليه كان ذلك حقا مرضيا لله تعالى فيجب على الناس إتباعه . ومن ذلك إطباقهم على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام .

ومن خلال ما مضى يتبين لنا بان التعامل مع فضيلة " الهجرة " كان وفق رؤيتين:

١- شرح نهج البلاغة: 171/18.

٢- الصدوق: الخصال: 312. ابن الفثال: روضة الواعظين: ص 28 .

٣- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 21 / 87 .

٤- نهج البلاغة: ص 499- 500 .

٥- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 169 / 17 .

الأولى: تمثلت في رؤية أمير المؤمنين ﷺ لهذه الفضيلة ، وكيف أعطى لها أبعادا تتجاوز معناها اللغوي والاصطلاحي الذي قد يتحدد بهجرة البدن من مكان إلى آخر، إذ عدها ﷺ ظاهرة ذات علاقة بالرسالة الإلهية وديمومتها ، ومنوطة بمعرفة الحجة في الأرض ، القيم على تأدية حق الشريعة في كل زمان ، وقد اخرجها من افقها الضيق الذي لا تعدو أن تكون فيه مجرد حركة انتقال مكاني قد يطلب من ورائه السعة بعد الضيق والراحة والدعة والاستقرار في مكان آخر تتوافر فيه هذه المقومات.

الثانية: التي طرح فيها عنوان " المهاجرين " كامتياز يحاول بعضهم التكسب فيه للحصول على أطماع دنوية بحتة ، إذ اظهروا إنهم تحملوا الآلام والمحن بترك أوطانهم ، بهجرتهم مع النبي ﷺ وبهذا بات من حقهم الاستئثار بامتيازات ومناصب ، كما حدث في السقيفة¹ ، فقد طرحت " الهجرة " كامتياز تقاضلي في وجه الأنصار لبيان أحقية المهاجرين بالخلافة دون سواهم ، ومن ثم غدت من القضايا التي تمثل منهجا في العامل السياسي ، وتحولت فيما بعد إلى ما هو اخطر في الوجود الإسلامي ، إذ أوجدت الطبقة في المجتمع الإسلامي ، ففي عهد عمر بن الخطاب كان توزيع الأموال متفاوت حسب أمور عدة منها القدم في الإسلام ، وهذا يعني تقديم المهاجرين على الأنصار².

١- لمزيد من التفاصيل والتحليل عما جرى في السقيفة ينظر: محمد رضا المظفر: السقيفة ص 9 - 156، الخليلي: السقيفة أم الفتن ص 11 - 118. النصرالله: مرويات الجوهرية عن يوم السقيفة : ص 1-61. العواد: السيدة فاطمة الزهراء ﷺ : ص 725 - 786.

٢- ذكر اليعقوبي: ودون عمر الدواوين، وفرض العطاء سنة 20، وقال: قد كثرت الأموال ، فأشير عليه أن يجعل ديوانا، فدعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف، وقال: اكتبوا الناس على منازلهم، وابدأوا ببني عبد مناف. فكتب أول الناس علي بن أبي طالب في خمسة آلاف، والحسن بن علي في ثلاثة آلاف، والحسين بن علي في ثلاثة آلاف، وقيل بدأ بالعباس بن عبد المطلب في ثلاثة آلاف، وكل من شهد بدرًا من قريش في ثلاثة آلاف، ومن شهد بدرًا من الأنصار في أربعة آلاف، ولأهل مكة من كبار قريش مثل أبي سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان في خمسة آلاف، ثم قريش على منازلهم ممن لم يشهد بدرًا، ولأمهات المؤمنين ستة آلاف ستة آلاف، ولعائشة وأم حبيبة وحفصة في اثني عشر ألفًا، ولصفية وجويرية في خمسة آلاف خمسة آلاف، ولنفسه في أربعة آلاف، ولابنه عبد الله بن عمر في خمسة آلاف، وفي أهل مكة الذين لم يهاجروا في ستمائة وسبعمائة، وفرض لأهل اليمن في أربعمائة، ولمضر في ثلاثمائة، ولربيعه، في مائتين. وكان أول مال أعطاه مالا قدم به أبو هريرة من البحرين، مبلغه سبعمائة ألف درهم. قال: اكتبوا الناس على منازلهم، وكتبوا بني عبد مناف، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم أتبعوهم عمر بن الخطاب وقومه على الخلافة. فلما نظر عمر قال: وددت والله اني هكذا في القرابة برسول الله، ولكن ابدأوا برسول الله ثم الأقرب فالأقرب منه، حتى تضعوا عمر بحيث وضعه الله. وفرض للنساء المهاجرات وغيرهن على قدر فضلهن، وكانت فريضته لهن في

ثانيا: ونبقى في مكة نستطلع مكوناتها المجتمعي ، إذ نجد إشارة الامام امير المؤمنين ﷺ الى " **المشركين** " الذين كان لهم موقفا سلبيا وقاسيا من النبي ﷺ ودعوته ومن آمن بها ، وفي طليعة هؤلاء كان الملأ من قريش ، والمعلوم ان " قريش " هم سادة مكة وهم عشيرة النبي ﷺ وأهله ، وقد تباينت مواقف هؤلاء من النبي ﷺ فمنهم من آمن به وأزره ، وفي مقدمتهم اهل بيته من بني هاشم كآل ابي طالب وغيرهم ، وقد كان للعامل القبلي اثره الايجابي في هذا المضمار، حتى ان بني هاشم مسلمهم وكافرهم قد قبلوا بمحاصرة قريش لهم وكانوا في شعب ابي طالب¹.

ولكن البعض الاخر من قريش كان الاشد على النبي ﷺ ومن آمن بدعوته اذ كان ﷺ ، كما عبر امير المؤمنين ﷺ واصفا حالة " **خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ عَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ الْأَدْنُونَ وَتَلَّابَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ** " ². واجمعت قريش على حربه ³ ، يتقدمهم الملأ الذين كانوا واعين لخطورة هذه الدعوة على مصالحهم السياسية والاجتماعية ، فاتهموا النبي ﷺ باتهامات شتى وأذوه وألبوا عليه العرب . وذكر لنا الامام ﷺ نموذجا على موقفهم هذا بقوله : " **وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا آتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ** " ⁴. فطالبوه بأمر اعجازي .

ألفين، وألف وخمسمائة، وألف، وفرض لأسماء بنت عميس، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وخولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون في ألفين، وفرض لأم عبد في ألف وخمسمائة، وفرض لأشراف الأعاجم، وفرض لفيروز بن يزدجرد دهقان نهر الملك والنخير خان، ولخالد وللجميل ابني بصبهري دهقان الفلوجة، وللهرمان، ولبسطم بن نرسي دهقان بابل، وجفينة العبادي في ألفين ألفين، وقال: قوم أشرف أحببت أن أتألف بهم غيرهم. وقال عمر في آخر سنه: اني كنت تألفت الناس بما صنعت في تفضيل بعض على بعض، وإن عشت هذه السنة ساويت بين الناس، فلم أفضل أحمر على أسود، ولا عريبا على عجمي، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر؛ تاريخ : 153/2 . 154. ولمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر: ابن الاثير: الكامل : 2 / 502 _ 505، الكتاني: التراتيب الادارية 1 / 200_202 .

١- أشار ﷺ الى هذه الحادثة، بقوله: " **فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاخَ أَصْلَانَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعُدْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَن حَوْرَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ، مُؤْمِنًا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرًا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ** " نهج البلاغة: ص 502.

٢- نهج البلاغة: ص414.

٣- اشارة لقوله ﷺ بخصوص قريش: " **فَأَيْتَهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي، كَأَجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي** " نهج البلاغة ص 561.

٤- نهج البلاغة : ص406-407.

وقد استمر موقف قريش المعادي ومن تبعها حتى فتح الله لنبيه ذاك الفتح العظيم ، ودخل مكة منتصرا في السنة الثامنة للهجرة . فادخل الله العرب في دينه افواجا، واسلمت له هذه الامة طوعا وكرها . فكان ممن استسلم لقهر الاسلام وغلبته بعض من هؤلاء، الذين عرفوا بـ " الطلاق " ، فكانوا ممن دان بدين الاسلام كرها لا طواعية ، بدلالة قوله ﷺ لمعاوية وهو احد الطلقاء في اكثر من موضع " وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرْهًا ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلِّهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِزْبًا " ^١.

إن هؤلاء " الطلاق " لم يسلموا واقعا ، بل تظاهروا بالاسلام ^٢ ليقوا انفسهم من حر السيوف ، وتمتعوا بعفو رسول الله ﷺ عنهم اذ قال لهم : ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا: اخ كريم وابن اخ كريم ، قال ﷺ : " اذهبوا فانتم الطلقاء " ^٣ . وقد حجَّ الامام امير المؤمنين ﷺ طموح هؤلاء ، وبين موقعيتهم في الاسلام ، رغم كل محاولاتهم لتخطي حدود واقعهم الحقيقي ، فبين ذلك من خلال مساجلاته مع معاوية كامنودج منهم:

- 1- انهم انما اسلموا كرها ودخلوا في هذا الدين رهبة ^٥.
- 2- انهم اظهروا الاسلام واسروا الكفر ^٦.
- 3- انهم لا يمكن مساواتهم بأهل السابقة والفضل ^٧ في الاسلام من المهاجرين ^٨ وغيرهم.

١- الطليق هو كل من دخل عليه النبي ﷺ مكة عنوة فملكه بالسيف، ثم من عليه عن إسلام أو غير إسلام، كصفوان بن أمية الذي لم يسلم، ومعاوية الذي أعلن الإسلام، وكذلك من اسر في حروب الرسول ﷺ فمن عليه بفداء أو غير فداء، كسهيل بن عمرو الذي أمتن عليه بفداء، وأبي عزة الجمحي بغير فداء، وعمرو بن أبي سفيان الذي أمتن عليه معاوضة مقابل إطلاق أسير من المسلمين. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 119 / 15 .

٢- نهج البلاغة: ص 630 - 631.

٣- يقول الامام امير المؤمنين ﷺ : " فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ اسْتَسْلَمُوا وَأَسْرُوا الْكُفْرَ ... " . نهج البلاغة :ص511.

٤- الطبري: تاريخ: 337 / 2، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: 252/2، ابن كثير: البداية والنهاية: 4 / 344.

٥- اشارة لقوله ﷺ : " كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً " . نهج البلاغة :ص 512.

٦- اشارة لقوله ﷺ " مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ اسْتَسْلَمُوا وَأَسْرُوا الْكُفْرَ " . نهج البلاغة :ص511.

٧- " فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُفَرِّقُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدْعِيَ مُدْعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ وَلَا أَطُنُّ اللَّهُ يَعْرِفُهُ " . نهج البلاغة ص 503 . وايضا قوله : " وكنتم ممن دخل في هذا الدين اما رغبة واما رهبة ، على حين فاز اهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الاولون بفضلهم " . نهج البلاغة ص512.

٨- " وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ " . نهج البلاغة ص 511 . وايضا قال: " وَمَا لِلطَّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطَّلَقَاءِ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأُولِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ، هِيَاهُنَّ لَقَدْ حَنَّ فِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا " نهج البلاغة ص 527.

اما المجتمع المدني ، فقد كان يتكون من عدة عناصر سكانية ابرزها : (العرب ومنهم ما عرف بالانصار ومن لحق بهم من المهاجرين . واصحاب الديانات الاخرى من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس)^١ .

وقد مر بنا الحديث عن المهاجرين ، اما الانصار فقد اشار الامام امير المؤمنين ﷺ الى انهم قد آمنوا بالنبي ﷺ وتعاهدوا على نصرته وآووا دعوته واحتضنوا رسالته ، أدنوهُ ﷺ إلى موقفهم من النبي ﷺ ودينه الحنيف فقال: " هُم وَاللَّهِ رَبُّوْا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبِّي الْفُلُوْٓءُ^٢ ، مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ السَّبَاطِ^٣ وَالسَّنْتِيهِمْ السَّلَاطِ^٤ " . كما اشار ﷺ الى منزلتهم من رسول الله ﷺ حتى اوصى بهم من بعده بإن " يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ " .^٥

ومن المعلوم تاريخياً ان هذا المكون المجتمعي قد كان يتألف من قبيلتي الاوس والخزرج ، التي شهدت الايام وقائع وحروب بينهما قبل دخولهم في الاسلام ، إذ كان له ﷺ الاثر الواضح في معالجة ذلك الخلاف الدامي ف " دَفَنَ اللّٰهُ بِهِ الضَّعَّائِنَ ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ ، أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا " ^٦ فأظلم بمظلة الاسلام ، واصبحوا في دين الله اخوانا.

ورغم وجود بعض الاقليات الدينية الاخرى كالنصارى في مكة واليهود في المدينة ، الا انه لم ترد الاشارة اليهم في نهج البلاغة.

هذا المجتمع برمته ممن احاط بالنبي ﷺ قد اصطلح على تسميته بـ " الصحابة " ^٧ ، وقد

- ١- لمزيد من التفاصيل ينظر : شذى العبيدي : مجتمع المدينة من خلال القرآن الكريم (الجوانب السياسية والاجتماعية) : ص 174 - 237 . مؤيد الدليمي : ملامح المجتمع المدني في عصر النبوة دراسة تاريخية : ص 27 - 57 .
- ٢- الفلو: المهر إذا فطم أو بلغ السنة . ابن الأثير: النهاية: 72/3.
- ٣- السبط الممدود ، إشارة إلى السخاء. أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية :ص271.
- ٤- إشارة إلى سلطة اللسان. ابن سيده: المخصص ج 1/2/1 السفر الثاني ص 116، ابن منظور: لسان العرب: 7/321.
- ٥- نهج البلاغة : ص 754 .
- ٦- نهج البلاغة : ص 102 .
- ٧- نهج البلاغة: ص178-179.
- ٨- لقد ألقت عدة مؤلفات خاصة بهم ككتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني.

أيد الله دينه ونبيه العظيم بالنخبة الفذة من هؤلاء ، " وتأييده إياه لمن أيده من أصحابه " ١ ، وقد شخص الامام امير المؤمنين ﷺ في عدة مواضع من كلامه الشريف جملة مواقف ومزايا لصحابة رسول الله ﷺ ، فضلا عن وقفات هامة وملحوظات عامة يمكن ان تستشف من كلامه ﷺ سندرجهما تباعا :

أولا: المواقف الجهادية : يعد الجهاد من افضل وسائل التقرب الى الله الموصلة الى رضوانه ، وقد قرنه الامام امير المؤمنين ﷺ بالايمان بالله والتصديق برسوله ﷺ ، " إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، الْإِيْمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةٌ الْإِسْلَامِ " ٢ . وقد استعار لفظ " الذروة " له ملاحظة الشبه في العلو والمرتبة في الاسلام بالسنام ٣ للبعير ، لكون سالكه سالكه على يقين من لقاء الله وقوة من التصديق بما جاء به الرسول ﷺ حيث يلقي نفسه الى التهلكة الحاضرة. ولانه الاصل الاعظم في جمع العالم على الدين ٤ . إذ لولا الجهاد ما ارتفع للاسلام راية ، ولا كان له عين ولا اثر. وقد سطر صحابة النبي ﷺ ملاحم جهادية في ساحات الوغى عز نظيرها ، وقد تحدث الامام امير المؤمنين ﷺ عن دلالات فضلهم في هذا الجانب وانفرادهم فيه لما حملوا من عقيدة راسخة فقال ﷺ : " وَهِيْجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّهُوا وَلَهُ اللَّقَاحُ إِلَى أَوْلَادِهَا ، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا ، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا ، وَصَفَا صَفَاً ، بَعْضٌ هَلَكَ ، وَبَعْضٌ نَجَا " ٥ .

ومن مصاديق هذا التفاني منهم في مجاهدة اعداء دينهم ، انهم لم يبتهم عن اقامة فرض الجهاد وجود قرباتهم وذويهم في الجانب المقابل لهم في الحروب التي خاضوها ، بل زادهم ذلك ثباتا واصرارا على دينهم : " فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ ، فَمَا نَزَدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ ، إِلَّا إِيمَانًا وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ ، وَتَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ " ٦ .

وفي موضع آخر وبيان اكثر يقول : " وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقَمِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ

١- نهج البلاغة : ص 526.

٢- نهج البلاغة : ص 210-211.

٣- في حديث آخر له ﷺ: " ذروة الاسلام وسنامه الجهاد " . ينظر : الطريحي: مجمع البحرين 158/1 . وينظر: الصدوق: من لا يحضره الفقيه 2/75.

٤- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 3 / 97 .

٥- نهج البلاغة : ص 231-232.

٦- نهج البلاغة : ص 234.

الأمم ، وجداً في جهاد العدو ، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدونا ، يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما ، أيهما ينقي صاحبه كأس المؤمن^١ . فكان الاب يقاثل في جانب وابنه في الجانب المقابل ، لاختلاف عقائدهم ، فهذا في صف المسلمين ، وهذا مع المشركين ، ومثال ذلك ان النبي الاعظم ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ كانا في جانب ، وكان العباس بن عبد المطلب وعقيل بن ابي طالب في الجانب المقابل ، فالقربة كانت موجودة بين المسلمين والمشركين اما نسبا او سبباً^٢ . وقد اشار الامام امير المؤمنين ﷺ الى تحرر هؤلاء المسلمين من غلبة غريزة حب الاقارب التي جبلت عليها القلوب فطريا ، بل انهم قد تنفخوا من مواقفهم هذه في تكسب عدة امور معنوية جليلة ، وقد عدها امير المؤمنين ﷺ :

- انها زادتهم ايمانا بالله وبرسوله وتسليما لامره جل وعلا ، والايان قابل للكمال والنقص ، وهو على مراتب ثلاث كما في قول امير المؤمنين ﷺ الاقرار باللسان والاعتقاد بالقلب والعمل بالاركان^٣ ، فهؤلاء المؤمنون بعد تجربتهم الجهادية صار ايمانهم متكاملا بسبب التطبيق العملي . اما التسليم فهو من اعلى مراتب الايمان ايضاً .
- انها زادتهم ثباتا وعزيمة على المضي في طريق الحق ، وصبراً على مضض الالم بتحمل وقع الجراحات المادية وكذا الجراحات المعنوية الواردة على قلوبهم من حيث المعنى في قتلهم آباءهم وابنائهم واحبائهم ، فكل ذلك من مضض الالم^٤ . ورغم كل ما لاقوه لم يزداهم ذلك الا ثباتا وجدا في جهاد عدوهم .

وواضح ان محور الكلام يدور بالدرجة الاساس عن صدق النوايا والاخلاص في الجهاد ، حتى استوجب نزول النصر المبين " فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللّٰهُ صِدْقَنَا اَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكُتُبَ ، وَاَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ " ° . ولعل غزوة بدر من اتم المصاديق للنصر الذي اوجبه الله للمسلمين والكتب بالمشركين^٦ .

ثانياً: المزايا الاخلاقية والعبادية : إن مما أشار إليه الامام امير المؤمنين ﷺ عن تلك الجماعة الصالحة التي تربت في كنف الاسلام ، وكانت على مساس بشخصية أعظم إنسان الذي كان بدوره

١- نهج البلاغة : ص 92-93.

٢- الخراساني : مفتاح السعادة : 7 / 183 .

٣- نهج البلاغة : ص 700.

٤- الخراساني: مفتاح السعادة : 7/185.

٥ - نهج البلاغة : ص 93.

٦ - قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ سورة آل عمران الآية 123.

صنيعة ربه ، فأى آثار ممكن ان يتركها وجوده المبارك بينهم؟! قد بانث في سجايهم وخصالهم الاخلاقية العالية كما وصفهم الامام امير المؤمنين عليه السلام " قوم والله ميامين الرأي ، مراجيح الحلم ، مقاويل الحق ، مبلوك للبغي . مضوا قدما على الطريقة ، واوقفوا على المحجة ، فظفروا بالعقبى الدائمة ، والكرامة الباردة " ^١ . ومن ابرز خصائصهم تلك الجنبه العبادية في ذواتهم، اذ وسمهم الامام امير المؤمنين عليه السلام بوسم رائع يكشف عن ايمان راسخ وعقيدة ثابتة وتعبد فريد يدل على انقطاعهم عن الدنيا وزهدهم فيها وتشوقهم للاخرة اذ يقول عن صفاتهم: " وَقَرَّعُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ... لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ ، وَلَا يُعَزِّونَ عَنِ الْمَوْتَى ، مَرَهُ الْعُيُونُ مِنَ الْبُكَاءِ ، خُمَّصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ، ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ ، صَفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ ، وَأُولَئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ " ^٢ .

وفي موضع آخر يقول: " لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَمَا أَرَى أَحَدًا يُسَبِّهُهُمْ مِنْكُمْ ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُغْنًا غُبْرًا ، وَقَدْ بَاتُوا سُجْدًا وَقِيَامًا ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ ، وَيَقْفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْرَى ، مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ ، إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ ، حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبُهُمْ ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ ، خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ " ^٣ . وذلك اشارة لقوله تعالى: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ ^٤ .

وفي احدى اشاراته قال بحق جماعة من صحابة النبي عليه السلام بانهم " الْمُسْتَحْفَظُونَ " ^٥ : واستحفظته واستحفظته الشيء ، اودعته عنده وسألته ان يحفظه ، و" الْمُسْتَحْفَظُونَ " - على بناء المفعول - المطلعون على أسرار الرسول الأعظم عليه السلام وسيرته ، الصادقون في الشهادة الذين لم يغيروا ولم يبدلوا لاغراض دنيوية ^٦ . وهم العلماء واهل الدين الذين استحفظوا كتاب الله ودينه ^٧ .

١- نهج البلاغة : ص 226 - 227.

٢- نهج البلاغة : ص 231 - 232.

٣- نهج البلاغة: ص 181- 182.

٤- سورة الفتح الآية 29.

٥- نهج البلاغة ص 421.

٦- المجلسي: البحار: 109/34، حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 12/ 195 .

٧- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 544/3 .

ولعل هم من قصدهم الامام امير المؤمنين ﷺ في مورد حديثه وكلامه عن رواية حديث النبي ﷺ اذ قال وهو يعد نماذج رواية الحديث : " **وَأَخْرُ رَابِعٌ ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَلَمْ يَهَمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ**"^١

ورغم ان صحبة النبي ﷺ فضيلة عظيمة ، ولكن ليس كل صحابته كانوا على مرتبة واحدة ، وطرز واحد في الفقه والعلم وفي الطاعة لله ورسوله ﷺ ، ففيهم من احسن الصحبة وابلى بلاءاً حسناً وجاهد في الله حق جهاده ، وهاجر في سبيله ، ولم يُحَدِّثْ بعد رسول الله ﷺ ، الى غير ذلك من السمات التي وصفهم بها القرآن الكريم وأحاديث النبي الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ ولكن من صحابة النبي ﷺ من " ابتغوا الفتنة"^٢ ، ومنهم من لمز النبي ﷺ^٣ ، ومنهم من آذاه^٤ ، ومنهم من كان في قلبه مرض^٥ ، ومنهم من رد واعترض على النبي ﷺ^٦ ، ومنهم من احدث بعده^٧ ، وحسبنا ان ان نجد في كتاب الله سورة باسم المنافقين !^٨

١- نهج البلاغة : ص 442 - 443 .

٢ - قوله تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَافَكُمْ بَيْنُكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ التوبة 47 .

٣- قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴾ التوبة 58

٤- قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلُوبِنَا خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ التوبة 61

٥- قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لِنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مُلْعُونِينَ أَيْنَمَا نَتَّقُوا أَخَذُوا وَفَقَلُوا تَفْتِيلًا ﴾ الاحزاب 60-61

٦- ينظر : مازن الغزي: الرد على الرسول محمد ﷺ دراسة تاريخية : (الصفحات جميعها).

٧- قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ آل عمران 144

٨- وفي القرآن الكريم في غير هذه السورة عدة موارد للتعريض ببعض الصحابة وذب طائفة منهم ، كما في الاشارة اعلاه الى بعض تلك الآيات ، وكذلك ما افاضت به كتب الصحاح والمسانيد ومرويات التاريخ التي لم تخل من الذم لبعضهم ، بل نرى الصحابة انفسهم ينقد بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا . لمزيد من التفاصيل ينظر : السند : الصحابة بين العدالة والعصمة : ص 15 وما بعدها . احمد حسين يعقوب : نظرية عدالة الصحابة : ص 11 وما بعدها . خليل عبد الكريم : الا .. امير المؤمنين علي بن ابي طالب : ص 30 وما بعدها . ايباد المنصوري : المنهج العلمي في تقييم افعال الصحابة : ص 18 وما بعدها . خالد البغدادي : تصحيح القراءة في نهج البلاغة : ص 51 - 114 . عبد الزهراء الخطيب : مصادر نهج البلاغة واسانيده : ص 115 - 120 .

وفي نهج البلاغة والى جانب اشارات المديح المارة الذكر، فقد شخص الامام أمير المؤمنين ﷺ بعض موارد الذم، لبيان الحقائق للمجتمع الذي قد يضع الجميع بميزان واحد بناءً على الوثوق بكل من صحب النبي ﷺ ورآه، اذ يقول ﷺ في حديثه عن المنافق " **فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَانِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - رَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِيَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ** " ¹. فهنا وجب التمييز بين هؤلاء الصحابة الذين احاطوا بالنبي ﷺ اذ لم يكونوا على مرتبة واحدة . إذ إن النبي ﷺ ومن خلال دولته وغزواته ، ومن خلال بيعة الناس له ، والحج والعمرة ، وفتح مكة ، وحجة الوداع خاصة ، وسيطرة دولته الكاملة على شبه الجزيرة العربية لذا اتاحت الفرصة للجميع للإلتقاء به ، إذ لم يبق في مكة ولا الطائف أحد في السنة العاشرة الا اسلم وشهد مع النبي ﷺ حجة الوداع ، ومثل ذلك قول بعضهم في الاوس والخزرج انه لم يبق منهم احد في اواخر عهد النبي الا ودخل الاسلام ، وما مات النبي وواحد منهم يظهر الكفر، حتى الاطفال صاروا صحابة على سبيل اللاحق لغلبة الظن على انه ﷺ رآهم لتوفر دواعي الصحابه على احضارهم اولادهم عنده ﷺ ، فاذا اخذنا بعين الاعتبار ان الفوارق قد ازيلت تماما بين الحاكم والمحكوم في دولة النبي ﷺ وانه كان يمشي في الشارع وحده ، ويقضي حاجاته بنفسه ، فكان بإمكان أي مواطن في الدولة الاسلامية ان يراه او يتكلم معه او ان يحضر مجلسه مما جعل شعب دولة النبي ﷺ كلهم صحابة بهذا المفهوم ².

وقد مر بنا ان الامام ﷺ أشار الى ان من هؤلاء من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرهاً، فاضطر لاطهار الايمان ولكن أسر كفره ، ولم يؤمن بالله والنبي ﷺ حقيقة ، فكيف يمكن ان يكون الجميع بمنزلة واحدة؟! . وإن المتتبع لموارد الذم للصحابة في كلام الإمام أمير المؤمنين ﷺ يمكن ان يلحظ ان هذه الموارد جاءت على نحوين:

الاول: ما جاء صريحا منه بالتعريض بحق اشخاص معينين من الصحابة ولكن هذه الموارد في الاغلب انما كانت تختص بالمدة التي اعقبت رحيل النبي الأعظم ﷺ ³ اذ أطلع الشيطان رأسه من

1- نهج البلاغة : ص 441 - 442 .

2- يعقوب : نظرية عدالة الصحابة : ص 17 .

3- ينظر مثلا ما جاء في الخطبة الشقشقية ، نهج البلاغة : ص 26 - 32 . ومساجلات الامام ﷺ مع معاوية ، ينظر ، مثلا : نهج البلاغة : ص 499 - 501 ، 502 - 506 ، 511 - 512 ، 526 - 532 ، 533 - 534 ، 556 - 557 ، 562 - 563 ، 583 - 584 ، 619 - 620 ، 630 - 635 ، 643 - 644 . وما جاء من توبيخه لعمر بن العاص ، نهج البلاغة : ص 565 ، وايضا كلامه لطلحة والزبير ، نهج البلاغة : ص 617 - 618 . وكلامه لابي موسى الاشعري ، نهج البلاغة : ص 629 - 630 ، 647 .

مغززه ف " رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ " .

الثاني: فقد جاءت اشارته بشكل عام وكانت تشخيصاته غاية في الدقة في متفرقات خطبه وكلماته الشريفة ، التي سنقف عندها تحديداً دون سابقتها اعلاه ، وذلك لانها تخص عصر النبي الأعظم ﷺ وتدخل في مضمار بحثنا هنا.

واولى تلك الاشارات الهامة ما ذكره ﷺ عن وجود حركة للنفاق في عصر النبي ﷺ ، والمنافقون هم الاشد خطراً على النبي ﷺ والإسلام ، اذ نقل ﷺ عن النبي ﷺ قوله: "إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقٍ الْجَنَانِ عَالِمِ اللُّسَانِ ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ" .

وقد بين الامام امير المؤمنين ﷺ ان هذا الانموذج المنافق انما هو: " مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلَامِ ، لَا يَتَأْتَمُّ وَلَا يَتَحَرَّجُ ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَعَمِّدًا " ، ولقد لبس على الناس أمرهم لكونه يظهر خلاف ما يبطن ولو " عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ " .^٤ وقد تحدث القرآن الكريم عن صفات هؤلاء ومدى خطرهم على الاسلام ، بل ان الله سبحانه خص بهم سورة كاملة بعنوان " سورة المنافقين " ، وايضاً في موارد أخرى من السور القرآنية كانت هناك اشارات كثيرة عن هذه الطائفة من المجتمع المحيط بالنبي ﷺ ، ونخص بالذكر سورة التوبة التي نزل فيها الامر بجهاد المنافقين على حد جهاد الكفار .^٥

وفي مورد آخر وهو يشير ﷺ الى فضيلة من فضائله التي حُصِّ بها دون غيره اذ يقول ﷺ : " ولقد ولقد عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنِّي لَمْ أَرِدْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ " .^٦ هذا النص يكشف لنا امران :

١- نهج البلاغة : ص274.

٢- نهج البلاغة : ص525.

٣- نهج البلاغة : ص441.

٤- نهج البلاغة : ص441.

٥- وقد سميت هذه السورة بـ " الفاضحة " لانها فضحت المنافقين . لمزيد من التفاصيل ينظر : محمد السند : الصحابة بين العدالة والعصمة : ص 65- 69 . العبيدي : مجتمع المدينة : ص 193- 201 .

٦- نهج البلاغة : ص 421- 422 .

الأول: فيه إيماء الى ما كان يفعله بعض الصحابة من التسرع والاعتراض على النبي ﷺ ، وان هناك امور وقعت من غيره ﷺ على هذه الشاكلة التي تعد من موارد الطعن فيمن قام بمثل هكذا صنيع من صحابة النبي ﷺ .

الثاني: قوله بحق بعض صحابة النبي ﷺ بانهم كانوا مستحفظون فيه دلالة واضحة على وجود من لم يكن مستحفظا من صحابة النبي ﷺ ، وبهذا يكون ممن لم يحفظ عهد نبيه ﷺ .

وللإمام امير المؤمنين ﷺ وقفة مع انموذج آخر ممن عايش النبي ﷺ ، وممن كان يعاني من قصور او تقصير في مستوى الادراك والوعي والعلم ، وانهم لم يكونوا على درجة من الحرص على الإفادة من وجود النبي ﷺ بينهم ، تلك الإفادة المرجوة التي علقت الامة آمالها عليهم اذ رأت فيهم صحبه الذين عايشوه فكانوا الأولى بنشر دينه وتعاليمه واقواله الى من سواهم ممن لم يحظ بلقائه ﷺ سيما الاجيال اللاحقة ، ومن المعلوم انه ﷺ خاتم الانبياء ﷺ ودينه خاتم الاديان . لذا تصبح الحاجة الى معرفة هذا الدين ضرورة ملحة لكل العالم ، وبالتالي وجب ان يكون الناقل له على درجة من الثقة يُطمئن لها.

ومما يؤسف له ان هذه الطمأنينة لا يمكن ان تمنح لكل من عاصر النبي ﷺ ف " وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهَمُهُ ، حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيُجِبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ ، فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامِ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا " ^١ . ويتضح لنا من هذا النص مراتب الصحابة:

- 1 - منهم من كان لا يسأل النبي ﷺ اما لشدة اشتغاله بامر الدنيا وطلب المعيشة أو لعدم اهتمامه بأمر الدين ^٢ .
- 2 - منهم من كان له رتبة الفهم ولكن لا يفهمه بمجرد الجواب، ولا يستفهم من النبي ﷺ اما لخوف نسبة الغباوة اليه بسبب عدم الفهم اول مرة ^٣ . او مهابة لرسول الله ﷺ ، وهم الذين يحبون ان يجيء الاعرابي او الطاريء فيسأله وهم يسمعون ^٤ .

١- نهج البلاغة : ص443 .

٢- المازندراني : شرح أصول الكافي: 2 / 320 .

٣- المازندراني: شرح أصول الكافي: 2 / 320 .

٤- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 11 / 48 .

3 - ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمة في النظر والبحث. او من كان مشغولا عن طلب العلم وفهم المعاني¹.

وقد تميز الامام امير المؤمنين عليه السلام عن هؤلاء بكونه الأحرص على التعلم والأخذ عن النبي صلواته والرحمة وانه الأكثر قدراً واستيعاباً لمرامي حديثه صلواته والرحمة وكانت له خصوصية في هذا المجال سنقف عليها بشيء من التفصيل في الفصل الخامس.

١- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 11 / 48 .

المبحث الثالث

الجانب الديني

عرف العرب قبل بعثة النبي ﷺ كثيرا من المعتقدات^١، إذ كانت ديانتهم متباينة تبعا للتباين في عدة ظروف وعوامل تركت أثرها جليا في اتسام الوضع الديني بالاضطراب إذ كان قوامه خليط من عناصر وثنية ويهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها، قال البلخي^٢ واصفا موقفهم الديني: (كان فيهم من كل ملة ودين، وكانت الزندقة والتعطيل في قريش، والمزدكية والمجوسية في تميم، واليهودية والنصرانية في غسان، والشرك وعبادة الأوثان في سائرهم... وكان في شركهم بقية من دين إسماعيل...). هذه الرؤية هي عين ما سبق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الإشارة إليها وهو يصف الحالة الدينية آنذاك قائلا: " وَ أَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمئِذٍ مِلَّةٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَ أَهْوَاءٌ مُتَشَبِّهَةٌ وَ طَرَائِقُ مُتَشَتَّتَةٌ " ^٣. إذن لم يكن لهؤلاء معتقد موحد ولا نظام ديني شامل، بل كانت هناك أكثرية وثنية، وقد تنوعت معبوداتهم ما بين الأصنام، والكواكب، والملائكة، والشياطين، بل وحتى الأشجار والحيوانات^٤.

لقد نشأت هذه الديانات الوثنية من فكرة عبادة العرب لمظاهر الطبيعة التي تقع تحت أبصارهم كالأرض والسماء والنجوم والكواكب. وتعد الوثنية بمثابة الطور الذي تمر به كل أمة في بداوتها قبل أن تنتقل إلى التوحيد، وقد قاوم العرب في جاهليتهم فكرة التوحيد ولم يتأثروا باليهودية أو المسيحية، ويبدو أن ذلك يرجع إلى أن الوثنية كانت تتفق مع نظام العرب القبلي القائم على الاستقلال، فكانت لكل قبيلة مقوماتها ومعتقداتها، فالفرد يفنى في القبيلة، والقبيلة مثله الأعلى^٥.

١- لمزيد من التفاصيل عن عقائد العرب قبل الاسلام ينظر: جواد علي: المفصل: الجزء السادس (الصفحات جميعها).
احمد عجمي: كتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مصدرا لتاريخ العرب قبل الاسلام: ص 59-357. د. شاكراً مجيد كاظم، ود. جواد كاظم النصارا: الحياة العقائدية والاجتماعية: ص 4-21.

٢- البدء والتاريخ: 1/ 331.

٣- نهج البلاغة: ص 21.

٤- لمزيد من التفاصيل ينظر: جواد علي: المفصل: 6/ 34 - 65.

٥- رشيد الجميلي: تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية: ص 218.

ومهما يكن من أمر فقد انتشرت عبادة الظواهر الطبيعية المعروفة بالوثنية في بلاد العرب لتوهمهم أن وراءها قوى روحية كامنة تتحكم في تسيير حياتهم ومقدرات أمورهم ، لذا اتخذوا لهذه الظواهر أشكالاً مختلفة تتمثل في أشياء مادية قريبة وملموسة هي رمز للآلهة المعبودة منها الأحجار الطبيعية والمصقولة التي هذبتها يد الإنسان ، والأشجار، والبيوت ، والحيوانات ، وغيرها ، وأخذوا ينظرون إليها على أنها المواضيع التي تحل فيها القوى المؤثرة، ذلك إن الأشياء المادية لم تكن المقصودة بالعبادة ، بل كانوا يتقربون إلى الأرواح التي تحل فيها ، إذ إن أكثرهم كانوا ماديين لابد لهم من الملموس والمحسوس الذي يمكن إدراكه والتقرب إليه ^١ . ثم تطورت عبادة قوى الطبيعة عند العرب فصارت عبادة للأصنام التي كانت تمثلها من قبل ، فعبدها على صورتها المادية وصار الأساس في اعتقادهم أن الله قد اتخذ أولياءهم الآلهة ومنحهم فيضاً من قدراته، لذا تقربوا لها بالقرابين والعبادة التي تقربهم إلى الله زلفى. قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالدِّينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ۚ ﴾ ^٢ .
٣ .

لقد جاء في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إشارة إلى عبادة الأوثان قبل بعثة النبي الأعظم ﷺ ، إذ يقول: " فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ " ^٤ . وأشار أيضاً إلى عبادة الأصنام في موردين: " الأصنام فيكم منصوبة " ^٥ ، و " وَأَصْنَامٌ مَعْبُودَةٌ " ^٦ .

لقد علل ابن الكلبي ^٧ ظهور الوثنية عند عرب الحجاز رغم ورثة إسماعيل وأصحاب بيت الله بقوله: (وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجر من حجارة الحرم ، تعظيماً للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمناً منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتَمرون

١- محمود: العرب قبل الإسلام : ص 166 - 167.

٢- سورة الزمر آية 3 .

٣- محمود: العرب قبل الإسلام : ص 168.

٤- نهج البلاغة : ص 267 .

٥- نهج البلاغة : ص 56 .

٦- نهج البلاغة ص 402 .

٧- الأصنام : ص 6 . وينظر: ابن هشام: السيرة النبوية : 51/1 . السهيلي: الروض الأنف : 210/1 . ياقوت الحموي: معجم البلدان: 5 / 185.

على أرث إبراهيم وإسماعيل. ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم) .
وقد انتقد نبيه عاقل ' هذا الرأي قائلاً: (وفي هذا التعليل دليل على أن المؤلفين العرب الذين كتبوا في ظل الإسلام عن أديان الجاهلية أرادوا أن يمدوا جذور التوحيد عند العرب إلى الفترة السابقة للإسلام ، وإظهار النزعة الموحدة كنزعة أصيلة في المجتمع العربي منذ أقدم العصور، إنما شوهدت تشويها ولكنها تظل في نظرهم هي الأساس. وطبيعي أن في هذا التعليل لنشأة الوثنية عند عرب الشمال سداجة ظاهرة وتعصب للإسلام إذ أنهم أحبوا ورأوا كل شيء من خلال نوره، دفعهم إلى تجاهل حقيقة أساسية ، وهي أنه إذا صح هذا التفسير بالنسبة للقبائل التي سكنت مكة وهجرتها ، فإنه لا يصح بالنسبة للقبائل التي أقامت في مكة باستمرار وظلت على الوثنية رغم ذلك " .

ويبدو طرح مثل هذا التساؤل وإثارة هذا الإشكال حول رؤية ابن الكلبي أمر مقبول ويجعله في محل تأمل ، ولكن ما قاله حول غرض ابن الكلبي بأنه حاول مد جذور التوحيد عند العرب إلى ما قبل الإسلام وإظهار النزعة الموحدة كنزعة أصيلة منذ أقدم العصور وهي إنما شوهدت ... " وبغض النظر عن حقيقة مراد ابن الكلبي .

يمكن القول أنه لا خلاف بين الباحثين في تاريخ العرب قبل الإسلام أن العرب كانوا قد عرفوا الله ووحده، وإن التوحيد كان في أول الأمر مبدأً فطرياً بدلالة قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُونَ ﴾^٢. فالقرآن يذكر عقيدة المشركين بعد حرف العطف (ثم) الذي يدل على الترتيب والترخي ، وهذا يدل على أن التوحيد كان في أول الأمر مبدأً نظرياً وعقيدة عامة للبشر، أما الشرك فقد حصل فيما بعد كانحراف عن الأصل الفطري^٣ . ولقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى بقوله : " فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهَلُوهُ ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ ، وَلِيَتَّبِعُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ " ^٤ .

١- تاريخ العرب القديم: ص 269- 270 .

٢- سورة الأنعام آية 1 .

٣- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل : 4 / 205 .

٤- نهج البلاغة : ص 267.

فالجحود لا يكون إلا مع علم الجاحد بأنه صحيح^١ إلا أن يحمل كلامه ﷺ على الإقرار في عالم الذر، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^٢.

ومن جانب آخر فإن الله سبحانه لا يعذب أمة إلا بعد إتمام الحجة عليه^٣ بإرسال الرسل الذين يهدون إلى عبادته وتوحيده، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾^٤ وأن الرسل قد تواترت بلا انقطاع ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^٥، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^٦. وقد حصل الانحراف عن التوحيد فيما بعد بالشرك وتعدد الآلهة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^٧.

ثم أن الإمام أمير المؤمنين ﷺ ذكر في معرض حديثه عن بيت الله - الكعبة المشرفة - بأنه موجود منذ زمن آدم ﷺ وأنه تعالى قد أمره بالحج إليه والطواف حوله: " أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى الْأَخِيرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا، ... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَنَبَّأُوا أَعْظَافَهُمْ نَحْوَهُ " ^٨. وفي هذا دلالة واضحة على تأصُّل التوحيد في منطقة مكة خصوصاً، إذ ارتبط ذلك بوجود هذا البيت المقدس. ولا شك في إن عقيدة الشرك إنما حدثت لاحقاً. ولكن ما هو موقف العرب قبيل الإسلام من عبادة الله وتوحيده؟ فهل كانوا يعرفون الله؟

إذا ما قمنا بدراسة الإشارات الواردة في كلام أمير المؤمنين ﷺ سيما الخاصة بعقيدة العرب تجاه الله عز وجل، فمن السهولة إفراس المصطلحات الآتية: ففي قوله: " أُرْسِلُهُ عَلَىٰ حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازَعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ، فَقَفَىٰ بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ " ^٩.

١- ابن فارس: معجم : 426 / 1 .

٢- سورة الأعراف آية 172 .

٣- سورة الإسراء آية 15 .

٤- سورة فاطر آية 24 .

٥- سورة النساء آية 165 .

٦- سورة يوسف آية 106 .

٧- نهج البلاغة : ص 394 . 395 .

٨- نهج البلاغة : ص 251 .

نجد من الألفاظ:

أولاً: "الإديار"، قال ﷺ: " **فَجَاهِدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ** " ، والإديار نقيض الإقبال. ومعناها: إعراضهم عن عبادة الله الواحد^١.

ثانياً: "العادلين به": يقال: عدلت الشيء بالشيء عدله إذا ساويته^٢ . وقد أورد ابن منظور^٣ معان عدة لكلمة عدل منها: نظير، مثل، وبصورة عامة تعني المساواة، والموازنة، والمماثلة، والمناظرة بين الشئيين لا يشترط تساويهما في الجنس^٤ . وجاء في كلام أمير المؤمنين ﷺ: " **كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ** " .^٥ وقد أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: " **أَلَلَّةٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ** " **أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾** ، وقد ورد عن أمير المؤمنين ﷺ في تفسير آية ﴿ **ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ إنها جاءت رداً على مشركي العرب الذين قالوا : **إِنْ أوثاننا آلهة**^٦ ، وهم قد جعلوا لله مثيلاً يعبد ، وساواها به غيره بأن جعلوا له أندادا^٧.

ثالثاً: **الجهل**: من قوله ﷺ: " **فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ ... لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ ، وَلِيُنْبِئُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ** " .^٨
 إن الجهل: نقيض العلم^٩ . تقول فلان جهل فلان حقه ، وجهل عليّ وجهل بهذا الأمر ، والجهالة : أن تفعل فعلاً بغير علم^{١٠} .

- ١- الجوهري: الصحاح 654/2 . ابن منظور: لسان العرب: 4 / 268.
- ٢- الطوسي: التبيان 4 / 75.
- ٣- سورة الأنعام آية 1 .
- ٤- لسان العرب: 11 / 432. جثير: بيئة الرسول ﷺ ص 197.
- ٥- نهج البلاغة ص 152 .
- ٦- سورة النمل آية 60 .
- ٧- التفسير المنسوب للإمام العسكري ﷺ : ص 542 . الطبرسي: الاحتجاج 25/1 . المجلسي: البحار 9 / 266 .
- ٨- الطوسي: التبيان 4 / 75 . الطبرسي: مجمع البيان 4 / 7 .
- ٩- نهج البلاغة ص 267.
- ١٠- الفراهيدي: العين 390/3 . الجوهري: الصحاح 4 / 1663 . ابن فارس: معجم 1 / 489 . ابن منظور: لسان العرب 11 / 129.
- ١١- الفراهيدي: العين 3 / 390 .

رابعاً. الجحود: من قوله ﷺ: " فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ... لِيُقَرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ " ١. الجحود: الإنكار مع العلم ، وهو ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد بأنه صحيح ، قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ۚ ٢ ﴾ ٣ .

وللمازندراني^٤ تعليق على ألفاظ (العلم) و (الإقرار) و (الإثبات) الواردة في كلام أمير المؤمنين ﷺ في أعلاه إذ قال: " والظاهر أن المراد بالعلم العلم التصوري ، والإقرار التصديق بوجوده، وبالإثبات الإقرار بوجوده لساناً ، ففيه إشعار بأن العباد قبل البعثة لكونهم واغليين في الجهالة لم يدخل إلى قلوبهم تصور الصانع فضلاً عن الأخيرين ، ويحتمل أن يراد بالعلم العلم بصفاته وبالإقرار التصديق بوجود ذاته وبالإثبات إثباتهما على نحو ما نطقت به أسنة الشرع إذ بمجرد معرفة الذات والصفات بدون معرفة وجه الارتباط بينهما لا يتحقق معرفة الصانع والتوحيد المطلق " .

وفي موضع آخر من كلامه ﷺ يذكر مزيداً من المعتقدات ، إذ يصفها قائلاً : " بَيْنَ مُشَبَّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحَدٍ فِي اسْمِهِ ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ " ٥ . التي سنأتي على بيانها لاحقاً. وإنما ذكرناها هنا لتكتمل الصورة التي رسمتها كلمات أمير المؤمنين ﷺ في هذا المضمار.

إن تأمل النصوص السابقة يدل على تنوع عقيدة العرب في موقفها تجاه الله سبحانه ما بين منكر وجاحد وجاهل وبين من جعل له ندا أو مثيلاً أو شبيهاً وغيرها. وإن هذه العقيدة المتباينة تستبطن اعترافاً ضمنياً بوجود الله سبحانه وتعالى ، وإن كان اعتقادهم مشوباً بالشرك .

ولكن لماذا هذا الجهل والإنكار والجحود بالله عز وجل ؟

إن الجواب نجده حاضراً في مغانم كلام أمير المؤمنين ﷺ وهو يشخص سمات تلك الحقبة الزمنية على المستوى العقائدي التي كانت تتمحور بين الضلال والحيرة والجهل والفتنة ، فقد ساد الناس سبات مقبوت إثر غياب النبوات ، وتناول الزمن حتى اندرست الشريعة ، وهذا ما أشار إليه ﷺ في أكثر من موضع بقوله : " أُرْسِلْتُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ " ٦ . وما صاحب تلك الفترة من : " طُولِ هَجْعَةٍ مِنْ

١- نهج البلاغة : ص 267.

٢- سورة النمل آية 14 .

٣- الجوهري: الصحاح : 1 / 451 . ابن فارس: معجم : 1 / 426 . ابن منظور: لسان العرب : 3 / 106.

٤- شرح أصول الكافي: 12 / 560 .

٥. نهج البلاغة : ص21.

٦- نهج البلاغة : ص 144 ، 176 ، 177 ، 251 ، 292.

الأُمم ... والدُّنيا كاسِفةُ النُّورِ ظاهِرةُ الغُورِ على حينِ اصْفِرارٍ مِنْ وَرِقِها وَ إِياسٍ مِنْ ثَمَرِها وَ اغُورٍ مِنْ ماِئِها قَدْ دَرَسَتْ مَنارُ الهُدَى وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى " ١ ، " وَانْتِقَاضٍ مِنَ المُبْرَمِ " ٢ ، وَ " وَهَفْوَةٍ عَنِ العَمَلِ ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الأُمَمِ " ٣ وَفِي ذلك كُلِّه دِلالةٌ على الانحرافِ عَنِ جادةِ الطَريقِ ، لَجْهَلٍ فيهِمْ ، وَعدمِ فَطنةٍ لَمّا يَنْبَغِي ، فَتَخَبَطُوا فِي الفِتنِ بَعْدَ تَصَدُّعِ عِرى الدِينِ ، وَانْدِرَاسِ شَريعةِ المَرسَلِينَ ، وَسادتِ الفِرقَةُ وَالاختلافُ بَينَهُمْ حَتَّى صَعِبَ عَلَيهِمْ تَلَمُّسُ طَريقِ الخِلاصِ ، إِذِ يَقولُ ﷺ : " وَالنَّاسُ فِي فِتنٍ انْجَدَمَ ٤ فِيها حَبْلُ الدِّينِ وَتَزَعَزَعَتْ سِواري ٥ اليَقِينِ ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ ٦ وَ تَشَتَّتَ الأَمْرُ ، وَضاقَ المُخْرَجُ المُخْرَجُ وَعمى المَصْدَرُ " ٧ فعبارة " حبل الدين " - التي وردت بصيغة المفرد - إشارة إلى وحدة الدين الحق ووحدة المصدر الذي تستقي منه كافة أصول وتعاليم الأنبياء ، وان شهدت هذه الأصول والتعاليم بعض الفوارق التي تفرزها طبيعة كل الزمان ، وهذا ما يجوزه القرآن الكريم على لسان المؤمنين الصادقين بقوله : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ ٨ .

وقوله ﷺ : " وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ " لا يشير إلى الاختلافات التي شهدتها ذلك العصر على أنها اختلافات صورية في تفرعاتها وأطيافها فحسب ، بل كانت اختلافات أصولية وأساسية وجذرية ٩ .

بل يمكن القول إن العبارة أشارت إلى معنى يتضمن تزلزل أركان الفطرة الإنسانية وأصولها التي جُبِلَ عليها من قبيل التوحيد وعشق الأعمال الصالحة والخيرة ، الأمر الذي دعا إلى تلك الحالة من الفِرقة والتشتت " تَشَتَّتَ الأَمْرُ " يمكن أن يكون إشارة إلى شدة الخلافات الدينية القصوى آنذاك ١٠ . وإن

- ١- نهج البلاغة : ص 144 ، 292 .
٢. نهج البلاغة : ص 292 .
٣. نهج البلاغة : ص 176 . 177 .
- ٤- انجذم : انقطع : الزمخشري : اساس البلاغة : ص114 . ابن الاثير : النهاية : 1 / 252 . ابن منظور : لسان العرب : 88 / 12 .
- ٥- سوارى: جمع سارية وهي العمود والدعامة : ابن الاثير : النهاية : 2 / 365 .
- ٦- النَّجْرُ : بفتح النون وسكون الجيم: الأصل : الفراهيدي : العين : 106/6 . ابن السكيت : ترتيب اصلاح المنطق : ص375 . الجوهرى : الصحاح : 2 / 823 .
- ٧- نهج البلاغة : ص 24 .
- ٨- سورة البقرة آية 285 .
- ٩- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1 / 186 - 187 .
- ١٠- ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية : 1 / 187 .

من دواعي الفرقة والتشتت ما كان يسود المجتمع في تلك الفترة من جدل " وَتَنَازِعٍ مِنَ الْأَسْنِ " ^١ بين أصحاب الملل والمذاهب العقديّة المختلفة بما فيهم عبدة الأوثان وأهل الكتاب ومن ليس له دين وعقيدة ، فكلّ يجادل بدافع التعصب لإثبات أحقيته ، ولكن هذا الجدل كان مجرد تسطير للألفاظ الذي لم يرق إلى مستوى الحوار المنطقي، بل مجرد كلام لا شيء وراءه إلا الشحناء وإثارة الفتن والحروب.^٢

ثم إننا نجد في كلامه ﷺ إشارة إلى المعطيات السلبية التي أفرزتها تلك الأوضاع المزريّة فوصفها قائلاً: " فَأَلْهَدِي خَامِلٌ ، وَالْعَمَى شَامِلٌ . عُصَى الرَّحْمَنِ ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ ، وَخُذِلَ الْإِيمَانُ ، فَأَنهَارَتْ دَعَائِمُهُ ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ ، وَدَرَسَتْ ^٣ سُبُلُهُ ، وَعَقَّتْ شُرُكُهُ ^٤ " . ثم أردف يخوض في بيان ما آل إليه حال الناس " أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ ^٥ ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ ، وَقَامَ وَقَامَ لَوَاؤُهُ فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا ^٦ ، وَوَطِنَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا ^٧ وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا ^٨ ، فَهَمَّ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ " ^٩.

وفي مواضع أخرى يقول: " بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ ، وَاسْتَرْزَلَتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ ، وَاسْتَحَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ ، وَبِلَاءٍ مِنَ

١- نهج البلاغة : ص 251 .

٢- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 5 / 297 . مغنية : في ظلال نهج البلاغة : 2 / 279 .

٣- درست: انطمست . ابن الانباري : الزاهر في معاني كلمات الناس : ص323 . الجوهري : الصحاح : 6 / 2432 .

٤- الشرك جمع شرك وهي الطريق . الجوهري : الصحاح : 4 / 1594 . ابن سيده : المخصص : 3 / 208 .

٥- نهج البلاغة : ص 24 .

٦- جمع منهل وهو مورد الماء . الفراهيدي : العين : 4 / 51 . ابن منظور : لسان العرب : 11 / 681 .

٧- جمع خف وهو للبعير كالقدم للانسان . الفراهيدي : العين : 4 / 143 - 144 . الحربي : غريب الحديث : 2 / 853 .

٨- جمع ظلف وهو للبقير والشاة كالخف للبعير والقدم للانسان . الحربي : غريب الحديث : 2 / 853 . الزمخشري : اساس البلاغة : ص243 .

٩- جمع سنبك وهو طرف الحافر . الفراهيدي : العين : 5 / 427 . ابن سلام : غريب الحديث : 4 / 190 . الجوهري : الصحاح : 4 / 1599 .

١٠- نهج البلاغة : ص 24 .

الجهل " ١ ، وقوله : " ابتعثه والناس يضربون في غمرة " ٢ ، ويموجون في حيرة ، قد قادتهم أزمة " ٣
الحين " ٤ ، واستغلقت على أفئدتهم أفعال الرين " ٥ " يحيون على فترة ويموتون على كفرة " ٦

الفترة:

مما ينبغي الوقوف عنده ما تكرر في حديثه ﷺ عن تلك الفاصلة الزمنية التي كانت بين نبي الله
عيسى ﷺ والنبي محمد ﷺ التي عرفت بـ " الفترة " ، إذ يقول ﷺ : " أرسله على حين فترة من
الرسول " ٧ ، وهو عين ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا
يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ٨ .

فعلة من فتر عن عمله ، يفتر فتورا : إذا سكن فيه ، والفترة : انقطاع ما بين النبيين ، وفتر الماء :
إذا انقطع عما كان عليه من البرد إلى السخونة ، وامرأة فاتر الطرف : أي منقطعة عن حد النظر .
والفتر : الانكسار والضعف ، ومنه (فتر الحر) إذا انكسر وضعف ٩ .

لقد اختلف في طول الفترة بين زمان النبي عيسى ﷺ والنبي محمد ﷺ ، وقيل أربعمئة سنة
وبضع وثلاثون سنة ، وقيل أربعمئة ونيف وستون سنة ، وقيل خمسمئة وأربعون سنة ، وقيل خمسمئة
وستون سنة ، وقيل ستمئة سنة ١٠ ويرى ابن كثير ١١ إن القول الأخير هو الرأي المشهور . ومنهم من يقول

- ١- نهج البلاغة : ص 177 . 178 .
- ٢- ضرب في الماء : سبح ، وضرب في الأرض سار بسرعة وأبعد ، والغمرة : الماء الكثير والشدة ، وما يغمر العقل من
الجهل . والمراد هنا شدة الفتن وبلاياها . ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13 / 118 .
- ٣- جمع زمام ، وهو ما تقاد به الدابة . ابن قتيبة : غريب الحديث : 1 / 179 . ابن الانباري : الزاهر : ص 658 .
- ٤- الحين : الهلاك . الفراهيدي : العين : 3 / 304 . الجوهرى : الصحاح : 5 / 2106 .
- ٥- نهج البلاغة : ص 380 . 381 .
- ٦- نهج البلاغة : ص 275 .
- ٧- نهج البلاغة : ص 144 ، 176 . 177 ، 251 ، 292 .
- ٨- سورة المائدة آية 19 .
- ٩- الطريحي : مجمع البحرين : 3 / 357 .
- ١٠- الثعلبي : الكشف والبيان : 4 / 40 . ابن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز : 2 / 172 . ابن الجوزي : زاد المسير :
256 / 2 . القرطبي : الجامع : 6 / 122 . ابن حيان : البحر المحيط : 3 / 467 . ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : 2 /
37 . العيني : عمدة القارئ : 5 / 52 .

يقول ستمائة وعشرون سنة ، والظاهر انه لا منافاة بينهما ، فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية ، والآخر أراد قمرية .

إن قول الإمام أمير المؤمنين ﷺ الآنف الذكر بيان لبعض أمارات النبوة ، فإن منها الزمان المتداول الذي تدرس فيه الشريعة السابقة ، والقوانين التي بها نظام العالم ، ويحتاج الخلق إلى قوانين مجددة لنظام أحوالهم ، وحينئذ تجب بعثة رسول ^٢ .

إذن هذه الفترة شهدت غياب النبوات ، فلم يكن بين النبي عيسى ﷺ وبين النبي ﷺ وبين النبي ﷺ . وهذا ما أكده أمير المؤمنين ﷺ في مورد آخر من كلامه عن تلك الفترة بقوله : " إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَفْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا " ^٣ . ومن خلال التأمل في كلام أمير المؤمنين ﷺ يستوقفنا إشكالان :

الأول: ألا يتعارض ما ذكر أعلاه مع ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ^٤ ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ ^٥ .

الثاني: ورد في الأثر عن ابن عباس: " كان بين ميلاد النبي عيسى والنبي محمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وتسع وستون سنة بعث في أولها ثلاثة أنبياء ، وهو قوله تعالى ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ ^٦ ، وهو شمعون وكان من الحواريين " ^٧ .
وعن الكلبي مثل قول ابن عباس إلا انه قال: " بينهما أربعة أنبياء ، واحد من العرب من بني عيس وهو خالد بن سنان " ^٨ الذي نسب للنبي ﷺ أنه قال بحقه : " ضيعه قومه " ^١ . وفي هذا تعارض مع ما ذكر أعلاه في قوله ﷺ : " وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَفْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا " .

١- تفسير : 37 / 2 .

٢- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 3 / 198 .

٣- نهج البلاغة : ص 192 .

٤- سورة فاطر آية 24 .

٥- سورة النحل آية 36 .

٦- سورة يس آية 14 .

٧- ابن سعد : الطبقات : 1 / 53 . ابن حيان الأندلسي : البحر المحيط : 3 / 467 .

٨- الزمخشري : الكشاف : 1 / 603 . الطبرسي : جوامع الجامع : 1 / 487 . القرطبي : الجامع : 6 / 122 .

أما فيما يخص الإشكال الأول : فهناك عدة آراء :

الأول: إنه استثنى أمة النبي محمد ﷺ من الآية : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ فقالوا : " غير أمة محمد ، فإنهم لم يجئهم رسول قبل محمد ﷺ ، ولا يجيئهم إلى يوم القيامة " ^٢ وفي بعض التفاسير: " إلا العرب لم يكن لهم نبي سوى النبي " ^٣ وهناك من قصر الأمر على الفترة الفاصلة بين نبوة نبوة عيسى ﷺ والنبي محمد ﷺ مستدلين بقوله تعالى: ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ^٤. قال ابن عباس ومقاتل: المعنى: " لم يأتيهم نذير في الفترة بين عيسى ومحمد " ^٥ ، فيما خص البعض الآخر " أهل مكة " ^٦ ، بل هناك من خص " قريش " ^٧ من أهل مكة بأنهم من لم يأتيه النذير ، استدلالا بالآية السابقة نفسها ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا ﴾.

أما أصحاب الرأي الثاني : فقد فسروا الآية ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ بان دعوة الله تعالى قد عمت جميع الخلق ، وان كان فيهم من لم تباشره النذارة فهو ممن بلغته ، لان آدم بعث إلى بنيه ، ثم لم تنقطع النذارة إلى وقت محمد ﷺ ^٨. وكانت العرب من الأمم التي خلت فيها النذر على هذا الوجه " أي بلغتهم النذارة وإن لم يكن بشكل مباشر، لأنها علمت بإبراهيم وبنيه وبدعوتهم ، ولم يأتيهم نذير مباشر لهم سوى محمد ﷺ " ^٩.

وفريق آخر متفق مع هذا الرأي لكنه يرى إن الإنذار يكون في حال غياب النبي ﷺ لان أوصياءه هم الذين يتولون مهمة تبليغ دعواه إلى الناس ، فإن الأرض لا تخلو من حجة ، فإن خلا الزمان من

-
- ١- ابن ابي شيبه : المصنف : 560/ 7 . الكليني : الكافي : 342 / 8 . الحاكم : المستدرک : 598 / 2 . المتقي الهندي : كنز العمال : 149 / 12 .
- ٢- مقاتل: تفسير : 76 / 3 .
- ٣- السمعاني : تفسير : 355 / 4 . القرطبي : الجامع : 340 / 14
- ٤- سورة القصص آية 46 .
- ٥- ابن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز : 357 / 4 . الثعلبي : الكشف والبيان : 325 / 7 . النسفي : تفسير النسفي : 239 / 3 . ابن حيان الأندلسي : البحر المحيط : 117 / 7 . الطوسي : التبيان : 293 / 8 .
- ٦- الثعلبي : الكشف والبيان : 252 / 7 . البغوي : تفسير البغوي : 448 / 3 . المحلي والسيوطي : تفسير الجلالين : ص 514 .
- ٧- الطبرسي : مجمع البيان : 98 / 8 . الزمخشري : الكشاف : 240 / 3 . ابن المنير الاسكندري : الإنصاف فيما تضمنه الكشاف : 240 / 3 .
- ٨- ابن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز : 436 / 4 .
- ٩- الغرناطي : التسهيل : 157 / 3 . الثعالبي : الكشف والبيان : 326 / 4 .

رسول فإنه لا يخلو من وصي رسول حاضرا أو غائبا ، إذ لا يجوز ثبوت التكليف مع ارتفاع العصمة من المخلوقين من غير حجة ناطق أو ساكت^١ .

ويمكن القول أن الرأي الأول يرد عليه أن الآيات: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ، وقوله ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾^٢ ، في غاية الوضوح فلا يحتمل معه هكذا استثناء ، فالأرض لا يمكن إن تخلو من حجة لله مطلقا ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : " لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَإِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا لِنَلَّا تَبْطُلُ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ " ^٣ ، وأما عن قوله تعالى: ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا قَوْمًا مَا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي ما جاءهم رسول قبلك بتبديل شريعة ، ولا تغيير ملة ، ولم ينف عنهم الهداة والدعاة من الأوصياء ، وكيف يكون ذلك وهو عز وجل يحكي عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِنُنْزِلَنَّ لَهُمْ نَذِيرًا لِيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾^٤ ، فهذا يدل على انه قد كان هناك هاد يدلهم على شرائع دينهم لأنهم قالوا ذلك قبل أن يبعث محمد ﷺ .^٥

وأما عن التعارض بين هذه الآية وآية ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ، فيمكن أن يقال: إن معنى جملة ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ هو إن كل أمة كان لها نذير إلا أنه لا يلزم حضوره بنفسه في كل مكان ، بل يكفي أن يصل صوت دعوة أنبياء الله العظام بواسطة أوصيائهم إلى إسماع كل البشر في العالم . وهذا يشبه قولنا: إن كل أمة كان لها نبي من أولي العزم، ولها كتاب سماوي ، فمعنى هذا الكلام إن صوت هذا النبي وكتابه السماوي قد وصل عن طريق وكلائه وأوصيائه لكل تلك الأمة على طول التاريخ^٦ .

وهناك آيتان في نفس السياق وذات نفس المعنى قد تبدوا كل منهما في محل تعارض مع الآية ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ وهما:

١- الراوندي : منهاج البراعة : 1 / 370 .

٢- سورة النحل آية 36.

٣- نهج البلاغة : ص 686 - 687 .

٤- سورة فاطر الآيتان 41 . 42 .

٥- الصدوق : كمال الدين : ص 667 - 668 .

٦- ناصر مكارم الشيرازي: تفسير الأمتل : 13 / 94 .

أولاً: قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾^١. فقد مر بنا إن آية ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ تعني إن كل أمة من الأمم السالفة كان لها نذير. ولكن ليس معنى هذا الكلام أن يبعث الله في كل مدينة أو منطقة رسولا ، بل يكفي أن تبلغ دعوة الرسل وكلامهم أسماع المجتمعات المختلفة ، إذ يقول القرآن: ﴿ خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ، ولم يقل : (خلا منها نذير) وعليه فلا منافاة بين هذه الآية التي تقول ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ التي يقصد منها كون المنذر منهم^٢ .

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنْذَرْنَا آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾^٣. أي لم تنذر آباءهم ، على ما روي عن قتادة ، فما هنا نافية ، والجملة صفة (قوما) مبينة لغاية احتياجهم إلى الإنذار. والمراد بآبائهم آباؤهم الأذنون ، وإلا فالأبعدون قد أنذرهم إسماعيل عليه السلام وبلغهم شريعة إبراهيم عليه السلام . وقد كان منهم من تمسك بشرعة على أتم وجه ثم تراخى الأمر وتطاول المدد فلم يبق من شريعته عليه السلام إلا الاسم. والدعاء إلى الله لم ينقطع عن كل أمة ، إما بمباشرة من أنبيائهم وأما بنقل إلى وقت بعثته نبياً عليه السلام ، والآيات التي تدل على أن قريشا ما جاءهم نذير معناها لم يباشروهم ولا آباءهم القريبين ، وأما إن النذارة انقطعت فلا ، ولما شرعت آثارها تدرس بعث النبي عليه السلام . وما ذكره المتكلمون من حال أهل الفترات فهو على حسب الغرض. وعليه فالمعنى ما أنذر آباءهم رسول أي لم يباشروهم بالإنذار لا أنه لم يندرهم منذر أصلاً ، فيجوز أن يكون قد أنذرهم من ليس بنبي . فلا منافاة بين - ما - هنا وبين قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ، وليس في ذلك إنكار الفترة المذكورة في قوله تعالى ﴿ عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسُولِ ﴾^٤ ، لأنها فترة إرسال وانقطاعها زمانا لا فترة إنذار مطلقا^٥ . وقال فخر الدين الرازي^٦ وهو ينفي التعارض بين الآيتين أعلاه : " فوجوب بعث النذير لكل أمة لا يوجب أن يكون الرسول حاضرا مع القوم لان تقدم الرسول لا يمنع من كونه رسولا إليهم، كما لا يمنع تقدم رسولنا مع كونه مبعوثا إلينا إلى آخر الأبد" . أما فيما يخص الإشكال الثاني ، حول وجود أنبياء سبقوا بعثة النبي محمد عليه السلام في الفترة ما بينه وبين عيسى عليه السلام فيرده الدليل القرآني في أعلاه ، فضلا عن الأدلة الآتية :

١- سورة سبأ آية 44 .

٢- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل : 70 / 14 .

٣- سورة يس آية 6 .

٤- سورة المائدة آية 19 .

٥- الالوسي : روح المعاني : 22 / 527-528 .

٦- الرازي : مفاتيح الغيب : 106 / 17 .

1. قال النبي الأعظم ﷺ: " أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات¹ ، ليس بيني وبينه نبي " .²

2. قول أمير المؤمنين عليه السلام: " إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا " ³ . ولعل هذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ ⁴ .

وهنا يستوقفنا إشكالان :

الأول: ما معنى قوله عليه السلام : " وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا " هل في قوله هذا إطلاق شامل لكل العرب ؟ أليس في العرب من كان على دين اليهودية والنصرانية ؟ وبالتالي أتباع شريعة سماوية ولديهم كتب سماوية كالنوراة والإنجيل ؟ أم انه عنى بالعرب فقط مشركي مكة ؟ وللجواب يمكن القول إن العبارة إشارة إلى الأغلبية الساحقة من العرب آنذاك التي كانت تعبد الأوثان والأصنام ، وقد تناست دعوة الأنبياء السابقين . وبناءً على هذا فليس هناك من منافاة بين هذا الحكم العام الناظر للأغلبية العظمى ، ووجود الأقليات الدينية آنذاك كاليهود والنصارى. أضف إلى ذلك فإن الأقلية اليهودية كانت مهاجرة أنت إلى الحجاز من الشام كما قدمت الأقلية النصرانية من اليمن ، فهما لا ينتميان إلى العرب⁵ .

ثانياً: نعم كان الخطاب شاملاً للعرب ويضمنهم اليهود والنصارى وكتبهم (التوراة والإنجيل) ، ولكن إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تعني الكتب السماوية غير المحرفة ، وهذا ما أشار إليه عليه السلام في موضع آخر بقوله : " أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ " ⁶ .

وفي هذا دلالة على التزييف الذي دخل الشرائع السماوية ، وبذا يكون الكتاب الموجود ليس كتاباً سماوياً يعول عليه في بيان الأحكام ، وإن شرعة ليس بواجب الإلتباع للتحريف الذي ناله ، يقول تعالى:

١- هم الذين من أب واحد ولأمهات شتى، فالمراد إن الأنبياء إيمانهم واحد ، وشرائعهم مختلفة. ابن سيده: المخصص : 209/1/4، الزمخشري: أساس البلاغة : ص653، ابن الأثير: النهاية: 291/3، ابن منظور: لسان العرب : 11 / 470.
٢- البخاري: الصحيح : 4 / 142 . ابن حبان: الصحيح : 15 / 233 . الطبراني: المعجم الأوسط : 5 / 142، المعجم الصغير : 1 / 257 . ابن عبد البر: التمهيد : 14 / 202 . السيوطي: الجامع الصغير : 1 / 415
٣- نهج البلاغة : ص 192 .
٤- سورة سبأ آية 44 .
٥. ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية : 4 / 281 .
٦- نهج البلاغة : ص 302 .

﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ نَمَّ ذَرْهُمُ فِي حَوْصِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾^١.

أما حمل معنى " لا يقرأ كتابا " على عدم معرفة العرب بالقراءة والكتابة ، فهذا مما لا ينطبق مع الواقع فقد كان في عند العرب آنذاك من يحسن القراءة والكتابة والأدلة على ذلك كثيرة^٢ ، هذا فضلا عن إن العبارة التي تلي هذه العبارة - من كلام الإمام السابق - على الخلاف من ذلك^٣ .
وإما قوله ﷺ : " ولا يدعي نبوة ولا وحيا " ، فيبدو انه اقتباس من الآية الشريفة ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾^٤ . وهنا يمكن طرح تساولين :

الأول: ألا يتعارض مفهوم الآية وكلام الإمام أعلاه مع قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ؟ وجوابه قد مر فيما سبق وتبين عدم التعارض بينهما.

الثاني: إن الإمام ﷺ ينفي في كلامه أعلاه وجود نبوات متصلة بالسماء في تلك الفترة ، وهذا يخالف ما مر ذكره من وجود ثلاثة أنبياء من بني إسرائيل ، ونبي رابع من العرب يدعى خالد بن سنان العبسي ، فأما عن أنبياء بني إسرائيل ، فيرجح كونهم أوصياء للسيد المسيح ﷺ ولا سيما مع خلو تلك الفترة من النبوات . وأما عن خالد بن سنان العبسي فسوف نقف بشيء من التحليل عند الروايات التي ذكرته وتناولت قصة نبوته لكي نخرج برأي أقرب للواقع.

يروى ابن شبة النميري : " عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما إن رجلا من بني عبس يقال له : خالد بن سنان ، قال لقومه : أنا اظفي عنكم نار الحدثنان^٥ ، فقال له عمارة بن زياد^١ - رجل من قومه -

- ١- سورة الأنعام آية 91 .
- ٢- ينظر : هاشم يونس عبد الرحمن: الحياة الفكرية في الجزيرة العربية : ص 116 ، 118 - 123 ، 129 - 133 .
النصرالله : الجاهلية : ص 5 - 8 .
- ٣- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 4 / 282 .
- ٤- سورة يس آية 6 .

٥- قال البلاذري تحت عنوان: - خبر نار الحدثنان: قال هشام ابن الكلبي عن أبيه: كان خالد بن سنان بن عيث بن مريظة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة فيما يقال نبياً يوحى إليه، وكان حرة الحدثنان تأجج بالليل نارا، فإذا كان النهار صارت النار دخانا يسطع ، وكانت تلك النار قد أضرت بالناس ، وربما خرج منها العنق فراح فلا يمر بشيء إلا أكله ، فأتى خالد بن سنان بني عبس فقال لهم : إن الله قد أمرني بإطفاء هذه النار فليقم معي من كل بطن منكم رجل ، فكان عمارة بن زياد ، أخو الربيع ممن قام معه ، فانتهى بهم إلى طرف الحرة فإذا عنق من النار قد خرج على خالد ومن معه فصاروا منه في مثل كفة الميزان ، ثم جعل العنق يدنو فقالوا : يا خالد أهلكتنا فقال : كلا وجعل يضرب النار بالذرة ويقول : بدأ بدأ كل هدي لله مؤدى ، أنا عبد الله ، أنا خالد بن سنان ، فترجع ذلك العنق يتخلل الحرة حتى انتهى إلى

- : والله ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقا . فما شأنك وشأن نار الحدثنان تزعم انك تطفأها ؟ قال : فانطلق وانطلق معه عمارة بن زياد مع ناس من قومه حتى أتوها ، وهي تخرج من شق جبل من حرة ، يقال لها حرة أشجع ^٢ ، قال : فخط لهم خطة ، فأجلسهم فيها ، وقال لهم : إن أبطأت عنكم ، فلا تدعوني باسمي . قال : فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها ، فاستقبلها خالد ، فجعل يضربها بعصاه ويقول : " بدا بدا، كل هدى مؤدى ، زعم ابن راعية المعزى أني لا اخرج منها ، و ثيابي تندى " ، حتى دخل معها الشعب ، قال - فأبطأ عليهم ، فقال عمارة بن زياد : والله لو كان صاحبكم حيا لخرج إليكم (بعد) ، فقالوا له : إنه نهانا أن ندعوه باسمه ، قال : ادعوه باسمه فو الله لو كان صاحبكم حيا لخرج إليكم بعد ، قال : فدعوه باسمه ، قال : فخرج وهو آخذ برأسه ، فقال : ألم أنهكم إن تدعوني باسمي ؟ قد والله قتلتموني ، احملوني وادفنوني ، فإن مرت بكم الحمر فيها حمار أبتز ، فانبشوني ، فإنكم ستجدوني حيا (فأخبركم بما يكون) ، قال : فدفنوه ، فمرت به الحمر فيها حمار أبتز ، فقالوا : ننبشه فانه قد أمرنا أن ننبشه ، فقال عمارة : لا تحدث مضر: إنا ننبش موتانا ، والله لا تنبشونه أبدا، قال: وقد كان خالد أخبرهم إن في عكم ^٣ امرأته لوحين ، فإذا أشكل عليكم أمر ، فانظروا فيهما ، فإنكم سترون ما تسألون عنه ، قال : ولا تمسهما حائض- فلما رجعا إلى امرأته سألوها عنهما، فأخرجتهما وهي حائض فذهب ما

قليب في وسط الحرة فانساب فيه ، وانقدم عليه خالد ، وعليه إزار ورداء فمكت مليا ، فقال ابن عم لخالد يقال له عروة بن سنّة بن عيث بن مريطة : لا يخرج منها أبدا ، فما كان أن أسرع من أن خرج وثوباه ينطفان عرقا وهو يقول : زعم ابن راعية المعزى أن لا أخرج ، وجلدي يندى ، فسموا بني راعية المعزى إلى اليوم ، وطفنت النار إلى اليوم . وكان إذا قحط الناس ، وأمسك القطر خرج خالد حتى يأتي صخرة فيغشّيها بثوبه ، ثم يقوم فيدعو الله فيمطرون ما دام الثوب على الصخرة ، فإذا كشف الثوب عنها انقشع السحاب. أنساب الأشراف : 204/13 - 205 .

١- عمارة بن زياد بن سفيان بن عبد الله ابن ناشب العبسي : من رؤساء القادة في الجاهلية . كان كثير المال ، واسع الجود . آلى على نفسه ألا يسمع صوت أسير ينادي في الليل إلا افتكه . وكان أخا ثلاثة (الربيع ، وقيس ، وأنس) كل واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقاد جيشا . وكان عمارة يلقب بالوهاب ويقال له أيضا " دالق " بمعنى دلق الغارة وشنها على العدو . وقتله شرحاف بن المثلث الضبي . الزركلي : الاعلام : 37 / 5

٢- حرة أشجع : بين مكة والمدينة . البكري : معجم ما استعجم : 2 / 435.

٣- عكم : نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها ، عكم المتاع يحكمه عكما : شده بثوب، وهو أن يبسطه ويجعل فيه المتاع ويشده. ينظر الفراهيدي : العين : 1 / 208 . الجوهري : الصحاح : 5 / 1989 . ابن منظور : لسان العرب : 12 /

كان فيهما من علم ، قال أبو يونس: فقال سماك بن حرب : إن ابن خالد بن سنان ، أو بنت خالد أتى ، أو أتت النبي ﷺ فقال: مرحبا بابن أخي أو ابنة أخي" ٢ .

إن الذي يمكن ملاحظته على هذه الرواية ما يأتي:

أ - ليس في رواية ابن عباس ما يشير إلى أن خالد بن سنان كان نبيا ، وإن كان ما جاء في ذيل الرواية التي ألحقها به ابن شبة عن أبي يونس عن سماك بن حرب فيه إشارة إلى نبوته.

ب - اشارت الرواية إلى إن خالد بن سنان هو من قال لقومه : انه سيطفئ نار الحدثان ، بينما جاءت روايات أخرى مخالفة لما ذكر من ناحيتين:

الأولى : فيما يخص إطفاء النار، فهنا خالد هو الذي تطوع لإطفائها ، بينما في رواية ثانية إن الله هو الذي أمره بإطفائها.

إلا أن يكون قد أمره في الرواية السابقة إلا انه لم يصرح بذلك . وفي رواية ثالثة : انه اشترط على قومه إن هو أطفأها أن يؤمنوا به نبي^٣ . وفي رواية رابعة تذكر أن خالد لما دعا قومه للإيمان به كذبوه ، وقال له رجل من قومه يدعى (قيس بن زهير) : " إن دعوت فاسلت هذه الحرة علينا نارا - فانك إنما تخوفنا بالنار - اتبعناك ، وإن لم تسل نارا كذبناك " ، فتوضأ ودعا الله أن يسيل عليهم الحرة نارا ، وإذا بهم بعد أن اشتعل أوارها يعودون فيطلبوا منه ردها^٥ .

الثانية : أما ما يخص النار، فقد اختلفت الروايات بشأنها من عدة أمور:

1 . مكانها: فالرواية تقول : أنها في حرة أشجع ، ورواية ثانية قالت : أنها في ارض الحجاز ، بأرض بني عبس^٦ ، وقيل : في أرض قريب من أرض عبس^١ ، وقيل : في ناحية خيبر من حرة^٢ النار^٣ .

١- بالأصل أتيت . والتصحيح من المقوم اللغوي.

٢- تاريخ المدينة : 2 / 421 - 423 . وانظر الحاكم : المستدرک : 2 / 598 - 599 . الطبراني : المعجم الكبير :

11 / 237 . ابن كثير : البداية والنهاية : 2 / 269 ، السيرة النبوية : 1 / 104 - 105 . ابن حجر : الإصابة : 2 /

311 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 8 / 213 .

٣- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 425 . الراوندي : قصص الأنبياء : ص 275 . المجلسي : البحار : 14 / 449 .

٤- هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي الفارس المشهور الذي كانت على يديه حرب داحس والغبراء بين عبس وفزارة ،

اختلف في وفاته هل قبل البعثة ام ادرك عهد عمر بن الخطاب ؟ . ينظر : ابو الفرج : الاغانى : 11 / 66 ، 82 ،

103 ، 15 / 37 ، 17 / 124 .

٥- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 427 .

٦- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 430 .

2. موعد خروجها : لقد اختلف في موعد خروجها ، هل كل يوم ^٤ ، أو تأتيم كل سنة ، و تخرج في وقت معلوم ^٥ .

3. وصفها : كذلك اختلفت الروايات في وصفها : فرواية تقول : (سالت عليهم نار من حرة النار في ناحية خيبر والناس في وسطها ، وهي تأتي من ناحيتين جميعا ، وإنما تخرج من غار " ^٦ . وفي رواية ثانية " نار الحرتين كانت ببلاد عبس ، وإذا كان الليل تسطع من الماء ، وكانت بنو طي تتنفس منها إبلاها من مسيرة ثلاث ، وربما بدرت منها عنق ، فتأتي كل شيء يقربها فتحرقها ، وإذا كان النهار كانت دخانا " ^٧ . أو أنها تخرج من كهف أو شق جبل أو بئر أو غار.

4. كيفية إطفائها : هنا تتباين الروايات في كيفية إطفائها من قبل خالد بن سنان ، وهذه الروايات هي :

- الأولى : " خرج إليها يضربها بسوطه حتى رجعت من الشق الذي خرجت منه وثيابه تندى " ^٨
- الثانية : أنه قال لقومه : " فليقم معي من كل بطن رجل ... [قال الراوي] : فخرج بنا حتى انتهى إلى النار، فخط خطا على من معه ، ثم قال: إياكم أن يخرج أحد منكم من هذا الخط فيحترق ، ولا ينوهن باسمي ، فأهلك ، قال: فخرج عنق من النار ، فأحدق بنا حتى جعلنا مثل كفة الميزان ، وجعل يدنو منا حتى كاد يأخذ بأفواهنا ، وخرج يتبعها حتى ألجأها في بئر في وسط الحرة منها تخرج النار، فانحدر فيها خالد ، وفي يده درة ، فإذا هو بكلاب تحتها فرضهن

١- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 425.

٢- حرة النار : ذكر ياقوت : (حرة سليم : هو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، قال أبو منصور : حرة النار لبني سليم وتسمى أم صبار ، وفيها معدن الدهنج ، وهو حجر أخضر يحفر عنه كسائر المعادن ، وقال أبو منصور : حرة ليلي وحرة شوران وحرة بني سليم في عالية نجد...) وذكر في موضع آخر : (حرة النار : بلفظ النار المحرقة : قريبة من حرة ليلي قرب المدينة ، وقيل : هي حرة لبني سليم ، وقيل : هي منازل جذام ويلي وبلقين وعذرة ، وقال عياض : حرة النار المذكورة في حديث عمر هي من بلاد بني سليم بناحية خيبر ، ... وفي كتاب نصر : حرة النار بين وادي القرى وتيماء من ديار غطفان ، وسكانها اليوم عنزة ، وبها معدن البورق ، وهي مسيرة أيام ، ... قال : وأم صبار اسم الحرة) . معجم البلدان : 246/2 . 249 .

٣- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 424.

٤- الراوندي : الخرائج والجرائح : 2 / 951 ، قصص الأنبياء : ص 275.

٥- الكليني : الكافي : 8 / 342 - 343 . المجلسي : البحار : 14 / 448 . النمازي : المستدرک : 3 / 145.

٦- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 424.

٧- ابن حجر : الإصابة : 2 / 310 - 311 . النمازي : المستدرک : 10 / 180 .

٨- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 430.

بالحجارة ، وضرب حتى أطفأها الله على يده . ومعهم ابن عم له يقال له عروة بن سنان بن غيث وأمه رقاش بنت صباح من بني ضبة ، فجعل يقول هلك خالد ، فخرج وعليه بردان ينطفان ماء من العرق وهو يقول: بدا بدا كل هدى لله مؤدى أنا عبد الله أنا خالد بن سنان ، كذب ابن راعية المعزى ، لأخرجن منها ، وجلدي يندى. فسمي بنو عروة ببني راعية المعزى ، فهو اسمهم إلى اليوم " ١ .

- الثالثة: " فقال لهم العبسي : ابعثوا معي إنسانا حتى أطفأها من أصلها ، فخرج معه راعي غنم هو ابن راعية ، حتى جاء غارا تخرج منه النار، ثم قال العبسي للراعي: أمسك ثوبي ، ثم دخل في الغار، فقال: هديا هديا، كل يهن مؤدى ، زعم ابن راعية الغنم ، إنني سأخرج ، وثيابي لا تتدى ، قال وهو يمسح العرق عن جبينه : عودي بدا كل شيء مؤدى، لأخرجن منها ، وجسدي يندى " ٢ .

- الرابعة: " فأخذ عسيبا^٣ من نخل رطب ، فدخل النار وهو يضربها بالقضيب وهو يقول: باسم رب الأعلى ، كل هدى مؤدى ، زعم ابن راعية المعزى ، أن لا أخرج منها وثيابي تتدى . فما من شيء أصابه ذلك العسيب إلا انطفئ فأطفأها " ٤ .

- الخامسة: " فتناول عصا ثم استقبلها بعد ثلاث ليال فدخل فيها ، فضربها بالعصا ويقول : هذا هدا كل خرج مؤدى ، زعم ابن راعية المعزى أن لا أخرج منها وجبيني يندى ، فلم يزل يضربها حتى رجعت " ٥ .

١- ابن شبة: تاريخ المدينة : 2 / 431 - 432 .

٢- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 424 .

٣- العسيب: سعف النخيل. ابن سلام : غريب الحديث : 4/156.

٤- ابن شبة : تاريخ المدينة: 2 / 425

٥- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 427

- السادسة: " فاحترق لها سربا ثم أدخلها فيه ، والناس ينظرون ثم اقتحم فيها حتى غيبتها ، فسمع بعض القوم وهو يقول هلك الرجل ، فقال خالد : كذب ابن راعية المعزى ، وخرج يرشح جبينه عرقا وهو يقول: عودي بدا كل شيء يؤدي لأخرجن منها وجسدي يندى " ¹ .
- السابعة: " قال: فجاءت فاستقبلها بثوبه، ثم تبعها حتى دخلت كهفها ، ودخل معها ، وجلسوا على باب الكهف وهم يرون أن لا يخرج أبدا، فخرج وهو يقول : هذا هذا وكل هذا من ذا ، زعمت بنو عبس إني لا أخرج وجبيني يندى " ² .
- الثامنة: " فاستقبلها فردها بثوبه ³ ، حتى أدخلها غارا وهم ينظرون ، فدخل معها ، فمكث حتى طال ذلك عليهم ، فقالوا : إنا لنراها قد أكلته ، فخرج منها " ⁴ .

نلاحظ على ما جاء في هذه الروايات:

- 1 . انها متباينة في المكان الذي خرجت منه النار هل من بئر، أو شق حبل، أو غار، أو كهف؟.
- 2 . تباين الروايات بماذا ضربها هل ضربها بسوطه أو بعصاه، أو درته، أو عسيبا من نخل رطب، أو استقبلها بيده أو بثوبه، أو أقحم نفسه فيها!؟
- 3 . من هو الذي اصطحبه معه ؟ ففي رواية اصطحب معه من كل بطن رجلا ، وفي ثانية حددت عددهم 30 رجلا ، وفي الثالثة راعي الغنم وحده ، وفي رابعة طلب أن يبعث معه شخص لم تعرفه الرواية ، وفي أخرى أنه واجه النار أمام مرأى من الناس كلهم !!
- 4 . نلاحظ الاختلاف حول من نعته بابن راعية المعزى الذي شكك بخروجه تارة عروة بن سنان بن غيث ، وتارة عمارة بن زياد ، وفي باقي الروايات لم تصرح باسمه !!.
- 5 . بل إن التباين طال حتى الكلمات التي ردها والتي أدخلها أحد الباحثين في إطار - الكلام النبوي - !!! رغم ركاكتها !!
- 6 . أوردت بعض الروايات تفاصيل مطولة غابت عن الروايات الأخرى !! فهل أثر بعض الناقلين الاختصار؟! أم إن الآخرين أضافوا بعض الزيادات التي ألبيت القصة زيتها الأسطوري؟!!

١- ابن حجر : الإصابة: 2 / 311. النمازي : المستدرک : 10 / 180.

٢- الكليني : الكافي 8 / 342.

٣- وفي رواية (بيده) ينظر : الراوندي: الخرائج : 2 / 951.

٤- الراوندي: قصص الانبياء : ص 275.

٥- محمد مهدي السويج : في النبوة والأنبياء الستة العرب : ص 206.

ج- الغريب أن تأتي رواية أخرى تستبدل قصة النار بقصة (طائر) يفتك بالبشر ليواجهه خالد بن سنان بدعائه فيقضي عليه ، فعن ابن عباس : إن الله خلق في زمان موسى ﷺ طائرا اسمه العنقاء ، لها أربعة أجنحة من كل جانب ، وجهها كوجه الإنسان ، وأعطاه من كل شيء حسن قسطا ، وخلق لها ذكرا مثلها، وأوحى إليه إني خلقت طائرين عجيبين ، وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس ، وأنستك بهما وجعلتهما زيادة فيما فضلت به بني إسرائيل . فتناسلا وكثر نسلهما . فلما توفي موسى ﷺ انتقلت فوقعت بنجد والحجاز ، فلم تنزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن تنبأ خالد بن سنان العيسى¹ بين عيسى ومحمد. فشكوها إليه ، فدعا الله تعالى، فانقطع نسلها وانقرضت².

د- ثم تأتي رواية أخرى بقصة مغايرة فتروي " قال خالد بن سنان: يا بني عبس، إن كنتم تحبون أن تغلبوا العرب، ولا تغلبنكم فخذوا هذه الصخرة فاحملوها، فإذا لقيتم عدوا فاطرحوها بينكم، فأنكم لا تزالون غالبين ما كانت الصخرة معكم، واسم الصخرة (وماس) ، فحملتها بنو عبس يتعاقبونها ، فإذا كانت الحرب سعى بها الغلام الشاب ، فإذا لم يكن حرب كان جهدها يقلها أربعون رجلا ، قال: فدار حملها يوما على بني بجاد من بني عبس ، فقال لهم قيس بن زهير: يا بني عبس ، أما تعرفنا العرب إلا بصخرة ورثناها خالد بن سنان ؟ ألقوها فلا تحملوها ، فحفروا لها حفيرا من الأرض فدفنوها ، فلقيتهم بنو فزارة فقتلوهم ، فكروا يطلعون الصخرة ، فلما حفروا عنها صارت نارا ، فتركوها فلن يقدروا عليها . فقال الحطيئة يهجوهم:

لن الإله بني نجاد أنهم
لا يصلحون وما استطاعوا فسدوا
جمد على من ليس فيه مجمد³
برد الحمية واحد مولاهم

فرماس هنا صخرة لكنها في رواية ثانية هي عين ماء⁴.

أما قيس بن زهير المذكور سابقا هو نفسه الذي سبق ذكره بأنه طلب من خالد بن سنان أن يسيل الحرة نارا عليهم ، فهل تكرر موقفه المعارض للعبسي هنا ؟ أم قصته هذه بديلة عن تلك القصة!!!

١- هكذا وردت في الأصل و لعل المقصود : العبسي.

٢- الزمخشري: ربيع الأبرار: 4 / 536 . ابن كثير : البداية والنهاية : 13 / 101 . المجلسي: البحار: 62/ 243.

٣- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 428.

٤- ابن شبة: تاريخ المدينة : 2 / 429.

هـ - ثم إن بعض الروايات تشير إلى أن خالدا قد امتحن قومه في مسألة مغايرة إذ طلب منهم أن يدفنوه وبعد مدة ينبشوا قبره ، فيجدوه حيا فيسألوه عما شاعوا ، أو هو يخبرهم بما هو كائن إلى يوم القيامة ولكنهم لم يفعلوا ، وقد وردت عدة اختلافات في هذه القصة بين مروياتها من عدة جهات وهي :

- 1 - انه مات إثر حادثة إطفاء النار كما مر بنا حين نهاهم أن ينادوه باسمه ، فلم يلتزموا بذلك فخرج يحمل رأسه ، وفي رواية انه قد حضرته الوفاة بشكل طبيعي وقد حدد لهم وقتا لموته ^١ .
- 2 - إنه أعطاهم دلالة على أثرها يقوموا بنبش قبره بعد ثلاث ، هذه الدلالة هي مجيء " عانة ^٢ فيها حمار أبت ^٣ أو " عيرا يطوف بقبري " ^٤ أو " عير أشهب يقود عانة من الحمر " ^٥ أو " عير أقرم " ^٦ .
- 3 - وفي رواية أنه لم يشترط مرور هذا الحيوان الذي يحفر قبره أو يطوف عليه أو يقف عنده ، بل اكتفت : " ادفنوني ثم دعوني ثلاثة أيام ثم انبشوا عني ثم سلوني " ^٧ .
- 4 - أما الذي نهى القوم عن نبش قبره لئلا تكون سبة عليهم بين العرب ، فأیضا اختلفت الروايات ما بين : " أهل بيته وبني عمه " ^٨ أو " قيس بن زهير " ^٩ أو عمارة بن زياد " ^{١٠} أو سليط بن مالك بن زهير زهير بن جذيمة ^{١١} أو بعض من قومه ^{١٢} وقيل أنهم : " اجتمعوا و أرادو نبشه ثم قالوا : ما آمنتم به من

- ١- الراوندي : الخرائج : 2/951 . ابن الاثير : الكامل : 1/376 .
- ٢- هي مجموعة الحمر الوحشية . ينظر : ابن سلام : غريب الحديث : 4/222 . الجوهري : الصحاح 4/1704 . الجواليقي : شرح أدب الكاتب : ص217 . ابن منظور : لسان العرب : 4/32 ، 11/272 .
- ٣- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2/423 ، 424 ، 432 . الكليني : الكافي : 8/342 - 343 ، ابن كثير : البداية : 2/269 . ابن حجر : الإصابة : 2/312 . المجلسي : البحار : 14/448 .
- ٤- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2/311 .
- ٥- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2/426 .
- ٦- ابن الأثير : الكامل : 1/376 .
- ٧- الراوندي : الخرائج : 2/311 .
- ٨- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2/425 - 426 .
- ٩- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2/428 .
- ١٠- ابن كثير : البداية والنهاية : 2/269 ، السيرة النبوية : 1/105 . ابن حجر : الإصابة : 2/312 .
- ١١- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2/433 .
- ١٢- الراوندي : قصص الانبياء : ص275 .

حياته...." ¹ وفي رواية إن قومه اختلفوا فصاروا فرقتين ، و صار ابنه عبد الله في الفرقة التي أبت إن تنبشه وهو يقول : إذا فعلتم ادعى ابن المنبوش فتركوه ² .

5 . أما عن مكان دفنه ، فتشير رواية الى إنه أمر بدفنه " على هذه الأكمة ³ " ، وفي رواية ثانيه: " في في حقف ⁴ من هذه الاحقاف " ⁵ .

ومن غريب ما روي عن " أبي الإصبع عبد الملك بن نصر وغيره يذكرون إن بينهم وبين القيروان بحرا في وسط جبل لا يصعده أحد وإن طريقها في البحر على الجبل ، وإنهم رأوا في أعلى الجبل في غار هناك رجلا عليه صوف أبيض وهو مختب في صوف أبيض ورأسه بين يديه كأنه نائم لم يتغير منه شيء . وأن جماعة أهل تلك الناحية يشهدون انه خالد بن سنان " ⁶ .
وقد علق ابن حجر ⁷ على هذه الرواية: " قلت وشهادة أهل تلك الناحية بذلك مردودة، فأين بلاد بني عبس عبس من جبال المغرب؟ "

وتضيف بعض الروايات كرامات أخرى الى خالد بن سنان تتلخص بـ :

الأولى: إنه " جمع عبسا فقال: يا عشيرتاه احفروا هذه القاع ، فحفروا فاستخرجوا حجرا فيه خط دقيق (قل هو الله أحد الله الصمد) السورة كلها ، فقال: احفظوا هذا الحجر فإذا أصابتكم سنة أو قحطتم فاخمروه بثوب ثم أخرجوه فإنكم تسقون ما دام مخمرا فإذا كشفوه أقلعت السماء " ⁸ .

-
- ١- الكليني: الكافي: 8 / 342 . المجلسي : البحار : 14 / 448 .
 - ٢- الجاحظ : الحيوان 4 / 163 . ابن حجر : الإصابة : 2 / 311 .
 - ٣- الأكمة: تل من قف حجر واحد ، وقيل هو الموضع الذي هو اشد ارتفاعا مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرا . ويقال : هو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد فرما غلظ وربما لم يغلظ . الفراهيدي : العين : 5 / 420 . ابن منظور : لسان العرب : 12 / 20 - 21
 - ٤- ابن شبة: تاريخ المدينة : 2 / 432
 - ٥- حقف : الحقف من الرمل : المعوج ، وجمعه احقاف . وهو ما اعوج من الرمل واستطال . الفراهيدي : العين : 3 / 51 . الجوهرى : الصحاح : 4 / 1345 . ابن منظور : لسان العرب : 9 / 52 . وتسمى احدى سور القرآن بسورة الاحقاف .
 - ٦- ابن حجر : الإصابة : 2 / 310 .
 - ٧- ابن حجر : الإصابة : 2 / 312 .
 - ٨- الإصابة : 2 / 312 .
 - ٩- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 432 .

لكن هل هذا الحجر هو " رماس " أم غيره ؟ وكيف يصح إن سورة الإخلاص كتبت على هذا الحجر والقرآن قد اختص بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو معجزته .

الثانية: " قال : إن صاحبتى هذه حبلى فى كذا كذا ، تلد فى كذا كذا ، فى شهر كذا كذا ، وقد سميت من نعم المولود فاستوصوا به خيرا ، فانه سيشهد مشاهد أولدت مجاهدا ، وهو أحيمر كالدرة ، نفع مولاه من المضرة ، نعم فارس الكرة ، ولا تصيبنكم جائحة من عدو ولا سنة ، ما كان بين أظهركم " .
وهنا يمكن السؤال: هل ابنه هذا هو المدعو عبد الله الذي مر ذكره الذي لم ينفذ وصية والده ؟ أم غيره ؟ ثم ما معنى قوله أولدت مجاهدا ؟ هل جاهد مع قومه؟ أم مع النبي ﷺ إذ سيأتينا انه أدرك النبي ﷺ .

الثالثة : " كان خالد أخبرهم إن فى عكم امرأته لوحين ، فإذا أشكل عليكم أمر ، فانظروا فىهما فإنكم سترون ما تسألون عنه ، قال: ولا تمسها حائض ، فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فاخرجتهما وهى حائض ، فذهب ما كان فىهما من علم " ٢ .
ولكن لماذا لم يبنه امرأته أن لا تمسها وهى حائض؟! او لماذا لم يخبروها بان لا تمسها إن كانت حائضا وقد نبههم؟!

الرابعة : ومن الطريف ما رواه القرمانى ٣ فى حديثه عن الأنبياء الذين كانوا فى الفترة ما بين المسيح المسيح ﷺ والنبي محمد ﷺ إن النبي خالد بن سنان العبسى كان على رأس أولئك الأنبياء .. وانه (نبي البرزخ) ومعنى ذلك - حسب ما فسروه - : أنه بعث لمن مات طفلا .
وقد علق أحد الباحثين قائلا : " إن هذا ليدعو إلى الضحك فى كون بعض الأنبياء يركض خلف من مات ليبلغه رسالته علما إن الموت يحول دون ذلك . هذا من جهة ومن جهة أخرى، إن الأطفال غير مكلفين ، والبرزخ ليس بدار عمل كالدنيا فالبرزخ عالم طريق بين العالمين الدنيوي والأخروي " ٤ .
وقد نسب الى النبي الأعظم ﷺ انه قال عن خالد بن سنان العبسى: " نبي ضيعه قومه " على اثر لقائه بأحد الأشخاص كما أشارت الروايات التى اختلفت فيه :

-
- ١- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 432
٢- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 423 . ابن كثير : البداية والنهاية : 2 / 269 ، السيرة النبوية : 105/1 . ابن حجر: الإصابة : 2 / 312 .
٣- أخبار الدول ص 79 ، نقلا عن السويج : فى النبوة والأنبياء: ص 209 .
٤- السويج : فى النبوة والأنبياء : ص 209 .

- روايات أشارت الى إن ابنه قدم على ﷺ فرحب به ودعاه بـ " ابن أخي " .^١
- روايات ثانية أشارت إن ابنته (المحياة)^٢ هي التي جاءت إلى النبي ﷺ وكانت عجوزا^٣ ، فأكرمها ورحب بها ، وأسلمت وآمنت به ﷺ^٤ .
- وقد ورد في بعض الروايات ما هو محل إشكال في قصة لقائها بالنبي ﷺ :
- أ. ذكرت إحدى الروايات انه ﷺ صافحها حين لقائه بها ، وهذا مردود لان النبي ﷺ لا يصفح النساء ، إلا أن تكون من وراء ثوب أو المصافحة للبيعة التي تتم كما ورد في الأثر ﷺ كان يغمس يده اليمنى في إناء ثم يخرجها وتغمس المرأة يدها في نفس الإناء فتتم البيعة^٥ أو كما روي عنه ﷺ قوله : " إني لا أصفح النساء ، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة " .^٦
- وروت عائشة: " ما مس رسول الله ﷺ بيده يد امرأة قط " .^٧ فهل صافحته بطريقة المبايعة أعلاه ؟
- ؟ لا سيما وأن هناك رواية ذكرت أنها وفدت عليه في وقت كان فيه يبايع النساء فسألها من أنت ...^٨
- ب - أنها لما سمعت النبي ﷺ يقرأ سورة الإخلاص: (قل هو الله احد) قالت : "يا رسول الله إني لأسمع كلاما كنت اسمعه من أبي . قال : إن إباك كان نبيا ضيعه قومه " .^٩ وفي روايات إن من

- ١- ابن شبة : تاريخ المدينة: 2 / 423،433. ابن كثير : البداية والنهاية : 2 / 269 ، السيرة النبوية : 1 / 105 - 106 .
- ٢- لا يوجد لها ذكر الا ما روي من قدومها على النبي ﷺ وانها آمنت به ينظر : ابن الأثير : أسد الغابة : 5 / 454 . ابن حجر : الإصابة : 8 / 314 - 315 .
- ٣- ابن حجر : الإصابة : 2 / 310 .
- ٤- ابن أبي شيبة : المصنف : 7 / 560 . ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 421 ، 423 ، 426 ، 433 . الكليني : الكافي : 8 / 343 . الصدوق : كمال الدين : ص 659 - 660 . السمعي : الأنساب : 5 / 456 . الراوندي : الخرائج : 2 / 950 - 951 . ابن الأثير : الكامل : 1 / 376 . ابن حجر : الإصابة : 2 / 311 - 312 ، 8 / 315-314 . العيني : عمدة القارئ : 17 / 72-73 . المجلسي : البحار : 14 / 450 . النمازي : المستدرک: 6 / 290 .
- ٥- الكليني : الكافي : 5 / 527 . المجلسي : البحار : 21 / 134 . البروجردي : جامع أحاديث الشيعة : 20 / 303
- ٦- مالك : الموطأ : 2 / 983 . ابن حنبل : المسند : 6 / 357 . ابن ماجة : السنن : 2 / 959 . النسائي : السنن : 7 / 149 . البيهقي : المسند : 8 / 148 . ابن عبد البر : الاستنكار : 8 / 454
- ٧- ابن حنبل : المسند : 6 / 114 . مسلم : الصحيح : 6 / 29 . النسائي : السنن : 5 / 219 . ابن عبد البر : التمهيد : 12 / 245 .
- ٨- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 421 .
- ٩- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 426 .

وفد على النبي ﷺ هم جماعة من بني عبس فذكروا خالد بن سنان فقال : ذاك نبي ضيعه قومه^١ ولكن أليس القرآن قد اختص بالنبي محمد ﷺ فكيف سبق لخالد المعرفة بهذه السورة ؟! وقد مر بنا بطلان هذا الأمر. مع أن روايات أخر تشير الى عدم وجود ابن أو ابنة لخالد بن سنان ، إذ اقبل وفد من بني عبس في ثلاثة نفر على النبي ﷺ فسألهم عن خالد بن سنان فقالوا : لا عقب له^٢.

كان هذا استعراض لمعظم الروايات التي ذكرت قصة هذا الرجل بما فيها من تباين واختلاف ، بقي أن نشير إن الاشكالات على هذه المرويات لم تقف عند الحد الذي سجلناه في أعلاه، بل هناك من أنكر نبوته وأنه لم يكن نبيا قط، والبعض الآخر شكك في هذه المسألة كما سيأتينا الآن:

فقد روي عن الإمام الصادق ﷺ : " إن خالدا كان عربيا بدويا وما كان نبيا ، وإنما ذلك شيء يقوله الناس"^٣ ، وذكر ابن عبد الحكم^٤ (ت257هـ) : " الذي تزعم فيه قيس^٥ انه كان تنبأ في الفترة فيما فيما بين النبي وعيسى صلوات الله عليهما ". وقال ياقوت الحموي^٦ (ت626هـ) : " ويزعمون أن أبا خالد بن سنان العبسي كان نبيا وبعث إليهم " ، وشك ابن الأثير^٧ (ت630هـ) بذلك قائلا: " قيل كان نبيا نبيا " ، وكذا شكك به ابن كثير^٨ (ت774هـ) في موارد عدة : " زعم بعضهم انه كان نبيا " ، وقال بعد بعد أن أورد قصة خالد بن سنان برواية ابن عباس: " فهذا سياق موقوف على ابن عباس وليس فيه انه كان نبيا "^٩ . أما الروايات التي عن غير ابن عباس فقال عنها : " والمرسلات التي فيها انه نبي لا يحتج بها هاهنا والأشبه انه كان رجلا صالحا له أحوال وكرامات ، فانه إن كان في زمن الفترة ، فقد ثبت في صحيح البخاري^{١٠} عن رسول الله ﷺ انه قال: " إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا لأنه ليس بيني

-
- ١- ابن الأثير : أسد الغابة : 2 / 259 . ابن حجر : الإصابة : 2 / 313 .
 - ٢- ابن كثير : البداية : 5 / 103 . ابن حجر : الإصابة : 2 / 313 .
 - ٣- الطبرسي : الاحتجاج : 2 / 91 . المجلسي : البحار : 14 / 451 .
 - ٤- فتوح مصر وأخبارها ص 207 .
 - ٥- ربما صحفت فالمقصود " عبس " .
 - ٦- معجم البلدان : 3 / 283 .
 - ٧- لعلها أضيفت سهوا .
 - ٨- الكامل : 1 / 376 .
 - ٩- البداية والنهاية : 2 / 268 ، السيرة النبوية : 1 / 104 .
 - ١٠- هي نفس الرواية التي ذكرناها آنفا من تاريخ المدينة لابن شبة : 2 / 421 - 423 .
 - ١١- 4 / 142 ، وينظر: ابن حنبل: المسند : 541/2 . مسلم: الصحيح : 96/7 . الطبري: جامع البيان 396/3 . السيوطي: الديباج : 5 / 349 ،

وبينه نبي " . وان كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبيا لان الله تعالى قال: (لتتذر قوما ما آتاهم من نذير قبلك) وقد قال غير واحد من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبيا من العرب إلا محمد ﷺ خاتم الأنبياء الذي دعا به إبراهيم الخليل باني الكعبة المكرمة التي جعلها الله قبلة لأهل الأرض شرعا ، وبشرت به الأنبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم ﷺ "¹ .

فضلا عن ذلك كان ابن كثير ² قد أشكل على رجالات السند في مرويات قصة خالد بن سنان . وقال في مورد آخر: " وكل واحد من خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة كان صالحا ولم يكن نبيا لقول رسول الله ﷺ : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي " ³ . وشكك ابن حجر ⁴ في نبوته إذ قال: " الذي يقال أنه كان نبيا " ، ونقل عن الفضل بن موسى الشيباني دخلت على أبي جمرة السكري ، فحدثته بهذا [يقصد رواية قصة خالد بن سنان] عن الكلبي فقال: " استغفر الله استغفر الله " ⁵ . وقال أبو السعود ⁶ (ت 951هـ) : " وقيل لم يكن بعد عيسى ﷺ إلا رسول الله ﷺ وهو الأنسب بما في تتوين فترة في التفخيم اللائق بمقام الامتتان عليهم بان الرسول بعث إليهم عند إكمال حاجتهم إليه... " ، وذهب الآلوسي ⁷ (ت بعد 1270هـ) للقول: " وخالد بن سنان العبسي عند الأكثرين ليس بنبي ، وخبر ورود بنت له عجوز على النبي ﷺ وقوله لها: مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه ونحوه من الأخبار مما للحفاظ فيه مقال لا يصلح معه للاستدلال ، وفي " شروح الشفاء " و " الإصابة " ⁸ للحفاظ ابن حجر بعض الكلام في ذلك " .

ومن المعاصرين ذهب جواد علي ⁹ للقول: " وزعموا أن رجلا من بني (قطيعة بن عبس) كان نبيا " " وأورد مقالة الجاحظ أنفة الذكر، ثم عقب بعد إن ذكر قصته مع نار الحدثان، " وزعموا انه هو الذي دعا على العنقاء فذهبت وانقطع نسلها " .

١- ابن كثير: البداية والنهاية : 269/2 .

٢- البداية والنهاية : 2 / 268 .

٣- البداية والنهاية : 13 / 101 .

٤- الإصابة: 1 / 180 ، 5 / 458 .

٥- الإصابة : 2 / 310

٦- تفسير أبي السعود : 3 / 22 .

٧- روح المعاني : 21 / 160 .

٨- لعله الكلام الذي أشكل فيه على المرويات وقد ذكرناه سابقا .

٩- 6 / 66 .

وفي مقابل ذلك نجد إن روايات قصة خالد بن سنان على ما هي عليه من الاختلافات والتناقضات قد استفاضت بها كتب المؤرخين ويستوقفنا مقالة الصدوق بهذا الشأن إذ يقول :

" مع إنا لا ندفع الأخبار التي رويت انه كان بين عيسى ومحمد ﷺ فترة لم يكن فيها نبي ولا وصي ، ولا ننكرها ونقول : إنها أخبار صحيحة ، ولكن تأويلها غير ما ذهب إليه مخالفونا من انقطاع الأنبياء والائمة والرسل ﷺ . وإنما تعني الفترة أنه لم يكن بينهما رسول ولا نبي ولا وصي ظاهر مشهور كمن كان قبله ، وعلى ذلك دل الكتاب المنزل إن الله عز وجل بعث محمد ﷺ على حين فترة من الرسل ، لا من الأنبياء والأوصياء ، ولكن قد كان بينه وبين عيسى ﷺ أنبياء وأئمة مستورون خائفون ، خالد بن سنان العبسي نبي لا يدفعه دافع ولا ينكره منكر لتواطؤ الإخبار بذلك عن الخاص والعام وشهرته عندهم " .^١

فالصدوق هنا قد أنكر وجود نبي في زمن الفترة إلا أن يكون خائفا مستورا ، ولعله بهذا يلمح إلى مقولة أمير المؤمنين ﷺ : " إِمَامًا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَإِمَامًا خَائِفًا مَعْمُورًا " .^٢

ولكن الحجة لا يقتصر على النبي بل قد يكون وصي أو إماما كما أشار الصدوق الى ذلك في بدء حديثه ، فلماذا لا يكون خالد بن سنان وصيا أو رجلا صالحا من الأحناف دعا إلى عبادة الله كحال عبد المطلب ﷺ وغيره !! وهذا لا يدفعه دافع ولا ينكره منكر، ولكن بشرط أن لا يسلم بكل ما جاء عن هذا الرجل من أساطير وزيادات طفحت حتى بدت متناقضة مما يصعب قبولها.

أما المجلسي^٣ فقد علق على رواية الطبرسي في أعلاه عن الإمام الصادق ﷺ الذي أنكر بها نبوة خالد ، فقال: " الأخبار الدالة على نبوته أقوى وأكثر " .

فأما (القوة) فلا ندري أين تكمن ؟ ثم أن هناك روايتي عن الإمام الصادق ﷺ احدهما تثبت نبوته والثانية تنكرها ، فأيهما الأقوى ؟ أما عن رجالات السند فهي لا تخلو من إشكال كما مر بنا ، بل هي في الغالب مرسله . وأما عن (الكثرة) فرب مشهور لا أصل له ، ثم انه لا إشكال بوجود هذه الشخصية لكن تبقى نبوته محل إشكال يصعب معه التسليم بقبولها.

١- كمال الدين : ص 659.

٢- نهج البلاغة : ص 686 - 687 .

٣- البحار : 451/14.

ونخلص الى القول ان كلام الامام ﷺ قد دحض هذه الرواية التي قد بدت معارضة له ، وذلك بعد تحليلها والتحقق منها . وبهذا يكون اعتماد كلامه ﷺ خير ميزان يتم فيه قبول الرواية ام رفضها .

أصناف ديانات العرب قبل الإسلام

لم يرد في كلام الإمام أمير المؤمنين ﷺ وصفا مفصلا لمعتقدات العرب قبل الإسلام ، ولكن إشارات المقتضبة بهذا الشأن حملت معاني عميقة ذات دلالات مفيدة وعلى عدة مستويات يأتي في مقدمتها الهدف الأول الذي دعاه لذكرها ألا وهو بيان فضيلة ما جاء به النبي محمد ﷺ وأثره الايجابي على الأمة الذي لا يمكن الوقوف عليه ما لم يتم مقايسته بالوضع الذي كانوا عليه قبل البعثة النبوية ، إذ حملت كلماته الشريفة في هذا المجال نقدا هادفا لذلك الماضي وكيفية انتفاع الخلق منه.

ومن جانب آخر فان المعلومات التي أوردها ﷺ تشكل مادة قيمة ومصدرا موثوقا للمختصين بهذا الجانب. ففي معرض حديثه عن أديان العرب وما كانوا عليه من معتقدات قبل بعثة النبي ﷺ نجده يقول: " بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا ﷺ ... وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَّةٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ ، بَيْنَ مُشَبَّهِهِ لِلَّهِ بِخُلُقِهِ ، أَوْ مُلْحَدٍ فِي اسْمِهِ ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ " ١ .

ولما وقف الشراح ٢ على كلمات الإمام أمير المؤمنين ﷺ أعلاه بينوا أصناف ديانات العرب وإنهم كانوا على قسمين: العرب المعطلة والعرب غير المعطلة. وهناك من قسمهم إلى معطلة ومحصلة ٣ .

القسم الأول: العرب المعطلة ، وكانوا على ثلاثة أصناف:

أولاً: صنف أنكروا الخالق والبعث والإعادة ، وقالوا بالطبع المحيي والدمر المفني وهم الذين حكى القرآن عنهم " وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ " ٤ . وقصروا الحياة والموت على تحلل الطبائع المحسوسة وتركيبها فالجامع هو الطبع

١- نهج البلاغة : ص21 .

٢- انظر ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 1 / 117 - 120. ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 354-358 . حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 2 / 137-139 . التستري : بهج الصباغة : 2 / 96 - 105 .

٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 1 / 355 .

٤- سورة الجاثية آية 24.

والمهلك هو الدهر^٢ ، وعرف أصحاب هذه العقيدة بـ " الدهريين " : والدهر - لغة - يعني الزمان^٣ ، وهما ساعات الليل والنهار^٤ ، والوقت الطويل أو القصير ، والعرب تقول أتيتك زمان الصرام وتعني به وقت الصرام^٥ وأطلقه العرب على الرجل المعمر فقالوا دهري^٦ .

أما المسلمون فإنهم أطلقوا الدهري على الملحد الذين ينكرون الله وتأثيره ويسندون الحوادث إلى الدهر ولا يعتقدون بالبعث ويؤمنون بتدبير الحياة والموت إلى الدهر^٧ . وقد اعتقد هؤلاء إن الدهر هو الفاعل^٨ ، فإذا " أصابهم خسران أو ضيم أو مكر نسبو ذلك إلى الدهر " ^٩ ، وأصحاب هذا الصنف من المعتقدات هم الذين أشار إليهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: " أو مشير إلى غيره " وهم الدهريون وغيرهم من عبدة الأصنام والكواكب .

فالإشارة في قوله " مشيرا إلى غيره " إما بالإلهية فقد قالوا: هذه الأصنام آلهتنا ، كما قال تعالى حاكيا عنهم ﴿ وَقَالُوا أَلَّهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾^{١٠} . وأما بالعبادة كما قال: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^{١١} . وأما بإضافة هذه الآثار والحوادث في عالمنا هذا إلى الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية ، فكل هذه الأمور مختصة به ، فإذا أضافوها إلى غيره فقد أشاروا بها إلى غيره^{١٢} . وبهذا يكون " الدهريون " أوضح مصداق على هذا الصنف من المعتقدات ، إذ نسبوا الحياة والموت إلى الدهر كما مر أعلاه.

- ١- الشهرستاني : الملل والنحل : ص 389 . وينظر: المسعودي: مروج الذهب : 2 / 103 . ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 118 . ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 355 .
- ٢- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 1 / 355 . الالوسي : بلوغ الإرب : 2 / 214
- ٣- الجوهري : الصحاح : 2 / 661.
- ٤- الطبري : جامع البيان : 25 / 198
- ٥- الطبري : تاريخ : 1 / 6 . د. شاكر مجيد ، د. جواد النصر الله: الحياة العقائدية والاجتماعية : ص3-4 .
- ٦- ابن منظور : لسان العرب : 4 / 293.
- ٧- الطبري : جامع البيان : 25 / 197 - 199 . المسعودي : مروج الذهب : 2 / 103.
- ٨- الطبري: جامع البيان : 25 / 197 . الالوسي: بلوغ الإرب : 2 / 214 - 217.
- ٩- القرطبي: الجامع : 16 / 171 . النصرالله: الجاهلية: ص 20.
- ١٠- سورة الزخرف آية 58.
- ١١- سورة الزمر آية 3.
- ١٢- الحسيني : الديباج الوضي : 1 / 167.

ثانيا: الصنف الثاني : أقرروا بالخالق وابتداء الخلق عنه ، وأنكروا البعث والإعادة^١ قال أحدهم:

حياة ثم موت ثم نشر
حديث خرافة يا أم عمرو^٢

وهم المحكي عنهم في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾^٣ . فالقرآن الكريم يصور إنكارا لا جهلا بالبعث وهو تعبير من أوضح الصور عن عقائد العرب قبل الإسلام عما بعد الموت بإنكارهم للأخرة وما يأتي فيها من حساب وجنة ونار، ولذلك صعب على أتباع هذا الصنف قبولهم العقائد الإسلامية في البعث والجزاء حتى أنهم سمو حديثه عن الآخرة أساطير الأولين ، وزعموا أنهم وعدوا الوعود نفسها مع آبا ءهم بقوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^٤ . ويفهم من سياق هذه الآية إن فكرة البعث لم تكن غائبة عن ذهن العرب قبل الإسلام ، وإنما كانت معروفة إلا أنهم أنكروها بسبب عدم تحقيقها بشكل ملموس مما جعلهم يعلنون إن ما ورد في القرآن الكريم حولها لا يتعدى أساطير الأولين^٥ .

وتجدر الإشارة إلى أن قسما من العرب اعتقدوا بفكرة البعث فكان من وصايا عبد المطلب: " والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته " ^٦ .
ثالثا: أما الصنف الثالث من العرب المعطلة فهم من أقرروا بالخالق ونوع من الإعادة ، وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا إنها تشفع عند الله في الآخرة ، وحجوا لها ونحروا لها الهدى ، وقربوا لها القرابين وحللوها وحرموها وهم جمهور العرب^٧ .

- ١- المسعودي: مروج الذهب : 2 / 102 . الشهرستاني : الملل : ص 389 . ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 118 . ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 355 .
٢- الألوسي: بلوغ الإرب : 2 / 193 . محمد عبد المعيد خان : الأساطير والخرافات : ص 31 . ينسب البيت أعلاه إلى عبد الله بن الزبيرى . ينظر: النقوي : مفتاح السعادة : 456/1 . محسن الأمين: أعيان الشيعة : 1 / 46 .
٣- سورة يس آية 78 .
٤- سورة المؤمنون آية 81 - 83 .
٥- د.شاكرك مجيد كاظم، د. جواد النصر الله : الحياة العقائدية والاجتماعية : ص 4 .
٦- الشهرستاني: الملل والنحل : ص 393 . للمزيد من الأدلة ينظر: النصرالله: الجاهلية : ص 13- 15 .
٧- المسعودي : مروج الذهب : 2 / 102 . وينظر : الشهرستاني: الملل والنحل : ص 389 - 390 . ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 118 . ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 355 . الألوسي : بلوغ الإرب : 2 / 192 .

وكان إنكارهم لبعث البشر في الصورة البشرية أشد ، وإصرارهم على ذلك أبلغ^١ وأخبر عنهم التنزيل بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۗ ﴾^٢. وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۗ ﴾^٣. وفي القرآن آيات كثيرة تذكر إن المشركين كانوا يعبدون الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۗ ﴾^٤ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۗ ﴾^٥ ، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾^٦ .^٧

أما عبادة الأصنام والأوثان فقد كانت منتشرة في العرب انتشارا واسعا ، فكل من اتخذ إليها من دون الله غير المرئي واللامتناهي فهو وثني أو صنمي^٨. إن الاعتقاد بوجود قوى خفية تحرك الكثير من الظواهر وتفسر من خلالها الكثير من السلوكيات، لهو أمر لازم لكل الشعوب البدائية، فالعقل البشري مشدود إلى الاعتقاد بوجود قوى خفية خارقة تنسب إليها كل ما يعجز العقل البشري آنذاك عن الإحاطة به ، نعني بذلك كل ما هو وراء المحسوس^٩ . وقد اعتقد العرب بوجود قوى روحية كامنة مؤثرة في العالم والإنسان وفي بعض الحيوانات والطيور والنبات والجماد وفي بعض مظاهر الطبيعة المحيطة به كالكوكب. فربط بين هذه الكائنات والموجودات والظواهر الطبيعية وبين القوى الخفية وقدسها ، ثم تطورت وثنية العربي إلى عبادة قطع الصخور ومعظمها كانت بيضاء اللون لها علاقة بالغنم والجمال ولبنهما^{١٠}.

١- مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية : ص 102 .

٢- سورة الإسراء آية 94 .

٣- سورة الفرقان آية 7 .

٤- سورة المؤمنون الآيات 84 - 87 .

٥- سورة العنكبوت آية 61 .

٦- سورة لقمان آية 25.

٧- د. شاكر مجيد ، د. جواد النصر الله : الحياة العقائدية والاجتماعية : ص6.

٨- سميح دغيم : أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام : ص 86 .

٩- دغيم : أديان ومعتقدات العرب: ص 154

١٠- انظر جواد علي: المفصل : 6 / 18-19 ، 39-40. خان : الاساطير العربية : ص 98 .

إن عبادة العربي وتقديسه للظواهر الطبيعية لم تكن على أساس أنها تمثل أرباباً ، وإن الأصنام التي عبدها لم تكن هي الآلهة بل كانت سكناً لهم ولأرواحهم فهي تمثل استقرار القوى الروحية في الأشياء المادية ، وليس من الضروري أن تكون بصورة آلهة ، ولكن عندما ينحط التفكير تحاط ذاتها بالتعظيم وكأنها الآلهة .^١

وقد اختلفت الروايات التاريخية في منشأ عبادة الأصنام وانتشارها بين العرب^٢ ، فروايات تنسب ذلك إلى عمرو^٣ بن لحي^٤ ، وأخرى ترجعها إلى زمن نوح عليه السلام^٥ ، وثالثة إلى زمن عاد^٦ .

وعلى الرغم من تضارب الروايات في تحديد زمان عبادة الأصنام وبدايتها عند العرب ، فإننا نرى إن تحديد هذه المسألة لا يتطلب منا إرجاعها إلى شخص معين ، بل ربما كانت حالة نتجت عن وضع معين . فالإنسان دائماً مشدود إلى قوى خفية يعدها أقوى منه وتسير حياته، ولربما كان بناء الكعبة على أيام إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وما روي عن هذه المسألة في قصة الحجر الأسود ، وكيف وجده إبراهيم ما يشير إلى بداية خلع القداسة عن الأحجار . وربما كان ذلك سوء فهم من الأعراب، ولكن هذه العادة سرت بينهم وتقبلوها لسذاجتهم وفطرتهم، فحملوا معهم الأحجار وقدسوها وأسبغوا عليها تمنياتهم وألوهها لما شعروا بالحاجة إلى ذلك".^٧

ويذهب باحث معاصر إلى القول: " والحقيقة إن التحقيقات التاريخية لم تثبت حتى الآن إلى من يعود إدخال هذه المعتقدات والعبادات ، وإن كان هناك تركيز ما على شخصية عمرو بن لحي، بيد أن المسألة برأينا تعود إلى أبعد من ذلك الشخص في الزمان ، وربما تكون قد بدأت بجو عام عرفه العرب القدامى عن طريق احتكاكهم بغيرهم من الشعوب القديمة التي ربما كان لديها من المعتقدات ما ينبئ عن

١- الجميلي : تاريخ العرب : ص 219 .

٢- ينظر : جواد علي : المفصل : 6 / 60 - 65 .

٣- هو عمرو بن لحي بن غالب بن عمرو بن عامر ، قيل انه استولى على البيت الحرام، ولما سار إلى البلقاء من الشام وجدهم يعبدون الأصنام فاستحسن فعلهم ، وجلب منهم هبل ونصبه في الكعبة، ونسبوا للنبي ﷺ أنه رآه وقال عنه أنه أول من بدل دين إسماعيل . ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية 1/50-51 ، الشهرستاني: الملل والنحل ص 387 .

٤- ابن هشام: السيرة النبوية : 1/50-51 .

٥- ابن هشام : السيرة النبوية : 1/51 . ابن كثير: البداية والنهاية: 1/114-118 .

٦- ابن كثير : البداية والنهاية : 1/138 .

٧- دغيم : أديان ومعتقدات العرب : ص 88 .

ترميز معنى لها عبر التشخيص والتمثيل ، ومن هنا نشأت التماثيل والأصنام والأوثان ، وربما أيضا تكون هذه العبادات قد تأتت عن بعض مظاهر الطبيعة ، وعظمة هذه المظاهر ما تمثله ... فربما حرص العرب على تعظيم هذه الأمور نظرا لغرابتها في أذهانهم ، فأقاموا لها التشخيصات المناسبة وقدسوها وعبدوها وطاقوا حولها " ^١ وليست عبادة الأصنام والأوثان عبادة خاصة بالعرب ، بل هي عبادة كانت معروفة عند غيرهم من الشعوب السامية ، وعند غير الساميين ، كما أنها لا تزال موجودة وقائمة حتى الآن ^٢ .

والصنم: هو ما كان له جسم أو صورة ^٣ ، وهذا يعني إنه تشخيص اعتقاد ما وإعطاء هيئة ما ، غالبا ما كانت هيئة أشخاص أو هيئة حيوان ما ^٤ . أما ابن الكلبي ^٥ فقد عرفه : " ما كان معمولا من خشب أو ذهب أو فضة ، على صورة إنسان ، فهو صنم " وقد وردت الإشارة إليه في القرآن ^٦ على صيغة الجمع " أصنام " التي تتحدث عن قوم موسى عليه السلام وعن إبراهيم عليه السلام وأبيه وقومه ^٧ .

ووردت لفظة الاصنام في مظان كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ثلاثة مواضع من خطبته الشريفة في معرض حديثه عن عرب ما قبل الإسلام " الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ " ^٨ ، وقوله: " وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتِ مَوْعُودَةٍ وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ وَعَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ " ^٩ ، و " كَذَّبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حَلِيَّةَ الْمُخْلُوقِينَ " ^{١٠} .

أما ((الأوثان)) فقد وردت الإشارة إليها مرة واحدة بقوله عليه السلام : " فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ " ^{١١} .

١- دغيم : أديان ومعتقدات العرب : ص 96 .

٢- جواد علي : المفصل : 6 / 65

٣- ابن الأثير : النهاية : 3 / 56 .

٤- دغيم : أديان ومعتقدات العرب : ص 88

٥- الأصنام: ص 53 .

٦- انظر الأعراف 134، الأنعام 74، الشعراء 71، إبراهيم 38، الأنبياء 58.

٧- دغيم : أديان ومعتقدات العرب : ص 89.

٨- نهج البلاغة : ص 56 .

٩- نهج البلاغة : ص 402.

١٠- نهج البلاغة : ص 152 .

١١- نهج البلاغة : ص 267 .

والوثن : هو أيضا اصطلاح للدلالة على التماثيل التي كان العرب يعبدونها في الجاهلية^١ . ومهما يكن من أمر فان الخلط بين الوثن والصنم كان أمرا معروفا من خلال كتب الإخباريين ، ولم يكن الفصل واضحا بينهما ومن الروايات يمكننا التمييز بينهما ، فالأصنام: هي تلك الأشكال التي صنعت أما على صورة إنسان أو حيوان ومن خشب أو فضة أو أي معدن آخر ووضعت في حضرة الآلهة . أما الأوثان : فهي الأشكال المصنوعة بالأحجار وقد لا تكون شكلا محددًا أيضا ، وهي تعد مقدسة ، وقد عبدها الأعراب قياسا على ما عرفوه من قدسية أحجار الكعبة ، وغالبا ما تكون الأوثان أحجارا صغيرة ، أو كما يقولون الوثن هو الصنم الصغير^٢ .

إن العرب في عبادتهم للأصنام ذوي آراء متباينة ، فمنهم من يجعلها مشاركة للبارئ تعالى ويطلق عليهم لفظة الشريك ، ومن ذلك قولهم في التلبية: لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . ومنهم من لا يطلق عليها لفظ الشريك ، ويجعلها وسائل وذرائع إلى الخالق سبحانه وهم الذين قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^٣ .^٤

وقد جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما يشير الى عقيدة العرب بالأصنام ، إذ مر بنا قوله " أو مشير إلى غيره " والإشارة هنا أما بالإلهية فقد قالوا: هذه الأصنام آلهتنا ﴿ وَقَالُوا أَلَّهِتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾^٥ ، وأما بالعبادة ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ . وفي إشارة أخرى يقول عليه السلام: " أو ملحد في اسمه " ومعنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد . وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء^٦ . وألحد في دين الله: إذا عدل عنه ، وملحد من مادة " لحد " على وزن وزن مهد، بمعنى الحفرة الواقعة على جانب ، ومن هنا أطلق على مثل هذه الحفرة اسم اللحد، كما اطلق الإلحاد على كل عمل يخرج عن حالة الاعتدال ويجنح نحو الإفراط والتفريط ومن هنا نعتت الوثنية بالشرك والإلحاد . وقيل الإلحاد: ضربان: الشرك بالله ، والشرك بالأسباب ، فالأول ينافي الإيمان ويبطله

١- دغيم : أديان ومعتقدات العرب : ص 90.

٢- دغيم: أديان ومعتقدات العرب :ص 91.

٣- سورة الزمر آية 3 .

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 1 / 119 .

٥- سورة الزخرف آية 58 .

٦- ابن الأثير: النهاية: 4 / 236. ابن منظور : لسان العرب : 3 / 389.

، والثاني يوهن عراه ويعطله^١ وأما قوله ﷺ : " أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ "، فهو عينه ما أشارت الهمزة الآية الكريمة ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^٢ ، أي يميلون عن صفاته إلى غير ما وصف به نفسه ، فيدعون له الشريك والصاحبة والولد .^٣ ومنهم من فسر الملحدين في أسماء الله بالكاذبين في أسمائه ، وعلى هذا كل من سمي الله بما لم يسم به نفسه ، ولم ينطق به كتاب ، ولا ورد فيه إذن شرعي فهو ملحد في أسمائه^٤ .

والمقصود من الإلحاد في أسماء الله هو أن نحرف ألفاظها أو مفاهيمها فنصفه بصفات لا تليق بساحته المقدسة ، كما يصفه النصارى بالتثليث " الله والابن وروح القدس " ، أو أن نطبق صفاته على المخلوقين ، كما فعل ذلك المشركون وعبدة الأوثان ، إذ اشتقوا لأصنامهم أسماء من أسماء الله ، فسموها اللات والعزى ومناة وغيرها ، فهذه الأسماء مشتقة من الله والعزى والمنان على التوالي ، أو أنهم حرفوا صفاته حتى شبهوه بالمخلوقات أو عطلوا صفاته وما إلى ذلك^٥ .

القسم الثاني: العرب غير المعطلة : وهم الذين يطلق عليهم لفظ المتألهون^٦ . قالت العرب فلان

يتأله : أي يتعبد ، وهو عابد متأله^٧ ، ويقصد بهم أصحاب الورع والتحرج عن القبائح وقد كانوا قلة ، ومنهم عبد المطلب وولديه عبد الله وأبي طالب^٨ .

والمتألهون يقرون بالخالق والبعث، وان الله يثيب المطيع، ويعاقب العاصي، وأشار الشهرستاني^٩ إلى هؤلاء الموحدين، فقد قال: ومن العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع.

١- الطريحي: مجمع البحرين: 4 / 112.

٢- نهج البلاغة : ص 21 .

٣- سورة الأعراف آية 180.

٤- الطريحي: مجمع البحرين : 4 / 111.

٥- الطبري : جامع البيان : 9 / 179 . ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 357/1 .

٦- ناصر مكارم الشيرازي : الأمتل : 5 / 305.

٧- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 1 / 120. ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1 / 152 .

٨- الزمخشري : أساس البلاغة : 18 .

٩- النصر الله : شرح نهج البلاغة : ص 109 .

١٠- الملل والنحل : ص 394 . وينظر: المسعودي : مروج الذهب : 1 / 78 - 91.

وقد صنّف علماء العرب إلى عدة طوائف تحت مسمى (العرب المحصلة) منهم : العارفون بالأنساب ، ومفسرو الأحلام ، ومتخصصون في علم الأنواء (نوع من التنجيم المشوب بالخرافات) ، والكهنة الذين يوحون إلى الناس بأنهم يخبرون عن مغيبات المستقبل. أما من غير العرب كان البراهمة الذين عاشوا في الهند ينكرون الأديان كافة ولا يؤمنون سوى بالأحكام العقلية وطائفة أخرى من عبدة الكواكب كما في عبدة الشمس والقمر التي تمثل نوعا من الوثنية^١.

والى جانب هذه الطوائف هناك اليهود والنصارى والصابئة والمجوس ، وقد شهدت كل طائفة منهم انحرافا عقائديا ، فالمجوس قالت بإله الخير والشر. وقد انطوت المجوسية - التي قد تكون في بدايتها منسوبة الى بعض الأنبياء - على خرافات جمّة حتى ذهب بعض المحققين إلى أنهم يعتقدون بإله الخير ، وإله الشر اللذين تقاطعا حتى تدخلت الملائكة ، فأصلحت ذات بينهما بشرط تفويض العالم السفلي لإله الشر مدة سبعة آلاف سنة ، ويفوض العالم العلوي لإله الخير^٢.

فيما ابتليت النصرانية بالتثليث ، وقد حرّفت اليهود كتاب التوراة وشحنته بالانحرافات والخرافات . وقد كان الغالب على هذه الطوائف دين التشبيه ومذهب التجسيم وهم الذين عنى بهم الإمام عليه السلام بقوله: " **بَيْنَ مُشَبَّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ** " ^٣ ، إن شبه وشبه لغتان بمعنى ، يقال هذا شبهه ، أي شبيهه . وبينهما شبه بالتحريك ، والجمع مشابه على غير قياس ^٤ . وذكر ابن منظور: شبه : الشبه والشبه والشبيه : المثل ، والجمع أشباه . وأشبه الشيء بالشيء : مثله^٥ . والمشبه من قال بان الله تعالى بصفة الجسم في الحصول الحصول في الحيز والأعضاء والجوارح ، أو بصفة العرض في الحلول ^٦ . وهذه مقالة اليهود والنصارى والصابئة والمجوس ، وقد كانت أديانهم اضمحلت من أيديهم ، وإنما بقوا متشبهين بأهل الملل ، وغلب عليهم القول بالتجسيم ، كما حكى القرآن الكريم عنهم ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ** ﴾ ^٧ و ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ**

١- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 356 . ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1 / 152 .

٢- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 355 .

٣- نهج البلاغة : ص 21 .

٤- الجوهرى : الصحاح : 6 / 2236 .

٥- لسان العرب : 13 / 503 .

٦- الحسيني : الديباج الوضي : ص 167 .

٧- سورة المائدة آية 18 .

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ
وُلُعُنُوا بِمَا قَالُوا ۚ ﴾ ٢ .

وكان في العرب مشبهة ومجسمة سموا بذلك ؛ لأنهم شبهوا الله بخلقه إذ جعلوا له يدا ورجلا وعينا ،
ومنهم أمية بن أبي الصلت إذ روي عنه إنه أنشد قائلا :

من فوق عرش جالس قد حط
رجليه إلى كرسيه المنصوب^٤

وبهذا يكون الإمام ﷺ أوجز جميع هذه الطوائف في ثلاث:

الأولى: المشبهة: التي جعلت لله شريكا كالمجوس والنصارى أو أولئك الذين يجعلون لله صفات

المخلوقين كاليهود.

الثانية: أولئك الذين عدلوا باسمه إلى غيره كأغلب الوثنيي الذين سمو أوثانهم بأسماء الله فجعلوهم

شفعاءهم عند الله .

الثالثة: أولئك الذين عبدوا غير الله كالدهرية وعبدة الأصنام والكواكب و الشمس والقمر التي ترى

الأصالة للكواكب والأصنام أي تراها هي الله^٥.

وقد ترجمت كلمات الإمام ﷺ كما أسلفنا حالة الصراع التي كانت بين هذه الملل والطوائف المختلفة

" وتنازع من الألسن " بحيث جعلت الاضطراب العقائدي سمة بارزة من سمات ذلك العصر ، وغلب

الجهل والحيرة والفتن على المجتمع ف " لَاعَلَمَ قَائِمٌ ، وَ لَامَنَارٌ سَاطِعٌ ، وَلَا مَنَهَجٌ وَاضِحٌ " ٦ إذ الناس "

يَضْرِبُونَ فِي عَمْرَةٍ ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةُ الْحَيْنِ ، وَاسْتَعْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرِّينِ " ٧

٧ وبهذا يظهر سبب ما نعت به الإمام أمير المؤمنين ﷺ معتقد ذلك العصر بـ " شَرِّ دِينٍ " ٨ .

١- سورة التوبة آية 30 .

٢- سورة المائدة آية 64 .

٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 1 / 354 - 355 . ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية: 1 / 153

٤- ديوانه ص164، ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة: 1 / 119 .

٥- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1 / 153.

٦- نهج البلاغة : ص 420 .

٧- نهج البلاغة : ص 380 - 381.

٨- نهج البلاغة ص 56 .

الفصل الثالث

النبوة في نبي البليغة الوظائف - العلامات - السمات

تمهيد : مفهوم النبوة وضوابطها

المبحث الاول : وظائف النبوة

المبحث الثاني : علامات النبوة

المبحث الثالث : سمات النبي الاعظم عليه السلام

وسجاياه الخلقية

الفصل الثالث

النبوة في نهج البلاغة

الوظائف – العلامات – السمات

تمهيداً

مفهوم النبوة وضرورتها:

النبى لغة: مأخوذ من نبا ينبو فهو اسم من النبوة ، وهى الارض المرتفعة ، او من نبى ، فهو اسم من النبأ وهو الخبر ، ولعله مأخوذ من الاتنين من النبأ والانباء ، ويقرى بلا همزة تخفيفاً^١ .

اما **اصطلاحاً:** النبى هو الانسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة احد من البشر^٢ . إنه شخص من البشر ومن الناس انفسهم ، يجتبيه الله تعالى على سائر بني نوعه ، ويختصه بهدايته وعنايته ، فيوحى اليه ، او يحدثه من وراء حجاب ، او يرسل اليه ملكا يكلمه . وهذه هي طرق الوحي التي يحصل بها الاتصال بالله تعالى ، ويتلقى عبرها المعارف الحقة التي فيها السعادة ، وفي خلافها الشقاء والضلال^٣ .

وقد اشار اليها القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^٤ .

-
- ١- ينظر: الزمخشري: الفايق : 274/3. ابن سيدة : المخصص: 321/3/3. الطبرسي: مجمع البيان: 234/1. أبو المعالي القونوي: الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص : ص263. ابن منظور: لسان العرب : 303/15.
 - ٢- الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص 244 . العلامة الحلي: الباب الحادي عشر: ص 85 . المقداد السيوري : النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: ص333 .
 - ٣- العاملي: بداية المعرفة : ص195. مرتضى العسكري: المصطلحات الاسلامية : ص63.
 - ٤- سورة الشورى الآية 51.

يُجد المتأمل في نهج البلاغة تركيزاً واضحاً من قبل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على مسألة " النبوة " ، ويمكن ان يلاحظ على ما جاء في كلامه عليه السلام :

اولاً : أنه عليه السلام تناول مفهوم النبوة على مستويين ، المستوى العام والخاص ، فتارة يتحدث عن النبوة كحركة أو تيار واحد من جهة أن الانبياء كلهم مصطفون من الله سبحانه ومبعوثون من قبله ، وأن أساس دعوتهم التوحيد، وأن أهداف بعثتهم واحدة . وكلهم جاء بشريعة سماوية أو دعا إليها لإنقاذ الناس، وتحقيق سعادتهم، وإن كان محتوى دعواتهم ينبغي ان يتغير بتقدم الزمن، إلا أن الاصول والنتائج تبقى على حالها. وهذا ما أشار إليه الامام عليه السلام بشكل عام عن النبوة في مظان كلامه المتناثر في خطبه وكلماته الشريفة .

وتارة نجده يخص بالذكر بعض الانبياء، وان كان بإيجاز كحديثه عن النبي آدم عليه السلام وصفة خلقه ^١ ، وعلة خلقه من تراب ^٢ ، واصطفاء الانبياء من ذريته ^٣ ، وقصته مع ابليس ^٤ ، وكذلك حديثه عن نبي الله

١- وذلك في قوله عليه السلام : " ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا ، تُرْبَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ ، وَلَاطَهَا بِالْبَلْبَةِ حَتَّى لَزِبَتْ ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَعْخَاءٍ وَوُصُولٍ وَأَعْضَاءٍ ، وَفُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ لَوْقَتٍ مَعْدُودٍ وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ ، فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا ، وَفِكْرٍ يَنْصَرِفُ بِهَا وَجَوَارِحٍ يَخْتَدِمُهَا ، وَأَدْوَاتٍ يُقَلِّبُهَا وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَالْأَذْوَقِ وَالْمَشَامِّ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ ، مَعْجُونًا بِطَبِئَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَالْبَلْبَةِ وَالْجُمُودِ...".
نهج البلاغة : ص 17- 19.

٢- كما في قوله عليه السلام : " وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ ، يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَيُبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤَاؤُهُ ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَطَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاصِعَةً ، وَلَخَفَّتِ الْبُلُوى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ ، تَمْيِيزًا بِالِاخْتِيَارِ لَهُمْ وَتَفْيِيزًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَادًا لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ " نهج البلاغة : ص 385 - 386 .

٣- واصطفى سُبْحَانَهُ مِنْ وُلْدِهِ أَنْبِيَاءَ... " . نهج البلاغة : ص 19 .

٤- منها قوله عليه السلام : " وَاسْتَأْذَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدَبِعَتْهُ لَدَيْهِمْ ، وَعَهَدَ وَصِيَّتَهُ إِلَيْهِمْ فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَالْخُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ ، اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ ، وَعَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ ، وَتَعَرَّرَ بِخَلْقَةِ النَّارِ وَاسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ ، وَاسْتَيْتَمَامًا لِلْبَلْبَةِ وَإِنْجَازًا لِلْعِدَّةِ ، فَقَالَ * (فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) * ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا ، عَيْشَهُ وَأَمَّنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ وَحَدَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ ، فَأَعْتَرَهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ ، وَمُرَافَقَةَ الْأَبْرَارِ ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشُكِّهِ وَالْعَرِيْمَةَ بِوَهْنِهِ ، وَاسْتَبَدَلَ بِالْجَدَلِ وَجَلًّا وَبِالْإِعْتِرَارِ نَدْمًا ، ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ ، وَلَقَاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلْبَةِ

داود عليه السلام وزهده وطبيعة عمله وعبادته ، وأنه قارئ أهل الجنة ^١ . وورد ذكر النبي سليمان عليه السلام إذ تحدث الامام عن نبوته ، وعظيم زلفته ، وطول عمره ، وسعة سلطانه ، وتسخير الجن والانس له ^٢ .

اما نبي الله موسى عليه السلام فقد تطرق لبعض احواله بتعدد الاشارات الى ذكره . في اكثر من موضع من كلامه عليه السلام ، فقد تحدث عن زهده وتواضعه وصفاته الجسمانية ولباسه ، وبضعة تفصيلات حول لقاءه هو وأخوه هارون عليهما السلام مع فرعون ، فضلاً عن تأويل بعض الآيات الخاصة بموقف النبي موسى

وتسأل الدرزي " نهج البلاغة : ص 18-19 . وايضا قوله عليه السلام : " ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ ، لِيَمَيِّرَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ * (اِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فَاِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ اِلَّا اِبْلِيسَ) * ، اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه ، وتعصب عليه لأصله " . نهج البلاغة : ص 385 . وفي اشارة اخرى : " اَمَّا اِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقِهِ ، فَقَالَ اَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِي " نهج البلاغة : ص 398 .

١- وذلك في قوله عليه السلام : " وَإِنْ شِئْتَ تَلْتَنُتُ بِدَاوُدَ - صلى الله عليه وسلم - ، صَاحِبِ الْمَرَامِيرِ ، وَقَارِيِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَقَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ لِجَلْسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بِنِعْمَتِي ، وَيَأْكُلُ فُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ تَمْنِيهَا " نهج البلاغة : ص 297 - 298 . " إِنَّ دَاوُدَ عليه السلام قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَقَالَ إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ اِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ ، اِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَارًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ شُرْطِيًّا ، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ وَهِيَ الطُّنْبُورُ أَوْ صَاحِبَ كُوْبَةٍ وَهِيَ الطُّبْلُ ، وَقَدْ قِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْعَرْطَبَةَ الطُّبْلُ ، وَالْكُوْبَةُ الطُّنْبُورُ " نهج البلاغة : ص 673 .

٢- وذلك في قوله عليه السلام : " فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبِقَاءِ سُلْمًا أَوْ لِدْفِعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا ، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عليه السلام الَّذِي سَحَّرَ لَهُ مَلِكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، مَعَ النَّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الرَّؤْفَةِ ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طَعْمَتَهُ وَاسْتَكْمَلَ مَدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةٌ وَوَرِثَتَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ " نهج البلاغة : ص 352 .

عليه السلام^١. وكذلك نجد ذكر النبي عيسى عليه السلام وبضعة اشارات عن كيفية معيشته وبعض احواله الاجتماعية ومظاهر زهده عليه السلام^٢.

كما انه وبما يتصل بموضوع نبوة الانبياء تحدث عن بعض اقوامهم في اشارة موجزة لكنها مركزة؛ كحديثه عن ثمود قوم صالح، وبنو اسماعيل، وبنو اسحاق، وبنو اسرائيل، والفرعنة، والعمالقة، وأصحاب الرس، والمؤمنين الذين اتخذهم الفرعنة عبيداً واليهود. وهذا الذكر منه لهذه الاقوام كان على سبيل الوعظ والتذكير والاعتبار بما أصابهم بغية تجنب العوامل التي ادت الى انحطاطهم ووقوع البلاء فيهم^٣.

١- قال في موضع : " وَإِنْ شِئْتَ تَثْبِثُ بِمُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم ، حَيْثُ يَقُولُ ، * (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) * ، وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ حُضْرَةُ النَّبْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ ، لِهَزَالِهِ وَتَشَدُّبِ لَحْمِهِ " نهج البلاغة : ص 297 . وفي موضع ثان قال عليه السلام : " وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بَنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ ، وَيَأْبِيئِهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ ، بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامِ عَرِهِ ، فَقَالَ أَلَا تَعْلَمُونَ مِنْ هَذَيْنِ بَشْرِيَّانِ لِي دَوَامَ الْعُرِّ ، وَبِقَاءِ الْمُلْكِ ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا أَلْقَيْتَ عَلَيْهِمَا أُسَاوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ ، إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعَهُ ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَنُبْسِهِ " نهج البلاغة : ص 393 . وفي قول ثالث : " الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا ، بَلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدْوَابَ وَلَا نُطْقَ وَلَا لَهَوَاتٍ " نهج البلاغة : ص 351 . وجاء في كلام له : " لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ خَيْفَةٌ عَلَى نَفْسِهِ ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الْجُهَالِ وَدُولِ الصَّلَالِ " نهج البلاغة : ص 33 .

٢- يقول عليه السلام : " وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ وَيَأْكُلُ الْجَشِيبَ ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَسِرَّاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ ، وَظِلَّالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِيهَا ، وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانُهُ مَا تَثْبِثُ الْأَرْضُ لِلْبُهَائِمِ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَقْتِنُهُ وَلَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ ، وَلَا مَالٌ يَلْفَنُهُ وَلَا طَمَعٌ يَدُلُّهُ ، دَابَّتُهُ رَجُلَاهُ وَخَادِمُهُ يَدَاهُ " نهج البلاغة : ص 298 . وفي موضع ثاني : قال في مدح الزاهدين السائرين على نهج المسيح عليه السلام : " طَوَّبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا ، الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا ، وَتَرَابَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طَيِّبًا ، وَالْقُرْآنَ شِعَارًا وَالذُّعَاءَ دِنَارًا ، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ " . نهج البلاغة : ص 672-673 .

٣- جاء الحديث عن هؤلاء الاقوام ودعوة الامام عليه السلام للاعتبار بحالهم في عدة مواضع منها : - " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً ، أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ ، أَيْنَ أَصْحَابِ مَدَائِنِ الرِّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ ، وَأَطْفَنُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ ، أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجَبُوشِ وَهَرَمُوا بِالْأُلُوفِ ، وَعَسَّكُرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ " نهج البلاغة : ص 352 .

- " فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَّةَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ " . نهج البلاغة : ص 391 - 392 . وقد جاءت متفقة في سننها تاريخيا مع ما ذكره القرآن ينظر مثلا : موسى نصار : الطغاة وسنن التاريخ في ضوء القرآن : ص 231-255 .

اما حديثه عن النبي الخاتم ﷺ فقد جاء بشكل أكثر تركيز وخصوصية كما يتبين من مفاصل هذه الاطروحة التي اختصت بتناول المادة الواردة في نهج البلاغة عن النبي محمد ﷺ وكيف عكست لنا رؤية الامام لشخص النبي الاعظم ﷺ.

ان طبيعة المادة المختصة بالنبوة وتوافرها بمستوى عام وخاص في نصوص النهج، فرض علينا - في حال غياب النص الصريح المختص بالنبي ﷺ - تطبيق بعض الاشارات العامة عن الانبياء على خصوص النبي ﷺ، وذلك لانسجام دعوتهم جميعاً ووحدة وظائفهم وسماتهم عدا بعض المزايا التي اختص بها ﷺ كونه خاتماً للانبياء ومهيماً عليهم وغيرها مما سنذكره في محله.

ثانياً: نلاحظ أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نعت النبي ﷺ بأوصاف عدة في معرض حديثه عن النبي ﷺ، فتارة يقول عنه " نبي " ¹، وتارة " رسول " ²، فضلاً عن النعوت الاخرى من قبيل " البشير" ³، و" النذير " ⁴، و" الشاهد" ⁵، و" الامي " ⁶، و" عبد الله " ⁷، و" الامين " ⁸، و" الصفي " ⁹،

"⁹،

-
- 1- نهج البلاغة : ص 150 ، 187 ، 244 ، 407 ، 502 ، 596 .
- 2- نهج البلاغة : ص 92 ، 102 ، 107 ، 108 ، 185 ، 198 ، 211 ، 238 ، 275 ، 283 ، 297 ، 299 ، 300 ، 304 ، 328 ، 333 ، 342 ، 361 ، 376 ، 380 ، 402 ، 405 ، 406 ، 407 ، 408 ، 417 ، 422 ، 433 ، 439 ، 441 ، 442 ، 443 ، 447 ، 486 ، 527 ، 527 ، 576 ، 610 .
- 3- نهج البلاغة : ص 193 ، 329 .
- 4- نهج البلاغة : ص 56 ، 194 ، 329 ، 626 .
- 5- نهج البلاغة : ص 108 ، 193 ، 198 ، 225 ، 626 .
- 6- نهج البلاغة : ص 187 .
- 7- ان صفة العبد هي أرقى وسام وأعلى مرتبة ينالها الانسان في معراج تكامله المعنوي وقد منح القرآن هذا اللقب للرسول ﷺ في عدة مواضع من القرآن الكريم، ينظر مثلاً سورة الجن آية 18 - 19 وأيضاً الكهف آية 1، أما في نهج البلاغة: ص 106 ، 185 ، 275 ، 342 ، 361 ، 376 ، 380 ، 417 ، 447 .
- 8- نهج البلاغة : ص 56 ، 108 ، 185 ، 198 ، 329 ، 361 .
- 9- نهج البلاغة : ص 361 .

و"الرضي" ^١ ، و"الامام" ^٢ ، و"الرشيد" ^٣ ، و"النقيب" ^٤ ، و"المصطفى" ^٥ ، و"الخاتم" ^٦ ، و"والمجتبى" ^٧ ، و"الاطيب" ^٨ ، و"الاطهر" ^٩ ، و"الامين" ^{١٠} ، و"المأمون" ^{١١} الى غيرها من تلك تلك الصفات التي تارة تأتي منفردة ، وأخرى مترادفة مع عبارة ما ، لتؤدي معناها بشكل أوفى ^{١٢} .

في اشارة واضحة وردت في كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام يقول فيها : " وَلَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَبَّةٍ قَائِمَةٍ " ^{١٣} ، فوجود النبي المرسل ^{١٤} يُعد كما هو واضح من الطاف الله بعباده ، ولئلا يكون للناس على الله حجة ، و لا بد ان يكون هذا اللطف شاملا لجميع الخلائق ولا يختص بزمان دون اخر .

فالنبي المرسل في المرتبة الاولى ، اذ بعث الله رسله وجعلهم حجة له على خلقه " لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْدَارِ إِلَيْهِمْ " ^{١٥} ، وقال عليه السلام في حق النبي الخاتم صلوات الله عليه وآله : " أَرْسَلَهُ لِإِنْفَادِ أَمْرِهِ وَإِنْهَاءِ عُدْرِهِ وَتَقْدِيمِ نُذْرِهِ " ^{١٦} .

-
- ١- نهج البلاغة : ص 361 .
 - ٢- نهج البلاغة : ص 176 ، 226 .
 - ٣- نهج البلاغة : ص 185 .
 - ٤- نهج البلاغة : ص 275 .
 - ٥- نهج البلاغة : ص 342 ، 361 .
 - ٦- نهج البلاغة : ص 107 ، 251 ، 329 .
 - ٧- نهج البلاغة : ص 342 .
 - ٨- نهج البلاغة : ص 298 .
 - ٩- نهج البلاغة : ص 194 ، 298 .
 - ١٠- نهج البلاغة : ص 56 ، 108 ، 185 ، 198 ، 329 ، 361 .
 - ١١- نهج البلاغة : ص 108 ، 198 .
 - ١٢- انظر مثلا نهج البلاغة : ص 107 ، 194 ، 225 ، 329 ، 197 ، 198 .
 - ١٣- نهج البلاغة : ص 20 .
 - ١٤- والتقيد بكونه مرسلا اشارة الى انه لا بد من كونه صاحب شريعة وكتاب وذلك لا يكون الا في المرسلين ، دون الانبياء فقط ، او الانبياء في الحقيقة كانوا مروجين لشرايع المرسلين . ينظر : الخراساني : مفتاح السعادة : 1 / 371 - 372 .
 - ١٥- نهج البلاغة : ص 262 .
 - ١٦- نهج البلاغة : ص 117 .

وقد اتفق المسلمون واكثر الملل^١ على ضرورة بعثة الانبياء الى الناس ، بمعنى ان حكمة الله تقتضي ارسال الرسل لهداية البشر وارشادهم الى مسالك السعادة ، وتجنبيهم مهاري الضلال والشقاء^٢.

لكن ما الادلة على ذلك؟

الدليل الأول: حكمته تعالى وتنزهه عن العبث واللغو في فعله.

لو لم يرسل الانبياء الى الناس حاملين نظم الحياة الاجتماعية الصحيحة ، ومبينين لهم سبل العبادات المقربة اليه تعالى ، لاضمحل المجتمع الانساني ، وفضل البشر في متهاتات الشرك والفساد ، وهذا مبطل لغرضه تعالى من الخلق ، ومستلزم للغو والعبث في فعله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

الدليل الثاني: النبوة طريق الى سعادة الآخرة .

إن الهدف من خلق الإنسان تحليه بالكمالات المعنوية ، وتهذيب النفس وتطهيرها من الشوائب ، لبلوغ أعلى درجات القرب من الله تعالى ، ونيل السعادة الأبدية ، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^٣ ، وهذا لا ينال إلا بالوقوف على المعارف الحقّة ، وطرق الأعمال العبادية الصالحة ، ومدارج نبذ التعلق بالأغراض الدنيوية الزائلة ، فلا بد حينئذ تحقيقا لحكمة الله تعالى في خلق البشر من إرسال شخص ، لم يحصل له ذلك التعلق المانع ، فيعلمهم المعارف الحقّة ، ويزيل عنهم ما علق من شبهات في عقولهم ، ويعضد ما اهتدت إليه عقولهم بهدي الله وفطرته التي فطر الناس عليها ، ويبين لهم مالم يهتدوا إليه ، ويذكرهم بالنعيم الموعود ، ويحذرهم من العقاب وسوء المآل^٤ . وهذا ما ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام مما نصطح على تسميته (وظائف الأنبياء).

١- ما عدا البراهمة والاشاعرة ، أما البراهمة : فانكروا النبوات ضرورة وحسنا ، واما الاشاعرة فأنكروا ضرورتها ، ولكن لم ينكروا حسن البعثة . الطوسي : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص 245- 249. المقداد السيوري: النافع يوم الحشر: ص 333 . العاملي: بداية المعرفة : ص 197، 203 - 206 .

٢- العاملي: بداية المعرفة : ص 197. وعن فلسفة النبوة ينظر: السيد محمد باقر الصدر: المرسل، الرسول، الرسالة : ص 59 - 61 .

٣- سورة الذاريات الآية 56 .

٤- لمزيد من التفاصيل ينظر: المقداد السيوري : النافع يوم الحشر: ص 333 - 335 . الشيرازي: المقدمة العقائدية: ص 14- 15. حسن مكي العاملي: بداية المعرفة : ص 197 - 201 . طارق محمد علي: عقائدنا (الحلقة الاولى والثانية) : ص 66 - 71.

البحث الأول

وظائف النبوة

يمكن أن نستشف من كلام أمير المؤمنين عليه السلام مجموع الوظائف التي انيطت بالأنبياء والرسل عليهم السلام:

أولاً: إداء ميثاق الفطره الإلهية¹:

هنا الأنبياء طالبوا بأداء ميثاق الفطرة ، وهو ميثاق التوحيد ، إذ يقول الله سبحانه : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾² . فالدين والتوحيد له وجود نقي خالص من كل شائبة داخل نفس الإنسان ، وأما الانحرافات فأمر عارض ، ووظيفة الأنبياء إزالة هذه الأمور العارضة ، وفسح المجال لفطرة الإنسان في الإشراق³ . ويشهد بذلك أنه لما سئل الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن هذه الآية ، قال : " فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته انه ربهم " ⁴ . وفي رواية أنه سئل الإمام الصادق عليه السلام ، فقال : " هي الإسلام ، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ، فقال : ألسنت بربكم؟ وفيهم المؤمن والكافر " ⁵ .

وما عبر عنه الإمام هنا وفي مواضع أخرى من خطب وتوجيهاً هو تعبير عن حقيقة كبرى من الحقائق القرآنية ، ورد التنبيه عليها أو الإشارة إليها في عدة آيات ، منها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾⁶ .

١- إشارة لقوله عليه السلام : " لَيْسَتْ أَدْوَاهُهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ " . نهج البلاغة : ص 20 .

٢- سورة الروم الآية 30 .

٣- ناصر مكارم الشيرازي : الأمتل : 12 / 380 .

٤- ينظر : الصدوق : التوحيد : ص 330 . ابن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات : ص 160 . الفيض الكاشاني : التفسير الأصفى : 959/2 ، 132/4 . البحراني : البرهان في تفسير القرآن : 344/4 . المجلسي : البحار : 44 / 64 .
نعمة الله الجزائري : نور البراهين : 214/2 .

٥- الكليني : الكافي : 12/2 . الفيض الكاشاني : الوافي : 58/4 . الحر العاملي : الفصول المهمة : 423/1 . المجلسي : مرآة العقول : 56/7 . الحويزي : نور الثقلين : 95/2 . المشهدي : كنز الدقائق : ص 233 .

٦- سورة الأعراف الآية 172-173 .

ويذهب باحث معاصر الى ان نفس الإنسان خلقت صحيفة بيضاء لا شيء فيها ، ولا توحى بشيء على الإطلاق ، ولكنها تقبل كل ما يكتب فيها ويرسم ، سواء أكان وحيا من الرحمن أم كان تضليلا من الشيطان ، وبالبداهة إن الوحي من خالق الفطرة ، وهو وحده الذي يجب أن يرسم فيها ما يرسم ، وأن تؤمن به وتعمل¹ .

ويضيف قائلا : ويدلنا على صحة هذا التفسير إن الإنسان يولد ، ولا يولد معه شيء إلا حواسه الخمس ، ومعدة تطلب الطعام والشراب - لما هو مشاهد - بالحس والوجدان ، ثم يكتسب معارفه مما يحيط به شيئا فشيئا عن طريق هذه الحواس ، وفي أقوال أهل البيت ما يعزز ذلك ويدل عليه ، إذ روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : كان الناس قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله ، لا مهتدين ولا ضالين ، فبعث الله النبيين² . وبهذا فالمراد من قول الإمام عليه السلام : " لَيْسَتْ أَدْوَهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ " أي إن الأنبياء طلبوا من الناس أن يؤمنوا ، ويعملوا بما أوحاه الله سبحانه إلى الفطرة على لسان أنبيائه ، وليس معناه - كما يظن - إن الأنبياء طلبوا من الناس أن يؤمنوا بما توحىه الفطرة نفسها . كلا ، لأنها صحيفة بيضاء لا توحى بشيء على الإطلاق³ .

أشار عليه السلام إلى السبب الرئيس الذي استوجب بعثة الأنبياء ، فقال عليه السلام : " لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْفِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ، فَجَهَلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ " ⁴ .

إذن هناك عهد لله قد تبدل ، وحق لله قد جهل من المخلوقين ، مما أدى بهم في أودية الشرك والضلال ، وتلقفتهم الشياطين ، فصدتهم عن معرفة الله وطاعته ، أما عن ماهية هذا العهد ، فيظهر إن المراد به ميثاق عالم الذر والمشار إليه في الآية القرآنية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾⁵ . ويظهر إن المراد من هذا العالم وهذا العهد هو عالم الاستعداد والكفاءات ، وعهد الفطرة والتكوين والخلق ، فعند خروج أبناء آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام الأمهات ، وهم نطف لا تعدو الذرات الصغار وهبهم الله الاستعداد لتقبل الحقيقة التوحيدية ، وأودع ذلك السر الإلهي في ذاتهم وفطرتهم بصورة إحساس

١- مغنية: في ظلال نهج البلاغة : 1 / 58 - 59 .

٢- المشهدي: كنز الدقائق 2 / 317 . مغنية: الكاشف : 317/1 . لمزيد من التفاصيل عن المراد بالآية ينظر المحمداوي

: الاسلام قبل البعثة المحمدية : ص 21 - 80 .

٣- مغنية: في ظلال نهج البلاغة : 1 / 59 .

٤- نهج البلاغة : ص 19-20 .

٥- سورة الأعراف الآية 172 .

داخلي ، كما أودعه في عقولهم وأفكارهم بشكل حقيقة واعية بنفسها . و بناءً على هذا ، فإن جميع أبناء البشر يحملون روح التوحيد ، وما أخذه الله من عهد منهم أو سؤاله إياهم : ألسنت بركم ؟ بلسان التكوين والخلق ، وما أجابوه كان باللسان ذاته ¹ !

إن هذا العهد هو "عهد فطري" ، وهو ما يعبر عنه علماء النفس بـ "الشعور الديني" الذي هو من الإحساسات الأصيلة في العقل الباطني للإنسان . وهذا الإحساس يقود الإنسان على امتداد التاريخ البشري إلى طريق معرفة الله ﴿ فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾² . ولما كان الغالب على الخلق حب الدنيا ، والإعراض عن مقتضى الفطرة الأصيلة التي فطرهم الله عليها ، والالتفاف عن القبلة الحقيقية التي أمروا بالتوجه إليها ، وذلك بحسب ما ركب فيهم من القوى البدنية المتنازعة إلى كمالاتها ، لا جرم كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص أن يبذل أكثرهم عهد الله سبحانه إليهم من الدوام على عبادته والاستقامة على صراطه المستقيم وعدم الانقياد لعبادة الشيطان كما قال سبحانه ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾³ . وإن جهلوا حقه للغفلة بحاضر لذاتهم عما يستحقه من دوام الشكر ، وأن يتخذوا الأنداد معه لنسيانهم العهد القديم ، وإن تجذبهم الشياطين عن معرفته التي هي ألد ثمار الجنة ، وإن تقتطعهم عن عبادته التي هي المرقاة إلى اقتطاف تلك الثمرة . ولما كان من شأنهم ذلك وجب في الحكمة الإلهية أن يختص صنفاً منهم بـ الكمالات الشريفة التي يقتدر معه أبناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبة ، وعلى تكميل الناقصين ممن دونهم ، وهم صنف الأنبياء عليهم السلام ، والغاية منهم ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام : ليستأدوهم ميثاق الله فطرته ، أي ليعثوهم على أداء ما خلقوا لأجله وفطروا عليه من الإقرار بالعبودية لله ، ويجذبوهم عما التفتوا إليه من إتباع الشهوات الباطنة واقتناء اللذات الوهمية الزائلة⁴ .

يبدو من كلام أمير المؤمنين عليه السلام إن العهد التاريخي للإنسانية بدأ بظاهرة وجود النبوات في المجتمع البشري ، هذه النبوات التي تقود مجتمعاتها نحو حياة أفضل ، ووجود إنسان أكمل⁵ . إذ يشير عليه السلام في معرض حديثه عن قصة آدم " ... وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبُلِيَّةِ وَتَنَاسَلِ الدُّرِّيَّةِ ، وَاصْطَفَى سُبْحَانَهِ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ،

١- ناصر مكارم الشيرازي : الأمتل : 5 / 196 .

٢- سورة الروم الآية 30 .

٣- ناصر مكارم الشيرازي : الأمتل : 5 / 197 - 198 .

٤- سورة يس الآية 60 .

٥- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 349 - 350 .

٦- شمس الدين : حركة التاريخ : ص 72 .

فَجَهَلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ ، وَاقْتَطَعَتْهُمُ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ... " ١

هذا النص يوقفنا على عدة نقاط ستبحث في محلها ، لكن الذي يهمنا هنا إشارته ﷺ الى كيفية بدء ظاهرة النبوة وإرسال الرسل ، ولو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا في آياته ما يشير إلى هذا المعنى، إذ يقول تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٢ .

فالآية تبين السبب في تشريع أصل الدين وتكليف النوع الإنساني به ، وسبب وقوع الاختلاف فيه ببيان: إن الإنسان- وهو نوع مفطور على الاجتماع ، والتعاون- كان أول اجتماعه امة واحدة ، ثم ظهر فيه بحسب الفطرة الاختلاف في اقتناء المزايا الحيوية ، فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطارئة ، والمشاجرات في لوازم الحياة، فألبست القوانين الموضوعية لباس الدين ، وشفعت بالتبشير والإنذار بالثواب والعقاب ، وأصلحت بالعبادات المنوذية إليها ببعث النبيين ، وإرسال المرسلين ، ثم اختلفوا في معارف الدين أو أمور المبدأ والمعاد ، فاختلف بذلك أمر الوحدة الدينية ، وظهرت الشعوب والأحزاب ، وتبع ذلك الاختلاف في غيره ، ولم يكن هذا الاختلاف الثاني إلا بغيا من الذين أوتوا الكتاب ، وظلما وعتوا منهم بعدما تبين لهم أصوله ومعارفه ، وتمت عليهم الحجة ، فالاختلاف اختلافان: اختلاف في أمر الدين مستند إلى بغى الباغين دون فطرتهم وغريزتهم ، واختلاف في أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين ، ثم هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحق المختلف فيه بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ٣ .

ان ظاهر الآية يدل على إن هذا النوع قد مر عليهم في حياتهم زمان كانوا على الاتحاد والاتفاق ، وعلى السذاجة والبساطة لا اختلاف بينهم بالمشاجرة والمدافعة في أمور الحياة ، ولا اختلاف في المذاهب والآراء ، وما يدل على نفي الاختلاف قوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ٤ ، فقد رتب بعثة الأنبياء وحكم الكتاب في مورد الاختلاف على كونهم امة واحدة ، فالاختلاف في أمور الحياة ناشئ بعد الاتحاد والوحدة ، والدليل على

١- نهج البلاغة : ص19-20 .

٢- سورة البقرة الآية 213 .

٣- الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن : 2 / 104 .

٤- سورة البقرة الآية 213 .

نفي الاختلاف الثاني قوله تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا ﴾^١ ، فالاختلاف في الدين إنما نشأ من قبل حملة الكتاب بعد إنزاله بغياً^٢ .

ثانياً: تذكيرهم بالنسي من نعم الله^٣:

هنا يقصد بالنعمة ، ما يهين الله بها على العباد في عالم الذر والميثاق ، أو لعله يقصد جميع النعم المغفول عنها ، والرأي الأول هو الظاهر نظراً إلى ظاهر لفظ النسيان^٤ . إذ إن الإنسان ينطوي على نعم مادية ومعنوية جمّة ولو استغلها كما ينبغي فإنه سيشتد صروح سعادته وفلاحه ، في حين سيفقد مثل هذه السعادة إذا ما نساها وتجاهل استعمالها واستغلالها^٥ . ثم إن هذا التذكير تارة يكون بالترغيب فيما عقده سبحانه مما أعده لأولياته الأبرار، وتارة بالترهيب مما أعده لأعدائه الظالمين من عذاب النار ، تارة بالتفكير عن خسائس هذه الدار، وبيان وجوه الاستهانة بها والاستحقار^٦ .

ثالثاً: احتجاجهم بالتبليغ^٧:

إتمام الحجة على الناس من خلال الأدلة العقلية - إلى جانب المسائل الفطرية - وإرشادهم إلى الكمال في ظل التعاليم السماوية والأوامر والأحكام الشرعية^٨ .

رابعاً: إثارتهم دفائن العقول^٩:

هذه القضية تعني بعث القوى العقلية والنفسية في الإنسان لانجاز عملية التقدم الصحيح والتغيير الايجابي في المجتمع عن طريق الحركة التاريخية المستبطنة للوعي الإيماني المستقيم^{١٠} . إذ إن الناس قد يستطيعون فهم أمور بصورة مبهمة ونصف واعية ، لكن استكمال فهمها ، والارتفاع إلى مستوى

١- سورة البقرة الآية 213 .

٢- الطباطبائي: الميزان : 2 / 116 - 117 .

٣- إشارة الى قوله ﷺ : " وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِي نِعْمَتِهِ " . نهج البلاغة : ص 20

٤- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 2 / 121 .

٥- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1 / 141 .

٦- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 1 / 350 . الأملي: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم : 2 / 306 .

٧- إشارة الى قوله ﷺ : " وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ " . نهج البلاغة : ص 20

٨- ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية : 1 / 142 .

٩- إشارة الى قوله ﷺ : " وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ " . نهج البلاغة : ص 20

١٠ . شمس الدين: حركة التاريخ: ص 80 .

الوعي التام بها يحتاج إلى مذكر يخرجهم من حالة الغفلة التي كانوا عليها ، إذ يلاحظ إن القرآن في كثير من الموارد يسمي نفسه أو سائر الكتب السماوية بأسماء يكون طابعها الذكر والتذكير ومن هذه الاسماء : الذكر^١ ، ذكرى^٢ ، تذكرة^٣ ، وهذه التسمية ناشئة من تلك الملاحظة . فعملية التذكر تعني إن إنسانا يعرف شيئا ثم نسيه أو غفل عنه أي أصبحت معرفته له نصف واعية ، ولا يؤثر العلم في انتخاب الإنسان إلا إذا التفت إليه . وقد تتحط بعض المجتمعات - نتيجة لعوامل مختلفة - لتعم الغفلة كل حياتها ، فيصاغ الجو الاجتماعي بشكل لا تكون فيه هذه المسائل مطروحة للبحث ، والطريق للناس إلى معرفتها ، ها هنا يبرز دور الأنبياء في إخراج الناس من هذه الغفلة إلى حالة الوعي^٤ .

إن استعمال كلمة (الدفائن) في كلام امير المؤمنين عليه السلام في نصه السابق إنما هو استعارة لطيفة ، فإنه لما كانت جواهر العقول ونتائج الأفكار موجودة في النفوس بالقوة فأنشبت الدفائن ، فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ، ولما كان الأنبياء هم الأصل في استخراج تلك الجواهر لإعداد النفوس لإظهارها حسنت إضافة إثارتها إليهم^٥ . إذ إن مهمة الأنبياء تكمن في أن يكشفوا للناس كنوز العلوم والمعارف الكامنة في عقولهم ، فقد أودع الله هذه العقول كنوزا عظيمة قيمة ، لو ظهرت واستغلت لشهدت العلوم والمعارف نهضة عظيمة وجبارة غير إن هذه الكنوز استترت اثر هذه الغفلة والتعاليم الفاسدة والذنوب والمعاصي والتلوث الأخلاقي ، فبعث الأنبياء لإزالة هذه الحجب وإثارة تلك الكنوز المفعمة بالعلوم والمعارف^٦ .

خامسا: يرونهم آيات المقدرة^٧ :

أي جعل الطبيعة موضوعا للبحث والتأمل ، فإن مراقبة الطبيعة لفهمها والتعامل معها واكتشافها تعزز قضية الإيمان ، لأنها تقدم مزيدا من الأدلة التجريبية على ما أدركته الفطرة السليمة من قضايا الالهوية . كذلك يعين التعامل مع الطبيعة بصورة مباشرة على انجاز عملية التقدم ، بل شرط أساسي لانجاز التقدم المادي ، وإذ تتحد قضية الإيمان في ذات الإنسان مع حركته التاريخية في الطبيعة والمجتمع فيكون

١- كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر الآية 9 .

٢- كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ . سورة الأنعام آية 90 .

٣- كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴾ سورة المدثر الآية 54 .

٤- محمد تقى مصباح: النبوة في القرآن : ص 29 .

٥- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 350 - 351 . الأملی: تفسير المحيط الأعظم : 306/2 .

٦- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1 / 142 .

٧- اشارة الى قوله عليه السلام : " وَيُرَوُّهُمْ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ " . نهج البلاغة : ص 20

تقدماً على هدى الإيمان ، وأخلاقيات الروح والعقل ، ويكون إيماناً يستجيب للحياة الدنيا ولا يقف منها موقف الرفض والعداء^١ .

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ست آيات من تلك الآيات ، وبينها بقوله : " مَنْ سَقَفَ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَأَجَالَ تَفْنِيهِمْ وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ " ^٢ .

فالأنبياء يرشدونهم إلى التأمل في آيات القدرة الإلهية من سقف فوقهم موضوع مشتمل على بدائع الصنع وغرائب الحكم ، ومهاد تحتهم موضوع فيه ينتشرون وعليه يتصرفون ، ومعائش بها يكون قوام حياتهم الدنيا ، وبلاغ لمدة بقائهم لما خلقوا له ، وأجال مقدره بها يكون فنائهم ورجوعهم إلى بارئهم ، وأعظم بالأجل آية رادعة وتقديراً جاذباً إلى الله تعالى ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله : " أكثروا من ذكر هادم اللذات " ^٣ . إلى غير ذلك من الأمراض التي تضعف قواهم وتهرمهم ، والمصائب التي تتابع عليهم ، فإن كل هذه الآثار موارد احتجاج الأنبياء على الخلق ينبهونهم بصدورها عن العزيز الجبار عز سلطانه على انه هو الملك المطلق الذي له الخلق والأمر ، ليقروا في أذهانهم صورة ما نسوه من العهد المأخوذ عليهم في الفطرة الأصلية من انه سبحانه هو الواحد الحق المتفرد باستحقاق العبادة ، والى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْكَاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ^٤ . وقوله : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ^٥ . وقوله تعالى : ﴿ وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ * وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رُجُجِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ^٦ ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه بألسنة رسله ، وتراجمة وحيه ،

١- شمس الدين: حركة التاريخ عليه السلام : ص 80.

٢- نهج البلاغة : ص 20.

٣- أبو طالب المكي: قوت القلوب : 42/2. الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام : 75/2. ابن سلامة: مسند الشهاب : 391/1. ابن عساكر: تاريخ دمشق 42/34. ابن قدامة: المغني : 302/2. ابن أبي جمهور الأحسائي: عوالي اللئالي : 247/1.

٤- سورة الأنبياء الآية 32 .

٥- سورة البقرة الآية 164 .

٦- سورة الذاريات الآيات 47 - 49 .

وجذبهم بهذه الألفاظ إلى القرب من ساحل عزته ، والوصول إلى حضرة قدسه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾^٢

سادسا: التبشير والإنذار:

من مهام الانبياء التي وردت الإشارة إليها في كلمات امير المؤمنين عليه السلام مهمة " التبشير والانذار " ، وهما من اهم م هام الانبياء والرسول وضرورتها محسوسة جدا، لما لها من آثار في تحريك رغبات الناس ببيان ألوان العذاب الالهي، وألوان النعم الالهية. وقد وردت ذكر هاتين الصفتين في اكثر من مقطع من كلامه الشريف اذ يقول عليه السلام في معرض حديثه عن النبي الاعظم عليه السلام ، " بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُغْذِرًا، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا، وَخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّرًا " ^٣ ، وقوله عليه السلام : " أَمِينٌ وَحِيه، وَخَاتَمَ رُسُلِهِ، وَبَشِيرٌ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرٌ نِقْمَتِهِ " ^٤ ، " شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا " ^٥ ، وقوله عليه السلام : " فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَمًا لِلسَّاعَةِ ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ " ^٦ ، وقوله عليه السلام : " وَأَنْذَرَكُمْ وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ " ^٧ ، وقوله : " أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُدْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُذْرِهِ " ^٨ ، وقوله : " إِنْ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ " ^٩ .

إن إشارات الامام امير المؤمنين عليه السلام في أعلاه ، وان كان قد عنى بها عليه السلام النبي عليه السلام إلا انها لا تختص به وحده ، فان الانذار والتبشير من ميزات جميع الانبياء عليهم السلام ، ومن اهم المهام المناطة بهم عليهم السلام وهذا ما نجده ماثلا في آيات الذكر الحكيم ^{١٠} .

١ - سورة إبراهيم الآية 34.

٢ - ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 351 - 352 .

٣ - نهج البلاغة : ص 210 .

٤ - نهج البلاغة : ص 329 .

٥ - نهج البلاغة : ص 193 - 194 .

٦ - نهج البلاغة : ص 300 .

٧ - نهج البلاغة : ص 137 .

٨ - نهج البلاغة : ص 117 .

٩ - نهج البلاغة : ص 56 .

١٠ - يقول الله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ البقرة 213، وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سورة سبأ 28، وقوله: ﴿ إِنَّ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ سورة ص الآية 70، وقوله: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ سورة فاطر الآية 24 .

ومع أن البشير والندبر وصفان متقارنان في الآيات اعلاه ، وفي كلمات امير المؤمنين عليه السلام ، الا ان بعض الايات تذكر النبي بعنوان انه " نذير" فحسب ، ولا نجد هذا الحال ينطبق على " البشير" ، اذ لم يرد في آيات القرآن وفي كلام الامام عليه السلام كما هو واضح اعلاه ، ذكر " البشير" وحده اطلاقا.

ولهذا سر يتعلق بالمجال النفسي والتربوي ، فهو يدل على ان الانذار اهم من التبشير في مجال التربية الانسانية ، وبعبارة اخرى فان لعامل " الخوف" تاثيرا اكبر في نفس الانسان من عامل " الامل" لا سيما اذا اردنا ايجاد تغيير في حياته لكف عن سلوكه السابق بارادته ، ويختار ما يقترحه عليه المربي ، فالانذار مؤثر اكثر من التبشير. ولعل هذه الملاحظة هي وراء ذكر القرآن " النذير" وحده صفة للمبعوث من قبل الله ، دون ان يفعل ذلك في " البشير" ^١.

وهذا ما نلمسه بوضوح ايضا في كلمات امير المؤمنين عليه السلام كما هو بين في اعلاه ، وذلك لان الامام عليه السلام سائر على نهج القرآن في أدق تفصيلاته . وقد خص عليه السلام النذرة بالذكر واختارها على البشارة اذ المقصود في هذا المقام التوبيخ للعرب وترقيق قلوبهم المشتملة على الغلظة والفضاظة، ولا ريب ان الانذار اقوى في الترقيق والردع ، وذلك لان عامة الخلق الا قليلا منهم انظارهم مقصورة على زخارف الدنيا وشهواتها غافلون عن نعم الآخرة ولذاتها ، فلا يرغبون عن النعم الحاضرة بما يبشرون بها من النعم الغائبة ، ولا يقابلون اللذائذ الموجودة بلذائذ موعودة ، لكون هذه عندهم نقدا وتلك نسيئة ، وكان السبب الاقوى في الردع والالتفاف الى الله انما هو الانذار والتخويف، فاختر كونه نذيرا على كونه بشيرا ^٢ .

وهنا ينبغي الا ننسى بان انذار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشمل كافة الكائنات الامر الذي يدل على عالمية الدين الاسلامي وخلوده، لان العالمين مفهوم واسع يشمل كافة افراد البشرية في كل عصر ومصر ^٣.

١ - مصباح : النبوة في القرآن : ص 166.

٢ - حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 3 / 315.

٣ - ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 2 / 72.

المبحث الثاني

علامات النبوة

أولاً: شرف النسب و طهارة المولد:

انبىء الله صفوة عباده وخير خلقه ، ولولا ذلك لما كلفهم بالقيام بحقه ، وقد استخلصهم من اكرم العناصر ، وامدهم بلوكد الاواصر ؛ حفظا لنسبهم من قدح ، ولمنصبهم من جرح ، لتكون النفوس لهم اوطأ ، والقلوب لهم اصفى ، فيكون الناس الى اجابتهم اسرع ، ولأوامرهم اطوع ^١ .

لقد كان من مصاديق الاجتباء الالهي لهذه الصفوة من عباده ان " استودعهم في أفضل مستودع " وهو اصلاص الآباء " و أقرهم في خير مستقر " ^٣ ، أرحام الامهات ، كما قال سبحانه ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ ^٤ . ثم استرسل عليه السلام قائلا : " تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ " ^٥ ، وتناسخ الاصلاص لهم الى مطهرات الارحام نقلهم اليها نظفا ، وكرائم الاصلاص ما كرم منها ، وحق لاصلاص سمحت بمثلهم ان توصف بالكرم . ومطهرات الارحام ما طهر منها وحق لما استعد منها لانتاج مثل هذه الامزجة وقبولها ان تكون طاهرة من كدر الفساد ^٦ .

١- الماوردي: أعلام النبوة : ص185.

٢- نهج البلاغة : ص175.

٣- نهج البلاغة : ص175 .

٤- سورة الأنعام الآية 98.

٥ - نهج البلاغة: ص 175 .

٦- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 2/ 525.

فاصول الانبياء من جهة الالباء والامهات مطهرة عن الشرك ، وعن اي دنس - وسأتي على ذلك

تفصيلاً - وقال النبي الاعظم عليه السلام : " نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية " ^١ .

وفي رواية ان احدهم سأل النبي الاعظم عليه السلام عن كيفية خلقه عليه السلام فقال: " لقد سألت عن امر جسيم ، لا يحتمله الا ذو حظ عظيم ، وان الانبياء والاوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جل ثناؤه ، يودع الله انوارهم اصلابا وارحاما طاهرة ، يحفظها بملائكته ، ويرببها بحكمته ويغذوها ، فلهمهم يجلسون على ان يوصف ، وأحوالهم تدق عن ان تعلم ، لانهم نجوم الله في أرضه ، وأعلامه في بريته ، وخلفاؤه على عباده ، وأنواره في بلاده ، وحججه على خلقه ، هذا من مكنون العلم ومخزونه ، فاكتمه إلا من اهله " ^٢ .

وهذا ما خص الله به انبياءه الكرام على مر الزمان ، اذ اودع انوارهم في الاصلاب والارحام الطاهرة حتى افضت كرامة الله وانتهت نبوته الى الحبيب محمد عليه السلام ، فبلغت بوجوده الشريف سلسلة النبوة والرسالة الغاية ، واشرق وجه الارض بنوره ، ...

كشف الدجى بجماله ^٣

بلغ العلا بكماله

- ١- ابن معد: الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب : ص 56. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 63/7، 67/14 .
ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين : ص 235. العلامة الحلي: أجوبة المسائل المهنية : ص 127.
٢- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 82 / 7 .
٣- تكلمة البيت:

كشف الدجى بجماله

بلغ العلى بكماله

صلوا عليه و آله

حسننت جميع خصاله

وهي للشاعر أبي محمد مصلح الدين عبد الله بن مشرف بن مصلح بن مشرف المعروف بالشيخ سعدي الشيرازي ت 691 هـ / 1290 م ، أديب، شاعر، صوفي ، ولد بشيراز في أوائل العشر الأول من القرن السابع ، وأقام ببغداد ، وتفقه بالمدرسة النظامية ، وعين معيدا بها، وسافر إلى الشام وارض الروم ، ثم رجع إلى شيراز ، وتوفي بها. من آثاره باللغة العربية: ديوان شعر صغير. ومؤلفات ورسائل في الأدب والأخلاق، ينظر: البغدادي: إيضاح المكنون 170/1، 71/2، 691، هدية لعارفين 319/1، 293/2، 434، 462 . الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة : 105/3 . كحالة: معجم المؤلفين : 6 / 151.

وقد كان النبي الاعظم ﷺ في " عالم المعنى والاصلاب الشامخة والارحام المطهرة قشورا لذلك اللب احاطت به احاطة الاشعة بالسراج ، فهو مفارق لتلك المحال الشريفة في التقدير وان كان مقارنا لها في التدبير " ^١ .

فكان مما خص به ﷺ ان: " أَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتًا ، وَأَعَزَّ الْأَرْوَاحَ مَغْرَسًا ، مِنْ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ ، وَأَنْتَجَبَ مِنْهَا أَمْنَاءَهُ " ^٢ ، ف" مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا ، وَمَنْبُتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ " ^٣ .

وقد بين امير المؤمنين ﷺ في هذه المقاطع كرامة الله لنبيه في طهارة جذوره العريقة ، كما اشار الى ذلك الذكر الحكيم ، اذ يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ^٤ .

وقال النبي الاعظم ﷺ : (نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح ، كلنا بنكاح) ^٥ . والى ذلك أشار القرآن قال تعالى: ﴿ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ ^٦ . يقول النبي ﷺ : " لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات " ^٧ .

ومما يلفت النظر ويدعو الالبيب للتأمل في النص السابق تشبيه الامام امير المؤمنين ﷺ للاصل النبوي بـ " الشجرة " ، ومن هذا المورد ونظائره **التي ستأتينا** يمكن ان نستقي بضعة ابحاث وجبت

- ١- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 7 / 82.
- ٢- نهج البلاغة: ص 176 .
- ٣- نهج البلاغة: ص 178.
- ٤- سورة التوبة الآية 128.
- ٥- القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى : 1/15. السيوطي: الخصائص الكبرى: 1/ 38 ، الدر المنثور: 3/294. الصالحى الشامى: سبل الهدى والرشاد 1/236. الحلبي: السيرة الحلبية : 1/68. القندوزي: يبايع المودة : 1/61. الشوكاني: فتح القدير: 2 / 420.
- ٦- سورة الشعراء الآية 219 .
- ٧- الفخر الرازي: مفاتيح الغيب : 13/39 . الحلبي: السيرة الحلبية : 1/ 45 . الجزائري: النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين : ص 108 . الألويسي: روح المعاني : 7/195.

الإشارة إليها والوقوف بشيء من التأمل عندها لعلنا نستبين مقصد الامام من تعدد الإشارة الى ذلك اذ يقول في اكثر من موضع :

- " اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَشَكَاةِ الضِّيَاءِ ، وَذُوَابَةِ الْعُلْيَاءِ ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ ، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ ، وَيَنَابِيحِ الْحِكْمَةِ " ١ .

- " أَسْرَتْهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ ، وَشَجَرْتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ ، أَعْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ ، وَثَمَارُهَا مُتَهَدَّلَةٌ " ٢ .

- " عَثْرَتُهُ خَيْرُ الْعَثْرِ ، وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ ، وَشَجَرْتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ ، وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ " ٣ .

- " نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ الرَّسَالَةِ " ٤

والإيحاءات التي يمكن استظهارها من هذه النصوص هي :

أولاً: إن الامام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المواضع - وهو ربيب القرآن - وجرياً على منهج الذكر الحكيم قد ضرب الامثال للناس ؛ لما للامثال من اثر في " تقريب المراد ، وتفهم المعنى ، وايصاله الى ذهن السامع ، واحضاره في نفسه بصورة المثل الذي مثل به ، فقد يكون اقرب الى تعقله ، وفهمه ، وضبطه ، واستحضاره له باستحضار نظيره ، فان النفس تأنس بالنظائر والاشباه ، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير. ففي الامثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق امر لا يجحده احد ولا ينكره ، وكلما ظهرت الامثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً ، فالامثال شواهد المعنى المراد ، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته " ٥ ، والمعلوم ان الامثال القرآنية تدور بين كونها تمثيلاً قصصياً او تمثيلاً طبيعياً كونياً ٦ .

١- نهج البلاغة: ص 200- 201 .

٢- نهج البلاغة: ص 302 .

٣- نهج البلاغة: ص 176 .

٤- نهج البلاغة: ص 210 .

٥- ابن الجوزي: إعلام الموقعين 291/1، نقلا عن: السبحاني: الامثال في القرآن: ص 12 . ونقل الشنقيطي كلام ابن الجوزي دون الإشارة إليه: ينظر: أضواء البيان: 4/ 203 .

٦- السبحاني: الامثال في القرآن: ص21.

ويمكن القول : ان امير المؤمنين عليه السلام في هذا المقام اسعمل النوع الثاني وهو " التمثيل الطبيعي " الذي عرف بانه : " عبارة عن تشبيه غير الملموس باللموس ، والمتوهم بالمشاهد ، شريطة ان يكون المشبه به من الامور التكوينية " ¹ . فهو عليه السلام استعار هذا المحسوس " الشجرة " للتشبيه بغير المحسوس " الاصل النبوي " ، وذلك لما في " الشجرة " من خصائص يمكن ان تنطبق على المشبه به من جهة المقومات التي تمتلكها الشجرة من : العرق المتجذر في الارض ، والاصل القائم ، والاغصان ، والفروع والثمار . مع التشبيه على ان هذه هي صفات الاشجار الطيبة القوية الاصلية وليست كغيرها من الشجر غير الجيد كما سيأتي بيانه .

ثانيا: لو تأملنا بدقة في اشارات الامام امير المؤمنين عليه السلام لوجدنا التشبيه مطابقا للتشبيه المذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * ﴾ ² . ويمكن ان يقارب مثالا آخر في كتاب الله حين يقول تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ³ . ففي الاشارات القرآنية في أعلاه تتحقق المطابقة ما بين المثال القرآني والمثال في كلمات امير المؤمنين عليه السلام ، فللشجرة الموصوفة في القرآن لها ميزات تتناغم مع ميزات الشجرة الموصوفة في كلامه عليه السلام ، فقد وصفت الشجرة في القرآن بعدة صفات :

الصفة الأولى: إنها " شجرة طيبة " و " مباركة " ، اي كريمة المنبت ، وفي قول: طيبة المنظر ، والصورة ، والشكل ، طيبة الرائحة ، طيبة الثمرة ، يعني ثمارها المتولدة منها تكون لذيدة مستطابة ، وكونها طيبة حسب المنفعة يعني انها كما يستلذ بأكملها فكذلك يعظم الانتفاع بها ، ويجب حمل قوله : " شجرة طيبة " على مجموع هذه الوجوه ، لان باجتماعها يحصل كمال الطيب ⁴ .

١- السبحاني: الامثال في القرآن: ص 20 - 21.

٢- سورة إبراهيم: الآيتان 24 . 25.

٣- سورة النور الآية 35 .

٤- الفخر الرازي: مفاتيح الغيب: 19 / 116 .

الصفة الثانية: (أصلها ثابت) : أي ضارب في الارض بعروقه القوية ، راسخ باق آمن الانقطاع والزوال والفاء ؛ لان الشيء الطيب اذا كان في معرض الانقراض والانقضاء فهو وان يحصل الفرح بوجوده الا انه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه ، اما اذا علم من حاله انه باق دائم لا يزول ولا ينقضي فانه يعظم الفرح بوجوده ، ويكمل السرور بسبب الفوز به ^١ .

ونجد في كلام امير المؤمنين عليه السلام إشارات مجازية يمكن ان تقارب هذا المعنى القرآني في هذا الجانب ، اذ يقول عليه السلام : " مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ ، وَمُنْبَتُّهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ " ^٢ ، وقوله: " نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ " ^٣ ، وقوله: " فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ " ^٤ . إن هذه الإشارات تعطي دلالة على الاصل الطيب الثابت.

الصفة الثالثة: (فرعها في السماء) ، يقول الفخر الرازي ^٥ : " هذا الوصف يدل على كمال حال هذه الشجرة من وجهين: الاول: ان ارتفاع الاغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الاصل ورسوخ العروق . والثاني: انها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الارض ، وقاذورات الابنية ، فكانت ثمرتها نقية ظاهرة طيبة من جميع الشوائب " . والى هذا المعنى ما يماثله في وصف امير المؤمنين عليه السلام اذ يقول عن تلك الشجرة " وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ " ^٦ ، ويسق الشيء : اذا علا وارتفع ^٧ ، واراد عليه السلام ان كرمها عال على غيرها ^٨ .

١- الفخر الرازي: مفاتيح الغيب: 19 / 117.

٢- نهج البلاغة: ص178.

٣- نهج البلاغة: ص 176.

٤- نهج البلاغة: ص 175 .

٥- مفاتيح الغيب: 19 / 117.

٦- نهج البلاغة: ص176 .

٧- الفراهيدي: العين 85/5 . الحربي : غريب الحديث : 3 / 1122- 1123 . الجوهري: الصحاح : 4 / 1450 . ابن

فارس: معجم مقاييس اللغة : 1 / 248 . ابن منظور: لسان العرب : 10 / 20 . الزبيدي: تاج العروس : 13 / 38 .

٨- الحسيني: الديباج الوضي: 2 / 777.

ثم يصف تلك الفروع والاعصان بصفات عدة: " لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ وَثَمَرٌ لَا يِنَالُ " ^١ . وذلك لعلوها واستطالتها وكرم اصلها ^٢ . وفي موضع آخر يقول عليه السلام: " أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَثَمَارُهَا مُتَهَدَّلَةٌ " ^٣ اي متدليلة لثقلها وكثرة حملها ^٤ ، وهذا ما يوافق قوله تعالى : في الصفة الرابعة ﴿ تُوْتِي أكلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ ^٥ ، وعلق ابن ابي الحديد ^٦ على قوله عليه السلام: " وثمرها لا ينال " ان ليس المراد منه ان ثمرها لا ينتفع به ؛ لان ذلك ليس بمدح ، بل يريد ان ثمرها لا ينال قهرا ، ولا يجنى غصبا ، ويجوز ان يريد بثمرها نفسه عليه السلام ، ومن يجري مجراه من اهل البيت لانهم ثمرة تلك الشجرة .

لقد أثير جدل حول طبيعة الشجرة ونوعها فهل هي المؤمن ^٧ أم النخلة ^٨ ام شجر جوز جوز الهند ^٩ ، أم هي شجرة في الجنة ^{١٠} ، أم هي أي شجرة طيبة الثمار كالتين والعنب والرمان وغيرها ^{١١} ؟ وقد اختار الغرناطي ^{١٢} انها " شجرة غير معنية الا انها كل من اتصف بتلك الصفات " ، وكان للفخر الرازي ^{١٣} تعليق لطيف حول اختلاف المفسرين في ماهية الشجرة الموصوفة في القرآن اذ يقول : " هؤلاء وان اصابوا في البحث عن مفردات الفاظ الآية ، الا انهم بعدوا عن ادراك المقصود ، لانه تعالى وصف هذه الشجرة بالصفات المذكورة ، ولا حاجة بنا الى ان تلك الشجرة هي النخلة ام غيرها ، فانا نعلم بالضرورة ان الشجرة الموصوفة بالصفات الاربع المذكورة شجرة شريفة ينبغي لكل عاقل ان يسعى في

١- نهج البلاغة: ص176.

٢- الحسيني: الديباج الوضي: 777/2.

٣- نهج البلاغة: ص302 .

٤- الحسيني: الديباج الوضي: 1314/3 .

٥- سورة إبراهيم الآية 25 .

٦- شرح نهج البلاغة: 7 / 51 .

٧- والشجرة الخبيثة الكافر . ينظر: ابن أبي حاتم: تفسير القرآن 2241/7. السيوطي: الدر المنثور: 4 / 75.

٨- والشجرة الخبيثة: الحنظلة. ابن أبي حاتم: تفسير: 2242/7-2243. السيوطي: الدر المنثور: 4 / 76. 77. وينظر:

الترمذي: سنن الترمذي : 358/4 .

٩- السيوطي: الدر المنثور : 77/4.

١٠- ابن أبي حاتم: تفسير: 7 / 2244. السيوطي: الدر المنثور: 4 / 77.

١١- الألوسي: روح المعاني: 214/13.

١٢- التسهيل لعلوم التنزيل: 2 / 142.

١٣- مفاتيح الغيب: 120 / 19 .

تحصيلها وتملكها لنفسه، سواء كان لها وجود في الدنيا او لم يكن ، لان هذه الصفة امر مطلوب التحصيل ."

في الوقت الذي اشارت بعض التفاسير وكتب الحديث الى ان المراد بهذه الشجرة الطيبة " اهل البيت عليهم السلام " : فالشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونسبه ثابت في بني هاشم ، أما فرع الشجرة فهو أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، وغصن الشجرة هي السيدة فاطمة عليها السلام ، أما ثمرها فهما الإمام ان الحسن والحسين عليهما السلام والائمة من ولد الإمام علي والصديقة فاطمة عليها السلام ، وشيعتهم ورقها ^١ .

وقد سئل الامام الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ^٢ . فقال " رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصلها، وامير المؤمنين فرعها ، والائمة من ذريتهما اغصانها ، وعلم الائمة ثمرتها ، وشيعتهم المؤمنون ورقها " ^٣ .

يقول الطباطبائي ^٤ في تعليقه على هذه الرواية : ان هذه " الرواية مبنية على كون المراد بالكلمة الطيبة هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد اطلقت الكلمة في كلامه على الانسان كقوله ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ^٥ . ومع ذلك فالرواية من باب التطبيق ومن الدليل عليه اختلاف الروايات في كيفية التطبيق " .

وفي قول امير المؤمنين عليه السلام : " نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ ... " ^٦ ما قد يتناغم مع هذا التفسير ، اذ " كانه جعل النبوة كثمره اخرجتها شجرة بني هاشم " ^١ .

١- ينظر : الصفار : بصائر الدرجات ص 79 . الكليني: الكافي 428/1 ، فرات الكوفي: تفسير فرات : ص 220 . الحاكم الحسكاني : شواهد التنزيل : 406/1 . ابن مردويه : المناقب: ص 269 . المازندراني: شرح أصول الكافي : 102/7 . البحراني: البرهان في تفسير القرآن : 297/3 . الفيض الكاشاني: التفسير الأصفى : 617/1 . المجلسي: البحار : 143/24 ، 38/64 ، مرآة العقول 104/5 . الحويزي: نور الثقلين : 535/2 . المشهدي: كنز الدقائق: 51/7 . الألوسي: روح المعاني : 215/13 . الشيرازي: تقريب القرآن إلى الأذهان : 126/3 .

٢- سورة إبراهيم الآية 24 .

٣- الصفار: بصائر الدرجات: ص 79 . الكليني: الكافي: 428/1 . المجلسي: مرآة العقول : 104 /5 .

٤- الميزان: 12 / 56-57 .

٥- سورة آل عمران الآية 45 .

٦- نهج البلاغة: ص 210 .

وفي مقابل هذا نجد من يذهب الى ان المقصود بتلك الشجرة الطيبة الموصوفة بالقرآن بان التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء هي قريش ، فاصلها كبير وفرعها في السماء في الشرف فقد شرفهم الله بالاسلام الذي هداهم الله له ، وجعلهم من اهله ^٢ . مستدلين برواية عن رسول الله ﷺ : " ان الله قلب العباد ظهرا وبطنا فكان خير عباده العرب وقلب العرب ظهرا وبطنا فكان خير العرب قريشا وهي الشجرة المباركة التي قال تعالى في كتابه ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ^٣ .

إذن التفسير الاول يخص المعنى بإهل البيت النبوي ، والتفسير الثاني يعمله على قريش كلها ، فنطلب هذا منا الوقوف للتأمل :

1 يقول السيد الطباطبائي^٤ متعجبا من تفسير الشجرة المباركة بـ " قريش " : " وهو عجيب ، فان كون أمة أو طائفة مباركة بحسب طبعهم لا يوجب كون جميع الشعب المتشعبة منها كذلك ، فالرواية على تقدير تسليمها لا تدل الا على ان قريشا شجرة مباركة ، واما ان جميع الشعب المتشعبة منها مباركة طيبة كبني عبد الدار مثلا ، او كون كل فرد منهم كذلك كابي جهل وابي لهب فلا قطعا ، فاي ملازمة بين كون شجرة بحسب اصلها مباركة طيبة وبين كون بعض فروعها التي انفصلت عنها ونمت نماء فاسدا مباركا طيبا " . وقد ساق السيد الطباطبائي أمثلة تدلل على فساد بعض بطون قريش وافرادها منها:

- ان عائشة قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله ﷺ يقول لابيك وجدك " انكم الشجرة الملعونة في القرآن " ^٥ .

١- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 7 / 176 .
 ٢- ابن أبي حاتم: تفسير القرآن : 2244/7 . السيوطي: الدر المنثور: 4 / 77 ، 6 / 18 ، 19 . وينظر: الهيتمي: مجمع الزوائد 24/10 .
 ٣- السيوطي: الدر المنثور: 6 / 18-19 . الألويسي: روح المعاني: 13 / 215 . وانظر تعليق الطباطبائي على ذلك: الميزان : 12 / 64 .
 ٤- الميزان : 12 / 57 .
 ٥- ابن مردويه: المناقب : ص 164 . العيني: عمدة القارئ : 19 / 30 . السيوطي: الدر المنثور : 4 / 191 . الشوكاني: فتح القدير : 3 / 240 . الألويسي: روح المعاني : 15 / 107 .

- وروى سهل بن سعد وعبد الله بن عمر ويعلى بن مرة والحسين بن علي وسعيد بن المسيب: ان بني امية هم الذين نزل فيهم قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾^١ ، ولفظ سعد: رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون على منبره نزو القردة ، فسأه ذلك ، فما استجمع ضاحكا حتى مات ، وانزل الله : ﴿ وما جعلنا الرؤيا ﴾^٢ .
- وعن امير المؤمنين عليه السلام وايضا عن عمر في تفسير قوله ﴿ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾^٣ انهم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية^٤ .

ثانيا : مر بنا ان امر الاجتباء منوط بارادة الله تبارك وتعالى ، فهو الذي حبي نبيه الكريم وخصه بما لا يمكن لمخلوق ان يضاهيه في مقاماته السامية ، ومن تلك المقامات : اصطفاء اصله وعلو نسبه وكرامة حسبه ، اذ خصه بان " اختاره من شجرة الانبياء ، ومشكاة الضياء ، وذؤابة العلياء ، وسرة البطحاء ، ومصابيح الظلمة ، وبنابيع الحكمة " ^٥ . وقد حمل عدد من الشراح على ان المراد " من شجرة الانبياء "

- ١- سورة الاسراء الآية 60 .
- ٢- أبو يعلى: المسند: 11 / 348 . الطبري: جامع البيان : 15 / 141 . الثعلبي: الكشف والبيان: 6 / 111 . السمعاني : تفسير : 3 / 255 . ابن العربي : العواصم من القواصم : ص 235 . ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز : 3 / 468 . الفخر الرازي: مفاتيح الغيب : 20 / 236 . ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 9 / 220 . القرطبي: الجامع: 10 / 282 . النويري: نهاية الإرب : 20 / 288 . أبو حيان: تفسير البحر المحيط : 6 / 53 . الذهبي: تاريخ الإسلام: 3 / 366 . الغرناطي: التسهيل: 2 / 500 . ابن كثير: تفسير: 3 / 52 . الهيثمي: مجمع الزوائد: 5 / 244 . الفلقشندي: مآثر الأتافاة: 1 / 167 . العيني: عمدة القارئ: 19 / 30 . السيوطي: تاريخ الخلفاء : ص 16 . المناوي: الفتح السماوي : 2 / 777 .
- ٣- سورة إبراهيم الآية 28 .
- ٤- الثوري: تفسير سفيان الثوري : ص 157 . الصنعاني: تفسير عبد الرزاق : 3 / 242 . أبو جعفر الإسكافي: المعيار والموازنة : ص 299 . الطبري: جامع البيان : 13 / 287 . العياشي: تفسير: 2 / 229 . الحاكم: المستدرک: 2 / 352 . ابن مردويه: المناقب: ص 165 . الثعلبي: الكشف والبيان : 5 / 319 . الطوسي: التبيان في تفسير القرآن : 6 / 294 . البغوي: معالم التنزيل : 3 / 35 . الطبرسي: جوامع الجوامع: 2 / 283 . أبو الفتوح الرازي: روض الجنان في تفسير القرآن: 10 / 249 . ابن الجوزي: زاد المسير: 4 / 266 . البيضاوي: أنوار التنزيل : 3 / 199 . الذهبي: ميزان الاعتدال : 3 / 295 . ابن كثير: تفسير: 2 / 558 . المقرئ: النزاع والتخاصم بين بني امية وهاشم : ص 72 . ابن حجر: فتح الباري : 7 / 235 . المتقي الهندي: كنز العمال : 2 / 444 .
- ٥- نهج البلاغة: 200 - 201 .

هنا هو النبي ابراهيم عليه السلام واولاده لان اكثر الانبياء منهم ^١ . وهو المعبر عنه في موضع آخر من كلامه الشريف بـ " خير مستقر " و " اشرف منبت " و " اعز الارومات مغرسا "

وتوالت العناية الالهية تكتنف الحبيب المصطفى عليه السلام باعز اصطفاء اذ يقول عليه السلام : " بعثت في خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت في القرن الذي كنت فيه " ^٢ . وقال عليه السلام : " إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم " ^٣ . ويقول عليه السلام " كَلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخُلُقَ فَرَّقْتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا ، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ " ^٤ ، والى المعنى ذاته يشير عليه السلام : " ما افتردت فرقتان منذ نسل آدم ولده الا كنت في خيرهما " ^٥ .

ففضلا عن دلالات هذه النصوص والاحاديث الشريفة على طهارة اصل النبي عليه السلام من دنس الشرك والشك في النسب فانه يتبين لنا ان الاصطفاء الالهي قد اختص بأباء النبي عليه السلام طاهر بعد طاهر ، وطيب بعد طيب حتى اخرجه من ابوين طاهرين ، وان هذا الاصطفاء قد حدد بسلسلة متصلة تميزت بانها الافضل والاكرم ، وما لفظة " الافتراق " في الحديث اعلاه إلا دلالة على ان التشعب قد حدث في ذلك الاصل ، فمن نسل آدم كان اصطفاء ابراهيم عليه السلام ومن ولد ابراهيم كان اصطفاء اسماعيل ومن ولد

١- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 7 / 148 . الحسيني: الديباج الوضي: 2/777. مغنية: في ظلال نهج البلاغة 283/7: 134/2 . حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 283/7.

٢- ابن حنبل: المسند : 2/417.

٣- البخاري: التاريخ الصغير : 1/35، التاريخ الكبير 1/4 . مسلم: الصحيح: 7/58 . الترمذي: السنن: 5/245. أبو يعلى: امسند: 13/469. ابن حبان: الثقات : 1/21. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد : 13/65. ابن عبد البر: الاستذكار: 8/614، الأنباة على قبائل الرواة : ص 40. ابن عساكر: الأربعين البلدانية : ص 143. ابن قدامة: الشرح الكبير: 7/467 . ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد : 3/151. السيوطي: الجامع الصغير: 1/256. الأتصاري: فتح الوهاب : 2/67. الشريبي: مغني المحتاج : 1/7.

٤- نهج البلاغة : ص447-448 . وينظر: البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص316.

٥- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 9/326. وينظر: ابن حبيب: المنق : ص 19. ابن عساكر: تاريخ دمشق : 3/408. الكلاعي: الاكتفاء : 1/7. السيوطي: الخصائص النبوية : 1/37، الدر المنثور: 3/294. المتقي الهندي: كنز العمال : 11/428. الألباني: إرواء الغليل : 6/332.

اسماعيل كان الاصطفاء قد خص كنانة ، ومن كنانة خص قريش ، ومن بطون قريش خص بني هاشم ثم من بني هاشم خص بنو عبد المطلب ، ومن بني عبد المطلب اختص بعبد الله وابي طالب .

اذ يقول ﷺ : " كنت انا وعلي نورا بين يدي الله مطيعا يسبح الله ذلك النور ويقدهه قبل ان يخلق آدم باربعة عشر ألف عام فلما خلق الله ادم ركز ذلك النور في صلبه فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء انا وجزء علي " ^١ .

ولتحديد مسار العناية الالهية في دائرة الاصطفاء بشكل ادق لنأمل كلمات امير المؤمنين ﷺ إذ يقول : " عَثْرْتُهُ خَيْرُ الْعَثْرِ ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ ، وَشَجْرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ ، وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ " ^٢ ، وفي مورد آخر يقول : " أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ ، وَشَجْرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ ، أَعْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ ، وَثَمَارُهَا مُتَهَدَّلَةٌ " ^٣ . ويظهر أن المراد بالشجرة هنا أما ابراهيم او اسماعيل او هاشم ﷺ . واحتمل البعض ان يراد بها نفسه الشريفة على كون الاضافة بيانية ^٤ . فلذا كان المراد بالشجرة ابراهيم او اسماعيل فالمراد بالفروع الانبياء من ذريتهما ، واذا كان المراد بها هاشم او النبي ﷺ فالمراد بها الائمة ﷺ ^٥ .

ولرب قائل يقول : ان حديث النبي ﷺ الذي ورد فيه : " واصطفى قريشا من كنانة " قد يبدو فيه للوهلة الاولى امكان قبول تطبيق عنوان " الشجرة الطيبة " الموصوفة في القرآن على " قريش " لشمولها بالاصطفاء واختصاصها من كنانة دون باقي البطون؟ ! وهذا مما يقود بشمول كل فروع قريش بالاصطفاء!

ويرد هذا عدة امور ، هي :

١- ابن عساکر: تاريخ دمشق : 67/42. وينظر: ابن مردويه: المناقب : ص286.

٢- نهج البلاغة : ص176 .

٣- نهج البلاغة: ص302.

٤- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 84/7 ، 87-88 .

٥- حبيب الخوئي : منهاج البراعة: 87/7 .

٦- حبيب الخوئي : منهاج البراعة: 88/7 .

أولاً: أسلفنا ان ورود لفظة " النسخ " و " الافتراق " في تلك الاحاديث الشريفة تدلل على حدوث التشعب في كل اصل اصطفاه الله تعالى ورغم ان قريش مرت في مسار التدرج الاصطفائي الا ان كلام النبي صلى الله عليه وآله واضح في انه قد خص من قريش فرعا واحدا او مسارا بعينه دون باقي الفروع، فالمعلوم ان قريشا يتفرع منها عدة بطون ولكن الاصطفاء قد خص منها " بني عبد مناف " " هاشما " و " عبد المطلب " يقول عليه السلام: " الناس من اشجار شتى، وانا وانت يا علي من شجرة واحدة " ¹.

يقول عليه السلام: " ان جبرائيل قال لي: يا محمد قد طفت الارض شرقا وغربا ، فلم اجد فيها اكرم منك ولا بيتا اكرم من بني هاشم " ² . وذكر الترمذي ³: " ان الله خلق الخلق ، فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم فرقتين ، فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل ، فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا ، فجعلني في خيرهم بيتا ، وخيرهم نفسا " .

ثانياً: ان التأمل في كلمات امير المؤمنين عليه السلام الذي قادنا الى الوقوف عند اس تعامله للتمثيل بـ " الشجرة الطيبة " التي باننت في مظان كلامه صفاتها وميزاتها كما مر بنا ، ها هو يوقفنا ثانية عند مقاطع من كلماته الشريفة يمكن ان نستوحي منها صفات الضد لتلك الشجرة الطيبة الثابتة المتعالية المتدللية الثمار. وكان كلامه عليه السلام في مقام المقابلة بينها وبين نقيضها ، وما ذاك الا جريا على نهج القرآن الكريم الذي نعت الشجرة الطيبة بأفضل الصفات، وأشار الى الشجرة الخبيثة واهم سماتها بقوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ ⁴ . وبرز مصداق في كلام امير المؤمنين عليه السلام على ذلك ، حين وبخ عليه السلام أحد مناوئيه وهو المغيرة بن الاخنس ° قائلا له : " يَا ابْنَ

١- الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام : 68/2 . ابن مردويه: المناقب: ص 265. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل : 375/1. السيوطي: الدر المنثور: 44/4.
٢- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 51 / 7 .
٣- السنن : 244/5. وينظر: الهيثمي: مجمع الزوائد : 216/8.
٤- سورة إبراهيم الآية 25 .

٥- هو المغيرة بن الاخنس بن شريق الثقفي، حليف بني زهرة، وأمه عمه عثمان بن عفان ، قتل الإمام علي عليه السلام أخاه أبا أبا الحكم يوم أحد ، ومن هنا كان يحقد على أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد عدّه النبي ﷺ من المؤلفة قلوبهم ، وكان يشير على عثمان بعدم الاستجابة لمطالب الثائرين ، قتل يوم الدار مع عثمان . الضبي: الفتنة ووقعة الجمل : ص 69-71 . ابن أبي شيبه: المصنف : 680/8 . ابن سعد: الطبقات : 66/3 . بن خياط: تاريخ خليفة : ص 133 . ابن عبد البر:

اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ! وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ" ^١. وذلك كناية عن وضاعة أسرته وبعدها عن القيم ، والملاحظ ان كلامه ﷺ ها هنا ، انما هو اقتباس من الآية الكريمة في أعلاه ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ ، فشجرة الانسان قبيلته التي يعزى اليها ، و اراد ﷺ انه لا اصل له ، فيعرف ولا فرع له فيثمر ويورق ^٢.

هذا من جانب ومن جانب آخر نجد ان امير المؤمنين ﷺ يشير الى ان الاصل الواحد قد ينتج فرعا طيبا تتجلى فيه سمات الاصاله ، في الوقت نفسه قد ينتج فرعا آخر مغايرا للاول في خصائصه . وهذا ما سبقت الاشارة اليه ، ومن مصاديق ذلك ما ورد في نهج البلاغة :

انه لما سئل عن قريش قال ﷺ وقد انتخب منها ثلاث بيوت : " أَمَّا بَنُو مَخْرُومٍ فَرِيحَانَةٌ قُرَيْشٍ ، نَحْبُ حَدِيثِ رِجَالِهِمْ وَالنَّكَاحِ فِي نِسَائِهِمْ ، وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا ، وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا ، وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذُلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا ، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنَفُوسِنَا ، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكُرُ وَأَنْكَرُ ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ " ^٣.

وعلى الرغم من تباين اراء الشراح حول مراد الامام ﷺ من وسم بني مخزوم وبني عبد شمس بتلك السمات وهل هي في مقام المدح او الذم ^٤ ، الا ان الذي يهمننا هنا ولا خلاف فيه ان بني هاشم هم الافضل والاسمى ما بين الفروع القرشية .

ولمزيد من التوضيح واستجلاء الامر نقف عند مساجلة امير المؤمنين ﷺ مع معاوية حين ارسل اليه الاخير كتابا حاول فيه ان يموه ويخادع بان لا فضل للامام ﷺ عليه ما داموا من اصل واحد يجمعهم ، فأجابه ﷺ بالقول: " وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةً كَهَاشِمٍ ،

الاستيعاب : 3/ 1047 ، 4/ 1444. ابن الأثير: أسد الغابة : 4/ 405. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 8/ 301 - 306. ابن حجر: الإصابة : 6/ 155. التستري: قاموس الرجال : 10/ 186 .

١- نهج البلاغة: ص253 .

٢- الحسيني: الديباج الوضي: 3 / 1105 . ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 5 / 321- 322 .

٣- نهج البلاغة : ص677 - 678 . وينظر: الزمخشري: ربيع الأبرار: 4/ 217.

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 18 / 285 . 309. ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين: ص 607، شرح نهج البلاغة : 5/ 369 - 370 . حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 21 / 208- 210 . مغنية: في ظلال نهج البلاغة: 4/ 291 - 292 .

وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ ، وَلَا الصَّرِيْحُ كَاللَّصِيْقِ ،
وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ ، وَلِبَسَسَ الْخَلْفُ خَلْفًا يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وَفِي
أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَدَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيْزَ ، وَنَعَشْنَا بِهَا الدَّلِيْلَ " ١ .

فعلى الرغم من ان بني هاشم وبني أمية من اصل واحد وهو عبد مناف الا ان الامام امير المؤمنين عليه السلام قد فصل وفرق ما بين الفرعين باوضح الفوارق ، وقطع على معاوية تمويهاته الخداعة ، اذ بين عليه السلام ان الاصطفاء قد عرج من عبد مناف الى ولده هاشم ، وهذا فيه دلالة على انه افضل كما مر بنا سابقا في اشارته " كلما نسخ الخلق فرقتين جعله في خيرهما " ، وفي موضع آخر نجد امير المؤمنين عليه السلام يرسم الفاصل بين بري هاشم وبني أمية بحدود واضحة قوية ، إذ يقول عليه السلام :

" أَمَا بَعْدُ ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ ، تَذَكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِيَدِينَهُ ، وَتَأْيِيدَهُ
إِيَّاهُ لِمَنْ أَيْدَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا ، إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبِلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا ،
وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ ٢ ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النُّضَالِ ٣ ، وَرَعِمْتَ
أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَانٌ وَفَلَانٌ ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَرَلَكَ كُلُّهُ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ تَلْمُهُ ،
وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمُفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ ؟! وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَيِّنَاءِ الطُّلُقَاءِ ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ
الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ ، هِيَاهُ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا ٤ ، وَطَفِقَ
يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا ، أَلَا تَرَبُّعَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ ، وَتَتَأَخَّرُ
حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدْرُ ، فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ " .

١- نهج البلاغة : 511 - 512.

٢- هجر مدينة في البحرين كثيرة النخل، والمثل قيل في رجل من اهل البحرين قدم البصرة وانفق اموالا لشراء التمر لينقلها الى هجر لكنها فسدت ، فقيل هذا المثل. البيهقي : معارج نهج البلاغة : ص 372 . ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 188/15 . الحميري: الروض المعطار: ص 592 . الغروي: الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة : ص 363 - 365 .

٣- المسدد: معلم رمي السهام ، والنضال: المراماة أي كمن يدعو أستاذه في فن الرمي إلى المناضلة. ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 188 / 15 - 189. ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين: ص 499 . المازندراني: شرح أصول الكافي: 425/6 . محمد عبده: نهج البلاغة (الشرح): ص 361 .

٤- يضرب مثلا للرجل يدخل نفسه في القوم وهو ليس منهم . ابو هلال العسكري: جمهرة الامثال: 370/1 . ابن نباتة : شرح العيون: ص 296.

" وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التَّيِّهِ رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ ، أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ ، أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ ، أَوْ لَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قَطَعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا فَعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فَعَلَ بِوَاحِدِهِمْ ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَدُو الْجَنَاحِينَ ، وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ ، لَذَكَرَ ذَاكَرٌ فَضَائِلَ جَمَّةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ ، فَدَعَّ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا ، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا ، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا ، وَلَا عَادِيٌّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا ، فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا ، فَعَلَ الْأَكْفَاءِ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ ، وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ ! وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَدَّبُ ^١ ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَخْلَافِ ^٢ ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ ^٣ ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ ^٤ ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ ، فَاسْلَمْنَا قَدْ سُمِعَ وَجَاهِلِيَّتِنَا لَا تُدْفَعُ ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى

١- يقصد بالمكذب: أبو سفيان والد معاوية. ينظر: ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 196 / 15. وقال ابن ميثم انه ابا جهل. ينظر: اختيار مصباح السالكين: ص 500. وهذا لا يصح لان ابا جهل من مخزوم والامام بصدد الرد على قول معاوية (انا بنو عبد مناف) وابي جهل ليس من عبد مناف.

٢- يقصد باسد الله حمزة بن عبد المطلب، أما أسد الاخلاف فلعله عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه، البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص 373. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 196 / 15، وقيل هو أبو سفيان ، وهذا لا يصح لأن أبو سفيان لم يعرف بالشجاعة ، والأصح أنه عتبة فهو قائد النفيير الى بدر واول من دعا الى البراز يوم بدر ، فدعا النبي صلى الله عليه وآله حمزة لمبارزته فقتله حمزة .

٣- هم أولاد عتبة بن أبي معيط، ومنهم الوليد بن عتبة الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيءٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ سورة الحجرات الاية 6. ينظر: ابو الفرج: الاغاني 49/1 . البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص 374. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 197/15. الصفدي: الوافي بالوفيات: 59 / 20.

٤- هي أم جميل بنت حرب بن امية أخت أبي سفيان عمه معاوية ، وقد سماها القرآن (حمالة الحطب) قال تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ ﴾ سورة المسد الآيات 1 - 5 ، ينظر: الطبري: جامع البيان: 441/30 . ابن ابي حاتم: تفسير القرآن: 3473 / 10 . ابن ابي الزمنين: تفسير ابن ابي الزمنين: 171/5 . السمعاني: تفسير: 300 / 6 . ابن عربي: تفسير: 437/2 . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 197/15. ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين: ص 500.

بِبَعْضِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿١﴾ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢﴾ ، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقُرَابَةِ وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ ، وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ ، يَوْمَ السَّقِيْفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ ، فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ بغيرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ ، ... "٣

ان كلامه عليه السلام لا يحتاج الى تعليق ، إذ بدا فضل بني هاشم واضحا على سواهم ، وفضل اهل البيت عليهم السلام على سائر بني هاشم ، ولنا وقفة مع المقطع الاخير من النص و اشارته عليه السلام الى احتجاج المهاجرين على الانصار يوم السقيفة اذ سأل عليه السلام : " بما احتجت قريش على الانصار؟ فقالوا : " قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ " . فالامام عليه السلام لم ينكر عليهم هنا بان يكونوا ورسول الله من شجرة واحدة ، لكن الله اختص بحكمته ذلك الفرع الذي انتج اهل بيت النبوة عليه السلام ، فاذا كانت الشجرة ذات اثر فإن ثمرها اعظم اثر . ثم ياتي حديثه مع معاوية ، ليزيد الامر وضوحا ، اذ يقول : " فان يكن الفلج به " الظفر بالقرب من رسول الله ﷺ " فالحق لنا دونكم " لانه اقرب الى النبي ﷺ ، بل انه في موضع آخر قد ادلى بقوله : " إِنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ " .^٥

فها هو كلامه عليه السلام يفسر بعضه بعضا ، فال محمد هم صنائع الله المختصون بفضله بان جعل النبوة والامامة فيهم و ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾^٦ .

- ١- سورة الانفال الآية 75.
- ٢- سورة آل عمران الآية 68.
- ٣- نهج البلاغة: ص 526- 529 . وينظر: المنقري: وقعة صفين: ص 88 . ابن حمدون: التذكرة الحمدونية: 164/7 . النويري: نهاية الارب : 234/7 . القلقشندي: صبح الاعشى: 274/1.
- ٤- نهج البلاغة: ص102-103 .
- ٥- نهج البلاغة: ص 263.
- ٦- سورة الأنعام الآية 124.

وفي كلمات الامام عليه السلام وخطبه مصاديق أخرى تقوي دلالة اختصاص الاصطفاء بالفرع الهاشمي دون غيره ، فها هي مواقف قريش من دعوة النبي ﷺ تخرجهم من دائرة الاصطفاء الى دائرة العداة للدعوة الالهية وحملتها ، اذ كان بنو هاشم اهلا لهذه الدعوة ومن ذلك نذكر:

- ما جرى في حصار الشعب حسبما ورد في كلمات امير المؤمنين عليه السلام " فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَا حَاصِلِنَا ، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ ، وَمَنْعُونَا الْعُدْبَ ، وَأَخْلَسُونَا الْخَوْفَ ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ... " ^١.

أبعدَ هذه الفعال يمكن ان يقال : ان كل قريش كانت بمجرى ومقام واحد ؟! بل لم يقف الامر عند هذا الحد ، حتى ان اهل البيت عليهم السلام قد ورثوا هذا الموقف من شرار قريش بعد رحيل النبي ﷺ ولنعم قوله عليه السلام عنهم : " وَلِبَنِسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلْفًا هُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ " ^٢ وقد وصف مواقفهم منه عليه السلام في مواضع عدة منها ، قوله مخاطبا اخيه عقيل : " فَدَعَّ عَنْكَ قُرَيْشًا ، وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ ، وَتَجَوَّأَهُمْ فِي الشَّقَاقِ ، وَجَمَّاحَهُمْ فِي التِّيهِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي ، كَاجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلِي ، فَجَزَتِ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي ، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي " ^٣ . وفي نص آخر يقول : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي " ^٤ . وفي موضع آخر يقول : " مَالِي وَلقُرَيْشٍ ! وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ ، وَأَقَاتَلْتُهُمْ مَفْتُونِينَ ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ " ^٥ . ثم نراه يوضح سر هذا العداة من قبلهم فيقول : " وَاللَّهِ مَا تَنْقَمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ ، فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيْرِنَا " ^٦.

١- نهج البلاغة: ص 502 .

٢- نهج البلاغة : ص 512.

٣- نهج البلاغة: ص 561.

٤- نهج البلاغة: ص 328 .

٥- نهج البلاغة: ص 71 .

٦- نهج البلاغة: ص 71. ورغم هذا الموقف الممتلئ حقدا من قبل القرشيين تجاه امير المؤمنين عليه السلام واهل بيته عليهم السلام نجد اخلاقه المحمدية ماثلة دائما ، فها هو يتأسف على قتلهم بعد حرب الجمل اذ يمر فيرى طلحة بن عبيد الله وعبد

من هنا يتضح صعوبة التسليم للتفسير الذي منح مثلية الشجرة الطيبة لقريش كلها ، وبعد ان تبين ما تبين من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن هناك هوة واسعة ما بين المسارين : اهل البيت عليهم السلام وهم ثمرة الفرع الهاشمي وأعداؤهم من بني امية وغيرهم . و للاديب العقاد كلاما لطيف يرسم لنا جانبا من هذا التباين بين المسارين ، اذ يقول: " الهاشميون والامويون من ارومة واحدة ترتفع الى عبد مناف ثم الى قريش في اصلها الاصيل ، ولكن الاسرتين تختلفان في الاخلاق ، فبنو هاشم في الاغلب مثاليون اريحيون ، ولا سيما ابناء فاطمة الزهراء ، وبنو امية في الاغلب الاعم عمليون نفعيون ، ولا سيما الاصلاء منهم في عبد شمس من الاباء والامهات ، ... فكان الهاشميون سراعاً الى النجدة ونصرة الحق والتعاون عليه ، ولم يكن بنو امية كذلك " ¹ .

وعودا على بدء نقول: قد اتضح كيف ان امير المؤمنين عليه السلام شبه الاصل النبوي بالشجرة الطيبة وقد شبه اعداءهم ومناوئهم بالشجرة الخبيثة ، وان تتاغم هذا التشبيه مع التشبيه القرآني امر لا محذور فيه لا سيما وان بعض التفاسير وكتب الحديث قد ايدت هذا الجانب ؛ من ذلك - فضلا عما سبقت الاشارة اليه - حديث ورد بالفاظ شتى في المصادر المختلفة اذ روى ميناء بن ابي ميناء ² مولى عبد الرحمن بن عوف قال : " خذوا عني قبل ان تشاب الاحاديث بالاباطيل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: انا الشجرة ، وفاطمة فرعها ، وعلي لقاحها ، والحسن والحسين ثمرتها ، وشيعتنا ورقها ، واصل الشجرة في جنة عدن ، وسائر ذلك في سائر الجنة " ³ . وجاء في بعض التفاسير ان المراد من الشجرة الخبيثة في

الرحمن بن عتاب فيقول : " أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلَى تحت بطن الكواكب " . نهج البلاغة : ص 456 .

١- ابو الشهداء : ص 23- 24 .

٢- هو ميناء بن أبي ميناء الخزاز مولى عبد الرحمن بن عوف، عده الحاكم من الصحابة ، لكن ابن حجر عد ذلك وهما من الحاكم ، فيما ذكر البخاري أنه بلغ الحلم أيام عثمان ، روى عن عبد الرحمن بن عوف والإمام علي عليه السلام وعثمان وابن مسعود وأبي هريرة والسيدة عائشة ، قال عنه ابن حجر: متروك ورمي بالرفض، والغلو في التشيع، ولعل السبب في تركه هو روايته فضائل أهل البيت عليهم السلام كالرواية أعلاه. فيما عده ابن حبان من الثقات . ابن معين: تاريخ ابن معين: 64/1 . البخاري: التاريخ الكبير: 31/8 : ابن حبان: الثقات: 455/5 . الحاكم: المستدرک: 160/3 . الذهبي: المغني: 488 /2 . ابن حجر: تهذيب التهذيب : 354 /10 - 355 . المباركفوري: تحفة الأحوذى: 304/10 .

٣- الحاكم: المستدرک: 160/3 . ابن عساکر : تاريخ دمشق : 14 / 168 .

القرآن هم بنو امية^١ . فقد روي عن الامام الصادق عليه السلام : ﴿ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ... ﴾ الآيتين قال: هذا مثل ضربه الله لاهل بيت نبيه عليه السلام ، ولمن عاداهم هو مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجثتت من فوق الارض ما لها من قرار^٢ .

وقد اورد الآلوسي^٣ ما نصه : " وروى الامامية وانت تعرف حالهم عن ابي جعفر عليه السلام تفسيرها يعني الشجرة الخبيثة ببني امية وتفسير الشجرة الطيبة برسول الله عليه السلام وعلي كرم الله وجهه وفاطمة عليها السلام وما تولد منهما ، وفي بعض روايات اهل السنة ما يعكر على تفسير الشجرة الخبيثة ببني امية ، فقد اخرج ابن مردويه عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ان الله تعالى قلب العباد ظهرا وبطنا فكان خير عباده العرب وقلب العرب ظهرا وبطنا، فكان خير العرب قريشا، وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى في كتابه (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) لان بني امية من قريش " . وقد مر بنا رد السيد الطباطبائي في محل تعجبه من هذا القول الذي اشرنا اليه سابقا^٤ .

ولا يفوتنا الاشارة الى حديث امير المؤمنين عليه السلام الذي يعضد ما اشرنا اليه اعلاه من انطباق التمثيل على اهل البيت عليهم السلام واعدائهم اذ يقول : " سموهم باحسن امثال القرآن ، يعني عترة النبي عليه السلام هذا عذب فرات فاشربوا ، وهذا ملح اجاج فاجتنبوا " ^٥ .

وفي حديث للامام الصادق عليه السلام يقول لاحد اصحابه: " ان الله خلقنا ، فاکرم خلقنا ، وفضلنا وجعلنا امناء وحفظته وخرانه على ما في السموات وما في الارض ، وجعل لنا اصدقاء واعداء ، فسمانا في كتابه وكنى عن اسمائنا باحسن الاسماء ، واحبها اليه ، وسمى اصدقاءنا واعدائنا في كتابه وكنى عن اسمائهم وضرب لهم الامثال في كتابه في ابغض الاسماء اليه والى عباده المتقين... " ^٦ .

١- القمي: تفسير القمي: 369/1 . العياشي: تفسير: 225/2 . الطبرسي: جوامع الجامع: 282/2 - 283 . الفيض الكاشاني: التفسير الأصفى: 86/3 .
٢- العياشي: تفسير: 225/2 . المجلسي: البحار: 142/24 .
٣- روح المعاني: 215/13 .
٤- ينظر من هذا الفصل : 239 - 240 .
٥- العياشي: تفسير : 13/1 . المجلسي: البحار: 116/89 .
٦- الحسيني: تأويل الآيات: 19/1 . المجلسي: البحار : 303/24 .

مر بنا في نصوص النهج ان الامام امير المؤمنين عليه السلام قد اكد على ان التنسيل الذري النبوي قائم على اساس الاصطفاء ، وهذا ما اشارت اليه آيات الذكر الحكيم اذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^١. اذ اقتضت حكمة الباري ان يكون الانبياء من نوي الانساب الاصيلة والاقوام العريقة الشريفة . ومن خلال إشارات نصوص نهج البلاغة يمكننا ان نقف على اهم ميزات السلالة الطاهرة للاباء والامهات التي احتضنت النور المحمدي :

الطهارة: مر بنا فيما مضى الاشارة الى طهارة الاصلاب والارحام التي تشرفت بحمل نور النبي محمد صلى الله عليه وآله من لدن ادم عليه السلام ، اذ يقول عليه السلام : " تَنَاسَخْتَهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ " ^٢ . وهذه الطهارة تشمل جانبيين :

الاول: الطهارة من دنس الرجس والزنا والسفاح وكل متعلقات وفواحش الجاهلية ، اذ لم يكن في نسبه وشب ^٣ . وفي هذا يقول امير المؤمنين عليه السلام : " لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ " ^٤ . وفي اشارة ثانية يقول : " مُسْتَقَرَّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرَّرٌ ، وَمُنْبِئُهُ أَشْرَفُ مُنْبِئٍ ، فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ " ^٥ . اذ حمل معنى " مماهيد السلامة " ، ها هنا بمعنى : البراءة من العيوب اي في نسب طاهر غير م أفون ولا معيب " ^٦ . ومن قبله نجد ان النبي صلى الله عليه وآله يؤكد هذا الامر بعدة احاديث عدة منها : قوله صلى الله عليه وآله : " ما مسني عرق سفاح قط ، وما زلت انقل من الاصلاب السليمة من الوصوم - اي العيوب - والارحام البريئة من العيوب " ^٧ . وفي قول آخر يقول صلى الله عليه وآله : " خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح ، من لدن

١- سورة آل عمران الآيتين 33-34.

٢- نهج البلاغة: ص176.

٣- وشب: اختلاط في النسب يدعو الى الريب. ينظر: الفراهيدي: العين : 291/6.

٤- نهج البلاغة: 448 .

٥- نهج البلاغة: ص178 .

٦- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 7 / 55.

٧- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 70/11.

آدم لم يصبني سفاح الجاهلية ، ولم اخرج الا من طهر " ¹ . وقال عليه السلام : " ان الله لم يمسنني بسفاح في ارومتي منذ اسماعيل بن ابراهيم الى عبد الله بن عبد المطلب " ² . وجاء في تفسير الآية الشريفة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ³ ، قال عليه السلام : نسبا وصهرا وحسبا ليس من آبائي من لدن آدم سفاح ، كلنا بنكاح . ولقد قال الكلبي: كتبت للنبي عليه السلام خمسمائة ام ، فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه اهل الجاهلية ⁴ .

ومما لا يفوتنا تسجيله ما قد يتبادر للذهن: لماذا هذا التأكيد من النبي الاعظم عليه السلام وامير المؤمنين عليه السلام على هذا الجانب ؟ هل طعن في نسب النبي عليه السلام فاستلزم الامر رده بهذه الاحاديث ام انها ادراك للامر قبل وقوعه !!؟

لو تصفحنا مرويات بعض المصادر التاريخية لوجدناها قد روجت لهذه الطعون وباتت الاجيال تتناقلها وكانها من المألوفات الهي لا ضير فيها ، ويمكن ان نستقرأ من خلالها رؤية تبين ان النبي عليه السلام لا فضل له الا النبوّة ، وانه كالاخرين الذين شابت انسابهم شوائب الجاهلية وارجاسها ، لكن هذه الرؤية لا تمثل الجميع فهناك من ذهب الى رأي مخالف واكد على طهارة آباء النبي عليه السلام وامهاتهم هذه الناحية ⁵ .

- ١- ابن سعد: الطبقات: 61/1 . الطبراني: المعجم الاوسط : 80/5 . الرامهرمزي: الحد الفاصل: ص 470. الصدوق: الاعتقادات في دين الإمامية : ص110. الحاكم: معرفة علوم الحديث: ص171. الهيثمي: مجمع الزوائد: 214 /8 .
- ٢- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 63/7 .
- ٣- سورة التوبة الآية 128 .
- ٤- ابن سعد: الطبقات 60/1 - 61 . ابن عساکر: تاريخ دمشق: 403/3 . ابن سيد الناس: عيون الأثر: 36/1 . السيوطي: المحاضرات والمحاويرات : ص55. القندوزي: ينابيع المودة: 61/1 .
- ٥- ينظر على سبيل المثال ما جاء في الرسائل العشر للسيوطي: ومنها : الرسالة الأولى: المقامة السندسية في النسبة المصطفوية : ص 7- 26 ، الرسالة الثانية: الدرج المنيفة في الآباء الشريفة : ص 27 - 43 ، الرسالة الثالثة: مسالك الحنفا في والدي المصطفى: ص 45-102 ، الرسالة الرابعة: نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين : ص 103 - 118 ، الرسالة الخامسة: التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة: ص 119-164 ، الرسالة السادسة: السبل الجليلة في الآباء العلية : ص 165 - 179 ، الرسالة السابعة : تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء: ص 181-196 إيمان الساعدي: والدي النبي محمد عليه السلام ، الفصل الثالث، تحت عنوان (عقيدة والدا النبي عليه السلام) . حيدر إسماعيل: آباء النبي محمد عليه السلام من آدم إلى عبد الله : ص 6 - 348 .

الذي يستدعي قوله هنا: انه يتضح وفق ذلك ان الامام امير المؤمنين عليه السلام له رؤية مغايرة لما ألفت عليه تلك المصادر التي اساءت للنبي صلى الله عليه وآله ، وانه سبق جميع الباحثين والمؤرخين الذين دفعوا هذه الشبهات بالادلة الوافية ، بل انه عليه السلام قد استبق زمن وضع هذه المرويات ليقول كلمته الفصل في رد كل ما سيضعه الوضاعون للنيل من طهارة نسب النبي صلى الله عليه وآله .

وللماوردي¹ كلام لطيف في هذا المجال يختصر المقال بقوله : " واما طهارة مولده ، فلين الله تعالى استخلص رسوله من اطيب المناكح ، وحماه من دنس الفواحش ، ونقله من اصلاب طاهرة الى ارحام مطهرة . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل قوله تعالى - وَقَلْبُكَ فِي السَّاجِدِينَ² - أي تقلبك من اصلاب طاهرة من أب بعد أب الى أن جعلك نبيا ، وكان نور النبوة في آباءه ظاهرا ، واذا خبرت حال نسبه ، وعرفت طهارة مولده ، علمت انه سلالة آباء كرام سادوا ورأسوا لانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ... [وساق نسبه الى عدنان ثم قال]: ليس في آباءه حامل وله مسترذل ولا مغمور مستذل كلهم سادة قادة وهم اخص الناس بالمناكح الطاهرة ."

الثاني: الطهارة من الشرك: قد صرحت كلمات امير المؤمنين عليه السلام السابقة لفظا ومعنى بطهارة اسلافه صلى الله عليه وآله من الكفر والشرك بالله الذي الحقته بعض المرويات التاريخية بآباء النبي صلى الله عليه وآله . والكافر لا يقال بحقه : انه مختار او كريم ولا طاهر لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾³ . وفي قوله تعالى ﴿ وَقَلْبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ دلالة لا لبس فيها على طهارة آباءه صلى الله عليه وآله من كل شرك وكفر . وهنا تنفي تقولات بعض الرواة الذين نجد في مروياتهم ما يشير الى ان من آباءه صلى الله عليه وآله من اشرك بالله وعبد الاصنام ، كما هو الحال في الرواية المزعومة التي نسبت الى جد النبي صلى الله عليه وآله خزيمة بن مدركة⁴ انه اول من وضع

١- اعلام النبوة : ص 201- 202

٢- سورة الشعراء الآية 219 .

٣- سورة التوبة الآية 28.

٤- هو خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فهو الجد الرابع عشر للنبي صلى الله عليه وآله . كان احد حكام العرب ، وصاحب الفضل والسؤدد فيهم ، كان من الموحددين ومات على ملة النبي ابراهيم عليه السلام . ينظر : اليعقوبي: تاريخ: 229/1. الصالحي: سبل الهدى: 287/1. الديار بكري: تاريخ الخميس: 150/1.

هبل في الكعبة حتى سمي هبل خزيمة^١ . رغم ان النبي ﷺ كان قد خصه من ضمن آبائه الذين اكد انهم " على ملة ابراهيم فلا تذكرهم الا بخير"^٢ ، وذكر البلاذري ان تسمية عبد مناف جد النبي ﷺ كانت نسبة الى صنم من الاصنام^٣ بينما أصل التسمية يرجع الى انها كانت بمعنى " علا واناف"^٤ واسمه المغيرة بن قصي^٥ .

فلا يمكن قبول ما جاء في تلك الروايات الشائبة التي حاولت ان تلصق بأباء النبي ﷺ الشرك بالله او اي عمل ينافي الشريعة الالهية والثوابت العقلية ، وقد صرح النبي ﷺ بان آباءه واجداده كانوا موحدين وعلى ملة ابراهيم ﷺ^٦ . وفي مراجعة فاحصة لسير حياتهم نجد ان مع لم التوحيد بارز في ثنيتها ورغم ان هناك من تكفل باستقصاء تلك الشبهات وردھا الا اننا انما ألمحنا بشكل موجز لتلك الشبهات دون الخوض في تفاصيلها بغية بيان الفارق بين رؤية امير المؤمنين ﷺ ومن اهتدى بنوره ، وبين الرؤية السلبية للروايات التاريخية الموضوععة في هذا الجانب^٧ .

نخلص إلى القول إن النبي ﷺ تميز بانتسابه الى اعرق واشرف الأنساب إذ قيض له الباري آباء وأمهات طاهرون مطهرون من كل شائبة ودنس رغم تواجدهم في بيئة مشوبة في الاعم الاغلب بالآثام ، إلا ان المسار النبوي الطيب تنزه عن كل ذلك فتسامى طيباً كريماً معافى.

- ١- البلاذري: انساب الاشراف : 37/1 . ياقوت الحموي: معجم البلدان: 391/5 . ابن الاثير: الكامل: 28/2 . النويري: نهاية الارب : 12/16 . البغدادي: خزانة الادب : 212/7 .
- ٢- ابن حجر : فتح الباري : 125/7 . ولقد ناقش إسماعيل هذه الشبهة ودحضها بعدة أدلة . ينظر: آباء النبي محمد ﷺ : ص 91 - 94 .
- ٣- البلاذري: انساب الاشراف: 52/1 .
- ٤- مناف : مأخوذ من ناف أي ارتفع ، وجبل منيف ، أي مرتفع ، وجبل عالي المناف، أي المرتقى ، وناف ينوف ، أي طال ، وإمرأة منيفة ، تامة الحسن والجمال . ومنه عبد مناف . الزمخشري: أساس البلاغة: ص 996 . ابن منظور: لسان العرب: 342/9 - 343 .
- ٥- ابن سعد: الطبقات: 55/1 . ياقوت الحموي: معجم الأديباء: 41/14 . ابن شهر آشوب: المناقب: 134/1 . المجلسي: البحار: 104/15 .
- ٦- ينظر: إسماعيل: آباء النبي محمد ﷺ : ص 45-59 .
- ٧- لمزيد من التفاصيل ينظر: اسماعيل: آباء النبي محمد ﷺ (الصفحات جميعها) . وينظر : حسين الصافي : آباء النبي ﷺ في الكتاب والسنة : ص 105-124 .

لقد تميزت سلالة النبي ﷺ بمكارم ومحامد كثيرة ، لا يتسع المجال للإفاضة فيها، لذا سنقتصر على الاشارات الموجزة التي وردت في مظان كلام أمير المؤمنين ﷺ ، فقد اشار الى عدة جوانب ، وخصائص ذاتية ، ومكارم أخلاقية اختص بها آباء النبي ﷺ ، من قبيل وصفه لبني هاشم بالكرم ، والسخاء ، والشجاعة ، والفصاحة ، والهيبة ، اذ يقول ﷺ : " وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْدَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا ، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا ، ... ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ " ^١ .

ولا يسعنا الاستفاضة في تتبع مصاديق هذه الصفات والسجايا على جميع آباء النبي ﷺ ، بل سنركز الحديث على ثلاث شخصيات خصها الامام أمير المؤمنين ﷺ بذكره لها في معرض المساجلة بينه وبين معاوية ، اذ قال له : " وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةَ كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ " ^٢ .

ففي جانب الكرم والسخاء ، فإننا نجد هاشماً ^٣ الذي اسمه " عمرو " ^٤ شهد له التاريخ بسخاء لا مثيل له ، حتى ان لقبه بـ " هاشم " كان كناية عن جوده وكرمه ، اذ عُرف به لت هشيمه الثريد لبني قومه في ازمة لحقتهم في عهده ^٥ . وفي ذلك يقول الشاعر (ابن الزبير) ^٦ :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه
كانوا بمكة مسنتين عجاف^٧

١- نهج البلاغة: ص 677 - 678.

٢- نهج البلاغة : ص 511.

٣- لمزيد من التفاصيل ينظر : رياض رحيم الصفراني : هاشم بن عبد مناف دراسة في سيرته الشخصية : (الصفحات جميعها) .

٤- سمي عمرو العلا لمعالبه . ينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 15 / 210 .

٥- ابن عساکر: تاريخ دمشق: 3 / 59 . ابن الجوزي: المنتظم : 210/2 . النويري: نهاية الارب : 2 / 358 . ابن كثير: السيرة النبوية : 164/2 . ابن حجر: فتح الباري : 124/7 .

٦- هو عبد الله بن الزبير السهمي القرشي من شعراء المشركين، كان يؤذي النبي ﷺ في مكة ، وهو صاحب الأبيات المشهورة يوم أحد ثأراً لقتلى المشركين يوم بدر :

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخرج من وقع الأسل

اسلم عام الفتح ، فكان من الطلقاء . ينظر : ابن عبد البر: الاستيعاب : 3 / 901 . ابن الأثير: أسد الغابة : 3 / 159 .

٧- الازرقى: أخبار مكة 1 / 112 ، السهيلي الروض الأنف 1 / 161 . وقد نسبة آخرون إلى مطرود بن كعب الخزاعي . ينظر: ابن حبيب: المنق : ص 27 . اليعقوبي: تاريخ : 1 / 243 . ابن عنبه: عمدة الطالب : ص 25 .

" كانت مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء ، وكان يحمل ابن السبيل ويأوي الخائف " ^١
 وقد تولى هاشم مهام الرفاة وهي التي تتضمن تهيئة الطعام للحاج ايام الموسم ^٢ ، وكانت فضيلة
 اطعام الطعام من اكبر الفضائل التي يمتدح بها العرب ، وينال صاحبها الاحترام العام ، والمنزلة الرفيعة
 والسمعة الطيبة ، بل كانوا يعتبرون المؤكلة عقد رباط وجوار ^٣ . وكان هاشم قد وصل القمة في الكرم
 وذاع صيته عند قريش وخارجها، حتى عجز بعض فروع قريش ان يصنعوا صنيعه في الكرم والاطعام
 كأمية بن عبد شمس في قضية المنافرة المعروفة ^٤ .

ما أحد كهاشم وإن هشم ولا أمرؤ كحاتم وإن حتم ^٥

وقد آلت اليه زعامة مكة ، وساد قومه ، واعد الى الازهان سيرة جده قصي بن كلاب ، وقد توفر
 لديه القدرة على الوفاء بالتزامات الرئاسة من الشجاعة والكرم ورجاحة العقل وبذل المال وغيرها من سمات
 هيأت له السيادة على قومه ، يقول الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي ^٦ :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بدار عبد مناف ^٧

وكان من احسن الناس وجهاً حتى لقبته العرب لجماله " قدح النضار ^٨ " و " البدر " ، وكان له من
 الهيبة حتى قيل انه لم يكن يراه احد الا احبه واقبل نحوه ^٩ .

-
- ١- الديار بكري : تاريخ الخميس : 1 / 158 .
 - ٢- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 15 / 209.
 - ٣- الملاح: الوسيط : ص382.
 - ٤- محمد بن ابراهيم آل لطيف: مآثر آل البيت وبنو هاشم : ص 52 . النصرالله : شرح نهج البلاغة : ص60-61.
 - ٥- الثعالبي: يتيمة الدهر : 4 / 341.
 - ٦- هو من فحول شعراء الجاهلية ، ارتكب جنابة فلجأ إلى عبد المطلب فأمنه ، وبقي عنده في حماية بني هاشم. ينظر:
 الزركلي: الأعلام : 7 / 251.
 - ٧- ابن حبيب : المحبر ص163 . البلاذري : انساب الاشراف : 1/ 59 . الشريف المرتضى: الامالي : 4 / 178.
 - ٨- هو شجر الاثل الورسي للون. الزمخشري: الفائق في غريب اللغة: 3 / 305. وقيل هي الاقداح الحمر الجيشانية .
 ابن منظور : لسان العرب: 5 / 214.
 - ٩- الصالحي الشامي: سبل الهدى: 1/ 270.

وقد ورث ولده عبد المطلب من أبيه من صفات الكمال والجمال والسخاء ما فاق فيه من سواه، إذ كان سيّداً من سادات العرب ومقدميهم، فصيحاً، عاقلاً، ذا إناة ونجدة، ومن الأربعة الذين وطد الله بهم قريش وبنو مكة ونظموها وتعاهدوا البيت الحرام^١. فمن صفاته الشخصية أنه كان أوسم العرب شكلاً، شكلاً، وأعظمهم مهابة، وأجملهم صفاتاً، وأطولهم قامة، وأحسنهم وجهاً^٢.

وكان من حلماء قريش وحكمائها، وكان مجاب الدعوة محرماً الخمر على نفسه، وهو أول من تحنث بحراء، وقد دأب على اطعام المساكين، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال، ولذلك كان يقال له مطعم الطير، ويقال له الفياض^٣.

وله من الهيبة التي ما رآه ملك قط إلا أكرمه وشفعه^٤، وقد روي عن النبي الأعظم ﷺ: "إن الله يبعث جدي عبد المطلب أمة وحده في هيئة الأنبياء وزيّ الملوك"^٥. ومما شرف به عبد المطلب عبادته عبادته، وزهده، وفصاحته، وموقفه الشجاع في مواجهة إبرة صاحب الفيل، فكان أن لقبته قريش بابراهيم الثاني^٦. وكان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور وشريفهم وسيدهم كمالاً وفعالاً^٧. وكان مقراً بالتوحيد، مثبتاً للوعيد وتاركاً للتقليد^٨. أما شعره وفصاحته فاشهر من أن يذكر، وله ديوان شعر مطبوع^٩.

١- آل لطيف: مآثر آل البيت ويني هاشم ص 55 .

٢- لقد وصفه دغفل النسابة قائلاً: " كان عبد المطلب ابيض، مديد القامة، حسن الوجه، في جبينه نور النبوة، وعز الملك، يطيف به عشرة من بنيه، كأنهم أسد غاب". ينظر: أبو الفرج الاصفهاني : الأغاني : 45/1.

٣- احمد بن زيني دحلان : السيرة النبوية : 1 / 22 . وينظر : اسماعيل : آباء النبي محمد ﷺ : ص 158 - 165 .

٤- ابن سعد : الطبقات : 1 / 85 .

٥- اليعقوبي: تاريخ 2 / 14.

٦- اليعقوبي: تاريخ 2 / 11. ولمزيد من التفاصيل عن موقفه المتميز في مواجهة إبرة ينظر : النصر الله : شرح نهج البلاغة : ص 61 - 65 .

٧- دحلان : السيرة النبوية : 1 / 22 .

٨- المسعودي : مروج الذهب : 2 / 103 .

٩- ينظر : اسماعيل : آباء النبي ﷺ : ص 164 - 165 .

كان بنوه ممن اشتهر بصفات ندر وجودها ، حتى قيل : " لم يكن في العرب عدة بني عبد المطلب ، اشرف منهم ولا اجسم ، ليس منهم رجل الا اشم العرينين ، يشرب انفه قبل شفثيه ، ويأكل الجذع ، ويشرب الفرق " ^١ . وكان لكل واحد من ولد عبد المطلب شرف وذكر وفضل وقدر ومجد ^٢ قال ابو حيان التوحيدي ^٣ : " انصرف العباس بن مرداس السلمي من مكة فقال: يا بني سليم ، اني رأيت أمراً، وسيكون خيراً، رأيت بني عبد المطلب كأن قنودهم الرماح الردينية ^٤ ، وكأن وجوههم بدور الدجنة ، وكأن عمائمهم فوق الرجال ألوية، وكأن منطقتهم مطر الوبل على المحل ؛ وإن الله إذا أراد ثمراً غرس له غرساً ، وإن أولئك غرس الله؛ فترقبوا ثمرته، وتوكلوا غيئه ، وتقيئوا ظلاله ، واستبشروا بنعمة الله عليكم به".

وعن الكلبي: " فلم يكن في العرب بنو اب مثل بني عبد المطلب أشرف منهم ولا اجسم شم العرانيين تشرب انوفهم قبل شفاهم " ^٥ . وفي اعلام النبوة للماوردي ^٦ : " وصار عبد المطلب سيداً عظيم القدر مطاع الامر نجيب النسل حتى مر به اعرابي وهو جالس في الحجر وحوله بنوه كالأسد فقال: إذا احب الله إنشاء دولة خلق لها امثال هؤلاء. فأنشأ الله لهم بالنبوة دولة خلد بها ذكرهم ورفع لها قدرهم حتى سادوا الانام وصاروا الاعلام وصار كل من قرب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من آياته أعظم رياسة وتتوها وأكثر فضلا وتألها " .

وممن برز من ولده وحاز سيادة قومه بعد ابيه ولده ابو طالب عليه السلام الذي اشتهر بالكرم والشجاعة والفصاحة والهيبه والجمال . فاما كرمه، فقد كان كآبائه سخياً كريماً معطاءً، حتى قيل فيه: " الجواد بما يملك من غير منة ، والسبح بما يستطيع بلا طلب " ^٧ ، وقد بلغ من جوده ان اعترف اعدائه له بهذه

١ - ابن حبيب: المنمق: ص34.

٢ - اليعقوبي: تاريخ: 2 / 11 .

٣ - الامتاع والمؤانسة: 1 / 76 .

٤ - الرماح الردينية: نسبة لأمرأة تدعى ردينة كانت تسوي الرماح بخط هجر، الجوهري: الصحاح 2122/5 ، ابن منظور: لسان العرب 13 / 178، الزبيدي: تاج العروس: 18 / 232.

٥ - ابن سعد: الطبقات: 1 / 94 . ابن عساكر: تاريخ دمشق: 3 / 117.

٦ - ص 215.

٧ - المسعودي: اثبات الوصية: ص 135.

المكرمة.¹ اما دليل شجاعته فانه لا يحتاج الى بيان، اذ يكفي موقفه من نصرته النبي ﷺ ووقوفه بوجه اعلى عتاة قريش، وقد عبر هو ﷺ عن شجاعته بقوله²:

انى تضام ولم أمت وانا الشجاع العريد

وقد قيل عنه ﷺ: " لو ولد الناس ابو طالب لولد لهم شجعاناً " ³ وقد جعلته هذه السمات السيد المطاع في قومه والافضل بين رجالات قريش وهذا ما اشارت اليه وفود قريش لما وفدوا عليه يشكون اليه امر رسول الله ﷺ لانه عاب دينهم وسفه احلامهم فخطبوا ابو طالب بقولهم " انت سيدنا وافضلنا في انفسنا " ⁴.

ثانياً: الميثاق:

وردت هذه المفردة " الميثاق " في ثلاث مواضع من كلامه الشريف في نهج البلاغة:

- 1 - واصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وُلْدِهِ أَنْبِيَاءَ ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرَّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ ⁵
- 2 قوله ﷺ في معرض حديثه عن النبي ﷺ: " مَأْخُوداً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ ، مَشْهُورَةً سِمَاتِهِ " ⁶.
- 3 الذي يختص بوظيفة النبوات إذ يقول ﷺ: " لَيْسَتْ أَدْوَاهُ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ " ⁷.

١- روي ان احدهم دخل على معاوية في مجلسه فقال : " جئتك من عند الأم العرب وا بخل العرب واعيا العرب واجين العرب ، قال ومن هو ... قال علي بن ابي طالب " فلما اختلفى به وبخه قائلاً : " ويحك يا جاهل كيف يكون الأم العرب وابوه ابو طالب وجده عبد المطلب " . الاربلي : كشف الغمة : 2 / 48 . وينظر : المحمداوي : ابو طالب : ص 23 .

٢- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 14 / 77.

٣- الإربلي: كشف الغمة 2/235.

٤- ابن سعد : 1/202 . وينظر : المحمداوي : ابو طالب : ص 24 - 25 .

٥ - نهج البلاغة : ص19.

٦ - نهج البلاغة : ص20 . 21.

٧ - نهج البلاغة : ص20 . ينظر من هذا الفصل ص : 222 - 226

إن هذه المقاطع تنبئ عن ميثاق مأخوذ ، ففي المقطع الأول ، إن الذي أخذ الميثاق هو الله تعالى على أنبيائه وهذا ما أشار إليه في كتابه الكريم بقوله جلا وعلا: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾^١.

والمعنى في كلام الإمام عليه السلام انه تعالى أخذ الميثاق عليهم بان يبلغوا الناس ما أوحى إليهم الله سبحانه ، فقد أعطى الرسالة وأخذ الأمانة ، فان بلغوا الرسالة رد إليهم الأمانة ، فهم ذوو أمانة ، وان لم يبلغوا الرسالة لم يرد إليهم الأمانة^٢.

إذ حكمت الحكمة الإلهية عليهم بالقوة على ما كلفوا به من ضبط الوحي في ألواح قواهم ، وجذب سائر النفوس الناقصة إلى جناب عزته بحسب ما أفاء لهم من القوة على ذلك الاستعداد له ، وما منحهم من الكمال الذي يقتدرون معه على تكميل الناقصين من أبناء نوعهم . ولما كانت صورة العهد ، وأخذ الأمانة في العرف أن يوعز الإنسان بأمر ، ويؤكد على القيام به بالإيمان وإشهاد الحق سبحانه ، وكان مداد الحكم الإلهي جاريا بإرسال النفوس البشرية إلى هذا العالم ، وكان مداد العناية الإلهية من ذلك البعث أن يظهر ما في قوة كل نفس من كمال أو تكميل إلى الفعل ، وكان ذلك لا يتم إلا بواسطة بعضها للبعض كان الوجه الذي بعث عليه مشبها للعهد والميثاق المأخوذ والأمانة المودعة كل لما في قوته وما اعد له^٣.

يبدو من كلامه أعلاه في النص الأول إن هذا الميثاق كان عاما للأنبياء جميعا ، كما هو واضح أيضا في مراد الآية أعلاه ، وان كانت خصت فيما بعد بخمسة من الأنبياء هم أولو العزم وفي مقدمتهم النبي محمد صلى الله عليه وآله لعظمته وشرفه وتقدم مكانته ، مما يدل على إن المسؤولية عليهم اشد وان لهم خصوصية ولا سيما في هذا المجال.

أما المقطع الثاني " مأخوذا على النبيين ميثاقه ، مشهورة سماته " ، فهنا رأيان:

الأول: إن الله أخذ ميثاقه وهو الدعاء إلى توحيده والإقرار بربوبيته.

١ - سورة الأحزاب الآيتان 7 . 8 .

٢ - الشيرازي : توضيح نهج البلاغة : 36/1 .

٣ - ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 348 .

الثاني: إن الله اخذ ميثاق النبي محمد ﷺ وتصديقه والاعتراف بنبوته^١.
والى مثل هذا المعنى أشار القرآن إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^٢.

ومحصل معنى الآية: إن الله اخذ الميثاق من الأنبياء وأمهم إن لو أتاهم الله الكتاب والحكمة وجاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن بما أتاهم وينصرن الرسول وذلك من الأنبياء تصديق من المتأخر للمتقدم والمعاصر، وبشارة من المتقدم بالمتأخر وتوصية الأمة، وعلى الأمة الإيمان والتصديق والنصرة، ولازم ذلك وحدة الدين الإلهي^٣. وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله اخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا أن يخبروا أمهم بمبعثه ونعته، ويبشروهم به ويأمرهم بتصديقه^٤. وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: لم يبعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا اخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ثم تلا: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ). من هنا حصلت به البشائر من الأنبياء اجمعهم قبل إخراجهم إلى العالم بالوجود، وإنما أراد جل اسمه بذلك إجلاله وإعظامه وان يأخذ العهد له على الأنبياء والأمم كلها...^٥.

أما في قول أمير المؤمنين عليه السلام: "مشهورة سماته"، إشارة واضحة إلى وضوح صفاته وعلاماته في الكتب المنزلة والصحف السماوية السابقة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^٦. أي أنهم ليسوا مطلعين على أصل ظهوره ودعوته فحسب، بل ويعرفون أيضا إشارات وخصوصياته وجزئياته، حتى قال تعالى في ذيل الآية التي جاءت في سورة البقرة: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^٧، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ

١- الحسيني: الديباج الوضي: 1 / 165.

٢- سورة آل عمران الآية 81.

٣- الطباطبائي: الميزان: 3 / 323.

٤- الطبرسي: مجمع البيان: 2/334. المجلسي: البحار: 15/176.

٥- المفيد: المسائل السروية: ص 41.

٦- سورة البقرة الآية 146، سورة الأنعام الآية 20.

٧- سورة البقرة الآية 146.

٨- ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: 8 / 288.

مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿١﴾ وروى عن الإمام الباقر عليه السلام: "يعني اليهود والنصارى صفة محمد واسمه" ^٢.

إن الالفت للنظر: إن القرآن لا يقول: (يجدون علائمه ودلائله) بل يقول (يجدون) أي يجدون نفس ذلك النبي عليه السلام في التوراة والإنجيل ، وهذا التعبير الذي يعني حضور النبي عليه السلام في كتبهم هو تأكيد على منتهى وضوح الأمر ^٣.

وروى عن الإمام الباقر عليه السلام: " لما أنزلت التوراة على موسى بشر بمحمد عليه السلام ، قال: فلم تنزل الأنبياء تبشر به حتى بعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فبشر بمحمد عليه السلام ، وذلك قوله (يجدون) ، يعني اليهود والنصارى ، (مكتوبا) ، يعني النبي محمد (عندهم) يعني في التوراة والإنجيل ، وهو قول الله عز وجل يخبر عن عيسى: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ " ° ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^٦. إذ لما ظهر النبي عليه السلام نهضوا لمخالفته ووقفوا ضده ، رغم إن مسألة ظهوره كانت واضحة في كتبهم ^٧.

والنقطة الجديرة بالتأمل إن عبارة (مصدق لما معهم) أو ما يشابهها من تعبير وردت في القرآن الكريم مرات عدة ^٨ ، وليس مفهومها إن النبي عليه السلام يؤيد كتبهم السماوية مع ما حدث فيها من تحريف ، بل المقصود إن أوصاف النبي عليه السلام موافقة ومتطابقة مع العلامات والإشارات التي في أيديهم ، وبتعبير

١ - سورة الأعراف الآية 157 .

٢ - أبو حمزة الثمالي: تفسير أبي حمزة: ص176. البحراني: الدرهمان: 594/2. المجلسي: البحار: 227/15.

٣ - ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية : 8 / 290..

٤ - سورة الصف الآية 6.

٥ - الكليني : الكافي 117/8. المجلسي: مرآة العقول : 280 / 25.

٦ - سورة البقرة الآية 89 .

٧ - ينظر: هادي عبد النبي التميمي: الدور اليهودي في الدولة الاسلامية حتى نهاية عصر الرسول عليه السلام: ص 40-53.

٨ - ينظر مثلا: سورة البقرة الآيتان 89 ، 146، سورة الأنعام الآية 20 ، سورة الأعراف الآية 157، سورة الصف الآية

آخر إن للنبي ﷺ وكتابه السماوي نفس الأوصاف التي كانوا يعرفونها من قبل ، وكان هذا تصديقا لكتبهم السماوية من ناحية تطابقها تماما مع صفاته ﷺ^١ .
والى اليوم فان علاماته وسماته ﷺ موجودة في الكتب التي في متناول أيدينا (التوراة والإنجيل) وبالإمكان الوقوف عليها إذا ما تم استقصاؤها بدقة^٢ .

ثالثا: الاختصاص بالوحي:

ومن جملة المزايا التي اختص بها الأنبياء والمرسل ون ، إن الله سبحانه خصهم بالإيحاء الإلهي ، الذي كان اتصالا غيبيا خفيا بين الله وأصفيائه ، الذين اجتباهم لتأدية رسالاته ، يقول أمير المؤمنين ﷺ : " بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ " ^٣ وهو صدى قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . وجاء في في خطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين ﷺ بضعة إشارات إلى ظاهرة الإيحاء الإلهي ، إذ أشار ﷺ إلى أنها ظاهرة تشترك فيها جميع الأنبياء ، وإنها لازمتهم منذ بدء اصطفائهم إذ اتتمنهم الله سبحانه على وحيه ، وتبليغ رسالته ، وتعهدوا هم بأداء الأمانة على أكمل وجه وأتمه ، يقول ﷺ : " **وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ** " ^٤ فمقام تلقي الوحي والرسالة ليس من صنف المقامات المتاحة للجميع ومن دون مؤهلات واستحقاق لها ، فهو مقام لا يعطى إلا لمن توفرت فيه مقدمات الكمال وشروطه و ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾^٥ . وهنا لا بد من وقفة تعريفية مع مفردة (الوحي) التي نحن بصدد الحديث عنها:

١- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 8 / 292 .

٢- ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: 8 / 293 - 302 .وينظر عودة مهاوش : الكتاب المقدس تحت المجهر : ص138-153 .

٣- نهج البلاغة: ص262.

٤- سورة الشورى الآية 3.

٥- سورة الزمر الآية 65 .

٦- نهج البلاغة : ص 19 .

٧- سورة الأنعام الآية 124 .

الوحي - لغة - إعلام في خفاء ، وقيل: الإشارة السريعة ، وكل ما ألقى إلى آخر فهو وحي من إشارة أو كتابة أو رسالة أو الهام أو كلام خفي^١ ، ومن خلال تقصي استعمالات مفردة " الوحي " في القرآن الكريم يمكن أن نقف على نوعين للوحي الإلهي :

الوحي التشريعي: ما كان ينزل على الأنبياء ويمثل العلاقة الخاصة بينهم وبين الخالق ، فقد كانوا يستلمون الأوامر الإلهية والحقائق عن هذا الطريق.

الوحي التكويني: وهو في الحقيقة وجود الغرائز والقابليات والشروط والقوانين التكوينية الخاصة التي أوجدها الخالق في أعماق جميع الكائنات في هذا العالم^٢.

إن الذي عليه مدار بحثنا هو النوع الأول الذي اصطلح على تسميته بالوحي الشرعي أو التشريعي ، وفيه يشترك جميع الأنبياء والرسل ، وإن مصدره الله تعالى ، ولا يتلقاه منه أو من الملك المخصص إلا نبي أو رسول لرب العالمين ، فهو متميز إرسالاً عن سواه من طرق الوحي ، ومتميز بمستقبله الذي يجب أن يكون حائزاً على شرف النبوة أو تكليف الرسالة^٣. فالوحي من لوازم النبوة ، وهو نوع تكليم الهي تتوقف عليه النبوة^٤.

للوحي صور متعددة يمكن الوقوف عليها من خلال مراجعة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والمقطوعات الروائية ، ولكن سنقتصر على صور الإيحاء الخاصة بالنبوة والإرسال التي يمكن إيجازها بالآتي :

أ - **الوحي المباشر:** وهي حالة إلقاء الكلمة الإلهية إلى الرسول بدون وساطة ملك ، كما خاطب الله نبيه محمداً ﷺ في معرجه إلى السموات العلى^٥ ، وكما خاطب الله نبيه موسى ﷺ في قوله

١- الجوهري: الصحاح: 6 / 2519-2520. ابن فارس: المعجم : 6 / 93 . ابن الأثير: النهاية: 5 / 163. الرازي: مختار الصحاح : ص 365 . ابن منظور: لسان العرب: 15 / 379-382 .
٢- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: 15 / 421.
٣- اقبال بن عبد الرحمن ابداح: الوحي القرآني بين المفسرين والمستشرقين: ص 22 - 24.
٤- الطباطبائي: الميزان: 2 / 135.
٥- سورة النجم الآيات 13 . 18 .

تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾^١.

ب عن طريق الملك جبرئيل ﷺ : قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾^٢.

ج- الإيحاء بواسطة الرؤيا: كما في قضية رؤيا النبي إبراهيم ﷺ^٣، وكما في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ... ﴾^٤.

د - الإلقاء المعنى في قلب النبي أو نفثه في روعه بصورة يحس بأنه تلقاه من الله تعالى. قال ﷺ: " يا أيها الناس انه قد نفث في روعي روح القدس... " ^٥.

وهناك تفصيلات وتفرعات أخرى تخص الوحي وصوره وخواصه لا مجال لبحثها هنا ^٦.

لقد كانت أوضح صور الإيحاء بيانا في كلمات أمير المؤمنين ﷺ هو ما كان عن طريق الملائكة ، وفيما عداها تبدو إشارات ﷺ عامة عن ظاهرة الوحي. ففي معرض حديث أمير المؤمنين ﷺ عن مهام الملائكة ، قال ﷺ : " وَمِنْهُمْ أَمْنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ وَالسِّنَّةُ إِلَى رَسُولِهِ " ^٧، وفي قول آخر: " جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ " ^٨ فالأمانة من ابرز سمات رسل الله- الملائكة - وقد

١- سورة طه الآيتان 11- 12 .

٢- سورة الشعراء الآيتان 193- 194.

٣- ينظر سورة الصافات الآية 102 - 107.

٤- سورة الفتح 27.

٥- الشافعي: المسند: ص 233. الصنعاني: المصنف: 11 / 125. ابن أبي شيبة: المصنف: 8 / 29. الصفار: بصائر الدرجات: ص 473 . الكليني: الكافي: 2 / 74 ، 5 / 80 . الاسكافي: التمهيد: ص 52 . الحراني: تحف العقول : ص 40 . الطوسي: تهذيب الأحكام: 6 / 321 . الهيثمي: مجمع الزوائد: 4 / 71 . المتقي الهندي: كنز العمال: 4 / 19 ، 22 - 23 .

٦- لمزيد من التفاصيل عن ظاهرة الوحي وما قيل فيها، يراجع: ابداح : الوحي القرآني: ص 17- 136. الأملّي: الوحي والنبوة: ص 143- 153. الحكيم: علوم القرآن : ص 26، 148- 164 . .

٧- نهج البلاغة: ص 17 .

٨- نهج البلاغة: ص 157 .

أشار القرآن في وصف جبرئيل عليه السلام ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾^١ . فالملائكة هنا أمناء على إيصال الوحي للرسول والأنبياء ، والأنبياء والرسول أمناء على إيصاله للناس ، يقول عليه السلام في نعت النبي صلى الله عليه وآله : " أَمِينٌ وَحِيهِ " ، وخصه الله تعالى بأن " وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ " ^٢ .

وأشار الإمام عليه السلام في موضع آخر إلى إن بعض الملائكة لها دور خاص في التسديد الإلهي لنبيه الكريم إذ " وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صلى الله عليه وآله ، مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، يَسْتَلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ " ^٣ .

وتدل إشارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النصوص التي ورد فيها ذكر مفردة " الوحي " - على قلتها- على إرتباط الوحي بالله وأنه واسطته إلى أنبيائه ، يبلغون أحكامه وشرائعه السماوية إلى العباد، فهو عبارة عن نوع علاقة وارتباط ووحى غيبي خارج عن إطار المادة والطبيعة يحصل بين الله عز وجل وبين من اصطفاه لهذا المقام.

ويقودنا مزيد من التأمل في تلك الموارد إلى أن نستوحي حقيقة مفادها: إن الوحي هو حصيلة الاتصال بعالم الغيب ، وأنه لا يصح تحليله بأدوات معرفية معتادة ، وليس هو نتاج الحس ، ولا العقل، ولا الغريزة ، وليس وليد نبوغ الأنبياء وتفكيرهم الخاص ، كما ذهب إلى هذا القول ثلة ممن تعرضوا لبیان ماهية الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه وآله - حتى بلغ بهم فهمهم القاصر الم - ستند على روايات نسجتها مخيلة بعض الرواة في إطار مادي إلى محاولات صب الحقائق الغيبية في قوالب حسية لتفسير هذه الظاهرة الإلهية ، ولذا خلصوا إلى النتيجة التي تقول ان الأنبياء من نوابغ البشر، والوحي ما هو إلا حصيلة تفكرهم العميق ونتيجة لفعاليات حواسهم الباطنية ، وإن حقيقة " الروح الأمين " في تصور هؤلاء

١- سورة التكويد الآية 21. هناك من يرى بان المراد بهذه الآية هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وليس جبرئيل عليه السلام ينظر: السيد محمد الصدر: ما وراء الفقه : 6 / 64 - 65.

٢- نهج البلاغة : ص 329 .

٣. نهج البلاغة : ص. 251 .

٤- نهج البلاغة: ص 406 .

هي روح هؤلاء النوابغ الزكية ، ونفوسهم الصافية النقية ، وان الكتب السماوية كذلك ليست سوى أفكارهم السامية وتصوراتهم الراقية^١ .

وفي نص آخر يبين أمير المؤمنين عليه السلام إن النبي ﷺ كان بمستوى عال من الإدراك والاستيعاب والحفظ لوحي الله المنزل إذ يقول عليه السلام : " **وَإِعْيَا لَوْحِيكَ** " ^٢ . وخلافاً للانطباع الذي يعطيه مفهوم " الوحي " في كلام أمير المؤمنين عليه السلام أعلاه نجد الروايات تعكس انطباعاً يبدو في أحد أبعاده مشوشاً بخصوص حالة تلقي الوحي السماوي^٣ ، وقد ساقنا التقصي السريع لمعظم الروايات - التي تناولت بيان حالة التلقي للوحي من قبل النبي ﷺ - إلى ترسيخ طابع الشك والريبة فيما ذكره عن هذه المسألة! إذ يسأل أحدهم النبي ﷺ كيف يأتيك الوحي ؟ فيقول ﷺ : " أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول " ^٤ .

فهل هذا تعدد أم تناقض؟ في الأولى يبدو عنيفاً يتكلف النبي ﷺ شدة حتى يبلغ درجة الوحي، وفي الثانية يكون لنا فيعي منه ﷺ مباشرة؟! وقد علل باحث ذلك بقوله: " ولعل حكمة ظهوره على الصورة البشرية واضحة الدلالة على معناها من حيث كونها أكثر إيناساً وتأميناً للمخاطب^٥ .

١- سبحاني: العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام: ص 127.

٢- نهج البلاغة: ص 107.

٣- لمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الجبار ناجي : نقد الرواية التاريخية : ص 201- 300 .

٤- الإمام مالك: الموطأ: 1 / 202. الحميدي: المسند: 1 / 125. ابن راهويه: مسند ابن راهويه : 252/2. ابن حنبل: المسند: 6 / 158. البخاري: الصحيح: 1 / 2-3، 4 / 80. خلق أفعال العباد: ص 8483. مسلم: الصحيح: 7 / 82. الترمذي: السنن: 5 / 258. النسائي: السنن: 2 / 146 - 147 . الطبراني: المعجم الكبير: 3 / 259 - 260. الحاكم : المستدرک : 3 / 279. البيهقي: السنن الكبرى: 7 / 53 . ابن عبد البر : التمهيد : 1 / 284 ، 22 / 112. ابن شهر آشوب: المناقب : 41/1. المتقي الهندي: كنز العمال: 11 / 458 - 459 ، 12 / 447. السيوطي: تنوير الحوالك : ص 213.

٥- ابداح: الوحي القرآني: ص 84 .

لكن نجد في رواية أخرى ما يناقض هذه الحالة بشكل تام إذ يروى عنه عليه السلام : " كان الوحي يأتيني على نحوين يأتيني به جبرئيل ، فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل ، فذلك يتقلت مني ، ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي ، فذاك الذي لا يتقلت مني " ^١ .

هنا ترد حالة أخرى! فهل من معلل لما جاء فيها؟ وهل من مرشد لنا أي الحالتين هي الأصح ومن هي التي وقعت فعلا؟ وما معنى قوله عليه السلام فذلك يتقلت مني؟ ولا يعيه النبي عليه السلام ؟

وفي نص آخر يُسأل النبي عليه السلام : هل تحس بالوحي ؟ فيجيب : " أسمع صلاصل ثم اسكت ^٢ عند ذلك - فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت إن نفسي تفيض ^٣ " ^٤ . إذن حسب ظاهر الروايات فإن هناك " شدة ومكابدة " يعانيتها النبي عليه السلام عند تلقيه الوحي ، وهذا ما نجد مثيله في روايات أخرى ، فإنه " إذا نزل عليه كرب لذلك وتريد وجهه " ^٥ و " وأغض عينيه " ^٦ ، وهنا الصحابة يسمعون " منه دويًا كدوي النحل " ^٧ ، بل " يكاد يعشى عليه " ، فقد كان عليه السلام " يجد ثقلا عند نزول الوحي ، ويتحدر جبينه عرقا في في البرد كأنه الجمان ، وربما غط كغطيط البكر، محمرة عيناه " ^٨ . و " كان إذا أوحى إلى رسول الله عليه السلام "

- ١- ابن سعد: الطبقات : 1 / 197. ابن حجر: فتح الباري: 1 / 18 . المتقي الهندي: كنز العمال: 11 / 459.
- ٢- في مورد " اثبت " . ابن كثير: البداية والنهاية: 3 / 31. وفي مورد " أسبت " . المقرئ: إمتاع الأسماع: 3 / 8.
- ٣- في مورد " تقبض " ابن كثير: تفسير: 4 / 115، 464. ودل نقله عن ابن حنبل قوله " تفرد به احمد " .
٤. ابن حنبل: المسند: 2 / 222. المتقي الهندي: كنز العمال: 11 / 458. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: 1 / 127 ، الدر المنثور: 6 / 278.
٥. مسلم: الصحيح: 5 / 115 ، 7 / 82 . البيهقي: السنن الكبرى: 7 / 53 . ابن حزم: المحلى: 11 / 185 . ابن حنبل: المسند: 5 / 318 . النسائي: السنن: 5 / 3 . السيوطي: الجامع الصغير: 2 / 322 . المتقي الهندي: كنز العمال: 7 / 151 . المناوي: فيض القدير: / 579.
٦. ابن كثير: البداية: 3 / 30 ، السيرة النبوية: 1 / 422. الصالحى الشامي: سبل الهدى: 2 / 257.
٧. ابن حنبل: المسند : 1 / 34 . الترمذي: السنن: 5 / 8 . النسائي: السنن: 1 / 450 . الحاكم: المستدرک: 1 / 535. ابن حجر: فتح الباري: 1 / 18 ، 11 / 120.
- ٨- الحلبي: السيرة الحلبية: 1 / 415.

وقد^١ لذلك ساعة كهيئة السكران^٢ . ولما " نزلت عليه سورة المائدة ، فإندق عنق الراحلة من ثقلها " ^٣ ، وحينما سئل كيف يأتيك الوحي؟ قال ﷺ : " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشد علي ، فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما يقول ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا ، فيكلمني فأعي ما يقول " ^٤ .

فهل يفهم من ذلك أن هناك تعددا في هيئات نزول الوحي ، وكيفيه تلقي النبي ﷺ له أم هناك تناقض ؟ ففي الحالة الأولى يبدو الوحي عنيفا يتكلف معه النبي ﷺ شدة حتى يعي ما يلقيه إليه .

ولكن ما المقصود بالصلصلة ؟ إنها صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين ، وقيل الصلصلة المذكورة هي صوت الملك بالوحي ، وقيل: بل هو صوت حفيف أجنحة الملائكة ، وبالمحصلة فلن يخرج المعنى عن كونه ذلك الصوت الذي يرافق الوحي قدوما أو إحياءً ^٥ . وفي تأويل آخر للصلصلة بأنها تلقي القرآن يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه ويعيه بعد ذلك ^٦ . أما في الحالة الثانية يبدو الوحي هينا عليه ، لينا معه حتى انه ليعي ما يتلقاه منه دون تكلف .

فان كانت المشكلة في تمثّل الملك بالصورة البشرية ، لأنها أكثر إيناسا للمخاطب ، فلماذا نجد ما يلقيه يتفلسف منه ﷺ ، ولا يعيه بنمائه . ففي الرواية الأولى تتسبب " الشدة في التنزيل " بتأخر إدراك النبي ووعيه لما يلقيه الوحي! ولا ندري هل تعني الرواية إن الإحياء كان دون وساطة الملك فكان كمثل

- ١- وقد اي ضعف ووهن من الخوف ، والوقد شدة الضرب ، والموقودة المقتولة ضربا . الفراهيدي: العين 201/5 . ابن قتيبة: غريب الحديث: 164/2 . الجوهري: الصحاح: 2 / 572 . الزمخشري: أساس البلاغة: 1035 . الفائق 86/2 . ابن الأثير: النهاية : 212/5 . ابن منظور: لسان العرب : 519/3 .
- ٢- ابن سعد: الطبقات: 1 / 197 . السيوطي : الجامع الصغير: 2 / 323 . المتقي الهندي : كنز العمال: 7 / 151 . المناوي فيض القدير : 5 / 142 .
- ٣- ابن كثير : البداية : 3 / 31 ، تفسير : 2 / 3 .
- ٤- الامام مالك: الموطأ: 1 / 202 . الحميدي: المسند: 1 / 125 . ابن راهويه: المسند : 2 / 252 . ابن حنبل: المسند: 6 / 158 . البخاري: الصحيح: 1 / 2-3 ، 4 / 80 . خلق أفعال العباد ص 83-84 . مسلم: الصحيح: 7 / 82 . الترمذي: السنن: 5 / 258 . النسائي: السنن: 2 / 146 - 147 . الطبراني: المعجم الكبير: 3 / 259 - 260 . الحاكم : المستدرک : 3 / 279 . البيهقي: السنن الكبرى: 7 / 53 . ابن عبد البر : التمهيد : 1 / 284 ، 22 / 112 . ابن شهر آشوب : المناقب : 41/1 . المتقي الهندي: كنز العمال: 11 / 458 - 459 ، 12 / 447 . السيوطي: تنوير الحوالك : ص 213 .
- ٥- ابن حجر : فتح الباري: 1 / 19 .
- ٦- ابن حجر: فتح الباري: 19/1 . المباركفوري: تحفة الأحوذى: 79/10 .

الصوت العنيف ، لا يعي النبي ما يوحى إليه إلا بعد انقطاعه عنه ، وقد علله البعض بالمقدمة التي تسبق الوحي إيذانا بتعظيمه والاهتمام به لأن الكلام لا بد له من تهيئة وتقديم^١.

أما في الرواية الثانية نجد الصورة مغايرة فمجيء الوحي بهيئة ذلك الصوت يخالط قلب النبي ﷺ ويعيه بتمامه إذ كما يصور يخالط قلبه فلا يتقلت منه !! فأبي الحالتان أصح ؟ ومن أين جاء هذا الخلط والتباين ؟ مع إننا نجد إشارة أمير المؤمنين ﷺ واضحة الدلالة إن النبي ﷺ كان واعيا لوحى الله بشكل مطلق وتام ، إذ يقول ﷺ : " وَاعِيًا لَوْحِيكَ " .^٢

أما عن " الشدة " التي يعالجها النبي ﷺ عند التنزيل كما صرحت بذلك عدة روايات ، فإنها محل تأمل.. فان كنا لا نستبعد ما يلزمه ﷺ من حالة معينة أثناء تلقيه الوحي كالغشية أو السكينة ، أو حال التعرق الشديد أو السبته ، كما في رواية عن الإمام الصادق ﷺ " إن الله إذا اتخذ عبدا رسولا انزل عليه السكينة والوقار فكان يأتيه من قبل الله عز وجل مثل الذي يراه بعينه " .^٣

وحين سئل ﷺ عن سر هذه الغشية أو السبته قال: " كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي من الله وبينهما جبرئيل يقول: هو ذا جبرئيل ، وقال لي جبرئيل ، وإذا أتاه الوحي وليس بينهما جبرئيل تصيبه تلك السبته ، ويغشاه منه ما يغشاه لثقل الوحي عليه من الله عز وجل " .^٤

١- ابن حجر: فتح الباري: 19/1 .

٢- نهج البلاغة : ص107.

٣- العياشي: تفسير: 2 / 201 . المجلسي: البحار : 18 / 262 . الفيض الكاشاني : التفسير الصافي: 3 / 55.

٤- البرقي: المحاسن: 2 / 338 . المجلسي: البحار: 18 / 256.

وفي رواية إن زرارة^١ سأله: " جعلت فداك ، الغشبية التي كانت تصيب رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي؟ فقال: ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد ، ذلك إذا تجلى الله له . قال: ثم قال: تلك النبوة يا زرارة واقبل متخشع"^٢ .

ولعل حصول السبته وعروض الغشبية له ﷺ إذا كان الوحي بلا واسطة ، لعلها من جهة رؤيته ﷺ عظمة الله وجلاله ، فتلك الغشبية إنما هي إذا تجلى الله تعالى للنبي ﷺ أي ظهر أمره وجلاله وعظمته لا انه ظهر بنفسه ، فان رؤيته محال وليس هذا إلا على حد قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾^٣ أي تجلى بنوره^٤ .

وان كنا نرى إن مقام النبي ﷺ قد تسامى فوق كل مقام ، ودنا من حضيرة القدس الإلهي بمكان لم يدايه فيه احد ، إذ انفرد في عروجه فكان في مقام قاب قوسين أو ادنى^٥ ، ولم ينقل عنه أي مكابدة أو شدة يعانيتها عند اقترابه من ساحة القدس الإلهي ، في اعلى مقاماته ، فكيف يقال إن سر تلك الحالة يعود لتقريب طبيعته البشرية من الجو الملائكي! ، وهو الذي قد اعتاد الجو الملائكي وألفه منذ طفولته ، بل ان معراجة خير دليل على أن طبيعته البشرية قد تسامت فوق الملائكية ، ونالت من القرب ما لم ينله ملك مقرب أو نبي مرسل !!

١- هو زرارة بن أعين بن سنسن الشيباني ، مولى بني شيبان، يعد من أصحاب الإمام الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام، له إمام بعلم القرآن والفقه والكلام والآدب والشعر، له من الكتب الاستطاعة والجبر والعهود، له مكانة متميزة عند الإمام الصادق (ع)، مات سنة 150 هـ . ينظر: النجاشي: الرجال : ص175. الطوسي: اختيار معرفة الرجال: 345/1، رجال الطوسي: ص 136، 210، 327، الفهرست : ص 133 - 134. ابن شهر آشوب: معالم العلماء: ص 88 . العلامة الحلي: خلاصة الأقوال : ص 152. ابن داود: رجال ابن داود: ص 96. السيد الخوئي: معجم رجال الحديث 225/8 - 267 .

٢- الصدوق: التوحيد: ص 116. المجلسي: البحار: 18 / 256. النمازي: المستدرک: 10 / 265.

٣- سورة الأعراف الآية 143 .

٤- زرندي: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ص 40 - 41.

٥- ينظر سورة النجم الآيات 8 - 18.

٦- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون : 100/1.

وإننا لنقف بتحفظ شديد أمام تلك النصوص التي أظهرت النبي ﷺ حين نزول الوحي عليه: تارة كريا حزينا يتريد وجهه ، ويتغير لونه ، وكأنه غاضب^١ ، فلماذا هذا الغضب ولماذا الحزن والكرب ؟ وتارة تظهره روايات بهيأة السكران^٢ ، وأخرى يكاد يغشى عليه أو يغلبه النعاس وتأخذه السبل^٣ ، أو يغط كغطيط البكر محمرة عيناه^٤ ، بل إننا لنجد تناقضا ما بين نصوص الروايات ما بين اللين والشدة كما مر سابقا وما بين احمرار وجهه^٥ أو اسوداده^٦ ، وما بين إغماض عينيه^٧ أو شخوص بصره^٨ . فلا ندري أي الحالات أصح ؟ والأدهى من ذلك إن ينسب إلى النبي ﷺ انه قال: " فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت نفسي تفيض"^٩ .

والغريب أن يأتي من يؤول هذه الشدة في التنزيل قائلا : " وإنما كان ذلك ليلبو صبره ، ويحسن تأديبه ، فيرتاض لاحتمال ما كلفه من أعباء النبوة"^{١٠} . ويأتي آخر ليقول : إن سبب الشدة هيبة الملك وما جاء به من ثقل الوحي^{١١} . بل إن عددا من الروايات تجعل من ثقل الوحي ثقلا ماديا محسوسا ، فقد روى زيد بن ثابت " أنزل الله على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي ، فتقلت علي حتى خفت أن ترض

-
- ١- وذلك إشارة لما نقل عنه ﷺ انه كان يتريد وجهه، يقول ابن منظور: وإذا غضب الإنسان ترید وجهه ، كأنه يسوء منه مواضع ، وأريد وجهه إذا تغير . ينظر: لسان العرب: 3 / 170.
 ٢. ابن سعد: الطبقات : 1 / 197. السيوطي: الجامع الصغير: 2 / 323 . المتقي الهندي: كنز العمال: 7 / 151. المناوي: فيض القدير: 5 / 142.
 ٣. ابن حجر: : فتح الباري: 8 / 365. العيني: عمدة القاري: 19 / 85 . الصالحي الشامي: سبل الهدى: 2 / 259.
 - ٤- السيوطي: الخصائص الكبرى: 1/119. الحلبي: السيرة الحلبية : 1 / 415.
 - ٥- النسائي : السنن : 4/5.
 - ٦- الإشارة أعلاه من ترید وجهه أي اسوداد مواضع منه.
 - ٧- الحلبي: السيرة الحلبية: 1 / 407.
 - ٨- ابن كثير: البداية: 3 / 31. المقرئ: إمتاع الأسماع: 3 / 47.
 - ٩- ابن حنبل: المسند: 2 / 222. المتقي الهندي: كنز العمال 11/458.
 - ١٠- العيني: عمدة القاري: 3 / 43.
 - ١١- النووي: شرح صحيح مسلم: 4 / 166.

فخذي " ^١ . ولا يبعد أن هذه الرواية أرادت خلق منقبة لزيد بن ثابت ، ولعلمهم أرادوا الإشارة الى قرب زيد وسرعة تدوينه للقرآن .

وفي رواية عن عائشة أنها قالت: " كان ليوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلم) وهو على راحلته فتضرب بجرانها ^٢ فما تستطيع إن تتحرك حتى يسري عنه ، وتلت قوله عز وجل ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ ^٣ " ^٤ . بل إن هذه الراحلة لترغو وتفتل يديها حتى تكاد ذراعها إن تنفصم ، وربما بركت وربما قامت موتدة ^٥ يديها ^٦ . بل لما نزلت سورة المائدة ، وكان النبي على بغلة ، فنقل عليها عليها الوحي حتى وقفت ، وتدلى بطنها حتى تكاد سرتها أن تمس الأرض ^٧ . أو يكاد ينكسر عضدها من من ثقل سورة المائدة ^٨ .

لقد شكك السيد الطباطبائي ^٩ في هذه الروايات قائلاً : " إن صحت الرواية كان ظهور اثر ثقل الوحي على الناقة أو البغلة من قبيل تجسيم المعاني ، وكثيرا ما يوجد مثله فيما نقل من المعجزات وكرامات الأولياء ، وأما اتصاف الوحي وهو كلام بالثقل المادي فغير معقول " .

- ١- البخاري: الصحيح: 1 / 97، 3 / 212، 5 / 182. الترمذي: السنن : 4 / 309، النسائي: السنن: 6 / 10 . ابن الجارود: المنقلى من السنن المسندة: ص 259. الزيلعي: تخريج الأحاديث والآثار: 1 / 349.
- ٢- الجران: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره . ينظر: الطريحي: مجمع البحرين: 1 / 365.
- ٣- سورة المزمل الآية 5.
- ٤- الصالحي الشامي: سبل الهدى: 2 / 257. وينظر: ابن حنبل:المسند: 6 / 118. الطبرسي: مجمع البيان: 1 / 163. الهيثمي: مجمع الزوائد: 8 / 257. السيوطي: تنوير الحوالك: ص 213.
- ٥- موتدة: بضم الميم من الوتيد، صوت شدة الوطاء على الأرض يسمع كالدوي من بعد. ينظر: الصالحي الشامي: سبل الهدى: 2 / 261 . ولكنه ورد عن ابن منظور بـ " الوتيد " . ينظر لسان العرب: 3 / 442.
- ٦- ابن سعد: الطبقات: 1 / 197. الصالحي الشامي: سبل الهدى: 2 / 257.
- ٧- العياشي: تفسير: 1 / 288 . الطبرسي: مجمع البيان: 3 / 257 . الفيض الكاشاني: التفسير الصافي : 7 / 322.
- ٨- ابن كثير: البداية : 3 / 31 ، تفسير : 3 / 31، السيرة النبوية : 1 / 424. الهيثمي: مجمع الزوائد : 7 / 13.المقريزي : إمتاع الأسماع: 3 / 49.
- ٩- الميزان: 20 / 71.

رابعاً: المعجزة:

إن إتمام الحجة على الناس بواسطة الأنبياء بحاجة إلى علامة إلهية يفهم الناس من خلالها ارتباط هؤلاء الأنبياء بالله فتثبت لديهم مصداقية دعواهم.

إذن ادعاء النبوة يستلزم علامة دالة على صدق هذا الادعاء ومن هنا جاءت الضرورة لتزويد الأنبياء بالمعجزة التي تعني " فعل شيء على خلاف المجرى العادي للطبيعة يتم بالاعتماد على القدرة الإلهية، وطريق معرفتها أمران :

1 -إنها لا تحصل عن طريق التعليم والتعلم.

2 -لا يتغلب عليها أي عامل آخر " ١ .

وقد زخرت آيات القرآن الكريم بأمثلة وافية عن المعجز التي أظهرها الأنبياء لأقوامهم لإثبات نبوتهم ، ولكن الذي يمكن ملاحظته على تلك الآيات التي تناولت الجانب الاعجازي في سيرة الأنبياء مع أقوامهم إن حدوث المعجزة لا ينحصر في موارد إثبات النبوة فقط ، بل جرت أفعال خارقة للعادة على أيدي عدد من الأنبياء تخرج عن نطاق إثبات النبوة ٢ .

إن لكل ربي معجزة تدل على صدقه، وتتناسب مع الظرف الذي يعيشه ، كما هو الحال في انبياء الله موسى وعيسى ومحمد ﷺ ٣ .

١- مصباح: النبوة في القرآن: ص 46

٢- لمزيد من التفاصيل راجع: مصباح: النبوة في القرآن: ص 75- 82 .

٣- مكتبة الروضة الحيدرية : القرآن في نهج البلاغة : ص 11 ويؤيد ما رواه ابن السكيت، قال سألت أبي الحسن ﷺ لماذا بعث الله موسى بن عمران ﷺ بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر ؟ وبعث عيسى بآلة الطب ؟ وبعث محمدا - صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء - بالكلام والخطب ؟ فقال أبو الحسن ﷺ : إن الله لما بعث موسى ﷺ كان الغالب على أهل عصره السحر ، فأثامهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله ، وما أبطل به سحرهم ، وأثبت به الحجة عليهم ، وإن الله بعث عيسى ﷺ في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب ، فأثامهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله ، وبما أحيا لهم الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله ، وأثبت به الحجة عليهم وإن الله بعث محمدا ﷺ في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام وأظنه قال : الشعر فأثامهم من عند الله من واعظه وحكمه ما أبطل به قولهم ، وأثبت به الحجة عليهم ، قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط

1. القرآن الكريم.

كانت لرسول الله ﷺ عدة معجزات ، لكن الميزة التي اختلف بها في جانب الإعجاز ، هو إن الله قد زوده بمعجزة خالدة ألا وهي (القرآن الكريم) ، فلما كان ﷺ لم يبعث لامة معينة في زمان او مكان معينين ، وجب أن تتبعه البشرية منذ بعثته والى يوم القيامة ، لذلك اقتضت الحكمة الإلهية تزويده بمعجزة خالدة على خلاف معجز الأنبياء ، ويمكن إيجاز ميزات هذه المعجزة كما أشار أحد الباحثين . بأنها كانت معجزة " ناطقة " و " خالدة " و " عالمية " و " معنوية " ¹.

أما كونها " ناطقة " ، فإن معجز الأنبياء السابقين لم تكن كذلك أي إنها كانت بحاجة إلى وجود النبي . أما القرآن فمعجزة ناطقة ، لا يحتاج إلى تعريف ، يدعو لنفسه بنفسه ، ليتحدى بنفسه المعارضين ويدينهم ويخرج منتصرا من ساحة التحدي ، وهو يتحدى اليوم جميع البشر كما كان يتحداهم في عصر الرسالة . انه دين ومعجزة ، وهو قانون ووثيقة تثبت إلهية القورين التي ضمها ².

ويمكن أن نلمس ذلك في كلام أمير المؤمنين ﷺ عن القرآن الكريم إذ يقول: " ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ ، وَبَحْرًا لَا يَدْرُكُ قَعْرُهُ ، وَمِنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ ، وَشُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ ، وَفَرْقَانًا لَا يُخْمدُ بُرْهَانُهُ ، وَتَبْيَانًا لَا تُهدِمُ أَرْكَانُهُ " ³ . وقال ﷺ : " وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ - نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ - وَبَيِّنٌ لَا تُهدِمُ أَرْكَانُهُ - وَعِزٌّ لَا تُهْزِمُ أَعْوَانُهُ ... كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ - وَتَنْطِقُونَ بِهِ وَتَسْمَعُونَ بِهِ - وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ - وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ - وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ - وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ " ⁴

فما الحجة على الخلق اليوم ؟ قال : فقال ﷺ : العقل ، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه ، قال : فقال ابن السكيت : هذا والله هو الجواب . ينظر: الكليني: الكافي 25. 24/1 . الطبرسي: الاحتجاج: 225/2. البحراني: البرهان: 65 / 1 . السيد الخوئي: البيان في تفسير القرآن : ص 39. وللمزيد عن معجزات النبي ﷺ ينظر: ابن بريال: تاريخ ابن بريال: 1/ 273 . 283.

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: 1 / 93 - 94 .

٢- ناصر مكارم الشيرازي: الامثل : 1 / 93 - 94 .

٣- نهج البلاغة: ص 428 .

٤- نهج البلاغة: ص 250 - 252 .

وأما خلود القرآن وعالميته ، فارتبط بتحطيمه سدود " الزمان والمكان " فتعالى عليهما ؛ لان معاجز الأنبياء السابقين - وحتى معاجز النبي الخاتم غير القرآن - مسجلة على شريط معين من الزمان ، وواقعة في مساحة معينة من المكان ، وأمام جمع معدود من الناس ، مثل معاجز النبي عيسى ﷺ كحديثه في المهد ، وإحيائه الموتى ، وواضح إن الأحداث المقيدة بزمان ومكان معينين تسمي صورتها باهتة كلما ابتعدنا عن ظروفها الزمانية والمكانية . وهذا من خصائص الأمور الزمنية . لكن القرآن لا يرتبط بالزمان والمكان ، فهو يطلع علينا اليوم كما طلع على عرب الجاهلية قبل قرون ، بل إن مرور الزمن وازدياد البشرية قدرة في العلم والإمكانات لتستفيد منه أكثر من ذي قبل ، وما لا يرتبط بزمان أو مكان فانه يحوي عناصر الدوام والخلود و تنتع دائرته العالمية ، وبديهي إن الدين العالمي الخالد بحاجة إلى مثل هذه الوثيقة العالمية الخالدة ^١ . يقول أمير المؤمنين ﷺ : " **إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لَا تَفْتَى عَجَائِبُهُ ، وَلَا تَقْضِي غَرَائِبُهُ ، وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ** " ^٢ . وقال ﷺ أيضا : " **وَفِي الْقُرْآنِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ ، وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ** " ^٣ وقال ﷺ أيضا : " **وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ ، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ ، وَمَنَاهِلٌ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ ، وَمَنَازِلٌ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ ، وَأَكَاِمٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ ، جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ ، ...** " ^٤ .

أما الصفة " المعنوية " للقرآن فنفهمها حين ننظر إلى معاجز الأنبياء السابقين ، ونرى إنها كانت غالبا " جسمية " مثل : شفاء الأمراض الجسمية المستعصية ، وتحدث الطفل في المهد... وكانت تتجه نحو تسخير الأعضاء البدنية . أما القرآن ، فيسخر القلوب والنفوس ، ويبعث فيها الإعجاب والإكبار ، انه يتعامل مع الأرواح والأفكار والعقول البشرية ، وواضح امتياز مثل هذه المعجزة على المعاجز الجسمية . ويمكن أن نلمس هذه الميزة في كلام أمير المؤمنين ﷺ في معرض حديثه عن آثار القرآن في هذا الجانب ، قائلا ﷺ : " **وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ،**

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمتل: 1 / 94.

٢- نهج البلاغة: ص 47 .

٣- نهج البلاغة: ص721.

٤- نهج البلاغة : ص 428 - 429 .

٥- ناصر مكارم الشيرازي: الأمتل: 1 / 94 .

والمحدث الذي لا يكذب ، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان ، زيادة في هدى أو نقصان من عمى ، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، ولا لأحد قبل القرآن من غنى ، فاستشفوه من أدوائكم ، واستعينوا به على لأوائكم ، فإن فيه شفاء من أكبر الداء ، وهو الكفر والنفاق والغنى والضلال".^١ وفي موضع آخر يقول عليه السلام خير واعظ : " وإن الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن ، فإنه حبل الله المتين ، وسببه الأمين ، وفيه ربيع القلب ، وينابيع العلم ، وما للقلب جلاء غيره".^٢ ويقول عليه السلام أيضاً زاد العباد : " جعله الله رياً لعطش العلماء ، وريباً لقلوب الفقهاء ، ومحاج لطرق الصلحاء ، ودواءً ليس بعده داء ، ونوراً ليس معه ظلمة ، وحبلاً وثيقاً عزوته ، ومغفلاً منيعاً ذروته ، وعزاً لمن تولاه ، وسلماً لمن دخله ، وهدى لمن انتم به ، وعذراً لمن انتحلته ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خصم به ، وفلجاً لمن حاج به ، وحاملاً لمن حملته ، ومطية لمن أعمله ، وآية لمن توسم ، وجنة لمن استلام ، وعلماً لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ، وحكماً لمن قضى".^٣ وقوله عليه السلام : " وتعلموا القرآن ، فإنه أحسن الحديث ، وتفقهوا فيه ، فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره ، فإنه شفاء الصدور".^٤

2. معجزة الشجرة:

جدير بالملاحظة هنا ان نشير الى ان القرآن بوصفه معجزة اتى بها النبي ﷺ ابتداء ، في حين ذكر الامام عليه السلام معجزة أخرى له ﷺ انما جاءت بناء على مطالبة الاخرين بها كما هو في حادثة دعوته ﷺ للشجرة :

" ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملائكة من قريش ، فقالوا له : يا محمد إنك قد ادعيت عظيماً ، لم يدعه أبواك ولا أحد من بيتك ، ونحن نسألك أمراً إن أنت أحببتنا إليه وأرئيتنا ، علمنا أنك نبي ورسول ، وإن لم تفعل علمنا أنك ساجر كذاب.

١. نهج البلاغة : ص 335 .

٢- نهج البلاغة: ص 339 .

٣- نهج البلاغة: ص 429 - 430 .

٤- نهج البلاغة: ص 211 .

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَمَا تَسْأَلُونَ قَالُوا : تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلَعَ بِعُرْوِقِهَا ، وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي سَأْرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنْكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَيَّ خَيْرٌ ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ ، وَمَنْ يُحَزَّبُ الْأَحْزَابَ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ ! إِنْ كُنْتِ تُوْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَاَنْقَلِعِي بِعُرْوَقِكَ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرْوِقِهَا ، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ ، وَقَصَفَتْ كَقَصْفِ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْفِرَةً ، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ ، قَالُوا غُلُوبًا وَاسْتِكْبَارًا ، فَمُرَّهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا ، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا ، كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا ، فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالُوا كُفْرًا وَعُتُوبًا فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَيَّ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ ، فَأَمَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ ، فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنِّي أَوْلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَوْلُ مَنْ أَقْرَبَ بَانَ الشَّجَرَةَ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصَدِيقًا بِنُبُوتِكَ وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونِي...^١ .

وجاء في أقوال بعض الشراح عن هذه الحادثة إن أمرها مشهور مستفاض قد ذكره المحدثون والمؤرخون في كتبهم^٢ ، وذكره المتكلمون في معجزات الرسول ﷺ ، وقد روي الخبر على الوضع الذي جاء في خطبة أمير المؤمنين، ومنهم من يروي ذلك مختصرا انه دعا شجرة فأقبلت تخد إليه الأرض خدا^٣.

ولاحد الباحثين^٤ ثمة ملاحظات قيمة حول هذه الحادثة التي يرويها الامام أمير المؤمنين عليه السلام سنوجزها بنقاط :

- ١- نهج البلاغة: ص 407 - 408 .
- ٢- مسلم: الصحيح: 8/ 234. البيهقي: السنن : 94/1. ابن عبد البر: التمهيد: 1/ 222. ابن بريال: تاريخ ابن بريال: 1/ 378.
- ٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 13 / 167 . ابن ميثم : شرح نهج البلاغة: 41 / 374.
- ٤- الفحام : بلاغة النهج : ص 52 - 53 .

اولا : ان روعة تصوير الامام عليه السلام لتفاصيل هذه الحادثة ينبع من كونه شاهدا فيها ، فضلا عن قدرته التصويرية البلاغية في اسلوب عرضها .

فالامام عرض هذه الحادثة بمشهد يضم ثلاث صور يجمعها جامع واحد :

الصورة الاولى : رسمت تحدي النبي لهم في اصرارهم وبقائهم على الكفر برسالته ، وذلك في قوله متيقنا باسلوب التوكيد " **فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَيَّ خَيْرٍ** " .

الصورة الثانية : الامعان في التفصيل بامر الشجرة واغصانها وامرها بالسجود . فاول الامر انقلاع الشجرة بعروقها ، والثاني امرها بانشقاقها الى نصفين ومجيء نصف منها الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وبقاء النصف الاخر ، والثالث امرها بالالتحام كما كانت .

الصورة الثالثة : المؤثرات ، واعني بها حرص الامام على تصوير التفاصيل الدقيقة والمؤثرة للشجرة من حركة وصوت ، مثل قوله : " **وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْفَلَعَتْ بِعُرْوِقِهَا ، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ ، وَقَصَفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْفَرِفَةً** " فالدوي والقصف والرפרفة تصوير دقيق للصوت والحركة تحيل السامع الى مشاهد ، وتلك سمة اسلوبية عامة في بلاغة الامام في كلامه . وهي هنا - لا ريب - لا تتاح الا لمن شهد هذه المعجزة بنفسه .

اما الجامع لهذه الصور كلها فهو الغرض الذي ساق الكلام من اجله ، وهو تصوير منزلته من الله تعالى ورسوله ، وهذا يمكن ملاحظته :

أ - في تأكيده بقربه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ كان عن يمينه . ب- وان الشجرة قد اقلت ببعض اغصانها على منكبه . ج - فضلا عن قوة التصريح في القول الاخير على لسان طغاة قريش " **وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَغْتُونَنِي** "

ثانيا: في هذه الحادثة ثمة معجزات اخر تعزز صدق الرسالة المحمدية ، فقد انبأ الرسول بعواقب طغاة قريش في غيب من علم الله تعالى اطلعه عليه فذكر مسبقا عنادهم واصرارهم على الكفر وحكم بانهم " **لَا تَفِيئُونَ إِلَيَّ خَيْرٍ ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ ، وَمَنْ يُحْرَبُ الْأَحْزَابُ** " .

ويمكن عد تنبؤاته التي اشار اليها الامام أمير المؤمنين عليه السلام من باب الاعجاز ايضا ، والتي ستأتي الاشارة اليها بايجاز في الفصل الخامس .

المبحث الثالث

سمات النبي الأعظم ﷺ وسجاياه الخلقية

أولاً: السمات الخاصة:

جاء في بعض خطب الامام ﷺ وكلماته الاشارة الى سمات اختص بها النبي ﷺ ، وهي كالآتي :

أ - مقام الشهادة:

مما اختص به النبي الاعظم ﷺ بان له مقام " الشهود " يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾^١ ، وفي قول أمير المؤمنين ﷺ واصفا النبي الاعظم ﷺ : " شَهِيداً وَبَشِيراً وَنَذِيراً " ^٢ ، وفي قول " شَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ " ^٣ . وقد تعددت مواطن هذه الشهادة ، فمنها ما انفرد به ، ومنها ما شاركه فيه غيره من الانبياء كما سيتبين الان :

1 - للشهادة على نبوة الانبياء: اذ اشار الامام أمير المؤمنين ﷺ إلى اختصاصه ﷺ بهذا المقام إذ جعله الله سبحانه " مُهَيِّمًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ " ^٤ ، والمهيمن: الشاهد والرقيب، أي شاهداً على إيمان من آمن، وكفر من كفر، وقيل يشهد بصحة نبوة الانبياء من قبل هـ . فكل زيادة او نقيصة في دينهم - مما حرّفه الناس - يبين ه النبي ﷺ ، حتى يرجع دين المرسلين كما جاؤوا به، لا كما فعلته اقوامهم من بعدهم ^٥ .

١- سورة الاحزاب الآية 45.

٢- نهج البلاغة ص 193-194.

٣- نهج البلاغة ص 225.

٤- نهج البلاغة ص 626.

٥- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 17 / 151 .

٦- الشيرازي : توضيح نهج البلاغة: 4 / 216 .

2 للشهادة على الخلق يوم القيامة: يقول ﷺ : " وَشَهِدُكَ يَوْمَ الدِّينِ " ¹ . وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ ² وقوله ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ ³ ، فكل نبي سيشهد على امته ، والشهادة توجب ان يكون الشاهد عالماً بحقائق الاعمال التي يشهد عليها، ولا يكون هذا الا بان يستوي عنده الحاضر والغائب، ولا يتصور هذا المقام الا لنبى كل امة ⁴ .

اما خصوص النبي الاعظم ﷺ فيقول الحق ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ⁵ . وفي آية أخرى ان الامة الاسلامية ستكون شاهدة على الناس، والنبي محمد ﷺ هو الشاهد بدوره عليهم ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ⁶ .

ب - مقام الخاتمية ⁷:

ما ان حل القرن السابع الميلادي ، حتى كأن البشرية قد وصلت الى درجة من التكامل في التعامل مع الطبيعة، وتعامل الانسان مع الانسان اينما كان ، لذا وصل الانسان الى الدرجة التي تؤهله ليكون خليفة الله في الارض ، فالمعروف ان الانبياء السابقين كانوا انبياء قوميين، فكل ارسى الى قومه، والكتب السماوية كانت متباينة، وخاضعة لعنصر الزمن، ومختصة بقوم دون قوم، فما تلبث ان تنسخ لانها لم تعد ملائمة لتطور الانسان ⁸ .

ويعد ان واتر الله بعث انبيائه ، وادى كل منهم ما اوكل اليه من مهام، جاء دور النبي الخاتم الذي قفى به الرسل وختم به الوحي ، فعمر في قومه ازمانا ، حتى اكمل الله لهم ولجميع البشرية فيما انزل من

1- نهج البلاغة ص108 .

2- سورة النحل الآية 89 .

3- سورة القصص الآية 75 .

4- سبحاني : محاضرات في الالهيات: ص 443 .

5- سورة النساء آية 41 .

6- سورة البقرة آية 143 .

7 - الختم هو بلوغ آخر الشيء، يقال ختمت العمل، وختم القارئ السورة، والختم هو الطبع على الشيء فذلك من هذا الباب ايضاً، لان الطابع على الشيء لا يكون الا بعد بلوغ آخره. ينظر: ابن فارس : معجم : 245/2 .

8- النصر الله : شرح نهج البلاغة : ص 120 .

كتابه ، دينه الذي رضي لنفسه. وكأنه قد جاء الدور الختامي للرسالات السماوية ، فالدين الذي سيسود العالم هو الدين الاسلامي، والدستور الذي ينظم جميع شؤون البشرية هو " القرآن الكريم" ، الذي ستتناسب احكامه طردياً مع كل متغيرات الزمان والمكان. والنبى الخاتم للانبياء هو النبى محمد ﷺ فلا نبى بعده.

وقد وردت في آيات الذكر الحكيم اشارات واضحة الى مسألة الخاتمية ، اما بتصريح لفظي كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾^١، او بما يدل عليه من قبيل الايات التي منها اشارة الى عالمية الدعوة المحمدية وشموليتها لكل الناس حتى يرث الله الارض ومن عليها، ومثال ذلك في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾^٢، فان سعة مفهوم تعبير ﴿ ومن بلغ ﴾ توضيح رسالة القرآن ونبى الاسلام العالمية من جهة ومسألة الخاتمية من جهة أخرى. وقوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾^٣، وقوله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾^٤، وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾^٥. وايضاً هنا سعة دلالة لفظة " العالمين " و " الكافة " تؤيد هذا المعنى الشمولي لرسالة النبى محمد ﷺ .

وقد ورد في كلام الامام أمير المؤمنين عليه السلام الاشارة الى مسألة خاتمية النبى ﷺ في عدة مواضع من نهج البلاغة ايضاً اما بشكل صريح باللفظ كقوله عليه السلام : " خَاتَمَ رُسُلِهِ " ^٦، وفي موضع " خَتَمَ بِهِ الْوَحْيِ " ^٧، وقد جاءت ايضاً اشارات تدل على هذه القضية - الخاتمية - كما في قوله عليه السلام : " بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنجَازِ عِدَّتِهِ وَإِتْمَامِ نُبُوتِهِ " ^٨، وفي موضع آخر "

١- سورة الاحزاب الآية 40.

٢ سورة الانعام آية 19.

٣- سورة الفرقان آية 1

٤- سورة سبأ الآية 28.

٥- سورة الاعراف آية 158 .

٦- نهج البلاغة ص329.

٧- نهج البلاغة ص 251.

٨- نهج البلاغة ص20.

" أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ غُدْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُذْرِهِ " ، وقد خاطب رسول الله ﷺ راثياً بما يدل على هذا المعنى ايضاً إذ يقول: " لَقَدْ أَنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبُوءَةِ وَالْإِنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ " .^٢

ج- النبي الأمي

أطلق القرآن على النبي محمد ﷺ نعوتاً وألقاباً عدة من بينها نعت (النبي الأمي)، وهو من النعوت التي ذكرها أمير المؤمنين ع للإمام للنبي ﷺ ولأهمية هذا النعت استلزم الوقوف عنده. لقد تباينت الآراء في معنى كلمة الأمي، التي نُعت بها النبي ﷺ :

الرأي الأول: عدم المعرفة بالقراءة والكتابة.^٣

قيل إن الأمي لغة الذي على خلقة الأمة ، لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته . فالإنسان حينما يولد لا يعرف القراءة والكتابة ، فإذا كبر واستمر على ذلك يوصف بأنه أمي نسبة للخلق التي ولدته أمه عليها^٤ . وهذا هو التفسير اللغوي الوحيد لمعنى الأمية ، وهو تفسير مضطرب ، والظاهر أن علماء اللغة لم يجدوا لمعنى الأمية أصلاً، ووجدوا عند عرب قبل الإسلام لذا لجأوا إلى هذا التفسير، ولو كانت لفظة الأمية معروفة عند مجتمع قبل الإسلام بهذا المعنى لاستشهدوا عليها بشعر شعراء قبل الإسلام أو المخضرمين، إذ إن عدم استشهداهم بالشعر كعادتهم في الألفاظ الغريبة دليل على إن هذه اللفظة بهذا المعنى من الألفاظ التي ولدت في الإسلام^٥ .

لقد اختلفت الآراء في حقيقة ذلك ، فهل أن العرب كانت لديهم معرفة بالقراءة والكتابة أم لا ؟^٦ وتبعاً لذلك هل كان النبي ﷺ يعرف القراءة والكتابة أم لا ؟ في الواقع إن هناك شبه إجماع بين مفكري

١ - نهج البلاغة ص 117 .

٢ - نهج البلاغة ص 486.

٣ - الزمخشري : الكشاف : 4 / 530 . الرازي : مفاتيح الغيب : 2 / 631 ، 8 / 202 .

٤ - الرازي : مفاتيح الغيب : 2 / 717 ، 8 / 202 . ابن منظور : لسان العرب : 1 / 105 . وهذا يلزم أن الذي يولد أعمى ويكبر ويبقى أعمى يسمى أُمياً ، وكذلك لو ولد أعرجاً أو أصماً أو غيرها من الصفات !! ينظر: النصرالله: الجاهلية ص: 5.

٥ - جواد علي : المفصل : 8 / 105 - 106 .

٦ - هناك من الأدلة التي تفيد أن القراءة والكتابة كانت موجودة عند العرب قبل الإسلام وينسبها لا باس بها حيث وجود عدد من المتعلمين، وأماكن للدراسة، ووعي بأهمية القراءة والكتابة. إذن فففسير تسمية العرب قبل الإسلام بالأميين لعدم معرفتهم بالقراءة والكتابة. تفسير لا يطابق الواقع. لمزيد من التفاصيل ينظر: هاشم يونس عبد الرحمن : الحياة الفكرية في الجزيرة العربية ص 116 ، 118 - 123 ، 129 - 133. النصرالله: الجاهلية: ص 5 - 8.

الإسلام من لغويين ومفسرين ومؤرخين ومتكلمين وغيرهم على انه ﷺ لم يكن يعرف القراءة والكتابة قبل بعثته ﷺ، بدليل قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُلُونَ ﴾^١. فالحكمة من عدم معرفته ﷺ بالقراءة والكتابة لئلا يشك المشركون بصحة القرآن الكريم. ولكن المفكرين اختلفوا في حاله بعد البعثة على اتجاهين:

الاتجاه الأول: يرى انه ﷺ استمر على عدم معرفته كالرازي والقرطبي والذهبي وغيرهم. إذ يرى الرازي^٢ انه لو تعلم الخط لصار م نهماً، ثم انه ﷺ لم يجالس العلماء، وما غاب عن مكة فترة طويلة. أما الذهبي^٣ فيقول: " والله تعالى من حكمته لم يلهم نبيه تعلم الكتابة ولا قراءة الكتب حسماً لمادة المبطلين ". ويقول القرطبي^٤: " والصحيح في الباب انه ما كتب حرفاً واحداً، وإنما أمر من يكتب، وكذلك ما قرأ ولا تهجى ".

الاتجاه الثاني: فيرى أن النبي ﷺ قد تعلم القراءة والكتابة بعد البعثة، وكان من أصحاب هذا الاتجاه. الجاحظ ت 255 هـ، والمفيد ت 413 هـ، والباجي ت 474 هـ، فالجاحظ يرى إن عدم إلمام الرسول ﷺ بالكتابة لا يعني عدم معرفته بها^٥.

وقال الشيخ المفيد^٦: " إن الله تعالى لما جعل نبيه . صلى الله عليه وآله وسلم . جامعاً لخصال الكمال كلها وخلال المناقب بأسرها، لم تنقصه منزلة بتمامها يصح له الكمال ويجتمع فيه الفضل، والكتابة فضيلة من منحها فضل ومن حرّمها نقص . ومن الدليل على ذلك: أن الله تعالى جعل النبي ﷺ حاكماً بين الخلق في جميع ما اختلفوا فيه، فلا بد أن يعلمه الحكم في ذلك، وقد ثبت أن أمور الخلق قد يتعلق أكثرها بالكتابة، فثبتت بها الحقوق وتبرأ بها الذمم وتقوم بها البيئات ويحفظ بها الديون وتحاطب بها الأنساب، وإنها فضل يتشرف المتحلي به على العاقل منه . وإذا صح أن الله جل اسمه قد جعل نبيه بحيث وصفناه من الحكم والفضل، ثبت انه كان عالماً بالكتابة محسناً لها، وشيء آخر وهو قول الله سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ومحال أن يعلمهم الكتاب وهو لا يحسنه . . . ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُلُونَ ﴾

١ - سورة العنكبوت الآية 48 . الرازي: مفاتيح الغيب : 4 / 441. الذهبي: سير أعلام : 14/190-191.

٢ - مفاتيح الغيب : 4 / 441 .

٣ - سير أعلام : 14 / 190 - 191 .

٤ - الجامع: 13 / 353 .

٥ - البيان والتبيين : 4 / 32 - 34 .

٦ - أوائل المقالات : ص 113-111 .

﴿ فنفي عنه إحسان الكتابة وخطه قبل النبوة خاصة ، فأوجب بذلك إحسانه لها بعد النبوة ، ولولا إن ذلك كذلك لما كان لتخصيصه النفي معنى يعقل . ولو كان حاله ﷺ في فقد العلم بالكتابة بعد النبوة كحالها قبلها لوجب . إذا أراد نفي ذلك عنه . أن ينفية بلفظ يقوده . . فيقول له وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذ ذاك ولا في الحال ، أو يقول لست تحسن الكتابة ولا تأتي منك على كل حال . كما انه لما أعدمه قول الشعر ومنعه منه نفاه عنه بلفظ يعم الأوقات ، فقال الله تعالى ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾^١ وإذا كان الأمر على ما بيناه ثبت أنه ﷺ كان يحسن الكتابة بعد أن أنبأه الله تعالى على ما وصفناه. وهذا مذهب جماعة من الامامية ، ويخالف فيه باقيهم. وسائر أهل المذاهب والفرق يدفعونه وينكرونه " .

أما أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي^٢ ت 474 هـ. فهو أحد علماء الأندلس ، ألف رسالة في إثبات أن النبي ﷺ كان يجيد القراءة والكتابة أسماها (تحقيق المذهب من أن النبي . صلى الله عليه وآله وسلم . كتب)^٣ . مستدلاً على ذلك بما جاء في صحيح مسلم^٤ أن النبي ﷺ لما كتب كتاب الصلح يوم الحديبية مع المشركين قال له سهيل بن عمرو: لو نعلم أنك رسول الله ﷺ لأتبعناك ولكن أكتب محمد بن عبد الله ، فقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام أرغبي مكانها ، فأراه فمحاها وكتب (ابن عبد الله)^٥ . وأيضاً استدلل الباجي بما ذكره الشعبي بأن النبي ﷺ ما مات حتى كتب ، وروى ابن كيشة السلولي أن النبي ﷺ قرأ صحيفة لعينية بن حصن وأخبر بمعناها^٦ .

١ - سورة يس الآية 69 .

٢ - ينظر ترجمته : ابن بشكوال: الصلاة: 2 / 317 . الضبي: بغية الملتمس : ص 629. ابن الأبار: الحلة : السيرة : 2 / 98 . ابن خلكان : وفيات الأعيان : 2 / 492 .

٣ - القرطبي : الجامع : 13 / 352 - 3 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 3 / 249 .

٤ - 174/5 . وورد عند البخاري " ثم قال لعلي: امح رسول الله. قال : لا والله لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله الكتاب ، فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله . . . " الصحيح : 3 / 168 ، وانظر النسائي : خصائص أمير المؤمنين : ص 150 .

٥ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : 13 / 352 .

٦ - القرطبي : الجامع : 13 / 352 . ولمزيد من الأدلة ينظر: محمد حسن آل ياسين : في رحاب الرسول ﷺ ص 121 - 122 . عبد الرحمن : الحياة الفكرية في الجزيرة العربية : ص 139 . النصرالله: الجاهلية: ص 10 .

الرأي الثاني: ان تسمية الأمي والأميين نسبة لأُم القرى^١ (مكة المكرمة) حيث كانت مركزاً لهدن الجزيرة العربية حيث الكعبة البلد الحرام ، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾^٢ ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولاً ﴾^٣

لقد جاءت هذه النسبة على اعتبار أن النسبة في الكلمات المركبة تكون للجزء الأول . وهذا موضع خلاف بين اللغويين إذ إن من الكلمات من تنسب إلى الجزئين مثل بعلبك تكون بعلبكي ، أو عبد الدار تكون عبدي .

الرأي الثالث: الأمي هو الذي لم يكن مرتبطاً بديانة سابقاً .

حينما نستعرض الآيات القرآنية الواردة فيها لفظة الأمية لا نجد فيها ما يشير إلى إنها تعني عدم المعرفة بالقراءة والكتابة، أو الإشارة لأُم القرى، كقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ﴾^٤ ، فهي تشير لمجموعتين الأولى : أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، والثانية : الأميين ، الذين ليس لديهم كتاب سماوي^٥ ، ويؤكد ذلك الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا ﴾^٦ ، حيث تصف جماعة من اليهود بعدم فقه التوراة^٧ ، فيما تأتي آية ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾^٨ ، التي تشير لاعتقاد اليهود في الأقوام الذين ليس لديهم ديانة سماوية ، وأسموهم (أميون) ولذلك كانوا يرون جواز أخذ أموالهم^٩ .

وتأتي آية ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^{١٠} ، فلو كان العرب لا يجيدون القراءة والكتابة كما وصفوا بالأميين لوجب أن يكون هدف الرسول ﷺ من رسالته تعليمهم القراءة والكتابة ، ولكن نجد هدفه أسمى من ذلك ، ألا وهو بيان الآيات الدالة على وجود الله ووحدانيته وعظمته ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ ويظهرهم من الرذائل ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ ، ثم يعلمهم أحكام القرآن والسنة الشريفة ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

- ١ . الطوسي : التبيان : 10 / 4 . الرازي : مفاتيح الغيب : 2 / 717 . الطبرسي : مجمع البيان : 2 / 487 .
- ٢ . سورة الأنعام الآية 92 .
- ٣ . سورة القصص الآية 59 .
- ٤ . سورة آل عمران الآية 20 .
- ٥ . الزمخشري : الكشاف : 1 / 347 .
- ٦ . سورة البقرة الآية 78 .
- ٧ . الزمخشري : الكشاف : 1 / 157 .
- ٨ . سورة آل عمران الآية 75 .
- ٩ . الزمخشري : الكشاف : 1 / 357 .
- ١٠ . سورة الجمعة الآية 2 .

وَالْحِكْمَةَ ﴿ لأنهم كانوا بلا منهج سماوي ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ لأنهم يسرون على أعراف وتقاليد ابتدعوها .

ومن هنا جاء وصف النبي ﷺ بالنبي الأمي أي الذي لم يكن مرتبطاً بديانة سماوية سابقاً فليس هو يهودياً ولا نصرانياً ، ولعله رد على من ادعى أخذ النبي ﷺ عن أهل الكتاب^١ .

ثانياً : السجايا الخلقية :

تمهيد (صفات الكمال)

التحلي بالركائز الاخلاقية العالية هو ما ميز رسول الله ﷺ وكانت اولى دعائه في صدحه بامره من النبوة الالهية ، وقد وصفه الله بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿^٢ ، وهذا الوصف يقتضي تفاوت في مراتبه ؛ اذ ان للبشر درجات وصفات تتفاوت فيما بين الخلق ، ومن المعلوم ان الانبياء هم صفوة الخلق حتى ان القرآن قد اشار الى حقيقة تفاوت الانبياء في ما بينهم فهم ليسوا بمقام واحد ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴿^٣ ، اما قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿^٤ . " انها مثلية قاصرة على تلك المشتركات التي تجمع بني الانسان، ولكنها وبكل تأكيد ليست مثلية مطلقة بل مثلية الصورة الخارجية، وشتان ما بين من اختاره ربه واصطفاه على الانبياء والمرسلين وجعله حجة على العالمين، وهو من باب أولى على رأس عالم الابرار المقربين وبين من يقطن على السفح المقابل ، ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴿^٥ ، رغم انهم انهم يشتركون جميعا في مثلية الصورة التي لا يمكن لها ان تنفي التناقض المطلق بين العالمين عالم الحقيقة الممتدة من الارض صعودا الى اعلى عليين وعالم الانحطاط الممتد سقوطا الى اسفل سافلين^٦ .

١ - النصر الله : الجاهلية : ص 12 .

٢ - سورة القلم الاية 4

٣ - سورة الإسراء الآية 55.

٤ - سورة الكهف الآية 110.

٥ - سورة المائدة الآية 60.

٦ - راسم النفيس: النبوة في نهج البلاغة: ص 36.

إن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ، الأول: ضروري دينوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ، والثاني: مكتسب ديني ، وهو ما يحمد فاعله ، ويقرب إلى الله تعالى زلفى. فالضروري المحض مما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته، وجمال صورته ، وقوة عقله ، وفصاحة لسانه ، وشرف نفسه ، وكرم أرضه وغيرها ، وأما المكتسبة الأخروية ، فسائر الأخلاق العلية ، والآداب الشرعية ، من الدين ، والعلم ، والحلم ، والعدل ، والزهد ، والتواضع ، والجود ، والشجاعة ، والرحمة وغيرها التي جماعها حسن الخلق^١.

ومن لطف الله تعالى وفضله أن هياً لنبيه المصطفى ﷺ جميع أسباب الشرف ، والرفعة ، وعلو المنزلة ، وأسبغ عليه جميع الخصال التي تؤهله للقيام بأعباء الرسالة العظمى التي اصطفاه من أجلها واختاره لها.

إن صفات الكمال غير المكتسبة التي هي جبلة الخلقة قد حازها جميعاً ، وأحاط بثنات محاسنها ، وقد استفاضت الأخبار في بيانها والحديث عنها^٢.

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل من اتصف بها ، وتعظيم من نالها ولو بالخلق الواحد منها ، فضلاً عما فوقه ، وأثنت الشريعة الغراء على جميعها ودعت إليها ، وهي المسماة بحسن الخلق ، فقد توافرت في شخصية النبي الكريم ﷺ حتى بلغ فيها أسمى المقامات ، إذ لم ينل أحد من البشر ما نال النبي الأعظم ﷺ من سمو و تكامل في هذا الجانب، حتى إن القرآن حين أثنى عليه ﷺ لم يجد أرفع ، ولا ابلغ من قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^٣، إذ كان ﷺ آية من آيات الله في معالي أخلاقه.

١. القاضي عياض: الشفا: 1/ 59.

٢- لقد أفاضت مؤلفات عدة في دراسة أوصاف النبي ﷺ وسجاياه وأخلاقه ، ونقل الكثير الطيب من هذه الأخلاق الكريمة ، انظر مثلاً الترمذي: الشمائل المحمدية: ص 271 . 297.

٣- سورة القلم الآية 4 .

وقد أولى الإسلام مكارم الأخلاق عناية فائقة ، لأنه في جوهره ، " رسالة أخلاقية " بكل ما تحمله هذه الكلمة من عمق وشمول ، وقد لخص النبي الأعظم ﷺ الهدف من رسالته بقوله: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " ¹ وذلك لما للأخلاق الفاضلة من اثر ايجابي في هداية الأفراد والشعوب.

وقد حث النبي ﷺ على مكارم الأخلاق وجمع بين التقوى وحسن الخلق حتى قال: " أكثر ما يدخل الجنة : تقوى الله وحسن الخلق " ² وعدَّ حسن الخلق من كمال الإيمان ، فقال ﷺ : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " ³ ، وقال أيضاً: " إن أحبكم إليّ وأقربكم مني يوم القيامة مجلساً ، أحسنكم خلقاً ، وأشدكم تواضعاً " ⁴.

وكفى بحسن الخلق شرفاً وفضلاً أن الله لم يبعث أنبياءه إلى البشرية إلا بعد أن حلاهم بهذه السجية وزانهم بها فهي رمز فضائلهم وعنوان شخصياتهم . إذ أن " مكارم الأخلاق " من صفات الأنبياء والصالحين بها تتال الدرجات وترفع المقامات ، وقد جعلها الله تعالى " صلة بينه وبين عباده " ⁵.

وقد أصل أمير المؤمنين ع هذه الرؤية القرآنية لخلق النبي ﷺ في نهج البلاغة فذكر خصال النبي ﷺ وسجاياه الخلقية ، ما دامت الملازمة جلية بين النبي والخلق العظيم فما يذكر ﷺ في موضع إلا والثناء حليفه ، فكيف إذا كانت مآثره الأخلاقية وكمالاته الذاتية هي عنوان شخصه والمع فضائله!

١- ابن سلامة: مسند الشهاب : 192/2-193. وينظر: الإمام مالك: الموطأ : 904/2. البخاري: الأدب المفرد ص 67. ابن بابويه: فقه الرضا : ص 353. الحاكم : المستدرک : 613/2. البيهقي: السنن : 192/10. ابن عبد البر: الاستذكار : 576/8 . التمهيد : 255/16. المتقي الهندي: كنز العمال : 16/3 ، 420/11 ، 425 . الريشهري: ميزان الحكمة : 3008/4 .

٢- ابن حنبل: المسند : 442/2. البخاري: الأدب المفرد: ص 70. الترمذي: السنن : 245/3. ابن أبي الدنيا: الورع ص 93. ابن حبان: صحيح ابن حبان : 224/2. الصدوق: الخصال: ص 78 ، عيون أخبار الرضا : 41/1 . المفيد: الاختصاص: ص 228. المتقي الهندي: كنز العمال: 801/15.

٣ - الغازي: مسند الرضا ع : ص 65 ، 125. ابن حنبل: المسند : 250/2 ، 472 ، 527 ، 6 / 47. الدارمي : السنن: 2/ 323. الترمذي: السنن : 2/ 315 ، 4 / 122. الضحاك : الأحاد والمثاني : 2 / 175

٤- الحميري : قرب الإسناد : ص 46 . المجلسي : البحار : ج 68 / 385 ، 70 / 231 . البروجردي : جامع أحاديث الشيعة : 13 / 448 . الريشهري : ميزان الحكمة : 800/1.

٥. وهو حديث النبي ﷺ : (جعل الله سبحانه مكارم الأخلاق صلة بينه وبين عباده، فحسب أحدكم أن يتمسك بخلق متصل بالله تعالى). الحلواني: نزهة الناظر وتبنيه خاطر : ص 52. النوري: المستدرک : 11/192-193. الريشهري: ميزان الحكمة : 804/1.

تلك السجايا التي أشار إلى بعضها الإمام عليه السلام ، فيحتاج تفصيلها وبسط القول فيها إلى مباحث ، لا يتسع المجال ها هنا لذكرها جميعا ، بل سنقتصر على ما ورد ذكره في مضامين خطبه وكلماته الشريفة الواردة في نهج البلاغة . وبدءاً لا بد من الوقوف عند المؤهلات التي أشار إليها الإمام عليه السلام التي هيأت النبي الأعظم عليه السلام لاكتساب الفضائل والمراتب العالية من الأخلاق المتجلية في شخصه باسطع صورها النورانية.

أشار عليه السلام إلى دور السماء في ذلك بقوله : " وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لُدُنٍ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، يَسْئَلُكَ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ " ^١ ، وقد اثر عنه عليه السلام قوله : " أدبني ربي فأحسن تأديبي " ^٢ ، وقريب منه ما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام لما سئل عن قول الله عز وجل ﴿ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْئَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾ ^٣ ، فقال عليه السلام : " يوكل الله تعالى بأبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدون إليه بتبليغهم الرسالة ، ووكل بمحمد عليه السلام ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع ، يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق ، ويصده عن الشر ومساوئ الأخلاق " ^٤ .

إن ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيه بينة واضحة على التسديد الإلهي والرعاية الربانية لشخص النبي الأقدس عليه السلام وما لها من اثر فعال في رسم معالم سجايه الخلقية. وأشار بالملك الذي قرنه به إلى جبرائيل وهو العقل الفعال في عرف قوم ، واقتترانه به إشارة إلى توليه بتربية نفسه القدسية بإفاضة العلوم ومكارم الأخلاق وسائر الطرق المؤدية إلى الله سبحانه من حين صغره عليه السلام بحسب حسن استعداد مزاجه وقوة عقله الطفولي ^٥ .

١- نهج البلاغة : ص 406 .

٢. الطبرسي: مجمع البيان: 86/10. الثعلبي: الكشف والبيان : 10/10. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 233/11، السيوطي: الجامع الصغير: 1/ 51. الصالحي الشامي: سبل الهدى : 93/2. المتقي الهندي: كنز العمال: 406/11. المناوي: فيض القدير: 290/1.

٣- سورة الجن الآية 27.

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 207/13. المجلسي : البحار : 362/15. البحراني: حلية الأبرار: 33/1.

٥- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 366/4.

ثم جاءت إشارة الإمام عليه السلام لتؤكد أثر الجانب الوراثي في شخصية النبي الأعظم عليه السلام إذ قال " مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا، وَمُنْتَبَهُ أَشْرَفُ مُنْتَبٍ، فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ " ^١. إن من بين ما يحمله قوله : " معادن الكرامة ، ومماهد السلامة " هو ما تقلب عليه من مكارم الأخلاق الممهدة للسلامة إذ كان أبؤه وامهاته إضافة إلى الطهر والإيمان يتحلون بالفضائل الإنسانية والنزاهة من المعايير الأخلاقية ^٢.

ومن المعلوم إن احد الإبعاد المهمة في شخصية الفرد إنما يبلوره الجانب الوراثي حيث يكتسب الأبناء القدسية من جراء الآباء من أهل الورع والتقوى والصلاح ، والأمهات من ذوي الطهر والنجابة والعفاف ، وبالطبع كل ذلك دون حصول الإجبار، والنبي عليه السلام كان أنموذجاً بارزاً في هذا الأمر، فهو ينت هي لآل إبراهيم والأنبياء عليهم السلام الذين انحدروا من نسله ، ومن صلب بني هاشم المعروفين بالشجاعة والكرم والأثرة ، ومن ولد عبد المطلب المشهور بإيمانه وعدله وشجاعته ، فقد تحلى عليه السلام بكل هذه الصفات ^٣.

ثم نجده عليه السلام في إشارة أخرى يخوض في خلقه الجذاب عليه السلام الذي استقطب القلوب وخطف القلوب ، وشدها إليه ، إذ يقول: " قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْنِدَةُ الْأَبْرَارِ، وَثَبِثَتْ إِلَيْهِ أَرْمَةُ الْأَبْصَارِ " ^٤.

من يقف على أخلاقه عليه السلام يدرك السر وراء انجذاب الناس إليه جيلاً بعد جيل ، لان الأخلاق الإلهية المرضية قد تجسدت في شخصه بأروع صورها ، وأجل حالاتها ، وهذه الاخلاق إحسان للآخرين . والنفس مجبولة على حب من أحسن إليها، وكما قال عليه السلام : " حسن الخلق يثبت المودة " ^٥ ، فكان لحسن خلقه ومداراته الرفيعة ورحمته الإلهية الأثر الطيب في تثبيت مودته وتمكنها من سوائد القلوب ، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ^٦ ثم أشار عليه السلام إلى آثار أخرى لبركة الوجود المحمدي بين الناس ، وبما تهيأ له من سمات

١- نهج البلاغة : ص178 .

٢- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 531/2. المجلسي : البحار : 380/16. ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 180/4.

٣- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 162/4.

٤- نهج البلاغة: ص178 .

٥- الحراني: تحف العقول: ص 45. علي الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص 138. المجلسي : البحار : 148/74.

الريشهري: ميزان الحكمة: 805/1.

٦- سورة آل عمران الآية 159.

وسجايا محببة إلى النفوس ، ساهمت بشكل فعال في إصلاح المفاصد وقلب الموازين لما فيه الخير والصلاح ، إذ يقول: " دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّعَّانَيْنِ ، وَأَطْفَأَ بِهِ النَّوَّارِ أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا ، أَعَزَّ بِهِ الذَّلَّةَ ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ "¹

فقد أزال الله به الضعائين والأحقاد ، واطفأ نيران الفتن والعدوان ، وألف بين القلوب المتباعدة ، وأخى بين المؤمنين ، وجمع بين المتباعدين ، في حين انه فرق به بين جماعات كانت مجتمعة على الباطل ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ² .

وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ ³ . بل إن الله تعالى ببركة الوجود المحمدي رفع المستضعفين وأعزهم بالإسلام ، وأذل المستكبرين بعد ان كانوا أعزة أيام الشرك والضلال . وهكذا استقطب النبي الأعظم ﷺ بخلقه الإلهي ومنهجه السوي كل من حوله وكل من عرفه ، فاستضاءت القلوب بنور هداة ﷺ .

إن المتتبع لكلمات الإمام ﷺ وخطبه الشريفة ليقف بإجلال عند تلك العبارات اللطيفة الرائعة التي وصف بها خصال النبي الأعظم ﷺ ، والحق انه ﷺ قد أدى حق الكلام بشأن خصاله ﷺ وأماط اللثام عن عظمة خلقه الالهي ، إذ يصفه قائلاً: " أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شَيْمَةً "⁴ أي في جميع خصاله الشريفة ، منذ طفولته وحتى آخر لحظات حياته نشأ متجليا بكل خلق كريم ، ومبتعدا عن كل وصف ذميم حتى كان كما وصفه ﷺ : " خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً ، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً "⁵ ، لقد كان ﷺ قبل بعثته في الذروة العليا من الأخلاق الحسنة ، كالصدق والأمانة والوفاء والشجاعة والحلم وغيرها ، وكان يحظى بالإجلال والإكبار من حصل على واحدة منها ، فكيف بمن جمعت له وتوفرت فيه كلها ، ولما بعثه الله زاده قوة في هذه الخصال الحميدة إلى قوته حتى بلغ الكمال.

١- نهج البلاغة : ص178- 179 .

٢- سورة الأنفال الآيتان 62-63.

٣- سورة آل عمران الآية 103.

٤- نهج البلاغة : ص194 .

٥- نهج البلاغة : ص194 .

فأما شرف النسب: فقد تحدر عليه السلام من أكرم المناسب ، وانتمى إلى أطيب الأعراق ، إذ اختاره الله من " شجرة الأنبياء ، ومشكاة الضياء ، وذوابة العلياء ، وسرة البطحاء " ^١.

فمن لطف الله به عليه السلام أن جعله عريق النسب ، كريم المنبت ، اصطفاه من اشرف قبائل العرب " قريش " وجعل فرع وجوده من شجرة الانبياء التي اصطفى منها أمناء رسالاته . وهذا ما سبق أن **تناولناه في مبحث علامات الانبياء .**

وقد ألمح الإمام عليه السلام في مضامين كلماته إلى صور موجزة من ملامح شخصية النبي عليه السلام وخصاله وكمالاته ، وبعض من جوانب سلوكه الفردي والاجتماعي ، وسنقف عند هذه السجايا والخصال التي ذكرها الإمام عليه السلام .

ومن اهم هذه السجايا :

اولا : الرحمة :

تعد الرحمة من الأخلاق الإلهية التي أودعها الله سبحانه في الأنبياء ومنهم نبي هالمصطفى عليه السلام الذي كان ارحم الناس بالناس ، فنصح لهم وهداهم إلى الصلاح ، واخذ بأيديهم إلى السعادة في الدارين ، ولقد نوه سبحانه بما جبل عليه نبيه المصطفى عليه السلام من الرحمة والرفقة بالمؤمنين والحرص عليهم ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ^٢ ، وقوله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^٣ .

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: " **وَبِعَيْتِكَ نِعْمَةً ، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً** " ^٤ ، وفي موضع آخر قال : " **وَرَسُولٌ رَحْمَتِهِ** " ^٥ ، فكان عليه السلام الرحمة المهداة من الله الكريم إلى عباده ، وسيرته العطرة تشهد بهذه الرحمة التي طبقت الآفاق وشملت جميع الناس ، فكان من أوصافه عليه السلام أنه يشق عليه ضر الناس أو هلاكهم ، بل أن رحمته ورأفته شملت حتى المخالفين له.

١- نهج البلاغة: ص200-201.

٢- سورة التوبة الآية 128 .

٣- سورة الأنبياء الآية 107.

٤- نهج البلاغة ص198 .

٥- نهج البلاغة 423.

وأما قوله عليه السلام : " **وَبِعَيْتِكَ نِعْمَةٌ** " ^١ فهي إشارة إلى ان بعثة النبي صلى الله عليه وآله كانت نعمة كبيرة من جانب الله سبحانه ، كما كانت أنموذجاً بارزاً لرحمته الواسعة سبحانه ، فقد اهتدت به الملايين من أفراد البشرية ، وانقادت إلى الحق في ظل تعاليمه السامية ، وهذا الكلام في الواقع من الآيات القرآنية ومنها: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^٢ ، و ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^٣ .

سأل الإمام الحسين عليه السلام أباه أمير المؤمنين عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال: كان إذا أوى إلى منزله جزءاً دخوله ثلاثة أجزاء ، جزء لله ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه ، ثم جزء جزأه بينه وبين الناس ، فيرد ذلك بالخاصة على العامة ، ولا يدخر عنهم شيئاً وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه ، وقسمه على قدر فضلهم في الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسا علتهم عنه ، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ، يقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة ، لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره. يدخلون رواداً ولا يفترون إلا عن ذواق ، يخرجون أدلة - يعني على الخير - .

قال الإمام الحسين عليه السلام : فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟

قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ، ويؤلفهم ولا ينفهم ، ويكرم كريم قوم ويؤليه عليهم ، ويحدر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره وخلقه ، يتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يفضل مخافة أن يفضلوا أو يملوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه ، يلونه من الناس ، خيارهم ، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

١- نهج البلاغة : ص198 .

٢- سورة آل عمران الآية 164 .

٣- سورة الأنبياء الآية 107 .

٤- ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: 4 / 312 .

قال الإمام الحسين عليه السلام : فسألته عن مجلسه ، فقال عليه السلام : كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لا يقوم ولا يجلس إلا عن ذكر الله ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطي كل جلسائه بنصيبه ، لا يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه . من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا ، وصاروا عنده في الحق سواء ، مجلسه مجلس علم وحلم وحياء ، وأمانة وصبر لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤين فيه الحرم ولا تتشفتأته، متعادلين ، بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب " ١ .

وفي بيته كان مضرب المثل في القيام بدور رب الأسرة ، فقد قيل لعائشة : " ماذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في بيته ؟ قالت: كان بشرا من البشر: يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه " ٢ .

وعن طريقة تعامله مع جلسائه ، قال الإمام الحسين عليه السلام : سألت أبي أمير المؤمنين عليه السلام عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جلسائه؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : " كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائم البشر، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب ، ولا فحاش ، ولا عيان ، ولا مشاح ، يتعافل عما لا يشتهي ، ولا يؤيس منه راجيه ، ولا يخيب فيه ، قد ترك نفسه من ثلاث : المرء والإكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ، ولا يعيبه ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث ، وإذا تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ، حتى إن كان أصحابه ليستجلبوهم . ويقول: إذا رأيتم

١- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص 181. 182.

٢- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص 185.

طالب حاجة يطلبها فأرفدوه ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه
بنهي أو قيام " .

ثانيا: العدل:

جاء في مظان كلام الإمام عليه السلام الإشارة إلى اتصاف رسول الله صلى الله عليه وآله بـ " العدل " ، إذ يقول عليه السلام :
" وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ " ^٢ ، والعدل: صفة عظيمة محببة للنفوس، أمر الله بها، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ^٣ ، وحمل به أنبياءه ، وقد كانت غريزة فطر الله عليها نبيه صلى الله عليه وآله ، الذي كان حريصا على إبراز قيمة (العدل) في الدنيا وعظم أجره في الآخرة ، يقول صلى الله عليه وآله : " إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما اقسطوا في الدنيا " ^٤ ، وقد التزم صلى الله عليه وآله بالعدل والقسط منهاجا له ، وامتألت كتب السيرة بمواقف مشهودة عن عدله ، فقد كان يتحاكم إليه قبل الإسلام ^٥ ، وغدا ممثل العدل الالهي في الأرض بعد بعثته .

ولكن اشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: " أنكم تختصمون إليّ إنما أنا بشر ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما اقضي بينكم بما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا ، فإنما اقطع له قطعة من النار، فلا يأخذه " ^٦ .

١- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص 189.

٢- نهج البلاغة: ص 176 .

٣- سورة النحل الآية 90.

٤- ابن حنبل: المسند : 2 / 159. وانظر: ابن ابي شيبة : المصنف : 8 / 81 . النسائي: السنن : 3 / 460. الحاكم المستدرک : 4 / 88. المتقي الهندي: كنز العمال : 6 / 8 .

٥- ابن راهويه: المسند: 4/ 60- 61. وقد ورد باختلافات وإضافات قليلة في مصادر أخرى، ينظر: مالك: المدونة الكبرى 4 / 365، الموطأ 2 / 719. الشافعي: كتاب الام: 6 / 215. ابن ابي شيبة: المصنف: 8 / 425 - 426، ابن حنبل: المسند: 6/ 320. النسائي: السنن: 3 / 468 ، 472. ابو يعلى: المسند: 12 / 303 - 308 ، 428. الطبراني : مسند الشاميين: 2 / 243 . الدارقطني: السنن: 4 / 154 - 155. البيهقي: معرفة السنن: 7 / 379. الطوسي: المبسوط: 8 / 256.

٦- الشافعي: الأم : 1 / 297: الرسالة : ص 150 . الطوسي: الخلاف: 6 / 257 . المرتضى: شرح الأزهار : 4 / 119 . الشهيد الثاني: مسالك الأفهام : 14 / 262 . الكاشاني: مفاتيح الشرائع : 3 / 275.

ومعنى هذا انه قد يقضي بغير الواقع ، فكيف يكون حكمه العدل كما مر في وصف أمير

المؤمنين ﷺ ؟

قال مغنية¹ في جواب ذلك: " الجواب عن هذا السؤال موجود في قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : وهو " إنما أنا بشر... أقضي على نحو ما اسمع ... فأحسبه صادقا". أي أن النبي حين يقضي بين اثنين لا ينزل عليه وحى من السماء بان هذا هو الحق ، وذاك باطل ، وإنما يعتمد في الحكم والفصل بين الناس على ما قرره سبحانه لكل قاض من الأصول كالبيئات والأيمان وغيرها مما يوجب العلم والوثوق، كما قال: " فأحسبه صادقا ". ومعنى هذا ان العدل في الحكم يرتبط بالأصول المقررة، وإن العالم العادل من عرفها والتزم بها ، وإن من تاه عنها فهو جائر او جاهل "

ولكن تستوقفنا هنا عدة نقاط:

1 - إن الله تعالى يقول عن نبيه الكريم: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾^٢ ، فكيف نحتمل ان ما يصدر عن النبي ﷺ من حكم للفصل بين متخاصمين أو غيره أن لا يصيب الواقع مما يجوز عليه الخطأ في تطبيق الشريعة ، وان كان غير قاصد لذلك! ألا يتنافى هذا مع عصمته ﷺ!؟

2 - ان النبي ﷺ ممثل الحكم والعدل الالهي بين على الأرض ، ومن شؤون الانبياء فصل الخصومات والقضاء بين الناس بالعدل ، والله يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^٣ . وقال أيضا: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾^٤ ، وقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ " اتقوا الحكومة ، فان الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين ، لنبي أو وصي نبي " ° إذ كيف

١- في ظلال نهج البلاغة : 2/ 64 .

٢- سورة النجم الآيتان 3 . 4 .

٣- سورة النساء الآية 65 .

٤- سورة الأحزاب الآية 36 .

٥- الكليني: الكافي: 406/7 . الصدوق: من لا يحضره الفقيه: 5/3 . الطوسي: تهذيب الأحكام: 217/6 . الفاضل الهندي: كشف اللثام: 6/10 . الفيض الكاشاني: المحجة البيضاء: 194/6 . الحر العاملي: هداية الامة: 361/8 . المحقق البحراني: الدرر النجفية: 273/1 . آل عصفور: الأنوار اللوامع: 7/14 . الجواهري: جواهر الكلام: 17/40 .

لا يصيب حكمه الواقع ، وان حدث هذا ولم يتحقق العدل بين الناس بوجود النبي الأعظم ﷺ ،
فإلى أين يلجا المظلوم أو المغلوب على أمره إن أعجزه البيان في الحجة ، ولم ينجده عدل النبي
الأعظم ﷺ؟!

3- لا إشكال في أن الله أمر بالحكم والقضاء وفق الأصول المعتمدة كالبيئات والأيمان، ولكن مالا
يمكن قبوله ان يحتمل عدم مطابقة الحكم الصادر عن النبي ﷺ للحق والواقع ، وان كان
البعض أبين في حجته فان ذلك لن يعجز رسول الله ﷺ وهو الذي هيا الله له من الكمالات
الذاتية التي جعلته في قمة الكمال الإنساني ، أن يتوصل للحكم الحقيقي من خلال الأصول
المتعارف عليها.

وخير دليل على ذلك نذكر هذه الحادثة: إن الإمام أمير المؤمنين ع عليه السلام حينما ولاه النبي على قضاء
اليمن قال : " يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء " ، فقال ﷺ : " إن الله سيهدي
قلبك ويثبت لسانك " وهذه مقدمة تؤكد سبق التسديد الإلهي للوصي ع عليه السلام في بلوغه الحكم الحق . ثم
قال له : " فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ، فانه
أحرى أن يتبين لك القضاء ، قال ع عليه السلام : فما زلت قاضيا أو ما شككت في قضاء بعد " ، وقد روي عن
عمر قوله في الإمام : " علي أقضانا ^٢ " ولم يشهد له التاريخ زللا أو سهوا في حكم قضى به بين الناس
، بل كانت أحكامه تطابق الواقع الحق وتحقق العدل . فكيف الحال برسول الله ﷺ؟!

ثم نذكر حادثة أخرى لما أرسل رسول الله ﷺ معاذ بن جبل قاضيا إلى اليمن ، قال له " وان
أشكل عليك أمر فقف حتى تتبينه أو تكتب إلي فيه" ^٣.

١- ابن حنبل: المسند : 1 / 83 . أبو داود: السنن : 2 / 160 . ابن حزم: المحلى : 9 / 367 . البيهقي: السنن الكبرى
: 86 / 10 . القاضي النعمان: شرح الأخبار : 2 / 304 . ابن حجر: فتح الباري : 8 / 52.

٢- ابن سعد: الطبقات : 2 / 339 . ابن أبي شيبة: المصنف : 7 / 183 . ابن حنبل: المسند : 5 / 113 . وكيع: أخبار
القضاة : 1 / 8 . الحاكم: المستدرک : 3 / 305 . الدار قطني: علل الدار قطني : 1 / 77 . ابن عبد البر: الاستذكار 2 / 66 .
الذهبي: تاريخ الإسلام : 3 / 638 ، تنكرة الحفاظ 3 / 820 . الصفدي: الوافي بالوفيات : 21 / 179 . ابن حجر: فتح
الباري: 7 / 60 . السيوطي: تاريخ الخلفاء : ص 188 . العجلوني: كشف الخفاء : 1 / 162 . المغربي: فتح الملك العلي :
ص 71 .

٣- ابن ماجه : السنن: 1 / 21 . المتقي الهندي : كنز العمال : 6 / 101 . الشنقيطي: أضواء البيان : 4 / 173.

4 ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾^١ ، انه ترفع بعض الناس إلى النبي ﷺ ، وكان كل من المتخاصمين يسعى لان يبرئ نفسه ويلقي بالتهمة على الآخر، وكان مع احدهما شهود ، ومع الآخر رجل طليق اللسان حاول ان يخدع النبي ﷺ بإثارة عواطفه على المتهم البريء ، ليقضي بخلاف الحق، وعند ذلك نزلت هذه الآية الكريمة لترفع النقاب عن وجه الحقيقة وتكشف من هو المتهم الحقيقي^٢ .

لا ريب إن هذه الآية هي بصدد إثبات عصمة النبي ﷺ وعدم خطئه في مجال تطبيق الشريعة ، استنادا إلى سبب النزول الذي ذكره المفسرون فان الخطأ في هذا المجال لا ينفك بحال عن الضلال كما نصت عليه الآية ، وهو مرتقب عن الانبياء ﷺ بنص القرآن الكريم . ولقائل أن يقول: إن الآية الكريمة مرتبطة بباب القضاء ، وفك الخصومات ، فعمل الانبياء ﷺ يخطئون في التطبيق في أبواب أخرى من الشريعة ، فلا يتم الاستدلال على المطلوب حينئذ؟

جواب ذلك: ان الآية قالت: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾^٣ ، وهذا التعبير يحدد بيان السبب في عدم وقوع الخطأ في باب القضاء ، وهو فضل الله ورحمته بالنبي ﷺ ، ومن المعلوم ان فضل الله ورحمته بالنبي ﷺ ليس مختصا بباب القضاء بل هو ثابت له في كل شؤونه وأفعاله^٤ .

١- سورة النساء الآية 113 .

٢- ينظر: الترمذي: السنن : 310/4 - 313 . الطبري: جامع البيان : 5/ 360 - 362 . الحاكم: المستدرک 385/4 - 386 . الطبرسي: مجمع البيان : 188/3 .

٣- سورة النساء الآية 113 .

٤- السيد الحيدري: عصمة الانبياء في القرآن: ص 169- 170 .

أما عن منطقه الشريف عليه السلام ، فقد وصف الإمام عليه السلام كلامه وسكوته بصفة تعد من مفاخر الصفات وكمالات الذات ، إذ قال عنه : " كَلَامُهُ بَيِّنٌ ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ " ^١.

والمراد بالبيان: إخراج الشيء من حيز الخفاء إلى حيز الوضوح ^٢. فإذا نطق عليه السلام تفتق لسانه بأسرار الحكمة ، وبيان حقائق الوحي ، وكشف النقاب عن سبيل النجاة ومهوى الردى ، ومستتقع السقوط ^٣. فهو الذي اصطنعه الله لوحيه ، وخصه بتنزيله ، ونصبه لبيانه ﴿ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ^٤.

فكلامه عليه السلام بيان للحق والعدل ، ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ^٥ ، وهذا يعود إلى ان النبي عليه السلام نشأ وتقلب في أفصح القبائل وأخلصها منطقا وأعذبها بيانا ، إذ يقول: " أنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش " ^٦ ، وقد كانت هذه الفصاحة توفيقا له من الله وتوقيفا ، إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم ، ولهم المقامات المشهورة من البيان والفصاحة ^٧ ، غير أنهم هذبوا الكلام وحذقوه وبالغوا في إحكامه ، فان ذلك لا يكون إلا عن نظر متقدم وروية مقصودة وتكليف يستعان له بأسباب الإجابة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية ، فيشبه أن يكون القول مصنوعا مقدرا ، على أنهم مع ذلك لايسلمون من عيوب الاستكراه والزلل والاضطراب ، ومن حذف في موضع اطناب ، واطناب في موضع ، ومن كلمة غيرها اليق ، ومعنى غير ارد ، ثم هم في باب المعاني ليس لهم الا حكمة التجربة ، والا فضل ما ياخذ بعضهم عن بعض ، قل ذلك او كثر ، والمعاني هي التي تعمر الكلام وتستتبع الفاظه ، وبحسبها يكون ماؤه ورونقه ، وعلى مقدارها وعلى وجه تأديتها يكون مقدار الرأي فيه ووجه القطع به ^٨.

١- نهج البلاغة: ص179 .

٢- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 69/7.

٣- ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية : 181/4 .

٤- سورة النحل الآية 44.

٥- سورة النجم الآيتان 3 - 4.

٦- ابن سلام: غريب الحديث: 140/1. ابن قتيبة: المعارف : ص 132. الزمخشري : الفائق في غريب

الحديث: 126/1. العجلوني : كشف الخفاء: 201/1.

٧- الرافعي : اعجاز القران : ص223 .

٨- الرافعي : اعجاز القران : ص222.

بيد ان رسول الله ﷺ كان أفصح العرب ، على انه لا يتكلف القول ولا يقصد إلى تزيينه ، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة ، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده ... ثم أنت لا تعرف له إلا المعاني التي هي من الهام النبوة ونتاج الحكمة ، وغاية العقل ، وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد^١ .

وفي مورد آخر وصف الإمام ﷺ كلام النبي ﷺ بقوله : " وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ " ^٢ أي الفاصل بين الحق والباطل^٣ ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴾^٤ ، وقيل مراده ﷺ : الجد لا الهزل ، ولهذا قال قال ﷺ : " أوتيت جوامع الكلم " ^٥ ، وأراد بجوامع الكلم انه يتكلم بالكلمات القصيرة وتحتها معان جمة ونكت غزيرة^٦ . وأما عن قوله ﷺ : " وصمته لسان " فلا يعني باللسان ها هنا الجارحة نفسها ، بل الكلام الصادر عنها^٧ . واستعار لفظ " اللسان " لسكوته ، ووجه المشابهة أن سكوته ﷺ مستلزم للبيان من وجهين :

احدهما : أن يسكت عما لا ينبغي من القول ، فيتعلم الناس السكوت عن الخوض فيما لا يعينهم .

الثاني : إن الصحابة كانوا إذا فعلوا فعلا على سابق عادتهم فسكت عنهم ، ولم ينكره عليهم علموا بذلك انه على حكم الإباحة ، فكان سكوته عنهم في ذلك بيانا له ، وأشبهه سكوته عنه باللسان المعرب عن الأحكام^٨ . فسكوته يختزن المعنى والمفهوم ، ولم يكن صمتا طبيعيا ، وهو يريد ان صمته بمنزلة قوله ، في كونه شرعا يقتدي به ، هذا من باب ، ومن باب آخر فانه يريد ان صمته حكمة وصواب

١- الزايعي : اعجاز القرآن :ص222-223.

٢- نهج البلاغة: 176 .

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة:52/7. ابن ميثم: شرح نهج البلاغة:527/2.

٤- سورة الطارق الآية 13.

٥- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 527/2.

٦- ابن أبي شيبة: المصنف :431/7. ابن حنبل: المسند: 250/2، 442. الإيجي: المواقف: 409/3. الهيثمي: مجمع

الزوائد: 173/1، 182. المتقي الهندي: كنز العمال: 371 / 1.

٧- الحسيني: الديباج الوضي: 778/2-779.

٨- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 7/ 55.

٩- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 532/2 .

وليس غفلة ، وذهولا وحصرًا وعيًا مثل سكوت غيره" ^١ . فمن كمال تلك النفس العظيمة غلبة فكره على لسانه ، فقل كلامه ، وخرج قصدا في ألفاظه محيطا بمعانيه ^٢ .

وحق للإمام عليه السلام أن يفخر بأنهم - أي أهل بيت النبوة - في محل لا يضاهاى من كمال الفصاحة والبلاغة ما لو أراد مريد لعجز عنه ، فيقول عليه السلام : " إِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنْشَبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلتْ عُصُونُهُ" ^٣ .

رابعا : التواضع :

هو خلق كريم ، وخلة جذابة ، تستهوي القلوب ، وتستثير الاعجاب، والتقدير ^٤ . ومن موجبات المعرفة المعرفة الحققة للذات الالهية استشعار الفقر في ذات الانسان، يقول امير المؤمنين عليه السلام " وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمْتَهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قَدَّرْتَهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ" ^٥ .

فالانسان بقدر ما يدرك من عظم الله تعالى وجلاله وجبروته ، فانه يستشعر الفقر في نفسه الى الله والحقارة تجاهه ، ويدرك انه لا ينبغي له ان يستعظم ذاته ؛ لان المنزلة والتقدير انما يكون لمن رأى ان العظمة لله وحده سبحانه ، والخاصعون من عباد الله هم اولئك الذين يستشعرون العظمة له عز اسمه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ ^٦ .

وفي موضع آخر يقول امير المؤمنين عليه السلام : " إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعِظَمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ" ^٧ .

١- الحسيني: الديباج الوضي: 783/2.

٢- الرافعي: اعجاز القرآن: ص235 .

٣- نهج البلاغة : ص484 .

٤- مهدي الصدر: أخلاق اهل البيت: ص 36.

٥- نهج البلاغة: ص269 .

٦- سورة فاطر الآية 28 .

٧- عبد المجيد زهادت : التربية والتعليم في نهج البلاغة : ص 89

٨- نهج البلاغة: ص 453 .

فمن عظم جلال الله في قلبه صغر عنده كل ما سواه ، وقد تجلى التواضع بأبهى واكمل صورته في أخص خلق الله واقربهم منزلة منه الا وهم الانبياء ، اذ نجد في كلام الامام عليه السلام وقفة مع هذه الخصلة من خصال انبياء الله اذ يقول عليه السلام : " فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ، لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّةً إِلَيْهِمُ التَّكَابُرُ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَّاضِعُ " ،^١، ففي قوله ها هنا استدلال على تحريم الكبر مطلقا وانه لا رخصه فيه لاحد من خلق الله.

إن الكبر نقيض التواضع وأما حقيقته: فهي هيأة نفسانية تنشأ عن تصور الانسان نفسه اكمل من غيره واعلى رتبة وتلك الهيئة تعود الى ما يحصل للنفس عن ذلك التصور من النفخ والهزة والتعزز والتعظم والركون الى ما تصورته من كمالاتها وشرفها على غيرها ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " أعود بك من نفخة الكبر"^٢ ، وهي رذيلة تحت الفجور تقابل فضيلة التواضع^٣.

وقد ورد ذم هذه الخصلة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ منها قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾^٤ ، ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾^٥ ، وفي الحديث القدسي: " يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي ، والعظمة أزاري ، فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم " ^٦ ، وقال النبي ﷺ : " لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر "^٧.

-
- ١- نهج البلاغة : ص392.
 - ٢- المازندراني: شرح أصول الكافي: 235/1.
 - ٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 275 .
 - ٤- سورة غافر الآية 35 .
 - ٥- سورة إبراهيم الآية 15 .
 - ٦- الحميدي: مسند الحميدي : 486/2 . ابن راهويه: المسند: 305/1 . ابن حنبل: المسند: 248/2 . ابن ابي الدنيا: التواضع والخمول : ص3 . البيهقي: شعب الإيمان : 281/6 . البيهقي: معارج نهج البلاغة : ص 358 . ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه : ص 232 . المنذري: الترغيب والترهيب : 562/3 . المجلسي الأول : روضة المتقين : 48/4 . الفيض الكاشاني: الوافي : 161/1 . المجلسي: ملاذ الأخيار : 59/5 . النوري: المستدرک : 31/12.
 - ٧- البخاري: التاريخ الكبير: 2/5 . الترمذي: السنن : 244/3 . الكليني: الكافي : 310/2 . الصدوق: ثواب الأعمال : ص221 . النووي: الأذكار النووية : ص 350 ، شرح صحيح مسلم : 89/2 . الدميري: حياة الحيوان : 496/1 . الشهيد الثاني: رسائل الشهيد الثاني : 812/2 ، منية المريد ص156 . البهوتي: كشف القناع : 1 / 270 . الكحلاني: سبل السلام: 200/4 . الشوكاني: نيل الأوطار : 108/2.

والى هذا المعنى يشير أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبرِيَاءَ ، واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمَا حِمَى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ ، وَجَعَلَ اللَّغْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ " ^١.

ومعنى اختياره هنا تفرد به باستحقاقهما لذاته ، فان المستحق للعز والكبرياء بالذات ليس الا هو ، ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ ^٢ ، والالف واللام هنا يفيد حصر الكبرياء والعلو فيه ^٣. وأما قوله عليه السلام: " وَجَعَلَهُمَا حِمَى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ " ^٤، فقد استعار لفظ الحمى والحرم باعتبار اختياره لهما وتحريمهما على غيره من خلقه كما يحمي الملك المرعى والحرم ^٥.

ويقول عليه السلام: " وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ، فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ " ^٦، فليس " بين الله وبين احد من خلقه صلح ، فيخصص باباحة حكم حرمة على سائر خلقه ، فيختلف بذلك حكمه فيهم لان الصلح من عوارض الحاجة او الخوف المحالين عليه تعالى " ^٧. وبهذا يتضح لنا مراده من قوله المار الذكر " فلو رخص الله في الكبر لاحد من عباد له لرخص فيه لخاصة انبيائه واوليائه " ^٨.

اذ إن وجه الملازمة فيه ان الانبياء خواص الله واحبائه واهل طاعته ، فلو كان فيه رخصة لم يجعلها الا لهم، وتقدير الاستثناء فيه لنقيض الآتي: لكنه لم يرخص فيه لهم ، فينتج انه لم يرخص فيه لاحد من عباد له ، لكنه حذف هنا استثناء النقيض واستثنى بعض لوازمه ، وهو تكريهه التكابر عليهم ، وذلك بوعيده للمستكبرين على الكبر، ثم برضى التواضع لهم ، وذلك بامرهم فيه كما قال تعالى:

١- نهج البلاغة: ص 384 - 385 .

٢- سورة الرعد الآية 9.

٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 277 .

٤- نهج البلاغة: ص385.

٥- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 277 .

٦- نهج البلاغة ص386.

٧- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 291.

٨- نهج البلاغة: ص292.

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ^١ ﴾ ونحوه ^٢.

ثم شرع ﷺ في بيان دلائل التواضع في الأنبياء وسماته اذ يقول : " فَأَلْصِقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَقَرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ " ^٣ . امتثالاً لما امروا به من التواضع والتذلل للخالق ^٤ . " وخفضوا اجنحتهم اجنحتهم للمؤمنين ، وكانوا قوماً مستضعفين امتثالاً لما مروا به من التواضع للخلائق ، قال المجلسي: خفض الجناح كناية عن لين الجانب وحسن الخلق والشفقة ^٥ .

وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^٦ ، إن الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه ، واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب ، رفعه قول أحدهم:

وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلاً ^٧

ينهاه عن التكبر بعد التواضع ^٨ . والعرب تقول لمن كان ساكناً وقوراً : انه خافض الجناح ^٩ . وأما قوله ﷺ : " وكانوا قوماً مستضعفين " كونهم متصفين بالضعف والمسكنة في نظر الناس وضيق العيش في الدنيا كما سنقف تفصيلاً في محله.

وقد كان رسول الله ﷺ اشد الناس تواضعاً ، وابعدهم عن الكبر ، وان المتتبع لسيرته الشريفة يلمس ذلك بوضوح ، وقد ذكر امير المؤمنين ﷺ شاهداً على ذلك في حديثه عن نمط معيشته ﷺ فقال: " وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جَلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ،

١- سورة الحجر الآية 88 .

٢- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 317 .

٣- نهج البلاغة: ص 392 .

٤- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 11 / 266 .

٥- البحار: 479/14 .

٦- سورة الشعراء الآية 215 .

٧- استشهدت مصادر التراث بهذا البيت كثيراً دون الإشارة لقائله. ينظر: الزمخشري: الكشاف : 131/3 . أو حيان

الأندلسي: البحر المحيط : 43/7 . الأفتدي: تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات : ص 498 . حبيب الله الخوئي:

شرح نهج البلاغة : 315/11 . الآلوسي: روح المعاني : 135/19 . الشنقيطي: أضواء البيان : 316/2 .

٨- حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة: 11 / 267 .

٩- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 317 .

وَيَرْقُعُ بِيَدِهِ ثُوبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ، وَيُزِدُ خَلْفَهُ" ^١، إذ كان ﷺ يتخذ في جلسته هيأة تبعد عن نفس جالسها أي فخر أو تكبر ، ولكنها تفرض الهيبة في نفوس الآخرين ، حتى روت إحدى الصحابييات وهي قبيلة بنت مخزومة ^٢ أنها رأت رسول الله ﷺ في المسجد وهو قاعد القرفصاء ^٣ قالت : " فلما رأيت رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المتخشع في الجلسة ، ارعدت من الفرق ^٤ " ^٥.

وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: ما أكل رسول الله ﷺ متكئا منذ بعثه الله الى ان قبضه تواضعا لله عز وجل" ^٦ فالمراد من جلوسه جلسة العبد ، أما أن يجلس على الارض أو يجلس من غير تربع خلاف جلوس الملوك ، أو الجلوس دون شرفه ، إذ كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزلا قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل ^٧.

وتضمن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ذكر عدة مزايا تشير الى تواضع النبي ﷺ منها:

1- لبس النعل المخصوف ، فهو دليل ظاهر على التواضع ولا سيما اذا كان لايسها هو الخاصف.

2- لبس الثوب المرقع.

3- ركوب الحمار العاري . وإرداف غيره خلفه .

١- نهج البلاغة: ص 299 .

٢- قبيلة بنت مخزومة التميمية قدمت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسلمت وسمعت منه وروت عنه وصلت معه. ابن سعد: الطبقات: 8/ 312. ابن ماكولا: إكمال الكمال: 7/ 130. ابن الأثير: أسد الغابة : 5/ 535.

٣- القرفصاء: هو أن يجلس الرجل كجلوس المحتبي ويكون احتباؤه بيديه يضعهما على ساقيه كما يحتبي بالثوب، تكون يدها مكان الثوب. ابن سلام: غريب الحديث : 1/ 211، 2/ 108. وقال الجوهري: وهو أن يجلس على أليتيه ويلصق فخذه ببطنه ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه، كما يحتبي بالثوب، تكون يدها مكان الثوب. الصحاح 3/ 1051. الثعالبي: فقه اللغة : ص 183. ابن فارس: معجم : 5/ 118.

٤- الفرق: الخوف والفرع. سيبويه: كتاب سيبويه : 4/ 19. الجوهري: الصحاح : 4/ 1541 . ابن سيده: المخصص : 4/ 140/2/4.

٥- البخاري: الأدب المفرد ص 251. أبو داود: السنن: 2/ 445. الطبراني: المعجم الكبير: 25/ 9. البيهقي: السنن الكبرى 3/ 235. السمعاني: أدب الإملاء والإستملاء : ص 45. النووي: رياض الصالحين : ص 393. المزي: تهذيب الكمال : 35/ 278. الهيثمي: مجمع الزوائد : 6/ 11. المجلسي: البحار: 17/ 32 .

٦- الكليني: الكافي : 8/ 164 .

٧- حبيب الله الخوني : منهاج البراعة: 9 / 320 .

كل ذلك آية التواضع وهظم النفس ، وآكد في الدلالة عليه^١.

وقال الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال: خمس لا أدعهنّ حتى الممات : الأكل على الحضيض مع العبد ، وركوبى الحمار موكفا ، وحلب العنز بيدي ، ولبس الصوف ، والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي^٢.

وكان فراشه عليه السلام غاية في التواضع ، قالت عائشة : " إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ينام عليه من أدم ، حشوه ليف " ^٣. و" سئلت عائشة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتك ؟ قالت : من أدم ، حشوه من ليف ، وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتك ؟ قالت: مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه " ^٤.

ومن مظاهر تواضعه كان عليه السلام يقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله " ^٥. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعود المرضى ، ويشهد الجنائز ، ويركب الحمار ، ويجيب دعوة العبد ، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف ، وعليه إكاف من ليف " ^٦. و" كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب " ^٧.

٧

خامسا: الشجاعة.

- ١- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 9 / 320 - 321 .
- ٢- الصدوق: الأمالي ص 130، الخصال ص 271، علل الشرائع 130/1، عيون أخبار الرضا عليه السلام 87/2، الطبرسي: مكارم الأخلاق ص 115، الأشتري: تنبيه الخواطر 475/2، الحر العاملي: وسائل الشيعة 62/12، 256/24، البحراني: حلية الأبرار: 215/1، المشهدي: كنز الدقائق: 63/5، البروجردي: جامع أحاديث الشيعة 307/14.
- ٣- الترمذي: الشمائل المحمدية ص 177.
- ٤- الترمذي: الشمائل المحمدية: ص 178.
- ٥- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص 178.
- ٦- الترمذي: الشمائل المحمدية: ص 179.
- ٧- الترمذي: الشمائل المحمدية ص 180.

تعد الشجاعة من الخصال اللازمة للأنبياء ، إذ جعل الله تعالى " رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ " ، وهي صفة تتطلبها مهمتهم التبليغية ، إذ إن هذه المهمة تواجه الصعوبات الجمة من التكذيب والتشكيك والترصد وغيره . وقد جمع الله أنواع القوة في رسوله الكريم ﷺ ، جمع له القوة الإيمانية الكاملة ، والقوة البدنية ، فاستعملها ﷺ مجتمعة في عبادة الله وطاعته والسعي الحثيث إلى كل ما يقربه إليه من مجاهدة أعداء دينه ونشر دعوته الغراء في جميع الأصقاع . وقد كانت حياته ﷺ القولية والفعلية أنموذجا متميزا في الشجاعة إذ كان منها بالمحل الذي لا يجهل ، فعند التأمل في سيرته الشريفة نجده يتعامل مع كل المواقف بقلب ثابت وشجاعة نادرة ، لذا خاطبه الحق تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^٢ .

وقد سئل الطوسي عن قول الله تعالى حول أمره تعالى نبي هـ الكريم ﷺ ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ ولم نره ﷺ نازل بطلا ، ولا قاتل ، ولو كان منازل مقاتلا لكان له قتلى وجرحى كما كان لأمر المؤمنين ﷺ ، والنبي ﷺ أشجع من أمير المؤمنين ﷺ إذا كان فئة لإصحابه. فما هذا القتال المأمور .

فأجاب : القتال قد يكون بأن يتولى القتال بنفسه ، وقد يكون بأمر أصحابه وبحثهم عليه كما يقولون : فلان الملك يقاتل فلانا إذا أمر بقتاله أو حضر موضع القتال ، والنبي ﷺ كان حاضرا ، وكان يحث أصحابه ويبعث السرايا ، وكل ذلك منسوب إليه. وقد قتل يوم بدر أبي بن خلف ، رماه بحريته فخدش جسمه فمات منه^٣ .

بل ذكر الماوردي^٤ أن أَبِي بِنُ خَلْفٍ ° هو من دعا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْبِرَازِ يَوْمَ أُحُدٍ فَبَرَزَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَتَلَهُ.

١- نهج البلاغة : ص393.

٢- سورة النساء الآية 84.

٣- الرسائل العشر : ص323 .

٤- الأحكام السلطانية : ص38.

٥- ولنقف عند شخصية (أبي بن خلف) قاتل النبي ﷺ : يعد أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي وأخوه أمية بن خلف ، من أكابر مشركي قريش ، وعتاتهم ، وكانت جمح أهل بغي وعوان ، وكان أبي بن خلف يماطل الناس حقوقهم ، وكثر ما أدى النبي ﷺ ، وتهدهد بالقتل ، فكان يلقي رسول الله صلوات الله عليه بمكة ، فيقول: يا محمد،

وحضر النبي ﷺ المواقف الصعبة، وفر الأشداء من بين يديه، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، إذ كان يتقدم أصحابه في الجهاد في سبيل الله حتى شج وجهه وكسرت ربايعيته¹. ولقد كان متحملاً بالشجاعة منذ نشأته الأولى، فهو الذي شارك في حرب الفجار ولم يبلغ الخامسة عشر بعد²، وصدع بالدعوة مواجهها عتاة قريش بما تنكره عقولهم، ولا تدركه تصوراتهم، فلم يمنعه ذلك من المضي قدماً في

والله لان لم تنته عما أنت عليه لأقتلك ، فنظر رسول الله ﷺ إليه ، وقال: بل أنا والله أقتلك يا أبي ، جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم ففته بيده ، ثم نفخه ، فقال: يا محمد أتزعم أن ربك يحيي هذا بعد ما ترى ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ونزل فيه : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ ، وكان وأخوه أمية يعذبان بلال بن رباح أشد العذاب ، وكان ممن اجتمع في الدار ليلة الهجرة وأتَمَرُوا على قتل النبي ﷺ ، وذكر عبد الرزاق الصنعاني: " وأما أبي بن خلف فقال : والله لأقتلن محمدا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله ، قال: فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن خلف ، فقيل : إنه لما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ما قلت ، قال : بل أنا أقتله إن شاء الله ، فأفزع ذلك ، وقال: أشدك بالله أسمعته يقول ذلك ؟ قال : نعم ، فوقع في نفسه ، لأنهم لم يسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولاً إلا كان حقا ، فلما كان يوم أحد خرج أبي بن خلف مع المشركين ، فجعل يلتمس غفلة النبي صلى الله عليه وسلم ليحمل عليه ، فيحول رجل من المسلمين بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : خلوا عنه ، فأخذ الحربة فجزله بها - يقول : رماه بها - فيقع في ترقوته ، تحت تسبغة البيضة ، وفوق الدرع ، فلم يخرج منه كبير دم ، واحتقن الدم في جوفه ، فجعل يخور كما يخور الثور ، فأقبل أصحابه ، حتى احتملوه وهو يخور ، وقالوا: ما هذا ؟ فوالله ما بك إلا خدش ، فقال: والله لو لم يصبني إلا بريقه لقتلني ، أليس قد قال : أنا أقتله إن شاء الله ، والله لو كان الذي بي بأهل [ذي] المجاز لقتلهم ، قال : فما لبث إلا يوما أو نحو ذلك حتى مات إلى النار فأنزل الله فيه (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) . وقال رسول الله ﷺ بعد قتله: " اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في سبيل الله واشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله ". ومات أبي بن خلف بسرف ودفن فيها ، وبقي ولده عبد الله . الذي أسر يوم بدر وأطلق سراحه بفضاء . على الشرك حتى فتح مكة ، فكان من الطلقاء ، ثم خرج يوم الجمل محاربا أمير المؤمنين ﷺ فقتل فيها . ينظر: ابن سعد : الطبقات : 46/2 . ابن حبيب : المنمق : ص54 ، 281 . الطبري : جامع البيان : 37/ 23 . القاضي النعمان : شرح الاخبار : 1 / 179 . المفيد : الامالي : ص 247 . الطبرسي : مجمع البيان : 6 / 437 . ابن الاثير : اسد الغابة : 3 / 114 . ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13 / 304 ، 15 / 224 . ابن كثير : البداية : 4 / 36-37 .

١- ابن سعد: الطبقات : 44/2 . الطبراني: المعجم الكبير : 162/6 . البيهقي: معرفة السنن والآثار : 75/2 . الزيلعي: تخريج الأحاديث 223/1 . ابن كثير : البداية والنهاية : 4 / 33 ، السيرة النبوية : 3 / 57 . الحلبي: السيرة الحلبية : 2 / 548 .
٢- ابن هشام: السيرة النبوية : 119/1 . المسعودي: التنبيه والاشراف ص 197 . ابن كثير: البداية والنهاية 2 / 353 . الذهبي: تاريخ الاسلام : 1 / 61 .

مواجهتهم " غَيْرَ تَأْكِلٍ عَن قُدْمٍ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ " ^١ وسجل لنا تاريخه أروع الأمثلة في الجهر بالحق، لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه.

وقد تحدث الإمام عليه السلام عن شجاعة النبي في ميادين القتال ، وفي أحلك المواقف ، إذ يقول: " كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ " ^٢. وهي كلمات تنطوي على شجاعة لا مثيل لها ، لا سيما وان الذي يتحدث هو أمير المؤمنين عليه السلام القائل: " وَاللَّهِ لَوْ تَطَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَّا وَلَّيْتُ عَنْهَا " ^٣ إذ انه عليه السلام " آتَسَ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِئْذِي أُمَّهُ " ^٤.

فقد كان إذا عظم الخوف من العدو، واشتد عضاض الحرب ، فزع المسلمون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ، فينزل الله تعالى النصر عليهم به ، ويامنون ما كانوا يخافونه بمكانه ^٥. ويقول عليه السلام : " فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ " ^٦ يشير بهذا إلى ما أعطاه الله من شدة الجأش وثبوت القلب وقوة العزيمة وشجاعة الجنان ^٧.

سادسا: الزهد :

- ١- نهج البلاغة ص 107 .
- ٢- نهج البلاغة ص 709 .
- ٣- نهج البلاغة ص 576 .
- ٤- نهج البلاغة ص 34 .
- ٥- نهج البلاغة ص 709 .
- ٦- نهج البلاغة ص 709 .
- ٧- الحسيني: الديباج الوضي : 6 / 2920 . ومن أروع ما وجدناه حول شجاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما جاء في المساجلات الفكرية بين قطبين من أقطاب الاعتزال في القرن الثالث الهجري ، وهما الجاحظ وأبو جعفر الاسكافي ، ينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13 / 277 - 283 .

الزهد: لغة خلاف الرغبة ، تقول: زهد في الشيء ، وعن الشيء يزهد زهدا وزهادة^١ . أما اصطلاحا فالزهد : الإعراض عن الظواهر المادية والملذات والمشاكل الملهية التي تفضي الرغبة فيها إلى توقف الحركة التكاملية للإنسان أو بطئها^٢.

وجدير بالذكر أن خطب الإمام عليه السلام في نهج البلاغة تعج بمضامين (الزهد) إذ نجده عليه السلام داعيا له بأساليب شتى تنوعت ما بين الدعوة للاتعاظ والاعتبار أو ذم الدنيا وتهوين شأنها والتحذير من غرورها ، وكان من ألمع نماذجه تقديمه سيرة النبي صلى الله عليه وآله بوصفه أنموذج متكامل في هذا الجانب داعيا الى التأسي به واقتفاء أثره ، فيقول عليه السلام : " لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَافٍ لَكَ فِي الْأُسُوءَةِ ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَاذِبِهَا وَمَسَاوِيهَا " ^٣ وعد ذلك من نعم الله تعالى إذ يقول : " فَمَا أَغْظَمَ أَغْظَمَ مِنْهُ اللَّهُ عِنْدَنَا ، حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلْفًا نَتَّبِعُهُ وَقَائِدًا نَطَأُ عَقْبَهُ " .

لقد كان الزهد معلما بارزا في حياة الانبياء ، وكان محل اختبارهم ، إذ إن إعراضهم عن الدنيا وزهدهم فيها كان شرطا في بلوغهم درجات الوحي والرسالة والتصدي للتبليغ والدعوة ، وهنا يمكن ان نسأل : لماذا طلب الله تعالى من الانبياء الزهد في الدنيا ؟ وجوابه: إن من الملازمات العقلية لحب الدنيا هو السيئات والذنوب ؛ للارتباط الوثيق بين حب الدنيا والذنوب ، فكلما ازداد حب الإنسان للدنيا ازدادت ذنوبه ، وقد ورد في الحديث الشريف ان " حب الدنيا رأس كل خطيئة " ^٤ ، فإذا لم يكن حب الدنيا له

١- الجوهرى: الصحاح: 2/ 481

٢- الريشهري: القيادة في الاسلام: ص 289 . يخيل للبعض ان الزهد هو ترك لذات الدنيا، ولبس الخشن من الثياب، وأكل الجشب من الطعام، غير إن ذلك إنما هو من مظاهر الزهد لا من مقوماته ، وحقيقة الزهد هو ما عرفه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: " الزهد ليس ان لا تملك شيئا، وانما ان لا يملكك شيء " . وحصره أمير المؤمنين عليه السلام بين كلمتين من القرآن إذ يقول: " الزهد بين كلمتين من القرآن، قال سبحانه وتعالى (لَكِي لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) سورة الحديد اية 23. ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه " . ومعنى كلامه إن فيه " تنفير عن تمنى الدنيا والرضا بحصولها وعن الهم بفواتها ودلالة على ان الزهد ليس فقدها بل عدم تعلق القلب بها حيث لا يفرح بحصولها ولا يحزن بفواتها، وبعبارة أخرى يتركها ويغتم بوجودها لعلمه بأنها من أعظم أسباب الغفلة . المازندراني: شرح أصول الكافي 8/ 378.

٣ - نهج البلاغة: ص 297 .

٤ - نهج البلاغة: ص 301.

٥- الصدوق: الخصال : ص 25. ابن الفثال: روضة الواعظين : ص 441. الكراكي: كنز الفوائد: ص 98. الواسطي: عيون الحكم والمواعظ : ص 231. ابن فهد الحلي: التحصين : ص 27. ابن أبي جمهور الأحسائي: عوالي اللثالي: 27/1. السيوطي: الجامع الصغير: 1/ 566. المباركفوري: تحفة الأحوذى: 6/ 82.

وجود في حياة الإنسان فسوف تكون النتيجة مفادها : إن الإنسان سوف يبتعد عن الذنوب بقدر ابتعاده عن حب الدنيا ، وما نحن فيه من أعمال الشرط من الله تعالى على الانبياء بالزهد في حب الدنيا سوف يكون من نتائج ان يتركوا الدنيا والتعلق بها كذلك ترك الذنوب والمعاصي وبالنتيجة النهائية سيكونون معصومين بالعصمة الذاتية التي تكون ملازمة لهم من جهة لطف الله تبارك وتعالى فضلا عن اقتضاء الضرورة الربانية ذلك¹.

أما لماذا اشترط الزهد في حب الدنيا وما حاجة العصمة للأنبياء ، فهذا ما يكون الاحتياج إليه بصورة ضرورية ومؤكدة واحتياج الانبياء العصمة في مقام التبليغ للرسالة السماوية بل مطلق العصمة لهم، ولئلا يكون للناس الحجة على الله تعالى، والعصمة لا تأتي مع حب الدنيا . إما الدليل على هذا الكلام ما جاء في القرآن الكريم والروايات الواردة في المقام التي تدل على المطلب بل هناك الدليل العقلي أيضا ، أما الدليل الذي نستطيع به هنا فهو ما جاء في دعاء الندبة² الشريف إذ ورد فيه : " اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد ان شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا وزخارفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي واهبطت عليهم ملائكتك وكرمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك..."³.

وقد أوضح الإمام عليه السلام علة اختيار الله لأنبيائه حياة الزهد، رغم قدرته جل وعلا على ان يزودهم بكل متع الدنيا وملذاتها وزبرجها، إذ يقول: " وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَأَنْبِيَاءَهُ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهَبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعَقِيَانِ، وَمَعَارِسَ الْجَنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، وَوُحُوشَ الْأَرْضِينَ

١- محمد فاضل المسعودي: الاسرار الفاطمية: ص 77- 78 .

٢- دعاء الندبة: دعاء ينسب للإمام الصادق عليه السلام ، وقيل لم ينسب لأحد من الأئمة عليهم السلام ، يدعى به للإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر (عج)، يفضل الدعاء به في يوم الجمعة، وفي الأعياد الأربعة، عيد الفطر والأضحى والغدير والجمعة، ويدعى به عند زيارة العسكريين في سامراء. أقدم من ذكره محمد بن الحسين بن سفيان البزوفري من مشايخ المفيد، وكان هذا الدعاء موضع اهتمام العلماء فقد شرح كثيرا، فمن شرحه، حسين التريتي السبزواري ت بعد 1300 هـ، وعلي بن علي رضا الخوئي ت 1350 هـ. المجلسي: بحار الأنوار 104/99، الأصفهاني: مكيال المكارم 86/2 . الطهراني: الذريعة : 260/13، الاصفهاني: وظيفة الأنام: 49/1، الحكيم : دور أهل البيت عليهم السلام : 404 /2، الكوراني: المعجم الموضوعي: ص965. مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام : موسوعة طبقات الفقهاء :14/242، 429.

٣- المسعودي: الاسرار الفاطمية: ص78 .

- **فَعَلَ** - وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَجِبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورَ الْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا^١، إذ " لا واسطة بين الله وعباده إلا التبليغ عنه على لسان أنبيائه بهدف الإيمان به والعمل بشريعته عن قناعة لا عن رغبة أو رهبة . وإذا كان هذا هو الغرض من بعثة الانبياء فلا موجب إذن لان يزودهم الله سبحانه بكنوز الدنيا وحدائقها وطيورها ووحوشها (ولو فعل) أي لو زود سبحانه الانبياء بمتاع الحياة يقول: (لسقط البلاء) والاختبار والامتحان لان الناس عبيد الدنيا ، ولمن في يده شيء منها ، وعليه يكون إيمانهم بالأنبياء الأغنياء إيمانا بالمال لا برسالة الله وأنبيائه . (ويطل الجزاء) لأنه لغير الله (واضمحت الأنبياء) والأحاديث عن الانبياء وسيرتهم وعظمتهم وشريعتهم إذ يكون الحديث عنهم والحال هذه حديثا عن الدنيا التي يملكونها لا حديثا عن الله وحلاله وحرامه (ولما وجب للقابلين أجور المبتلين) لان المراد بالمبتلى من أظهره التمحيص على حقيقته ، ولن يكون هذا إلا في الضراء وساعة العسرة (ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين) لان أهل الاحسان يعطون ولا يطمعون في الربح (ولا لزمتم الأسماء معانيها) لكل كلمة معنى تدل عليه، ولكل اسم مسمى يفهم منه ، ومعنى الإيمان بالله ورسله هو التصديق به وبهم، ولو اسمينا من آمن طمعا، - مؤمنا - لوضعنا الكلمة في غير مدلولها والاسم في غير مسماه^٢.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى الهيئة اللائقة التي أرادها الله لأنبيائه التي يتجلى فيها مظهر الفقر والفاقة والجوع بشكل لافت للنظر بوصفه معلما من معالم الزهد في الدنيا إذ يقول : " وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعْفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غَنَى، وَخَصَاصَةً تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى"^٣ . وليس بخاف عن أن النبي الأعظم عليه السلام وهو الأعظم زلفة عند الله والمتقدم على جميع الانبياء ، كان المصداق الأول للارادة الإلهية فهو الذي : " جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُفْتِهِ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ، أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَّبَ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ، وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ " ^٤ إذ كان عليه السلام " قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا

١- نهج البلاغة: ص 393 .

٢- مغنية: في ظلال نهج البلاغة : 3 / 125- 126.

٣- نهج البلاغة: ص 393 .

٤- نهج البلاغة: ص 300 .

وهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ اخْتِقَارًا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَعِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَامًا^١.

إن تحقير الدنيا وتهوين شأنها ومحو آثارها من القلب إنما كان منهجا قائما في حياة النبي ﷺ فهو الذي "عَرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا"^٢، إذ ورد في الأثر انه ﷺ قال: "عرضت علي كنوز الأرض ودفعت إلي مفاتيح خزائنها، فكرهتها واخترت الدار الآخرة"^٣، وهو ما يوضحه ما روي عنه ﷺ: "أتاني ملك فقال: يا محمد! إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إن شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهبا، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: يارب، اشبع يوما فأحمدك ، وأجوع يوما فأسألك"^٤ ، لأنه ﷺ: "عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ"^٥. وكفى بالدنيا هوانا عند الله " أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا"^٦ وكذا حال الانبياء عليهم السلام الذين سبقوه ﷺ وقد عرض لنا الإمام ﷺ نماذج من زهدهم ، بعد ان صدر كلامه بذكر النبي ﷺ: " وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى نَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَازِبِهَا وَمَسَاوِيهَا ، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا وَوُطِئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا ، وَفُطِمَ عَنْ رِضَاعِهَا وَزُويَ عَنْ رِخَائِفِهَا"^٧.

ثم أشار ﷺ إلى زهد النبي موسى ﷺ فقال: " وَإِنْ شِئْتَ تَنَبَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ يَقُولُ ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾^٨، وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تَرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهَزَالِهِ وَتَشَدُّبِ لَحْمِهِ"^٩.

١- نهج البلاغة: ص 209- 210 .

٢- نهج البلاغة: ص 299.

٣- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 230/9.

٤- داود ابن سليمان الغازي : مسند الرضا ﷺ : ص 99. الكليني :الكافي: 8 / 131. الصدوق :عيون اخبار الرضا ﷺ: 1/ 33.

٥- نهج البلاغة: ص 299.

٦- نهج البلاغة: ص 739.

٧- نهج البلاغة: ص 297.

٨- سورة القصص الآية 24.

٩- نهج البلاغة: ص 297.

ثم ذكر عليه السلام نبي الله داود عليه السلام فقال: " وَإِنْ شِئْتَ تَلْتَثُ بِدَاوُدَ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ ، وَقَارِيِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ لِجَلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا ، وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا " ^١ .

وأضاف أمير المؤمنين عليه السلام مثالا رابعا لزهد الأنبياء متمثلا بالنبي عيسى عليه السلام ، فقال: " وَإِنْ شِئْتَ قُنْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ ، وَيَأْكُلُ الْجَشِيبَ ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانُهُ مَا تَنْبُتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ ، وَلَا مَالٌ يُلْفِتُهُ وَلَا طَمَعٌ يَذُلُّهُ ، دَابَّتْهُ رِجْلَاهُ وَخَادِمُهُ يَدَاهُ " ^٢ .

ولسنا بحاجة لتحليل النص وتأويله مفصلا ، لان أي تفسير له سيكون أدنى من مرتبة بلاغته ، مما يفقده بعضا من فريدة معانيه وخصوصيتها ، لكن أيسر فهم يمكن ان يقال بصدهه يتلخص في انه كان من نتيجة ذلك السلوك النبوي الزاهد المتقشف ان حاز الانبياء رضى الهي دنيوي ، إذ اختيروا ليكونوا أصحاب رسالات يبشرون وينذرون ، واقتدت الإنسانية بالتعاليم التي جاؤوا بها من السماء ، ونالوا احتمالا بشريا طويل الأمد والمدى ، وفازوا بمكانة رفيعة يوم القيامة ارتضاها الله لهم، وارتضوها هم لأنفسهم ^٣ .

وبعد أن عرض الإمام عليه السلام لتلك النماذج في الزهد من حياة الانبياء ، عاد إلى الأمر للدعوة بالتأسي بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم " لأنهم المأمورون بوجوب الاقتداء به مطلقا وفيه الأسوة الكاملة لمن تأسى به ولأنه اقرب عهدا بمن سبق، وحث على التأسي به بكون المتأسي والمقتصد لأثره أحب العباد إلى الله ، وذلك من قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^٤ فقال عليه السلام في وصفه زهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا ، وَأَحْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا ، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ ، وَصَغَّرَ

١- نهج البلاغة : ص 297 - 298.

٢- نهج البلاغة : ص 298.

٣- كاظم محمد المحراث : تجليات الزهد في نهج البلاغة : ص 173.

٤- سورة آل عمران الآية 31 .

٥- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 3 / 357 .

شَيْئاً فَصَغَّرَهُ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبْنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،
لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلَّهِ ، وَمُحَادَّةً عَنِ أَمْرِ اللَّهِ " ١ ، ثم أُرِدِفَ ذلك ببيان صور من حياته ونمط عيشه التي
تجلى فيها الزهد بأروع مظاهره ، ومن ذلك قوله : " وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ،
وَيَجْلِسُ جُلْسَةَ الْعَبْدِ " ٢ ، وهذا ما ورد عنه عليه السلام : " آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد ، فانما
أنا عبد " ٣ .

ومن مظاهر زهده إنه كان " يَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ ، وَيُرْدِفُ
خَلْفَهُ " ٤ ، وكان نعل النبي عليه السلام لهما قبالاتان ، مثني شراكهما ٥ ، وكان يلبس النعال التي ليس فيها شعر ٦
شعر ٦ .

وبلغ من زهده وتقشفه عليه السلام انه " قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا " ٧ أي لم يتناول منها إلا بقدر الكفاف وما تدعو
تدعو إليه الضرورة ، حتى انه كان يقضي الليالي طاويًا ، ويربط الحجر على بطنه من شدة الجوع ٨ ،
وكان يسميه المشبع ٩ ، حتى قال أبو طلحة : " شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجوع
، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين " ١٠ .
بل لم يجتمع عنده صلى الله عليه وآله وسلم غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف ١١ . ١٢

١- نهج البلاغة: ص299 .

٢- نهج البلاغة: ص 299 .

٣- الصنعاني: المصنف: 415/10. ابن سعد: الطبقات: 371/1. الطبرسي: مكارم الاخلاق: ص 27. المتقي الهندي:
كنز العمال: 232/15.

٤- نهج البلاغة: ص 299.

٥- الترمذي: الشمائل المحمدية ص 50.

٦- الترمذي: الشمائل المحمدية ص51.

٧- نهج البلاغة: ص 299 .

٨- ابن سلامة: مسند الشهاب: 308/2. ابن شهر اشوب: المناقب: 127/1. الديلمي: إعلام الدين في صفات المؤمنين:
ص239. المتقي الهندي: كنز العمال : 203/7، 217.

٩- المازندراني: شرح اصول الكافي: 380/8.

١٠- الترمذي: الشمائل المحمدية :ص77.

١١- قال بعضهم هو كثرة الأيدي. الترمذي: الشمائل المحمدية : ص81.

١٢- الترمذي: الشمائل المحمدية ص81.

وكان جل طعامه ﷺ من خبز الشعير ، وما كان يأكل منه بقدر الشبع ^١ . وعن عبد الرحمن بن عوف ، قال : مات رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، فلا أرانا أخرجنا لما هو خير لنا ^٢ .

وكانت عائشة تقول : " ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم " ^٣ . وكان " رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا هو وأهله يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير " ^٤ . وكان ﷺ أدامه الخل ، ويقول : " نعم الإدام الخل " ^٥ . وكان يعجبه الدباء ^٦ .

حتى قال أمير المؤمنين ﷺ في وصف حال النبي ﷺ وبيان اثر الجوع فيه انه " أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا ، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا " ^٨ ويقول الإمام الصادق ﷺ : " ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها جائعًا خائفًا " ^٩ . وقال النعمان بن بشير : " ألتئم في طعام وشراب ما شئتم؟! لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه " ^{١٠} .

وقد جاءت إليه السيدة فاطمة ﷺ في غزوة الخندق ومعها كسيرة خبز فأعطتها إليه ﷺ فقال لها: يا فاطمة أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث ^{١١} . " نعم لقد كان في متناول يده أطيب الأطعمة

١- ابن حنبل: المسند : 98،128/6. البخاري: الصحيح : 180،230/7. مسلم: الصحيح : 217/8 - 218. ابن ماجة: السنن: 1110/2.

٢- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص82.

٣- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص84.

٤- الترمذي: الشمائل المحمدية ص85.

٥- الترمذي: الشمائل المحمدية ص87.

٦- الدباء : القرع . الفراهيدي : العين : 8 / 82 . ابن قتيبة : غريب الحديث : 1 / 89 .

٧- الترمذي: الشمائل المحمدية ص91.

٨- نهج البلاغة: ص 299.

٩- الكليني: الكافي: 129/2. المجلسي: البحار: 266/16. الريشهري: ميزان الحكمة: 3230/4.

١٠- الترمذي: الشمائل المحمدية ص76.

١١- ابن سعد: الطبقات: 400/1. الصدوق: عيون اخبار الرضا ﷺ: 44/1. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 122/4. محب الدين الطبري: ذخائر العقبى: ص 47.

وأذها ولكنه عليه السلام اكتفى إلى آخر عمره بخبز الشعير ؛ كي لا يكون طعامه أفضل من طعام اضعف رعيته.

ومن هوان الدنيا على الله ان يجوع فيها حبيبه المصطفى عليه السلام مع عظم قدره وعلو مكانته " وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ " ^١ . وقد عاش عليه السلام في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء: " لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجْرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ " ^٢ .

لقد اختار عليه السلام لنفسه ولأهل بيته هذا النمط الفريد من حياة الزاهد في الدنيا وزخرفها ، إيمانا بان متاعها قليل فما هو إلا ظل زائل ، فلُخرج الدنيا من نفسه وأشخصها عن قلبه، وأقبل على الآخرة التي هي دار القرار وليكون بيته أسوة لجميع الناس، يجد فيها الفقير عزاء لما يواجهه من ضيق وحرمان، ويجد فيها الغني داعيا للتخفيف من المغريات وعدم الاعتزاز بالشهوات فيكون عليه السلام أسوة لامته في جميع الأحوال كما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ^٣ . ولم يكن زهده وتقصفه بسبب قلة ذات يده، فقد فتح الله له الأرض، وجاءته الغنائم وكثرت لديه الأموال، ولكن أياديه الشريفة قد فاضت بها على المسلمين بكل سخاء، ولم يبق منها شيء لنفسه، حتى فارق الدنيا ولم يترك دينارا ولا درهما ، وكانت درعه مرهونة عند يهودي على عشرين صاعا من شعير اشتراها لقوت عياله ^٤ . " وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا " بعد أن " بَلَغَ عَنْ رَبِّهِ مُغْدِرًا، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا " ^٥ .

إن كل ما ذكر إنما كان تجسيرا لزهده الظاهري ، ولكن لا شك ان مفهوم الزهد عند النبي عليه السلام لا يتحدد باللباس الخشن والمأكل الجشب البسيط ، بل ان حدوده تمتد لأبعد من ذلك ، فنراه لا يسمح لمتع الدنيا التحكم في نفسه دون ان يكون له قوة السيطرة عليها ، حتى انه ليشح بنظره عن ابسط مظهر يذكره بزينة الحياة الدنيا حيث " يَكُونُ السَّنْزُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ، فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ، يَا فُلَانَةُ لِإِخْدَى أَزْوَاجِهِ عَجَبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا

١- نهج البلاغة: ص300 .

٢- نهج البلاغة: ص 301 .

٣- سورة الأحزاب الآية 21 .

٤- ابن حنبل: المسند: 300/1. الحميري: قرب الاسناد: ص 92. البيهقي: السنن الكبرى: 36/6. الهيثمي: مجمع الزوائد: 123/3.

٥- نهج البلاغة: ص 301.

٦- نهج البلاغة: ص 210.

نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَرَخَّارِفَهَا " ١. وفي هذا إشارة واضحة إلى " زهده الحقيقي وهو حذف الموانع الداخلة النفسية عن النفس ، وما قبله من الأوصاف إشارة إلى زهده الظاهري وهو حذف الموانع الخارجة عنه " ٢ .

والحادثة التي يذكرها الإمام عليه السلام إنما وقعت . حسب تصريح عدة روايات مع عائشة ، ومن ذلك ما روته بقولها : " كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبلته ، فقال لي رسول الله ﷺ : حولي هذا فاني كلما دخلت فرأيتته ذكرت الدنيا " ٣ .

١- نهج البلاغة: ص 299.

٢- ابن ميثم :شرح نهج البلاغة:3/358.

٣- ابن راهويه: المسند 3/719. ابن حنبل: المسند: 6/49، 53، 241. مسلم: الصحيح: 6/158. النسائي: السنن: 8/213. المتقي الهندي: كنز العمال : 3/242، 7/168. ومن الغريب ان هناك روايات مغرضة قد أشارت بوقوع هذه الحادثة مع السيدة فاطمة عليها السلام، وبعد إخضاع تلك الروايات للنقد والتحليل تبين أنها من الموضوعات التي افرزها خط الانحراف عن أهل البيت عليهم السلام بقصد الإساءة لمقام السيدة فاطمة عليها السلام . لمزيد من التفاصيل ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ص 484-498.

الفصل الرابع

مَقَامَاتُ الْبَعْتَةِ النَّبَوِيَّةِ

وَأَحْكَامُهَا

المبحث الاول : تعبد النبي ﷺ في غار حراء

المبحث الثاني : البعثة النبوية

المبحث الثالث : الدعوة المحمدية

الفصل الرابع

مقدمات البعثة النبوية وأحداثها

المبحث الأول

تعبد النبي ﷺ في غار حراء قبل البعثة

يظهر أن تربية أمير المؤمنين ﷺ لم تقتصر على وجده في بيت النبي ﷺ بل كان يتبعه حتى خارج مكة أيام تعبد النبي وتحنّته ، إذ يشير ﷺ إلى ذلك صراحة بقوله: " وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي"^١ . فيشير الامام امير المؤمنين ﷺ الى حدث مهم متعلق بحياة النبي ﷺ قبل او قبيل بعثته الشريفة ، وهو دأبه ﷺ على المجاورة في غار حراء في كل سنة. وهذا ما يتفق مع مرويات التاريخ التي تواترت في ذكر هذه الحادثة^٢ . وحراء: هو الجبل الطويل الذي بأصل " شعب

١- نهج البلاغة: ص 406 .

٢- الصنعاني: المصنف : 321/5 . ابن حنبل: المسند: 232 /6 . البخاري: الصحيح: 3/1 ، 88 /6 . مسلم: الصحيح : 97/1 . الحاكم: المستدرک : 183/3 . السيوطي: الديباج : 182/1 .

آل الأخنس^١ " ٢ ، بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال عن يسار الذهاب من مكة الى منى^٣ . ومن خصائص هذا الغار إن المصلي فيه يرى الكعبة وهي في واد بين جبال ؛ لأن الغار أعلى من الجبال التي حولها، فكأنه مفصل للعبادة مع استقبال الكعبة ومشاهدتها.

والجوار - بالكسر - بمعنى المجاورة ، وهي الاعتكاف^٥ ، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد، والجوار قد يكون خارج المسجد ، ولذلك لم يسم جواره الاعتكافا ، لان حراء ليس من المسجد ، ولكنه من جبال الحرم^٦ .

- ١- هو الأخنس بن شريق، اسمه أبي، أصله من ثقيف وهو من بني زهرة ، كان ممن يغمز النبي في مكة، ورجع ببني زهرة ولم يشاركوا في بدر بعد أن نجت القافلة، لذا سمي الأخنس، من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم، لذا يعد من أكابر المنافقين، نزل فيه قوله تعالى (مَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفٰسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) سورة البقرة الآيات 204-206، وقوله تعالى (وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُزْمَةٌ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) سورة الهمزة الآية 1-9. قال الأزرقى: (دار الأخنس التي في زقاق العطارين من الدار التي بناها حماد البربري لهارون أمير المؤمنين إلى دار القدر التي للفضل بن الربيع وهذا الربع لهم جاهلي ولآل الأخنس أيضا الحق الذي بسوق الليل على الحدادين مقابل دار الحوار شراء من بني عامر بن لوي). الأزرقى : اخبار مكة: 2 / 288 . وينظر: ابن عبد البر: الدرر ص 105، الطوسي: التبيان 2/178، 10/79، 407، ابن الجوزي: كشف المشكل 2/402، 405. ابن الأثير: أسد الغابة 1/56. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 8/301، ابن حجر: الإصابة 1/192
- ٢- الأزرقى: اخبار مكة: 2 / 288 .
- ٣- النووي: شرح صحيح مسلم: 2 / 198 .
- ٤- الكوراني: السيرة النبوية برواية اهل البيت : ص169 .
- ٥- الاعتكاف: لغة مأخوذ من عكف: أي الإقبال على الشيء (الفراهيدي: العين: 1/205-206، الجوهري: الصحاح: 4/1406)، وهو من العبادات وفحواه المكوث في المسجد، وعدم الخروج منه إلا لحاجة ضرورية كزيارة مريض أو تشييع جنازة ، ويجب أن يكون صائما وأن لا يقل عن ثلاثة أيام. ينظر: ابن بابويه: فقه الرضا عليه السلام : ص 190، الصدوق: المقنع : ص 209، 180، المفيد: المقنعة: ص362. 362، الشريف المرتضى: الانتصار: ص 202، رسائل المرتضى: 3/60، أبو الصلاح الحلبي: الكافي في الفقه : ص 186، الرافعي: فتح العزيز: 6/420، النووي: روضة الطالبين : 2/255، المجموع : 6/474، المحقق الحلبي: شرائع الإسلام : 1/158 - 162، الأنصاري: فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب : 1/217. السيد السيستاني: منهاج الصالحين : 1/341 وما بعدها. وينظر: الإمام مالك بن انس: الموطأ : 1/312، المدونة الكبرى : 1/225، السيوطي: تنوير الحوالك :ص297، أبو البركات: الشرح الكبير : 1/541، النصرالله: الإمام علي عليه السلام في رحاب البصرة : ص153.
- ٦- السهيلي : الروض الاتف : 2 / 256 .

إن المعتكف في جبل حراء يسمى متحنفاً ، أي عابد على ملة إبراهيم الحنيفية ، أي المائلة من الشر إلى الخير وقال بعضهم : " يتحنث " بالثاء ، كما في رواية ابن هشام ^١ الذي أشار بوضوح إلى إبدال الفاء بالثاء " التحنث والتحنف ، يريدون الحنيفية ، فيبدلون الفاء من الثاء " . وقد فسر النووي ^٢ والسيوطي ^٣ التحنث بالتعبد ، وأصل الحنث الاثم، فمعنى يتحنث يتجنب الحنث، فكأنه بعبادته يمنع نفسه من الحنث ومثل يتحنث يتحرج ويتأثم أي يتجنب الحرج والاثم، وقد تبدل الفاء ثاء في كثير من كلامهم.

اذن كان النبي ﷺ يعتكف لعبادة الله في ذلك الغار، محل اعتكاف أجداده ، اذ كان جده عبد المطلب أول من تحنث فيه فيتعبّد في الليالي ذوات العدد ، فاذا دخل شهر رمضان صعده واطعم المساكين ^٤ . يقول ابن حجر ^٥ : " وكأنه مما بقي عندهم من امور الشرع على سنن الاعتكاف ... انما لم لم ينازعوا النبي ﷺ في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره لان جده عبد المطلب اول من كان يخلو فيه من قريش، وكانوا يعظمونه لجلالته وكبر سنه، فتبعه على ذلك من كان يتأله فكان ﷺ يخلو بمكان جده وسلم له ذلك اعمامه لكرامته عليهم".

وقد اقسام ابو طالب ^٦ بالمتعبدين بحراء والزائرين له فقال في لاميته:

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم	وقد قطعوا كل العرى والوسائل
اعوذ برب الناس من كل	طاعن علينا بسوء او ملح بباطل
وثور ومن ارسى ثبيراً مكانه	وراق ليهرقى في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة	وبالله إنّ الله ليس بغافل

١- السيرة النبوية: 154/1 .

٢- النووي: شرح صحيح مسلم : 2 / 198 .

٣- السيوطي: الديباج : 1 / 184 .

٤- زيني دحلان: السيرة الدحلانية : 22/1 .

٥- فتح الباري : 12 / 312 .

٦- ديوان شيخ الأباطح أبي طالب : ص 21 - 22 . وينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: 1 / 176 .

فالخلوة للتعب هي شأن الصالحين وعباد الله العارفين، وقد حُببت إليه ﷺ الخلوة؛ فمعها فراغ القلب، وهي معينة على التفكير، وبها ينقطع عن مألوف البشر^١.

ولكن ثمة وقفة هامة للدكتور عبد الجبار ناجي^٢ مع إحدى الروايات^٣ ورواياتها والتي أشارت إلى أن عادة التحنث في غار حراء إنما كانت عامة وليست عادة خاصة بالنبي ﷺ وبعض الموحدين، بل إن القرشيين الوثنيين كانوا يمارسونها في الجاهلية أيضا وعلق قائلا: "هو أمر لا توافقه المعلومات على اعتزاله عن عادات قريش وتقاليدهم ولم يرد ذكر إلى أنهم يتحنثون شهريا. ولماذا يتحنثون وهم وثنيون، والتحنث تعني العبادة لله؟ فهل كانوا يمارسونها دينيا أم اجتماعيا أم ماذا؟"^٤

ولكن بماذا كان النبي ﷺ يتعبّد؟ وعلى أي شريعة؟ لقد اختلف العلماء في ذلك وتعددت آراؤهم: فرأي توقف وآخر قال بتعبده على شريعة من تقدّمه من الانبياء، وثالث خص عبادته بشريعة أحد الانبياء: ابراهيم أو نوح أو موسى أو عيسى، ورأي قال بعدم تعبدته بشرع أحد^٥.

وقد تعرض العامل^٦ لهذه المسألة بايجاز، وخلص إلى القول: "إن مما لا ريب فيه أنه ﷺ كان كان مؤمنا موحدا، يعبد الله ويلتزم بما ثبت له أنه شرع الله تعالى مما هو من دين الحنيفية شريعة ابراهيم عليه السلام، وبما يؤدي إليه عقله الفطري السليم، وأنه كان مؤيدا مسددا، وأنه كان أفضل الخلق واكملهم خلقا وخلقا وعقلا، وكان الملك يعلمه ويدله على محاسن الاخلاق. هذا فضلا عن اننا نجدهم ينقلون عنه ﷺ: انه كان يلتزم بامور لا تعرف الا من قبل الشرع وكان لا يأكل الميتة، ويلتزم بالتسمية والتحميد، إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لسيرته ﷺ".

ويستدرك قائلا: إن هناك آيات ودلائل تشير إلى أن ابراهيم الخليل عليه السلام ونبينا الاكرم ﷺ، هما اللذان كان لديهما شريعة عالمية وقد بعثنا إلى الناس كافة. أما موسى وعيسى عليهما السلام فانما بعثنا إلى بني

١- النووي: شرح صحيح مسلم: 2 / 198 .

٢- نقد الرواية التاريخية: ص 228 - 243 .

٣- ابن هشام: السيرة النبوية: 1 / 154 - 175 . الطبري: تاريخ: 2 / 48 - 49 . ابن سيد الناس: عيون الاثر: 1 / 115 - 116 . ابن كثير: السيرة النبوية: 1 / 402 - 403 .

٤- عبد الجبار ناجي: نقد الرواية التاريخية: ص 239 .

٥- لمزيد من التفصيل انظر: الماوردي: اعلام النبوة: ص 233 - 234 .

٦- الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ: 2 / 90 .

اسرائيل، وربما يمكن القول: بأن جميع الانبياء عليهم السلام، منذ آدم والى النبي الخاتم ﷺ كانوا يعرفون جميع احكام الشريعة، ويعملون بها في انفسهم ، وإن كانت دعوتهم للناس لها هذا الشمول والسعة^١.

وبضيف: ان الآيات القرآنية المتعددة قد حرصت على ربط هذه الامة بابراهيم عليه السلام فلاحظ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^٢. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^٣، وقال سبحانه ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^٤، وقال جل في علاه: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^٥، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٦. ثم نجد القرآن يصرح أيضا إن النبي الاعظم ﷺ شخصا كان مأمورا باتباع ملة ملة ابراهيم عليه السلام، فقد قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٧. وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٨. وهذا وإن كان ظاهره: إنه ﷺ قد امر بذلك بعد البعثة وبعد نزول الوحي عليه ، لكنه يثبت أيضا: انه لامانع من تعبد ﷺ قبل بعثته بما ثبت له انه من دين الحنيفية ، ومن شرع ابراهيم عليه السلام ، وليس في ذلك اية غضاضة ، ولا يلزم من ذلك ان يكون نبي الله ابراهيم أفضل من نبينا ﷺ ، فان التفاضل انما هو في ما هو ابعد من ذلك. هذا كله ، لو لم نفتتح بالادلة الدالة على نبوته ﷺ منذ صغره^٩.

يضاف الى ذلك اشارة الروايات اعلاه الى تحنثه وما دلت عليه هذه اللفظة من تعبد بالحنيفية.

١- الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ : 2 / 90.

٢- سورة الحج الآية 78 .

٣- سورة النساء الآية 125 .

٤- سورة آل عمران الآية 95 .

٥- سورة آل عمران الآية 68.

٦- سورة البقرة الآية 135 .

٧- سورة النحل الآية 123 .

٨- سورة الأنعام الآية 161 .

٩- الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ : 2 / 91 - 92 .

واستنادا الى ذلك تبطل الروايات التي تنتافي مع ايمانه وتسديده الالهي، مما ينسب اليه ﷺ من مخالفة شرائع الله مما هم به او فعله قبل البعثة^١.

وقد دل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على أنه ﷺ قد واظب على تلك الخلوة سنويا، وهذا ما اشارت إليه الرواية ايضا ، ولكنها ذكرت مدة تلك الاقامة في غار حراء ، من انها تدوم شهرا كاملا^٢ . بل خصت بعض الروايات انها في الليالي ذوات العدد^٣ . وأشارت روايات أخرى الى أن اللقاء بالوحي انما كان اثناء تعبده في غار حراء في شهر رمضان تحديدا^٤ . فهل انتخب النبي ﷺ شهر رمضان لخلوته جريا على عادة جدّه عبد المطلب ؟.

ومن الغريب أن نجد في بعض الروايات يشير إلى انه ﷺ إنما لجأ الى غار حراء فارا من مشركي مكة بعد أن آذوه ، والاغرب من ذلك ربط توقيت ذلك بنزول الوحي، أي على أثره كان لقاءه بالوحي. كما في رواية مقاتل حين تعرّض لتفسير آية ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ، إذ قال فيها: يعني النبي "وذلك أن كفّار مكة آذوه ، فانطلق الى جبل حراء ليتوارى منهم ، فبينما هو يمشي اذ سمع مناديا يا محمد... " وساق تفاصيل مضطربة واهية حول لقاء الوحي بالنبي ﷺ الذي تبين منه أنه اول نزول عليه ﷺ^٥ . وكذا في إشارة الازرقى^٦ في تعريفه لجبل حراء نجده يقول: " وقد كان رسول الله اتاه وأختبأ^٧ فيه من المشركين من اهل مكة في غار حراء " .

١- لمزيد من التفاصيل يراجع : العاملي: الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ : 2 / 94 - 98.

٢- ابن هشام: السيرة النبوية : 1 / 154 . ابن سيد الناس: عيون الاثر: 1 / 115 . ابن كثير : السيرة النبوية: 1 / 402 .

٣- الصنعاني: المصنف: 5 / 322 . ابن راهويه: المسند: 2 / 315 . ابن حنبل: المسند: 6 / 233 . البخاري: الصحيح: 1 / 3 ، 6 / 88 ، 8 / 67 . الطبري: تاريخ: 2 / 47 . ابن الاثير: الكامل: 2 / 48 . الذهبي: تاريخ الاسلام: 1 / 117 .

٤- الطبري: تاريخ: 2 / 48 . الذهبي: تاريخ الإسلام: 1 / 131 . المقرئ: امتاع الأسماع: 3 / 24 .

٥- سورة المدثر الآية 1.

٦- تفسير مقاتل: 3 / 413 .

٧- اخبار مكة : 2 / 288 .

٨- في الأصل : واختبئ . والتصحيح من المقوم اللغوي.

ولكن لماذا يختبئ النبي ﷺ قبل بعثته؟ وكيف؟ ولماذا يؤذيه مشركو مكة؟ هل أعلن دعوته ليعارضوه؟ وكيف يسبق ذلك لقاءه بالوحي وتكليفه بالرسالة والتبليغ انما جاء على اثره؟! إن هذا من شطط القول الذي وقع فيه هؤلاء.

وهل يمكن أن تبين إشارة الأزرقى بحدوث ذلك الاختباء بعد البعثة الشريفة؟ إذ هناك من الروايات ما دل على استخفاء النبي ﷺ وأصحابه لاداء صلاتهم بعيدا عن عيون المشركين في شعاب مكة وأوديتها^١. أو إن الأزرقى خلط بين أحداث البعثة والهجرة واختباء النبي ﷺ في غار ثور اثناء هجرته من مكة الى المدينة^٢.

وتأتي رواية شاذة لتعارض مع تواتر الروايات وصريح مقولة الامام السابقة على أن تعبده في غار حراء انما كان من عاداته السنوية، فتشير هذه الرواية الى أن ذهابه الى غار حراء إنما كان على وفق نذر نذره هو والسيدة خديجة ﷺ إذ جاء فيها: "إن رسول الله ﷺ نذر ان يعتكف شهرا هو وخديجة ﷺ بحراء، فوافق ذلك شهر رمضان فخرج النبي ﷺ ذات ليلة فسمع..."^٣. ثم ساق حديثا يدل على انه في اثناء ذلك تم تنزيل الوحي عليه ﷺ ولم تخلو تفاصيل الرواية من الدس والوضع والاضطراب وما جاء فيها خير دليل على وضعها.

نعود هنا للمقطع الذي تحدت فيه أمير المؤمنين ﷺ عن هذا المفصل الهام من حياة النبي ﷺ قبل البعثة الشريفة، إذ يشير الى اختصاصه ﷺ برفقة النبي ﷺ في اعتكافه في ذلك الغار فيقول: "فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي"^٤. وجاء ما يعضد ذلك في الروايات وفي كلام أمير المؤمنين نفسه في ذات الخطبة^٥.

١- الكوفي: الامناقب: 42/1. الكراكي: كنز الفوائد : ص125.

٢- ابن سعد: الطبقات: 1 / 228 . الطوسي : الامالي : ص 447 . ابن كثير : البداية البداية: 6 / 204 .

٣- المقرئزي: امتاع الأسماع: 3 / 19 .

٤- نهج البلاغة: ص 406.

٥- حين تحدث قائلا: " وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - ، بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ ، وَضَعْتَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَوَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْتَفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمْسِنِي جَسَدَهُ ، وَيُسْمِنِي عَرْفَهُ ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ قَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، يَسْأَلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لِيَلْهَ وَنَهَارَهُ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَتْرَ أُمَّهُ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ" نهج البلاغة: ص405 - 406.

وقد اشار ابو جعفر الاسكافي^١ ان الامام امير المؤمنين عليه السلام قد صحب النبي ﷺ في خلوته " حيث لا يجد انسا غيره ليله ونهاره، ايام مقامه بمكة يعبد الله معه سرا، ويتكلف له الحاجة جهرا، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه، ويشفق عليه ويحوطه، وكالولد يبى والده ويعطف عليه". فقد كان عليه السلام يرى النبي ﷺ يتعبد ويحتجب فلا يراه احد الا علي عليه السلام عندما ياتي له بالزاد وقد يعتكف معه^٢.

ولكن هل هذا يتوافق مع رواية التاريخ في هذه المسألة ، أي هل كان النبي ﷺ وحده؟ أم بمعية أحد؟ إن تتبع الروايات يدلنا على وجود عدة آراء:

1 رأي يشير الى أنه كان وحده ولم يرافقه أحد، كما أوحى بذلك رواية الصنعاني والبخاري^٣ ، اذ يقول: " فكان يأتي حراء ، فيتحنّث فيه - وهو التعبد في الليالي ذوات العدد - ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة ، فينزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فينزود لمثلها ".

2 رأي يشير إلى أن السيدة خديجة عليها السلام كانت برفقته كما في رواية المقرئ^٤ التي اتضح لنا أنها رواية شاذة.

3 رأي يشير بوجود " أهله معه " كما اشار الى ذلك ابن إسحاق^٥ ولم يعرف لنا من هو داخل ضمن اطار الاهل وكان بمعيته ﷺ. ومنهم من يضيف: " ومعه أهله خديجة وعلي بن ابي طالب وخادم"^٦.

١- نقض العثمانية : ص 310 . وينظر ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 13/ 253.

٢- الكوراني : السيرة النبوية برواية اهل البيت عليهم السلام : ص 170 - 171 .

٣- على التوالي: المصنف: 5 / 321-322 . الصحيح: 8 / 67 .

٤- امتاع الاسماع: 3 / 19 .

٥- السير والمغازي: ص 121 .

٦- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 13/ 208 ، المازندراني: شرح أصول الكافي : 6/ 375، المجلسي: البحار : 15/ 363 .

وفي رواية لابن دريد¹ عن لقاء النبي بزيد بن عمرو بن نفيل أن: " النبي ﷺ قبل الوحي قد حبّب إليه الانفراد ، فكان يخلو في شعاب مكة ، قال: فرأيت زيد بن عمرو بن نفيل في بعض المشاعب وكان قد تفرّد أيضا ، فجلست إليه وقرّيت إليه طعاما فيه لحم ، فقال له: يا ابن اخي لا آكل من هذه الذبائح ."

1 يبدو من الرواية أن زيد بن عمرو قد التقى بالنبي ﷺ في مدّة تعبده في غار حراء ، وإن كانت أشارت الى عموم المكان - شعاب مكة - لكن حتما أن القصد لا يخرج عن محيط هذه الفكرة . فهل كان زيد قاصدا للتعبد والانفراد ايضا كما اوحى بذلك عدد من الروايات التي اشارت الى أدية عمّه الخطاب² ومشركي قريش له حتى اضطره الى الصعود الى غار حراء ، وكان اشبه ما يكون تحت الاقامة الجبرية ، اذ وضع عليه الحراس لتتبع حركاته³ . ولو تساءلنا عن سرّ هذا الموقف المتشدد معه فإن الروايات تجيبنا أنه كان على دين ابراهيم، وأنه اول من عاب على قريش عبادتهم الأصنام⁴ ، ولكن لم نعهد من قريش مثل هذا الموقف مع من تأله، وكان يتعبّد بشريعة ابراهيم ﷺ ، فهذا عبد المطلب جد النبي ﷺ كان محل اجلال وتعظيم بين قومه على الرغم من اتباعه دين ابراهيم ﷺ، فلم نعهد منهم أي موقف سلبي تجاهه بسبب عقيدته، بل إنهم لم يعترضوا على ديانته! وإن كان موقفهم لأجل ذلك لكان عبد المطلب اولى من زيد بهذا العداء لأنه مما يخاف أن يؤثّر في غيره فيما لو صحّ نسبة الروايات من أن القوم قد خافوا من أن يتبع أحد زيدا هذا فيفسد عليهم قومهم.

اما كونه اول من عاب على قريش عبادتهم الاصنام ، فهو مما لا نجد له صدى ظاهراً واضحاً في التاريخ الا في هذه الرواية الشاذة التي حاول رواتها مثل باقي الروايات المتعلقة بسيرة هذا الرجل أن يضفي عليه هالة من التقديس وتنسب إليه ادوار ليس هو باهل لها .

2 من المنتبغ لتلك الروايات التي تناولت جوانب من حياة زيد بن عمرو بن نفيل ليلحظ دون ادنى جهد - أن الادوار التي نسبت اليه ما هي الا ادوار وفضائل غيره ألصقت به ، ليتبين سبقه او

١- الاشتقاق ص134 .

٢- هو الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي، وأمه صهاك وهو والد عمر . البكري: من حياة الخليفة عمر بن الخطاب :ص13.

٣- الحلبي: السيرة الحلبية: 1 / 202 .

٤- الحلبي: السيرة الحلبية: 1 / 202 .

اشترائه فيها مع من سلبوها منهم ، ويمكن التركيز - حسبما تدلنا المشتريات في تلك الادوار والفضائل - على شخصيتين : الاولى شخصية عبد المطلب عليه السلام والثانية: شخصية النبي الاعظم عليه السلام.

وسوف نستعرض بليجاز محاور تلك الشراكة في الادوار ، تاركين الحكم والنمئل للقارئ الكريم:

اولا: فيما يخص شخصية عبد المطلب عليه السلام وما سلب منه ونسب الى زيد او ما اشركوه معه فيه: ... أن زيدا كان على دين ابراهيم عليه السلام بل إنه يدعي انه ليس على هذا الدين غيره^١، واعتزل الاوثان والذبايح التي تدبح لها ، ونهى عن وأد البنات، وكان يحيي المؤودة، وأن النبي عليه السلام قال في حقه : " انه يبعث امة لوحده ".^٢ وروي أنه كان يصلي مستقبلا الكعبة اذا زالت الشمس ، ويسجد سجدتين ، وأنه لم يستقسم بالازلام ، وكان يحج فيقف بعرفة ويلبّي .

ألست هذه من مزايا عبد المطلب وادواره التي استفاضت بها الروايات؟! وكيف يدعي انه ليس على دين ابراهيم احد غيره؟ فابن عبد المطلب وابن ابو طالب؟ وقد شهدت لهم الشواهد الكثيرة على كونهم على دين ابيهم ابراهيم عليه السلام . روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : " والله ما عبد ابي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنما قط ! قيل: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون الى البيت على دين ابراهيم عليه السلام متمسكين به ".^٣

اما قول النبي عليه السلام : " انه يبعث امة^٤ وحده يوم القيامة " ، إنما قالها في حق جده عبد المطلب عليه السلام ، وهنا ينسب الى زيد وفي رواية الى ابنه سعيد بن زيد^٥ وفي رواية الى قس بن ساعدة^٦ وفي

وفي

- ١- الاصبهاني : دلائل النبوة : 2 / 699.
- ٢- ابن دريد: الاشتقاق : ص134 ، النووي: المجموع : 15 / 206، المتقي الهندي : كنز العمال : 12 / 77 .
- ٣- الصدوق: كمال الدين: ص 174. الراوندي : الخرائج : 3 / 1075 . المجلسي : البحار : 15 / 144.
- ٤- الامة : الشخص المنفرد بدين ، أي يقوم مقام جماعة . الصالحى الشامى : سبل الهدى : 2 / 185 .
- ٥- الكليني : الكافي : 1 / 774 . الشامى : الدر النظيم : ص 40 ، 797 . المجلسي الاول : روضة المتقين : 12 / 216 . الكاشاني : الوافي : 3 / 694 - 695 . المجلسي : مرآة العقول : 5 / 237.
- ٦- الدميري : حياة الحيوان : 2 / 11 .

أخرى إلى سلمان^٢ ولكن لا ندري كم فرداً سيبعث أمة في يوم القيامة!

ثانياً: أما فيما يخص مشتركاته مع النبي الأعظم ﷺ بل وتفوقه أحياناً عليه ﷺ في بعض الأمور التعبدية فإن منها ما يأتي:

نسب إلى زيد أنه " أول من عاب على قريش ما هم عليه من عبادة الأوثان " ^٣ ، بل إنه كان يوبخ قريش على هذا الأشرار والمعلوم بدليل القرآن أن النبي ﷺ أول من فعل ذلك علانية وبامر صريح من الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^٤ ، وإن ذلك كان سبب التصادم مع أسياذ مكة من المشركين ، فقد تعرض لآلهم حتى أنهم حاولوا بطرق شتى أن يساوموه بالآل يتعرض لذلك دون جدوى فاتخذوا موقفاً عدائياً متشدداً كما هو معروف بنص القرآن وروايات التاريخ مما لا شك فيه ولا ريب.

والغريب أن هذا الموقف قد اتخذ نفسه من زيد بن عمرو حين تعرض لآلهة قريش ، آذوه أشد الأذى ، والأغرب أن أشدهم عداءً لزيد كان عمه الخطاب ، كما إن عم النبي ﷺ أبا لهب الأشد عداءً له !!!
ومتلماً اشتدت رقابتهم على النبي محمد ﷺ رصدوا له من يراقبه ، حتى اضطروه ﷺ للهجرة وترك موطنه ، كذلك جرى الحال مع زيد ، فاضطروا زيدا للخروج والجاؤه إلى التخفي في غار حراء وكأنه وضع تحت الإقامة الجبرية ، فالعزلة كما كانت ظاهرة واضحة في حياة النبي محمد ﷺ كذلك حال زيد أيضاً فهو الآخر اعتزل قومه ، لكن الفارق أن النبي كان باختياره أول الأمر ، أما زيد فقد اضطروه إليها اضطراباً ، بل الأدهى من ذلك - وكما دلت الرواية في صدر البحث - أن زيدا هذا قد جانب أكل ما

١- ياقوت الحموي: معجم البلدان : 8/1 ، الصالحي الشامي: سبل الهدى : 255/1 ، الزبيدي: تاج العروس : 415/8

٢- البلاذري : انساب الاشراف : 1 / 488 .

٣- ابن حبيب: المحبر: 170 - 171 .

٤- سورة الحجر الآية 94 .

ذبح لغير الله فيما كان النبي ﷺ يتناوله دون حذر. بل إن بعضهم ليقول: إن النبي قد تأثر بزید وقد أخذ عنه^١.

ويمكن القول: إن هذه الأمور التي نسبت إلى هذا الرجل قد جعلته في مقام يؤهله للنبوة باستحقاق أكثر من نبينا محمد ﷺ، فإن زيدا قد تحمل في سبيل التوحيد والثبات على المبدأ الكثير مما ادلت به تلك الروايات التي كأنما وضعت لتقول: إن هناك من قاسى وعانى في سبيل الله، كما قاسى وعانى النبي الاعظم ﷺ، فأى فضل له بعد ذلك سوى أن الاختيار الآلهي قد وقع عليه ليكون نبيا دون زيد؟. هذا غيظ من فيض مما روي وألصق بسيرة هذا الرجل من روايات تبدو سيماء الصنعة واضحة فيها، وأنها تستحق وقفة من الباحثين للتحقق منها. بل إن قضية الاحناف والمتألهين وشخصياتهم بحاجة إلى دراسة مستفيضة لبيان الصحيح من المختلق^٢.

١- ابن دريد: الاشتقاق ص 134. ابن حنبل: المسند: 1/ 189، البخاري: الصحيح: 4/ 232، 6/ 225.

٢- لمزيد من التفاصيل عن سيرة زيد بن عمرو بن نفيل يراجع: جواد علي: المفصل: 6/ 367-372.

المبحث الثاني

البعثة النبوية

قال أمير المؤمنين عليه السلام: " وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مِنْ لُدُنٍ أَنْ كَانَ فَطِيمًا
أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، يَسْأَلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ، وَلَقَدْ كُنْتُ
أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَتْرَ أُمِّهِ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا ، وَيَأْمُرُنِي بِالِإِفْتِدَاءِ بِهِ ، وَلَقَدْ كَانَ
يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءِ ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي ، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ ، غَيْرَ رَسُولِ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا ، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوءَةِ " ١ .

يدلّ كلام الإمام عليه السلام على أنه عليه السلام كان نبيًا منذ ولادته، بل قبل خلق الخلق كما يوافق قوله عليه السلام لما سئل متى استنبئت؟ فأجاب: " بين خلق آدم ونفخ الروح فيه " ٢ . وفي هذه الإشارة ما يعضد هذا ، إذ إن العناية الإلهية تكفلته فأوكلت به ملكا عظيما يسدده ويحفظه. فهنا الإمام عليه السلام يشير إلى أن علاقة النبي عليه السلام بالملائكة بدأت منذ طفولته وأنه قد أَلف الأجواء الملائكيّة ، وأنها لم تكن غريبة عليه.

إن هاتين الإشارتين تشكلان رؤية مغايرة لما ألفته المرويات التاريخية التي تناولت هذا الجانب في صورة مضطربة الأبعاد لا تستند الى ركن قويم وهذا ما يتطلب الوقوف على ابرز معالمها بإيجاز لاستبيان موضع الخلاف بين الرويتين:

١- نهج البلاغة: ص 406 .

٢- ابن إسحاق: السير والمغازي : ص 143 ، ابن حبان: الثقات : 47/1 ، الحاكم: المستدرک : 609/2 ، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد : 3 / 283 ، 5 / 288 . ابن عساکر: تاريخ دمشق : 26 / 382 ، 45 / 488 ، 63 / 142 . ابن كثير: البداية والنهاية : 2 / 375 . المتقي الهندي: كنز العمال : 11 / 450 ، 12 / 426 ، السيوطي: الدر المنثور : 5 / 184 .

بدءاً ولكي نتضح لنا الصورة التي رسمتها المصادر التاريخية في رواياتها عن مفهوم لقائه بالنبى ﷺ أين ومتى كان؟ وكل ما يدور في فلكه من أحداث، لابد لنا من التوقف قليلاً عند ملامح تلك الصورة كما تبرزها رؤية المؤرخين وذلك سيكون على وفق استعراض موجز يتمحور في بضعة نقاط:

أولاً: متى استنبأ النبي ﷺ؟ في الحقيقة هناك عدة آراء حول هذه القضية يمكن تلخيصها بالآتي:

الرأي الأول: يرى أن النبي ﷺ كان نبياً منذ خلق الله الخلق بل قبل الخلق، إذ روي عنه ﷺ لما سئل عن ذلك قال: " وأدم بين الروح والجسد " ¹ ، وفي رواية عنه ﷺ: " بين خلق آدم ونفخ الروح فيه " ² .

الرأي الثاني: يختزل مجموعة من الروايات - تبدو أنها متواترة ³ - تدفع بمسألة النبوة إلى وقت متأخر من عمر النبي ﷺ ، إذ أصبح نبياً بعد بلوغه سن الأربعين ، وسنقف على أبعاد هذه الرؤية التي صرحت بها الروايات لفظاً ومعنى ، علماً بأنها قد اضطربت فيما بينها اضطراباً شديداً في كل جزئية من جزئياتها، حتى غدا التناقض سمتها البارزة ، ويمكن إيجاز هذه الأبعاد عبر :

١- ابن أبي شيبة: المصنف : 438/8 . ابن حنبل: المسند : 66 /4 . الترمذي: السنن : 245/5 . ابن أبي عاصم: الأحاد والمثاني : 347 /5 ، الطبراني: المعجم الأوسط : 272/4 ، المعجم الكبير : 73/12 ، 20 /353 . الحاكم : المستدرك : 609/2 . الطبرسي: الاحتجاج : 248/2 . الهيثمي: مجمع الزوائد : 223/8 .
٢- ابن إسحاق: السير والمغازي : ص 143 . ابن حبان: الثقات : 47/1 . الحاكم: المستدرك: 609/2 . الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد : 3 /283 ، 5/288 . ابن عساكر: تاريخ دمشق : 26 /382 ، 45 /488 ، 63 /142 . ابن كثير: البداية والنهاية : 2/375 ، المتقي الهندي: كنز العمال : 11 /450 ، 12 /426 . السيوطي: الدر المنثور : 5 /184 .
٣- التواتر: التتابع. اصطلاحاً: أن ينقل الخبر جماعة كثيرة بمتنع اتفاقهم على الكذب. فتح الله: معجم ألفاظ الفقه الجعفري : ص128 . عبد المنعم: معجم المصطلحات : ص211 .

أولاً: مقدمات نبوته ﷺ:

اختلفت الروايات في تحديد أولى مقدمات نبوته ﷺ ويمكن بلورة هذه المقدمات بما يأتي :

1 - للرؤيا الصادقة: فأول ما بدأ به من النبوة الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ¹ . لكن اختلفوا فيها ، هل كانت قبل انقطاعه إلى الخلوة بحراء أم بعدها؟ إذ روي أنه حُبب إليه الخلوة بعد الرؤيا ² ، فيما ذهب آخرون " إن الرؤيا جاءت بعد خلوته لأنه خلا على غفلة من أمره " ³ .

2 - حُبب إليه الخلوة وحده ، فاختر غار حراء ليتحنّث فيه ⁴ .

3 - إن من علامات نبوته، سماعه الصوت، ورؤيته الضوء ، وتسليم الشجر والحجر عليه ⁵ .

4 - تطهيره من شوائب الشر بعملية شق صدره ، إذ سئل: كيف علمت بأنك نبي أول ما علمت حتى علمت ذلك واستيقنته ؟ فقال: " أتاني ملكان ، وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوق احدهما في الأرض والآخر بين السماء والأرض ، فقال احدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو، قال: فزنه برجل ، فوزنت برجل فرجحته ، ثم قال: زنه بعشرة ، فوزنني بعشرة ، فرجحتهم ، ثم قال: زنه بمائة ، فوزنني بمائة ، فرجحتهم ، فجعلوا ينتشرون علي من كفة الميزان ، قال: فقال احدهما للآخر: لو وزننته بأمته لرجحها . ثم قال احدهما لصاحبه : شق بطنه ، فشق بطني ، ثم قال

١- ابن حنبل: المسند : 6 / 153. البخاري: الصحيح : 3/1 ، 6/87 ، 88 ، 8/67 . مسلم: الصحيح : 97/1 ، ابن حبان: الصحيح : 1/216. الطبراني: الأوائل : ص 42، الحاكم: المستدرک: 3/183. البيهقي: السنن الكبرى : 9/6. ابن عبد البر: الاستنكار : 2/490.

٢- الصنعاني: المصنف : 5/321 . ابن حنبل: المسند : 6/232 . البخاري: الصحيح : 3/1 ، 6/88 . مسلم: الصحيح : 97/1 . الحاكم: المستدرک: 3/183. السيوطي: الديباج: 1/182.

٣- الطيالسي: المسند : ص 207. الصنعاني: المصنف : 5/322 . ابن سعد: الطبقات: 1/194. ابن حنبل: المسند : 6/233. البخاري: الصحيح : 3/1 ، 8/67. مسلم: الصحيح : 97/1 . ابن حبان: الصحيح : 1/217. الحاكم: المستدرک: 3/183. البيهقي: السنن الكبرى : 9/6 ، ابن عبد البر: الدرر : ص 32 . الشوكاني: فتح القدير: 5/467 .

٤- الصنعاني: المصنف : 5/321. ابن حنبل: المسند : 6/232 . البخاري: الصحيح : 3/1 ، 6/88 . مسلم: الصحيح : 97/1 . الحاكم: المستدرک: 3/183. السيوطي: الديباج: 1/182.

٥- مسلم: الصحيح : ص 89 . البيهقي: السنن الكبرى : 6/207. المقرئ: إمتاع الأسماع : 14/547 . العيني: عمدة القارئ : 1/40 . السيوطي: الديباج : 5/338 . الصالحى الشامي: سبل الهدى : 11/461.

احدهما: أخرج قلبه ، أو قال: شق قلبه ، فشق قلبي ، فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق دم ، فطرحها ، ثم قال احدهما للآخر: أغسل بطنه غسل الإناء ، واغسل قلبه غسل الإناء - أو اغسل قلبه غسل الملاءة - ثم دعا بالسكينة ، كأنها وجه هرة بيضاء ، فأدخلت قلبي ، ثم قال احدهما لصاحبه : خط بطنه ، فخط بطني ، وجعلا الخاتم بين كتفي ، فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أعاين الأمر معاينة " .

5 - البشرى بالنبوة من ملك قرنه الله به ليتأهب للوحي .

ونأتي الآن لمناقشة هذه الفقرات تباعا:

أولاً: مرّ بنا أن الرؤيا المنامية هي من صور الإيحاء الإلهي ، ومما لا إشكال فيه أن يكون قد خُصّ النبي ﷺ بهذه الصيغة من الإيحاء ، كما حدث مع نبي الله إبراهيم ﷺ ، وإن كنا لا نجد في المرويات مصاديق موثوقة لذلك ، إذ لم يحدثنا النبي ﷺ عن مهام أكلها الله تعالى إليه عن طريق وحي أتاه في المنام ، ولكن مع ذلك فلا إشكال في تبني هذا الأمر وقبوله ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فإن رؤيا النبي ﷺ - حتماً - تكون صادقة فهو نبي الله ، ومن دلالات صدق رؤياه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^١ ، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^٢ .

لكن الإشكال يقع حينما يقال : إن هذه الرؤيا التي وصفت بالصادقة أو الصالحة إنما جاءت تمهيدا للنبوة أو تنبيها للنبي ﷺ ليتقبل نبوته ، وكأنه لم يكن يعلم بنبوته ، فيقول احدهم وهو يجعل الرؤيا الصادقة أول مدارج النبوة حتى علم ﷺ بأنه نبي مبعوث ورسول مبلغ : " الرؤيا الصادقة في منامه بما سيؤول إليه أمره ، فكان ذلك إنكارا بها ليروض لها نفسه ، ويختبر فيها حواسه ، فيقوم بها إذا بعث ،

١- الطبري: تاريخ : 52/2 . وينظر: ابن أبي الدنيا: كتاب الهواتف : ص 19 . الأصبهاني: دلائل النبوة : 250/1 . ابن عساكر: تاريخ دمشق : 461 /3 . ابن كثير: البداية والنهاية : 337 /2 . المقرئ: إمتاع الأسماع : 20/1 . الهيثمي: مجمع الزوائد : 255 /8 .

٢- سورة الإسراء الآية 60 .

٣- سورة الفتح الآية 27 .

وهو عليها قوي ، وبها ملي " ١ . وقال آخر : " تأنيسا له ﷺ ، لئلا يفاجئه الأمر مشاهدة ومشاهدة ، فلا تحتلمه لأول حالة بنينته البشرية " ٢ .

بل إن هذه المسألة أخذت حيزا أكثر مما يستوجب ، فتعدت مقام التهيئة والتنبيه إلى أن يكون لقاءه مع الوحي عبر الرؤيا ، فتكون بذلك الصورة الأولى للوحي التي نبئ بها النبي ﷺ عن طريق الرؤيا . والملاحظ أنه بدلا من أن تأخذ الرؤيا - حسب زعمهم أعلاه - مهمة التهيئة للنبوة ، فإنها جعلته ﷺ شاكا مرتابا ، واتهم نفسه باتهامات وظنون غير لائقة كما أدلت بذلك بعض الروايات ، مما غدت هذه الرؤى والمنامات من موارد الطعن في نبوته ﷺ وثغرة ينفذ منها الخصوم لضرب الإسلام ونبيه العظيم .

ثانيا: أما قضية تحنثه في غار حراء ، وانعزاله للتعبد ، فقد توضح لنا في محله في المبحث الاول من هذا الفصل .

ثالثا: إن من علامات نبوته أنه ﷺ كان يرى الضوء ، ويسمع الصوت ، وأن الشجر والحجر كانا يسلمان عليه ، وهذا مما لا إشكال فيه ، إلا أنه اختلف في توقيت ذلك : هل كان سابقا للبعثة ؟ كما أشار إلى ذلك جمع من الروايات ، منها ما نسب إليه ﷺ من أنه قال : " إني لا أعرف حجرا كان يسلم علي قبل أن أبعث " ٣ ، ورواية عن أمير المؤمنين ﷺ - الذي لازمه منذ صغره - إذ يقول : " كنت مع النبي ﷺ بمكة ، فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله " ٤ . وفي رواية أخرى عنه ﷺ : " لقد رأيتني أدخل معه يعني النبي ﷺ الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله وأنا اسمعه " ٥ .

١- الماوردي: أعلام النبوة : ص 235.

٢- القاضي عياض: الشفا : 2 / 101 . المقرئ: إمتاع الأسماع : 11 / 196.

٣- ابن أبي شيبة: المصنف : 7 / 254 . ابن حنبل: المسند : 5 / 89 ، 95 . الدارمي: سنن الدارمي : 1 / 12 . مسلم: الصحيح : 7 / 58 - 59 . الطبراني: المعجم الأوسط : 2 / 291 . الطوسي: الأمالي : ص 341 . الراوندي: الخرائج : 2 / 494 . الأصبهاني: دلائل النبوة : 2 / 427 . الزرندي: نظم درر السمطين : ص 76 . السيوطي: الجامع الصغير : 1 / 404 . المتقي الهندي: كنز العمال : 11 / 426 .

٤- الترمذي: السنن : 5 / 253 . ابن كثير : البداية والنهاية : 6 / 148 ، 306 . الصالح الشامي: سبل الهدى : 9 / 509.

٥- ابن كثير: البداية والنهاية : 3 / 23 . وينظر: الكراكي: كنز الفوائد : ص 125 . الطبرسي: أعلام الورى : 1 / 104 . المقرئ: إمتاع الأسماع : 2 / 390.

أما سماعه الصوت ورؤيته الضوء فقد روي عن ابن عباس أنه : " مكث النبي ﷺ بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ، ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئاً " .

ففي الروايات أعلاه دلالة على أن ذلك كان يحدث معه قبل بعثته الشريفة . لكن نجد أن الروايات نفسها استبدلت بعض من ألفاظها لتعطي بعداً آخر، وهو أنه ﷺ إنما حدث معه ذلك بعد بعثته الشريفة ، إذ روي عنه ﷺ أنه قال: " كان يسلم علي ليالي بعثت " .^٢ وفي رواية: " حين بعثت " .^٣

رابعاً: شق صدره الشريف ﷺ : إن من أغرب ما قصه الرواة في علامات نبوته هو حادثة شق صدر النبي ﷺ واستخراج الدنس والشرك ومغمز الشيطان أو غيره^٤ ، تحت مسمى التطهير من الأدناس " ليصفو فيصفي ، ويخلص فيستخلص " .^٥

وغير خاف على القارئ أن مجريات أحداث رواية شق الصدر تستلزم الوقوف عندها والتأمل فيها ، إذ لا يمكن لمن كان له لب سليم أن يتجاهل سذاجة ما روي فيها ، أو يسلم بما حبكته مخيلة راويها ، ويمكن إجمال الملاحظات عليها بالآتي :

1 - حجباً لقلب المصطفى لكرائم رسالات ربه ، والمجتبى من خلائقه ، أن يكون فيه مغمزٌ للشيطان ، أو علة كما يبرر بعضهم وجودها بالقول: " إن الله تعالى خلق في قلوب البشر علة قابلة لما يلقيه الشيطان فيها ، فأزيلت هذه العلة من قلب رسول الله ﷺ ، فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي فيه الشيطان شيئاً " .^٦ ، مما يتطلب تطهيره بهذا عملية جراحية؟! أليس الله قد تكفل اصطفاءه من خيار خلقه الذين انتجهم لرسالاته ، وهم الأنبياء الذين وصفهم بقوله ﴿ وَأَنَّهُمْ

١- القاضي عياض: الشفا: 2 / 110 .

٢- الطيالسي: المسند : ص106 . ابن حنبل: المسند : 5/105 . الترمذي: السنن : 5/253 . ابو يعلى: مسند أبو يعلى : 13 / 459 . الطبراني: المعجم الكبير : 2/231 . ابن عبد البر: الدرر : ص30 . ابن عساکر: تاريخ دمشق : 4 / 361 . ابن كثير: البداية والنهاية : 3/23 .

٣- الكوفي: المناقب: 1/36 . الطبراني: المعجم الكبير : 2/238 . ابن عساکر: تاريخ دمشق : 4 / 361 .

٤- لمزيد من الدراسة والتحليل عن روايات حادثة شق صدر النبي ﷺ ، ينظر: النصرالله: نشأة النبي ﷺ في ديار بني سعد : ص13 . 23 .

٥- الماوردي: أعلام النبوة : ص 236 .

٦- المقرئ: إمتاع الأسماع : 3 / 38 .

عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ^١ ، إذ طهرهم من الأرجاس والأدناس من أجل حمل رسالته^٢ ،
ثم لم لم يخلقه الله طاهرا منها ؟ فما الحكمة من وجودها ؟ وهل مصدر الشر في ذات الإنسان
شبيها بالغدة المترشحة في الجسم بحيث ؛ إذ لو استأصلت انقطعت المترشحات ؟

وليتأمل القارئ في ادعاء تلك الرواية، وكيف أن هذين الملكين لم يكونا عارفين لمن أرسلنا فيسأل
احدهما الآخر: أهو هو ؟ وما معنى قيامهما بوزن النبي ﷺ ؟ وأي رجل هذا الذي قد قابله في ذلك
الميزان ؟ أهو من أهل الدنيا ؟ ثم يتكاثر عدد الرجال إلى الألف ؟ فهل كانوا أحياء فلماذا هم صامتون ؟
ولم يحدثوا عن هذه الحادثة إن كانوا من أهل الدنيا ؟ فأى مخيلة قاصرة قد أنتجت هذا التصوير الساذج
؟ وهل دافع هذا قياس إيمان النبي ﷺ ؟ أليس من خلقه واصطفاه يعلم السر وما يخفى؟ وهو اعلم
بعباده؟

إن الرؤية المادية التجسيدية ماثلة في مخيلة الرواة فلا تنفك عن مروياتهم ! فنرى عملية الوزن ثم
الشق ثم الغسل كغسل الإناء ثم إدخال السكينة بتلك الصفة ثم الخياط ووضع الخاتم بين كتفي النبي ﷺ
كلها تصورات مادية.

جدير بالذكر أن هذه القضية كما هو واضح لمن راق له التتبع في المرويات التاريخية لم تحدث مرة
واحدة مع النبي ﷺ ، بل تكررت عدة مرات ، وفي مراحل عمره المختلفة ، وفي أزمنة وأماكن مختلفة ،
ويبدو " التناقض " فيها بارزا إلى الحد الذي يستحيل التسليم بصحتها.

وسنعرض بشكل موجز تلك التناقضات لنقف على حقيقتها:

أولاً: من جهة زمان وقوع الحادثة : لقد تباينت الروايات في تحديد تاريخ وقوع حادثة شق الصدر،
فالرواية أعلاه لم تحدد تاريخا معينا للحادثة ، بل توحى بوقوعها قبيل تكليفه بالنبوة التي اختلف في

١- سورة ص الآية 47.

٢- سبحاني: عصمة الأنبياء في القرآن الكريم : ص 5.

تاريخها أصلاً! أو أنها حدثت للنبي في عمر الأربع سنوات^١ . أو ست سنوات^٢ ، أو عشر سنوات^٣ ، أو عند مبعثه^٤ أو عند الإسراء^٥ .

ويلاحظ أيضاً التباين في المكان الذي وقعت فيه هل هو ديار بني سعد أم في زمزم^٦ ، أو الحطيم^٧ ، أو حول الكعبة^٨ ، أو في بعض بطحاء مكة^٩ ، أو في بيت النبي ﷺ^{١٠} ، أو في الصحراء^{١١}؟ فلماذا هذا التكرار؟ وما السر في هذا الأسلوب مع النبي وشق صدره مرارا؟ هل هذا يعني فشل الحالات السابقة؟ أم إن تلك العلة السوداء تعاود النمو في قلب النبي مما يستدعي استئصالها من جديد! أم لا يمكن القول بأنها تكررت ، فان الغاية منها واحدة وهي إخراج مصدر الشر في قلب النبي ﷺ؟ فهل تتجدد العلة حتى يحتاج إلى إزالتها باستمرار!!؟

ثانياً مكان الحادثة: تباينت الروايات أيضاً في ذلك! بين وقوعها في ديار بني سعد^{١٢} ، أم في بطحاء مكة^{١٣} ، أم في الصحراء^{١٤} ، أم بعد نزوله من قمة جبل^{١٥} ، أم في بيته^{١٦} .

- ١- ابن سعد: الطبقات : 53/1 .
- ٢- ابن حبيب: المقتفى من سيرة المصطفى : 38/1 .
- ٣- ابن حجر: فتح الباري : 389/1 .
- ٤- الطبري: تاريخ : 222/2 .
- ٥- الطبري: جامع البيان : 6/15 .
- ٦- مسلم: الصحيح : 101 / 1 . القاضي عياض: الشفا : 191 / 1 . السيوطي: الديباج : 196 / 1 . المتقي الهندي: كنز العمال : 385 / 11 .
- ٧- ابن حنبل : المسند : 207 / 4 .
- ٨- ابن حنبل : المسند : 208 / 4 . الطبري : تاريخ : 54 / 2 .
- ٩- الطبري : تاريخ : 52 / 2 ، ابن عساكر : تاريخ دمشق : 3 / 461 ، ابن كثير : السيرة النبوية : 1 / 230 .
- ١٠- مسلم : الصحيح : 102 . 103 .
- ١١- ابن عساكر : تاريخ دمشق : 3 / 463 .
- ١٢- ابن إسحاق: السير والمغازي : ص 48-50 . ابن سعد: الطبقات : 53/1 . ابن معين: تاريخ : 47/1 . ابن حنبل: المسند : 184/4 . الدارمي: سنن الدارمي : 8/1-9 . ابن أبي عاصم: الأوائل : ص 86 . الطبراني: المعجم الكبير : 131 / 17 .
- ١٣- الطبري : تاريخ : 52 / 2 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 3 / 461 . ابن كثير : السيرة النبوية : 1 / 230 .
- ١٤- ابن عساكر: تاريخ دمشق : 3 / 463 .
- ١٥- ابن شاذان: الفضائل : ص 32-33 .
- ١٦- مسلم : الصحيح : 102 . 103 .

ثالثاً: من قام بالعملية: أما عن الذي قام بمهمة إجراء تلك العملية للنبي ﷺ فكما هو واضح في الرواية أعلاه إنهما ملكان لم تعرفهما الرواية^١. أو أنه جبرئيل فقط^٢، أو أنهما طائران أبيضان^٣، وفي رواية أن الذي قام بذلك هما "رجلان"^٤. وكأن المهمة قد تتصل منها الملائكة فألقيت على كاهل البشر؟ أم أن الرجلان هما ملكان بهيئة بشر؟

ثانياً: لقاءه بالوحي:

يا ترى كيف كان لقاءه الأول بالوحي؟ وأين؟ ومتى؟ وبأي صورة رآه فيها؟ وماذا كانت ردة فعل النبي ﷺ؟ في الواقع من خلال تأمل الروايات يمكن إيجاز أهم ما جاء فيها بوصفها إجابات لهذه للأسئلة:

أ - المكان الذي نزل فيه الوحي لأول مرة: كالعادة تباينت الروايات في تحديد المكان الذي التقى فيه النبي ﷺ بالوحي أول مرة، فعدد من الروايات يقول انه في حراء لما اعتزل فيه للتحنث، إذ تقول: "حتى فجئه الحق وهو في غار حراء"^٥، فيما تأتي روايات^٦ أخرى لتقول إن اللقاء تم في منطقة أجياد^٧، وثالثة تقول انه إلتقاه عند خروجه من حراء باتجاه الوادي، إذ ينسب إلى النبي

١- ابن سعد: الطبقات : 53/1.

٢- مسلم: الصحيح : 101/1- 102 . الحاكم : المستدرك : 527/2- 528.

٣- ابن معين : تاريخ ابن معين : 1 / 47 . ابن حنبل : المسند : 4 / 184 ؛ الدارمي : السنن : 1 / 8 - 9 . ابن أبي عاصم : الأوائل : ص 86 . الطبراني : المعجم الكبير : 17 / 131 .

٤- ابن إسحاق: السير والمغازي: ص 48 - 50 .

٥- الطيالسي: المسند: ص 207. الصنعاني: المصنف : 322/5 . ابن سعد: الطبقات : 194/1. ابن حنبل: المسند : 6 / 233. البخاري: الصحيح : 3/1، 67/8. مسلم: الصحيح : 97/1. ابن حبان: صحيح ابن حبان : 217/1. الحاكم: المستدرك : 3 / 183. البيهقي: السنن الكبرى : 6/9، ابن عبد البر: الدرر : ص32 . الشوكاني: فتح القدير: 467/5 .

٦- ابن سعد: الطبقات : 194/1. الطبري: جامع البيان : 61/27. ابن أبي حاتم: تفسير : 10 / 3319 . ابن كثير: تفسير : 4 / 267، السيوطي: الدر المنثور: 6 / 123.

٧- أجياد: موضع بمكة يلي الصفا، ينظر: الحموي: معجم البلدان : 105/1.

أنه قال: " فلما قضيت جوارى فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت... " ^١ . أو أنه وقع في بطحاء مكة ^٢ ، أو في بيته ^٣ وأخرى في طريقه إلى حراء ^٤ .

ب كيف ظهر له الملك في لقائه الأول به ؟ إن المتتبع للروايات التي تناولت هذا الجانب يلاحظ إجماع مؤكد على تصوير أن اللقاء قد حدث فجأة ودون سابق توقع! وبها تؤول حالة الفزع والخوف التي انتابت النبي ﷺ كما سنقف عليه في محله. هذا من جانب ، ومن جانب آخر، فإن هذا الملك لم يعرف نفسه للنبي ﷺ على أنه مرسل من الله وأنه جبريل الأمين ﷺ ، بل باغته وأمره بالقراءة مباشرة دون أي تأنٍ " فجئته الملك فيها فقال له اقرأ " ^٥ . إلى غيرها من الإشارات.

بينما صرحت روايات أخرى بأنه فاجئه بالنداء دون ظهور شخصه فقط يناديه يا محمد! ويختفي ، فلنتأمل معاً نص هذه الرواية : " بينما هو يمشي [أي النبي ﷺ] إذ سمع منادياً يقول: يا محمد، فنظر يميناً وشمالاً وإلى السماء ، فلم ير شيئاً ، فمضى على وجهه ، فنودي الثانية : يا محمد ، فنظر يميناً وشمالاً ومن خلفه فلم ير شيئاً إلا السماء ، ففزع ، وقال لعل هذا شيطان يدعوني فمضى على وجهه ، فنودي في قفاه : يا محمد يا محمد فنظر خلفه وعن يمينه ثم نظر إلى السماء ، فرأى مثل السرير بين السماء والأرض... وعليه جبريل ﷺ... " ^٦ .

فلماذا يتعامل جبريل هكذا معه ﷺ لماذا لا يظهر له بوضوح ؟ ما معنى النداء ثم الاختفاء هل في الأمر مزحة ؟ فبأي تأويل يمكن سد هذه الثغرة التي لا يمكن الاعتذار عنها!؟

- ١- ابن حنبل: المسند : 306/3 . البخاري: الصحيح : 6/75 . مسلم: الصحيح : 99/1 . ابو يعلى: مسند أبو يعلى : 3/451 . الطبري: تاريخ : 2/51 . ابن حبان: الثقات : 1/51 . ابن الجوزي: زاد المسير : 8/120 . ابن كثير: البداية والنهاية : 3/24 . السيوطي: لباب النقول : ص 205، 223 .
- ٢- الطبري: تاريخ : 2/52 ، وينظر: ابن أبي الدنيا: كتاب الهواتف : ص 19 ، الأصبهاني: دلائل النبوة : 1/250 . ابن عساكر: تاريخ دمشق : 3/461 . ابن كثير: البداية والنهاية : 2/337 . المقرئ: إمتاع الأسماع : 1/20 . الهيثمي: مجمع الزوائد : 8/255 .
- ٣- المقرئ: إمتاع الأسماع : 3/22 - 23 .
- ٤- مقاتل بن سليمان: تفسير : 3/413 .
- ٥- الزيلعي: نصب الراية : 1/448 .
- ٦- مقاتل بن سليمان: تفسير : 3/413 .

بل إن النبي ﷺ في رواية أخرى لما سمع النداء هرب بعيدا ، ولم ينتظر ليتأكد من المنادي ؟ حتى طلب منه ورقة بن نوفل أن " لا تفعل إذا أتاك فأنبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتني فاخبرني " .

بل الأغرب من ذلك إن هذا الملك لم يراع حالة الدهشة والفرع التي انتابت النبي ﷺ بل انه ليعامله بمنتهى القسوة والعنف كما أدلت بذلك النصوص: " فأخذني فغطني - أو غطني - حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني " ^٢ ، يفعلها معه ثلاثا " حتى ظننت انه الموت " ^٣ ، وفي كل مرة يقول له: " اقرأ " ، والنبي لا يعرف ماذا يقرأ ، فيرفض قائلا: " ما أنا بقارئ " ^٤ ، وتارة يعترف بأنه لا يقرأ ، " ولم أكن قرأت قرأت كتابا قط ، فلم ادر ما اقرأ " ^٥ ، وثالثة نجده يتساءل : " ماذا اقرأ " ^٦ أو " ما اقرأ " ^٧ ، ولكن العجيب العجيب إن موقف الوحي واحد في كل الحالات التي تنوعت فيها النصوص ، وهو انه يستخدم العنف مع النبي ﷺ ، بل انه في إشارة من احدى الروايات التي تنسب إلى النبي ﷺ أنه قال : " أخذ بحلقي حتى أجهشت بالبكاء " ^٨ .

عندها اضطر النبي أن يلبي ما طلبه منه على مضض ، وان يقرأ ما أراد الذي تارة كان مشافهة ، وأخرى قراءة بكتاب ما ، فقرأ " تتجيا أن يعود لي بمثل الذي صنع بي " ^٩ .

- ١- ابن إسحاق: السير والمغازي: ص 133 .
- ٢- ابن حنبل: المسند : 233/6 . البخاري: الصحيح : 3/1 ، 88/6 ، 67 /8 . مسلم: الصحيح : 97/1 . الحاكم: المستدرک : 183/3 .
- ٣- ابن هشام: السيرة النبوية : 155/1 . ابن عساکر: تاريخ دمشق: 63 /12 . ابن سيد الناس: عيون الأثر : 116/1 . ابن كثير: السيرة النبوية : 387/1 ، 403 .
- ٤- ابن حنبل: المسند : 233/6 . البخاري: الصحيح 3/1 . مسلم: الصحيح : 97/1 . البيهقي: السنن الكبرى : 51/7 ، 6/9 . العيني: عمدة القارئ : 46/1 .
- ٥- المقرئزي: إمتاع الأسماع : 19/3 ، وفي رواية: قال: (ما قرأت كتابا قط ، فلم أدر ما أقرأ) . الحارث بن أبي أسامة: بغية الباحث : ص282 ، وفي رواية ابن عساکر: (ما قرأت كتابا قط ولا أحسن وما أكتب وما أقرأ) . تاريخ دمشق : 63 /17 ، وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية : 3 /20 ، 11 ، السيرة النبوية : 393/1 .
- ٦- الطبري: تاريخ : 48/2 ، ابن عساکر: تاريخ دمشق : 63 /12 ، ابن سيد الناس: عيون الأثر : 1 /116 ، ابن كثير: السيرة النبوية : 403/1 .
- ٧- الحارث بن أبي أسامة: بغية الباحث : ص282 ، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 208/13 .
- ٨- المقرئزي: إمتاع الأسماع : 3 / 19-20 . السيوطي: كفاية الطالب : 97/1 .
- ٩- ابن إسحاق: السير والمغازي : ص121 .

أما عن الهيئة التي رأى فيها جبرائيل عليه السلام فقد تباينت الروايات بهذا الخصوص : فرواية غيبت شخص جبريل ليرى النبي ﷺ مجرد نداء^١ يناديه باسمه ، أو انه يسمع صوتا يسلم عليه (السلام عليك)^٢ ، وفي روايات يتجسد له جبرائيل في صورة ما قد لا تصفها رواية^٣ ، ولكن رواية أخرى تقول: " فرأى مثل السرير بين السماء والأرض وعليه درنوكه^٤ قد غطت الأفق، وعليه جبريل عليه السلام مثل النور المتوقد يتلالا حتى كاد أن يغشى البصر".^٥

ولأن جبريل عليه السلام لم يعرف نفسه في هذا اللقاء الأول على رأي اغلب الروايات ، وأنه قد عامل النبي بمنتهى القسوة ، كانت ردة فعله ﷺ سلبية ، فقد ذعر^٦ ، وارتجفت بواده^٧ ، ورجف قلبه^٨ ، وتارة وتارة يقول: " فجنيت منه فرقا - أو رعبا - حتى هويت إلى الأرض " ^٩ ، وفي رواية " فأخذتني رجفة شديدة " ^{١٠} ، بل " فهربت منه " ، وفي نص آخر " فجنوت لركبتي ، وأنا قائم ثم زحفت ترجف بوادري " ^{١١} ، بل " ففزع فزعا شديدا ، ثم وقع مغشيا عليه ، ولبت ساعة ثم أفاق يمشي وبه رعدة شديدة ، ورجلاه تصطكان " ^{١٢} .

اضطر الوحي للعودة ثانية ، ولكن لماذا ؟ يظهر اراد أن يعرف نفسه ، إذ في هذه المرة صرح له بأنه جبريل ، وكأن اللقاء الأول كان مجرد فرصة لتخويف النبي ﷺ أو اختبار لقواه البشرية هل تحتمل هذا الجو الملائكي؟! إذ يؤول البعض ما حدث من حالة الفزع والرعب والخوف في ذات النبي ﷺ أنها

- ١- مقاتل بن سليمان: تفسير: 3 / 413 .
- ٢- المقرئزي: إمتاع الأسماع : 19/3 .
- ٣- ينظر : المقرئزي : امتاع الاسماع : 3 / 19 - 39 .
- ٤- مؤنت درنوك وهو البساط أو الثوب، وجمعه درانك. ابن قتيبة: غريب الحديث : 170/2، الزمخشري: أساس البلاغة : ص370، ابن منظور: لسان العرب : 10/ 423 - 424 .
- ٥- مقاتل بن سليمان : تفسير : 3 / 413 .
- ٦- ابن سعد: الطبقات : 194/1 .
- ٧- ابن حنبل: المسند : 223/6. البخاري: الصحيح : 88/6. مسلم: الصحيح : 97/1 .
- ٨- ابن حنبل: المسند : 223/6. البخاري: الصحيح : 3/1. البيهقي: السنن الكبرى : 51/7 .
- ٩- الطبري: تاريخ : 53/2. السمعاني: تفسير السمعاني : 87/6 . ابن كثير: البداية والنهاية : 469/4 .
- ١٠- مسلم: الصحيح : 99/1 . أبو يعلى: مسند أبو يعلى : 159/4. القرطبي: الجامع : 60/19، النووي: شرح الصحيح : 208/2. السيوطي: الديباج : 191 / 1. المتقي الهندي: كنز العمال : 460 / 11 .
- ١١- الطبري: تاريخ : 47/2 . ابن الأثير: الكامل: في التاريخ 48/2 .
- ١٢- مقاتل بن سليمان: تفسير : 3 / 413 .

حالة طبيعية " وما تأكيدنا لهذه الرهبة والشدة والفرع إلا لنصل إلى حقيقة أن الرسول ﷺ بشر عادي في خصائصه وتركيبته النفسية وأن سلامته من كل عارض تستدعي أن يصدر مثل هذه الانفعالات المتوقعة من أي شخص سليم قد يتعرض لما يشبه هذا الموقف الجلل " ١ .

قد فسّر بعضهم الشدة التي تعتري النبي ﷺ حينما يأتيه الملك الوحي في صورته الملائكية بان منشأها " تقريب الطبيعة البشرية إلى الأوضاع الملكية والجو الملائكي " ٢ .

بعد هذا التصوير لننظر إلى ما جاء من كلام أمير المؤمنين ع عليه السلام حول بعثة النبي ﷺ وعلاقته بالملائكة ، سجد الحقيقة ماثلة بأنصع صورها بأن النبي ﷺ متألف جدا مع الجو الملائكي ، وقد اعتاده منذ طفولته ؛ إذ إن العناية الإلهية قد قرنت به ملكا من أعظم الملائكة يتولى أمره، فلم تكن الأجواء الملائكية غريبة عليه ليفزع منها أو يحتاج معها إلى مقدمات حتى يعدها البعض أكثر ضرورة فيقول " لولا تلك المقدمات لكانت نتيجة تأثر النبي بهذا اللقاء أضعاف ما وردنا عنه ﷺ من شدة وجدها في هذه الملاقاة الأولى - كما يحلو لي أن اسميها - لأنني اعتقد أن تعبير المواجهة الذي يوحى بمعاني الذبابة والخصومة منتف من أصل الحالة " ٣

فما التأثير الذي كان من الممكن أن يبلغه النبي بأكثر من هذا ؛ بل كما سيتضح لنا أنه قد حاول قتل نفسه - كما تدّعي الروايات - ؟

نعود لتتبع تفاصيل ما جاء في الروايات ، يأتي الملك ثانية ولكن هذه المرة يتجسد بصور شتى ، أبدعت مخيلة الرواة فيها أيما إبداع ، إذ نسجت تلك الصور بشيء من التصوير المادي الذي لم تتخطاه مخيلاتهم الساذجة!

" فإذا الملك الذي جاءني في حراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه " ٤ ، وراو آخر أملت عليه مخيلته أن الملك إنما جاء " في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء ، فوقف

١- إبداع: الوحي القرآني : ص 77 .

٢- ابن خلدون: مقدمة: ص100 .

٣- إبداع : الوحي القرآني : ص 76-77.

٤- ابن أبي الدنيا: كتاب الهوائف : ص17. البخاري: الصحيح : 4/1 . الترمذي: السنن : 100/5 .

انظر إليه " ^١ ، وقد احكم احدهم وصف الملك المتبطر بأنه " واضعا إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح : يا محمد : أنا جبريل ، يا محمد أنا جبريل فدعر رسول الله " ^٢ .

وتعاضمت صورة جبريل في خيال آخرين فوصفوه: " فإذا أنا بجبريل على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب قال: فهلت منه فجئت مسرعا ، فإذا هو بيني وبين الباب، فكلمني حتى أنست به " ^٣ .

وصورة أخرى قد أعملت فيها الخيالات مبلغا أسطوريا إذ يصفه بلسان النبي ﷺ : " يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ وياطن قدميه اخضر " وانه " له ستمائة جناح " ^٤ ، وفي نص آخر : " رآه في روف اخضر قد سد الأفق " ^٥ ، وفي صورة أخرى: " رأى شخصا بين السماء والأرض باجياذ إذ بدا له جبريل فسلم عليه ، وبسط بساطا كريما مكللا بالياقوت والزبرجد " ^٦ .

يلاحظ التباين في صور جبريل في الروايات بعدة أشكال ليس في اللقاء الأول فحسب بل حتى في لقائه بالنبي ﷺ في المعراج ^٧ ، وكلها تصويرات اضفت عليها خيالات الرواة الشيء الكثير ، ولم يحمل بعضهم هذا الاختلاف محملا سلبيا ، بل راح يؤوله بما يحلو له قائلا : " والروايات تتسع في ترائي جبريل ﷺ للنبي ﷺ في صور مختلفة ، ووجه ذلك : أن يكون لجبريل ضروب من الصور ، فكل مرة يترائى فيها للنبي ﷺ يثبت الله قلب رسوله لرؤيته فيها بقوة يجدها الله له ، وكل حالة إبقاء

- ١- الطبري: تاريخ : 49/2 . ابن عساكر: تاريخ دمشق : 13/63 . ابن سيد الناس : عيون الأثر : 116/1 . ابن كثير: السيرة النبوية : 403/1 . الصالحي الشامي: سبل الهدى: 234/2 .
- ٢- ابن سعد: الطبقات : 194/1 .
- ٣- المقرئ: إمتاع الأسماع : 3 / 19 .
- ٤- المقرئ: إمتاع الأسماع : 3 / 39 .
- ٥- البخاري: الصحيح: 51/6 . الطبراني: المعجم الكبير : 216/9 . المقرئ: إمتاع الأسماع : 3 / 42 . ابن حجر: فتح الباري : 470/8 . العيني: عمدة القارئ : 200/19 .
- ٦- المقرئ: إمتاع الأسماع : 3 / 22-23 .
- ٧- انظر مثلا المقرئ: إمتاع الأسماع : 3 / 33 .

الله تعالى رسوله على جبلته ، ولا يحدث له فيها قوة ، يضعف ﷺ عن رؤيته ، فصعق ﷺ حتى ثبتته الله تعالى " ٢ .

ولنا أن نسأل صاحب هذا الرأي: إن كان قد صح ما قاله بشأن تعدد صور الوحي وإنها في جانب القبول تكون مظهراً من مظاهر قدرة الباري عز وجل ، وإبداعه وأن له في خلقه شؤناً ، ولكن هل يصح معها القول : إن ذلك كان لتثبيت قلب النبي ﷺ؟ إذن بماذا يفسر - مزاعم تلك الروايات - بردة فعله حين كان قد رآه بتلك الصور ، فتارة يقع مغشياً عليه وأخرى يذعر فيها وثالثة يهال منه ويهرب ... الخ من تعدد حالات الفزع والرعب التي مرّ بها ﷺ ، فأى تثبيت حصل لقلبه الشريف؟! بهكذا وصف غريب!؟

وهل الله سبحانه بحاجة إلى أن يريه جبريل بهكذا شاكلة لترعب حبيبه المصطفى وتفزعه؟! وهو القائل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾^٣ ، هذا من جانب ومن جانب آخر نعاود التساؤل ، أي رواية هي الأصح في تصوير شخص جبريل ﷺ بالنسبة للقاءه الأول بالنبي ﷺ؟ ألم يلحظ أن الحادثة واحدة والحالات متعددة؟ ثم أين تثبيت قلب النبي ﷺ وقد رجف وارتاب في نفسه ﷺ حتى ظن بها ظنوننا شتى؟ وقد تباينت حالات تلك الظنون تبعاً لتباين الروايات أعلاه : فما بين ظنه بأنه مجنون^٤ أو انه

١- وذلك إشارة إلى صورة أخرى رأى فيها نبي الله جبريل ﷺ لما طلب منه أن يراه في صورته، فقال: أدع ربك، فدعا ربه، فطلع عليه سواد من قبل المشرق، فجعل يرتفع، فينتشر، فلما رآه رسول الله ﷺ صعق، فنعشه، فمسح البزاق عن فمه. المقرئزي: إمتاع الأسماع : 43/3 .

٢- المقرئزي: إمتاع الأسماع: 44/3 .

٣- سورة التكويد الآية 23.

٤- الغريب ما نسبته إحدى الروايات أن النبي ﷺ لما رأى جبرئيل قال: " ولم يكن في خلق الله عز وجل أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق النظر إليهما، فقلت: إن الأبعد . يعني نفسه . لشاعر أو مجنون" . ينظر:

الطبري: تاريخ : 49/2 . ابن عساكر: تاريخ دمشق 63 / 13 . الذهبي: تاريخ الإسلام : 131/1 . المقرئزي: إمتاع الأسماع: 26/3 . وورد عند ابن سعد: " أخشى أن يكون في جنن " الطبقات : 195/1 . لكن هل حقاً أن النبي ﷺ

كان يبغض الشعراء والمجانين؟ فما ذنب الأول وقد حباه الله بهبة عقلية مبدعة قد تسخر لقول ما هو حسن أو قبيح، ولكنها من ملكات الأبداء، وقد مدح الله الشعراء المؤمنين . أما الثاني فهو مسكين لا ذنب له إلا أنه فقد عقله؟ فهل يعقل هذا من نبي الرحمة ، نعم هو قد تأذى من إتهام قريش له بالجنون، ونسبت إليه قول الشعر لما أعجزهم القرآن، ولكن لم يشهد التاريخ أنه ﷺ قد أعلن عداؤه أو بغضه للشعراء أو المجانين ؟

كاهن^١ أو به خبل^٢ بل انه قد خشي على نفسه^٣. وأشفق عليها^٤. من مغبة هذا الأمر وقد بلغ به الحال أن فكر في قتل نفسه والتردي من شواهد الجبال فاضطر جبريل أن يأتيه فيعرفه بأنه جبريل وانك يا محمد رسول الله^٥، بل لم يكف النبي ﷺ عن فكرة قتل نفسه فكان يبادر لذلك كلما فتر عنه الوحي^٦ بعد أن قالوا له: إن ربك قد قلاك^٧

ولو قارنا بين رؤية هذه الروايات ورؤية القرآن الكريم حول هذه القضية لوجدنا الحق تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾^٨. وقوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾^٩.

فهذه الآيات تتحدث بوضوح عن طبيعة لقاء الوحي بالنبي ﷺ سواء في المعراج أم غيرها ، ونحن نلاحظ أن الله سبحانه قد نفى عن نبيه اتهامات " الجنون " و " الشيطنة " و " الغواية " " الكذب " الخ ، ولكن هذه الاتهامات إنما هي اتهامات قومه وليس ظنه بنفسه ويبدو أن الرواة قد استنقوها من هذه الآيات

- ١- ابن سعد: الطبقات : 1/ 195 .
- ٢- المقرئزي: إمتاع الأسماع : 22/3.
- ٣- الصنعاني: المصنف : 5/ 322. البخاري: الصحيح : 3/1، 6/ 88. مسلم: الصحيح: 97/1، البيهقي: السنن الكبرى: 9/ 6. المقرئزي: إمتاع الأسماع: 3/ 5.
- ٤- ابن حنبل: المسند: 6/ 223. الطبري: تاريخ: 2/ 47. جامع البيان: 30/ 318. ابن الأثير: الكامل: 2/ 48.
- ٥- الطبري: جامع البيان: 30 / 318 .
- ٦- الصنعاني: تفسير : 3/ 327. السهيلي: الروض الأنف : 1/ 272.
- ٧- تباينت الروايات فيمن قال له ذلك فرواية تشير انه هو قد ظن هكذا " خشيت أن يكون صاحبي قد قلاني وودعني ، ف جاء جبريل بسورة الضحى " . وفي رواية انه لما أبطأ على رسول الله ﷺ الوحي جزع من ذلك جزعا شديدا، فقالت له السيدة خديجة إن ربك قلاك لما يرى من جزعك فانزل ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ سورة الضحى الاية 3 . ابن إسحاق: السير والمغازي ص 135، وفي رواية أن قومه من قال له ذلك، ابن كثير: البداية والنهاية 3/ 22. وفي رواية امرأة أشارت روايات أنها أم جميل زوجة أبي لهب. ابن حجر: فتح الباري 3/ 7، محمد عزة دروزة: التفسير الحديث 1/ 551.
- ٨- سورة التكويد الآية 19 - 25 .
- ٩- سورة النجم الآيات 2- 18 .

ونسبوا إلى النبي ﷺ ، ولا نعم الغاية من وراء ذلك فهل هي محاولة لتبرئة المشركين أم أن الهدف الوصول إلى نتيجة بان دعوة النبي ﷺ التي كانت قد أثارت دهشة أولئك الكفار فظنوا به الظنون واتهموه بالسحر والشعر والجنون، هي ذاتها الاتهامات التي ظنها هو في نفسه ، فيتساوى معهم من هذا الجانب ! إذ قد أدهشته نبوته ولم يصدق انه قد كلف بها؟! .

حقيقة أنّ العقل ليحار أمام هذه الترهات التي تجنّت على النبي الأعظم ﷺ ، ويقف في تأمل طويل أمام تلك التقلبات المتناقضة وفي أدق الجزئيات؟! وبعد هذا كله ، هل اطمأن قلب النبي ﷺ؟ أم واصل إحساسه بالشك والريبة من أمره حتى طمأنته زوجته التي تحركت ما بين شخصيات يهودية أو نصرانية تستجدي ما تثبت به قلبه الشريف؟ الذي بدا عاجزا عن إدراك ما أدركته زوجته أو ما أدركه هؤلاء الذين قصدتهم؟! أليسوا على وفق هذا المبنى هم أحق بالنبوة منه ﷺ ، وإن كان قد ارتاب في أمره، فكيف ينكر ذلك على من ارتاب من سائر الناس وهو قد عاين الأمر معاينة فيما خفي على غيره؟! .

يقول السندي¹ : " مقتضى جواب خديجة والذهاب إلى ورقة: إن هذا كان منه على وجه الشك . وهو مشكل بأنه لما تم الوحي صار نبيا ، فلا يمكن أن يكون شاكا بعد في نبوته ، وفي كون الجائي عنده ملكا من الله ، وكون المنزل عليه كلام رب العالمين " ثم حاول السندي توجيه ذلك بأنه أراد اختبار خديجة ، وإن يمهّد لإعلامها بالأمر . وهو توجيه عجيب فإننا لم نعهد منه ﷺ إتباع مثل هذه الأساليب الملتوية في الوصول إلى مقاصده ونحن نجله ﷺ عن نسبة الكذب إليه على خديجة - معاذ الله - ثم معاذ الله!! ثم كيف يتناسب ذلك مع كونه أراد أن يلقي نفسه من شواهق الجبال² . بل الأدهى من ذلك إن هؤلاء جميعا (السيدة خديجة ، وورقة وبحيرا ونسطورا وعداس) قد اضطروا إلى اختبار صدقه فيما يدعيه من رؤية الوحي وأنه ليس بشيطان؟ فزوجته خديجة ﷺ تطمئننه حين سلم عليه الوحي، وفر منه النبي ظانا بأنه قول من الجن، فتقول له " إن السلام خير " ³ ، بل أجمعت الروايات على دورها في تثبيت قلبه الشاك المرتاب . حتى أنها أجرت له عملية اختبار عجيبة إذ طلبت منه أن يخبرها حين

١- حاشية السندي بهامش البخاري، ط سنة 1309 ، 1/ 3. نقلا عن : العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ : 22. 21/3 .

٢- العاملي: الصحيح في سيرة النبي الأعظم ﷺ : 2 / 298 - 299 .

٣- المقرئزي: إمتاع الأسماع: 3 / 19 .

يأتيه الوحي ، وحين أتاه ، طلبت من النبي ﷺ أن يجلس إلى شقها الأيمن ثم الأيسر ثم في حجرها وفي كل مرة تسأله هل لا زلت تراه فيقول : نعم حتى كشفت رأسها أو أدخلت النبي بينها وبين درعها ، فاعرض جبريل حياء ، فإذا بها تطمئن رسول الله ﷺ اثبت وابشر ، ما هذا بشيطان إنما هو ملك^١ .

وقد حمله القاضي عياض على أنه " حق خديجة لتتحقق من صحة نبوة رسول الله ﷺ ، وأن الذي يأتيه ملك ، ويزول الشك عنها ، لا أنها فعلت ذلك للنبي ﷺ ، وليختبر هو حاله بذلك "^٢ .

والغريب انه بعد أن دفع الشبهة عن النبي ﷺ بقوله " ولا يجوز عليه شك فيما ألقى إليه " ^٣ مما يدل على عدم قبوله بما جاءت به الروايات التي دلت على شكه ﷺ ، وبدلا من دحضه تلك الروايات ورفضها بقوة ، نجده يلجأ حاله حال غيره إلى تأويلها ، ومحاولة سد الثغرات فيها ، وإن كان ضحية ذلك زوجة النبي ﷺ إذ ظهرت ها هنا شاكة بأمر النبي ﷺ بل الأدهى من ذلك نسبة ذلك الفعل لها بذلك الاختبار المزعوم .

فيما تأتي رواية أخرى لتتسب فكرة هذا الاختبار إلى ورقة لما حدثته السيدة خديجة ذاكرا له جبريل ﷺ فقال : " سبوح سبوح وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد بها الأوثان ، جبريل أمين الله بينه وبين رسله ^٤ ، اذهبي به إلى المكان ^٥ الذي رأى فيه ما رأى ، فإذا أتاه فتحسري ، فان يكن من عند الله لا يراه ... ففعلت فقالت: فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره "^٦ .

عجبا وهل للملك شهوة كشهوة الرجال ، وهل هو مكلف بعدم النظر إلى نساء البشر؟ بل هل فرض الحجاب في ذلك الوقت؟ وكيف أدركت خديجة أو ورقة ذلك كله ^٧ . وفي رواية إن ورقة سأله عن هيئة

١- ابن سيد الناس: عيون الأثر: 117/1 . ابن كثير: البداية والنهاية : 22/3 ، السيرة النبوية : 410/1 .

٢- الشفا: 2 / 111 .

٣- الشفا: 2 / 111 .

٤- ولكن لماذا استنكر ورقة ذكر جبريل في أرض تعبد الأوثان، ألم تكن مهمته إيصال وحي الله لنبيه لأجل الدعوة لوحداية الله ؟ وإن لم يظهر في أرض كهذه فما تكون مهمته في أرض أسلم أهلها وكيف يسلم أهلها ولم يأتيها المرسلون؟ وقد نسبت رواية هذا القول لعداس . ابن كثير: البداية والنهاية 20/3 .

٥- هل يختص جبريل بمكان واحد يلتقي فيه بالنبي ﷺ ؟

٦- المقرئ: إمتاع الأسماع : 3 / 16 .

٧- العامل: الصحيح من سيرة النبي الاعظم : 2 / 305 .

جبريل عليه السلام فقال عليه السلام: " يأتيني من السماء وجناحه لؤلؤ، باطن قدميه اخضر".^١ ولكن أي دلالة في هذا على كونه جبريل دون غيره؟ ومن أين علم ورقة بهذه الصفات؟ هل رأى باطن قدمي جبريل من قبل؟ وإنما ذات لون اخضر ولماذا اخضر!؟!

وفي اختبار آخر يقول فيه ورقة لخديجة عليها السلام: " اسأليه من هذا الذي يأتيه؟ فإن كان ميكائيل فقد أتاه بالخفض والدعة واللين، وان كان جبريل فقد أتاه بالقتل والسبي. فسألته فقال: جبريل، فضربت خديجة جبهتها".^٢

وفي هذا دلالة على يد اليهود في وضع هذه المرويات، لأنهم يعادون جبريل عليه السلام فنسبوا إليه هذا الأمر، إذ جاء في إحدى الروايات: على لسان اليهود: " عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل"^٣، وروي عنهم أنهم قالوا: " لو إن ميكائيل الذي ينزل عليكم اتبعناكم فانه ينزل بالرحمة والغيث، وان جبريل ينزل بالنقمة والعذاب وهو لنا عدو"^٤

وفي رواية إنه قال للسيدة خديجة عليها السلام: " فأرسلني إلي ابن عبد الله أسأله واسمع من قوله وأحدثه فإني أخاف أن يكون غير جبريل فإن بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بني آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدلها مجنوناً"^٥.

فلما جاء إليه النبي عليه السلام سأله ورقة: " هذا الذي جاءك في نور أو ظلمة؟ فاخبره رسول الله عليه السلام عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه إليه. فقال ورقة اشهد أن هذا جبريل..."^٦.

١- المقرئزي: إمتاع الأسماع: 38 / 3 .

٢- البيهقي: تاريخ: 23 / 2 .

٣- ابن شبة: تاريخ المدينة: 866 / 3 . الطبري: جامع البيان: 609/1 . ابن كثير: تفسير: 135 / 1 . ابن حجر: العجائب في بيان الأسباب: 293 / 1 .

٤- الطبري: جامع البيان: 611 / 1 . ابن كثير: تفسير: 136/1 .

٥- ابن عساکر: تاريخ دمشق: 19 / 63، ابن كثير: البداية والنهاية: 21/3 .

٦- ابن كثير: البداية والنهاية: 21 / 3 - 22 .

ونلاحظ أن هناك تركيزا على موقف ورقة في أحداث البعثة حتى وصف ذلك الموقف: " وقد زاده الله عز وجل من قول ورقة ثباتا ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم " ١ .

نخلص الى القول ان هناك تباينا واضحا بين ما ادلى به الامام امير المؤمنين عليه السلام من حقائق ثابتة ومتوافقة مع القرآن ٢ - فيما يخص الوحي وعلاقته بالنبي ﷺ - وبين ما جاءت به المرويات التاريخية ، والتي أساءت الى مقامه الشريف ﷺ .

وبهذا تتجلى لنا خاصية رؤية الامام امير المؤمنين عليه السلام ؛ وكيف تسامت عن باقي الرؤى التي اظهرت الاساءة لشخصه ﷺ ومقامه كنبى مرسل .

١- ابن إسحاق: السير والمغازي: ص 122.

٢- لمزيد من التفاصيل عن الرؤية القرآنية للنبي الاعظم ﷺ ينظر : النصر الله : السيرة النبوية بين الرؤية القرآنية والرواية التاريخية : (الصفحات جميعها)

البحث الثالث

الدعوة الحمديّة

مراحل الدعوة والتبليغ وبناء الدولة:

دأب المؤرخون على تقسيم دعوة النبي ﷺ إلى عهدين متميزين؛ هما العهد المكي والعهد المدني. ويمكن ان نقسم كل عهد منهما إلى مراحل وفق ما توحى به نصوص نهج البلاغة التي تحدثت عن سيرة النبي ﷺ في الدعوة والتبليغ، وبناء دولته العظيمة.

أولاً: مرحلة إقطاعات القامحة الإيمانية الأولى:

اصطلح على تسمية هذه المرحلة بمرحلة الخفاء او الدعوة السرية^١. إذ ارتكزت الدعوة الحمديّة على قاعدة صلبة مثلها المسلمون الاوائل الذين كانت لهم فضل السابقة في الاسلام ، وقد مثلوا الاساس الرصين الذي اتكأ عليه الدين الجديد، فلولا تلك القلوب المشبعة بالايمان الحقيقي لما صبروا على أفضع اساليب التعذيب التي استخدمها اعدائهم في محاولة ثنيهم عن عقيدتهم^٢.

فبعد ان كلف النبي ﷺ بتبليغ الرسالة، شرع ﷺ يهيء نفسه للخطوات الآتية في طريق الدعوة الى دين الله، ومن الطبيعي ان يكون الاقربون هم الاولى بهذا الامر^٣، ولم يكن أحد اقرب للنبي ﷺ من

١- ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية : 1 / 168. الحلبي : السيرة الحلبيّة : 1 / 402 - 403. عباس زرياب خوئي : دراسة تحليلية في السيرة النبوية عصر ما قبل الهجرة : ص 169 . فرحان : دروس من السيرة النبوية : ص 239 - 268 . سبحاني : السيرة الحمديّة : ص 65 - 66 .
٢- ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية : 1 / 203 - 205 . فرحان : دروس من السيرة النبوية : ص 272 - 277 . سامي البدري : السيرة النبوية : ص 94-96 .
٣- ينظر : الطبري: تاريخ: 228/2-229، جامع البيان : 149/19 . ابن مردويه: المناقب: ص 290. ابن الاثير: الكامل : 62/2 - 63. ابو الفداء: المختصر: 1/ 117. ابن كثير: البداية والنهاية : 3/ 53 ، تفسير : 3/ 364، السيرة النبوية : 1/ 459. المتقي الهندي: كنز العمال: 13/ 114. الحلبي : السيرة الحلبيّة: 1/ 461.

ربييه، وابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام الذي لم يتكلف عليه السلام أي جهد في دعوته، فهو الشاهد على الوحي في أول نزوله على قلبه عليه السلام^١، والاولى بتصديقه^٢ بعد ان كان لصيقاً به، ويتبعه اتباع الفصيل اثر امه^٣. كان أمير المؤمنين عليه السلام النموذج الأمثل والأكمل لمؤازرة النبي عليه السلام لما توافرت عليه ذاته الشريفة من الطاعة والانقياد والقوة لحمل هذا الامر، اذ كان النبي الاعظم عليه السلام بأمس الحاجة الى الناصر والمؤازر " فكان علي عليه السلام يمثل ذراع النبوة في تبليغ الرسالة منذ انطلاقتها، والعين الباصرة ولسان الدعوة الناطقة بها"^٤.

ثم تأتي السيدة خديجة عليها السلام^٥ بعد أمير المؤمنين عليه السلام لتكون خير مليب لنداء الحق، وفي طليعة من آمن بدعوته عليه السلام والى ذلك يشير الامام عليه السلام : " وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحِ النَّبُوءَةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ"^٦. والامر الجدير بالالتفات اليه انه رغم مكانة السيدة خديجة عليها السلام من رسول الله عليه السلام ومن دعوته، وكونها اول من آمن به عليه السلام بعد امير المؤمنين عليه السلام الا انه عليه السلام يقول في النص اعلاه: " ارى نور الوحي" أي أنه وحده كان قد اختص بهذا المقام .

ورغم ما يشاع في الروايات التاريخية بان هناك دعوة سرية تخفى فيها النبي عليه السلام ولم يعلم المشركون بامرهم ومضامين دعوته، وانها استمرت ثلاثة سنوات^٧، فهو محل توقف وتأمل! اذ كيف تتلائم السرية مع

- ١- وذلك اشارة الى قوله عليه السلام : " أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحِ النَّبُوءَةِ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ - صلى الله عليه وآله - " نهج البلاغة : ص 406 .
- ٢- من ذلك قوله عليه السلام : " فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ "، نهج البلاغة ص 105 ، وفي موضع " فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ " نهج البلاغة : ص 105 .
- ٣- اذ يقول عليه السلام : " وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمَّهُ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ " نهج البلاغة : ص 406 .
- ٤- المجمع العالمي : اعلام الهداية : 1 / 88 .
- ٥- لمزيد من التفاصيل عن شخصية السيدة خديجة عليها السلام ودورها في الاسلام ، ينظر : الشرهاني : السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام (: الصفحات جميعها)، وينظر : اضواء على السيرة النبوية دراسة في حياة الرسول عليه السلام مع السيدة خديجة : ص 191- 249 .
- ٦- نهج البلاغة : ص 406 .
- ٧- ينظر: ابن هشام : السيرة : 1 / 168 . الحلبي : السيرة الحلبية : 1 / 402 .

الروايات التي أشارت إلى أن أمر النبي ﷺ كان معروفاً، إذ يشار في العن: " أن ابن عبد المطلب ليكلم من السماء" ¹. فضلا عن ذلك ورد في الروايات انه ﷺ كان يصلي هو و أمير المؤمنين ﷺ والسيدة خديجة ﷺ بالقرب من الكعبة المشرفة، فهل يعقل ألا يراهم أحد؟ ولقد ذكر ابن سعد ² : " دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام سراً وجهراً، فاستجاب الله من شاء من احداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فشنفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وعادوه "

فلم يستشنع اكابر قريش من دعوته في بادئ الامر، حتى ان امره بالنسبة لهم لا يعدو التأملات والتكهنات، وهم الذين كانوا على دراية بمنهجه التعبدية، ونهجه الخلفي، اذ نبذ صلى الله عليه وآله كل ما هو شين أو سيء من فعالهم وعلى المستويات العقيدية والسلوكية كافة فعرف بينهم بـ " الصادق الامين " فلم يتوجسوا منه خوفاً، ولم يشددوا في محاربتة والوقوف بوجه دعوته.

من جانب آخر فقد واصل ﷺ تحركاته الرسالية ، واستطاع في وقت قياسي " ان يصوغ من النفوس التي آمنت برسالته عناصر فعالة تحمل قيم الرسالة لتنتقل بها الى الناس، وهم اشد حرصاً على اسلامهم، واكثر يقيناً بايمانهم، مستكرين بذلك ما كان عليه آباؤهم من شرك وخلق منحرف حتى تزايد الاستعداد لديهم لتحمل آثار الجهد بالرسالة"³.

وتنتضح دلالات ايمانهم العميق من خلال مواقفهم الجهادية فيما بعد في ساحات الوغى نصره لعقيدتهم، حتى اضطروا الى مقاتلة اقربائهم من آباء وابناء واخوان ولم يتوانوا عن قتلهم ان تطلب الامر منهم ذلك ⁴. وقد عد الامام ﷺ ذلك من اهم عوامل نجاح الدعوة وتحقيق النصر المؤزر على اعداء الدين في تلك المرحلة الجهادية¹.

1- ابن سعد : الطبقات : 199/1 . اليعقوبي : تاريخ : 24/ 2 . ابن الجوزي : المنتظم : 364/2.

2- الطبقات : 199/ 1 .

3- المجمع العالمي : اعلام الهداية : 89/1 .

4- وذلك ما اشار اليه ﷺ بقوله : " وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، وَمُضِيًّا عَلَى النَّقْمِ وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَلَقَدْ

ومن المواقف الهامة في حياة الرسول ﷺ في هذه المرحلة هو التوجه نحو عشيرته ودعوتهم لدين الله وموازرتة على امره تبعا لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۚ ﴾^٢ ، فكانت اولى خطواته انذارهم في مجتمع تسوده الاعتبارات القبلية وقد تباينت الاتجاهات والاستجابات لبني هاشم لدعوته ﷺ اذ انقسموا الى اتجاهين متضادين، فمنهم من قبل الدعوة وانسجم معها ونصرها بكل قوة، وفي طليعة هؤلاء امير المؤمنين ﷺ واهل بيته، ووقف اتجاه آخر ضد الدعوة ومن آمن بها، ومثيل ذلك ما اشار اليه ﷺ من مواقف بعض الشخصيات الهاشمية كأبي لهب وقد كان لدعوة بني هاشم الى الدين الجديد اصداؤها في اشاعة خبر النبي ﷺ اذ تبين لهم صدق دعوته وجديتها، هذا من جانب ومن جانب آخر ، فقد دخل فيه الناس " ارسالا ، من النساء والرجال ، حتى فشا ، فذكر الاسلام ، وتحدث به ، ... فأعظمت ذلك قريش وغضبت له ، وظهر فيهم لرسول الله ﷺ البغي والحسد ، وشخص له منهم رجال فبادوه العداوة ، وطلبوا اليه الخصومة " ^٤ .

ثانياً: مرحلة الإيمان العام للظومة وبطاية المهاجرة مع المشركين

وبعد ان تم بناء القاعدة الصلبة للدعوة - متمثلة بأولئك الرواد الاوائل من المسلمين الذين انتموا للاسلام في ايام غربته ، الذين نمت فيهم التجارب المقدرة على الصمود بوجه الضغوط، وانضجتهم الآيات القرآنية التي كانت تنزل على مكث حيناً بعد حين - اصدر الله امره الى رسوله الكريم ﷺ ان

كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا، يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا " نهج البلاغة: ص 92 - 93.

١- اذ يقول ﷺ : " فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكُتُبَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُقْبِيًا جِرَانَهُ وَمُنْبُوئًا أَوْطَانَهُ " نهج البلاغة : ص 93.

٢- سورة الشعراء الاية 214 .

٣- ولم يستجب له في هذا الاجتماع الاول الامير المؤمنين ﷺ ، ينظر : ينظر : الطبري: تاريخ : 228/2-229، جامع البيان : 149/19 . ابن مردويه: المناقب: ص 290. ابن الاثير: الكامل : 62/2 - 63 . ابو الفداء: المختصر: 1/117 . ابن كثير: البداية والنهاية : 53/3 ، تفسير : 364/3، السيرة النبوية : 459/1 . المتقي الهندي: كنز العمال : 114/13. الحلبي: السيرة الحلبية: 461/1 .

٤- البيهقي : دلائل النبوة : 175/2 .

٥- لهذه المواجهة اسباب عديدة يمكن الوقوف على اهمها بمراجعة ما ورد في وحدة تأليف الكتب الدراسية: تاريخ الاسلام : 1 / 115 - 120 .

يتجاوز هذه المرحلة فيجهر بدعوته ، وكان هذا الجهد امراً لا بد منه لدعوة عالمية شاملة جاءت لكي تثبت وجودها المنظور في الارض العربية اولاً، وفي العالم المحيط بها ثانياً .

اذن فقد جاء الامر الالهي ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ * وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾^٢، " فَبَلَّغَ الرَّسَالَهَ صَادِعَاً بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَبَّةِ دَالَاً عَلَيْهَا " ^٣. وتقدّم إليهم بالإنذار من عذاب الله، ودعاهم لما ينجيهم وما فيه خيرهم ، " فَبَلَّغَ ﷺ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ " ^٤، ولكن لم يلاق من عتاة قومه سوى التكذيب والعداء السافر .

وكان لعمه أبي طالب دور بارز في مؤازرته في دعوته، فقد دعا بنو هاشم لحفظ رسول الله ﷺ والقيام دونه فاستجابوا له ما خلا ابا لهب^٥.

وقد اتخذت قريش وسائل شتى بغية ثني النبي الاعظم ﷺ وأصحابه عن نشر الدعوة الاسلامية، وبعد فشل مساومتهم المادية، واغراءاتهم بالملك والسلطة والاموال^٦، اتجهوا نحو اسلوب العنف والتعذيب والقسوة فتعرض النبي ﷺ لشتى انواع العذاب من الاستهزاء، والسخرية، والاتهامات الباطلة بالكذب والسحر والجنون والشعر والكهانة^٧. ويوثق لنا أمير المؤمنين عليه السلام بعضا مما لاقاه رسول الله ﷺ من التكذيب، اذ ذكر أنهم طلبوا من النبي ﷺ دعوة شجرة لتقف بين يديه، لما اتاه ملاً قريش: " فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيماً ، لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ " ^٨. ولما لبي لهم ما طلبوا ازدادوا عناداً واتهموه بالكذب والسحر وهذا ما اشار اليه عليه السلام بقوله: " فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلٌّ * (سَاحِرٌ كَذَّابٌ) * ، عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ " ^٩.

١- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 109 - 110.

٢- سورة الحجر الآيتان 94 - 95.

٣- نهج البلاغة : ص361.

٤- نهج البلاغة : ص178.

٥- ابن الأثير: الكامل: 1/ 662.

٦- ابن الأثير: الكامل: 1/ 662.

٧- ابن الأثير: الكامل: 1/ 667_ 673.

٨- نهج البلاغة : ص 406.

٩- نهج البلاغة : ص408.

وبلغ تمادي المشركين الى أن يلقوا العذرة والسلى على باب النبي ﷺ وظهره^١، ورمي جسده الطاهر الطاهر بالحجارة وادمأؤه، الى آخر ما فعلوه معه شخصياً، وهذا ما عبّر عنه امير المؤمنين ع^{عليه السلام} بقوله: " خَاصَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ الْأَذْنَونَ وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْنَتَهَا، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارِبَتِهِ بَطُونٌ رَوَّاحِلَهَا"^٢.

ناهيك عما تعرّض له أصحابه من التعذيب الجسدي حتى القتل^٣، لكن النبي الاعظم ﷺ واصل طريق دعوته المحفوف باقسي انواع الشدائد والمكاره فـ " دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنِ دِينِهِ، لَا يَتْنِيهِ عَنِ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالتَّمَّاسُ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ"^٤.

ولما أدرك ﷺ بعد عامين من الجهر بدعوته أن لا قدرة له على حماية المسلمين من العناء الذي يصيبهم من طغاة قريش ، بعد اشتداد العنف بأصحابه من المستضعفين، حثّهم ﷺ على الهجرة الى الحبشة ؛ ليعطيهم بذلك استراحة ليستعيدوا نشاطهم فيعودوا ثانية لمواصلة مسيرة الرسالة الاسلامية، أو يفتحوا جبهة جديدة للصراع مع قريش بعد أن جعلوا لهم مركزاً من خارج الجزيرة للضغط على مواقع قريش " وعسى الله أن يحدث - خلال ذلك - أمر كان مفعولاً إذ أخبرهم ﷺ: " أن في الحبشة ملكاً لا يُظلم عنده احد " فاستجاب المسلمون لذلك وهاجروا وقد أمر عليهم جعفر بن ابي طالب ع^{عليه السلام}.

وفشلت مساعي قريش في استرداد المسلمين بعد أن بعثوا الوفود محمّلة بالهدايا الى ملك الحبشة، إذ نجح جعفر بن ابي طالب في مهمته المنوطة به، وحقق لأصحابه المؤمنين داراً يؤمنون فيها على أرواحهم في دولة النجاشي بعد أن اقنعه بالحوار والحجج الدامغة^٥.

ولما ايقنت قريش ألا جدوى من محاولتها، إذ عاد وفدها خائباً، فقرّر زعمائها ان يضيّقوا على من عندهم من المسلمين بالمأكل والمشرب، وأن يحظروا كل انواع التعامل الاجتماعي معهم، لم يتخل ابو

١- ابن الأثير: الكامل : 667/1.

٢- نهج البلاغة : ص414.

٣- لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير: الكامل : 663 / 1 _ 667.

٤- نهج البلاغة : ص376.

٥- المجمع العالمي : اعلام الهداية: 1 / 100.

٦- ابن الاثير: الكامل: 676 _ 678، ولمزيد من الدراسة عن دور جعفر بن أبي طالب في الحبشة ينظر: محسن

مشكل: جعفر بن أبي طالب: ص 115- 147 .

طالب عليه السلام وبنو هاشم عن نصرته النبي الاعظم ﷺ ، فكتبوا صحيفتهم بالمقاطعة الشاملة في البيع والشراء والمخالطة والزواج، ووقعت الصحيفة من قبل اربعين زعيما من زعماء قريش^١.

الحصار في شعب ابي طالب :

يصور لنا أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الحصار في شعب ابي طالب قائلاً : " فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَا حَاصِنَا ، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ ، وَمَنْعُونَا الْعُدْبَ وَأَخْسُونَا الْخَوْفَ ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الدَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ ، مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلُوْ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحَلْفٍ يَمْنَعُهُ ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمْنٍ"^٢.

يكشف لنا الامام امير المؤمنين عليه السلام عن المحنة التي واجهت رسول الله ﷺ وبنو هاشم، إذ كان ﷺ معرضاً للقتل بعد اجماع القرشيين على ذلك، فنجد امير المؤمنين عليه السلام يشير الى ذلك قائلاً: " فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا " ، ويذكر الشراح^٣ حادثة تختص بهذه الاشارة منه عليه السلام ، إذ روي " ان الملائكة من قريش اجتمعوا في الحجر ، وتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لو قد رأينا محمدا قمنا اليه قيام رجل واحد، فلا نفارقه حتى نقتله. قال: فأقبلت فاطمة عليها السلام حتى دخلت عليه ﷺ فأخبرته بقولهم، وقالت له: لو قد رأوك لقتلوك ، وليس منهم رجل الا وقد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنيتي ! أريني وضوءا ، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه غضوا ابصارهم ثم قالوا: هو ذا ، ثم لم يقم اليه منهم احد، فأقبل ﷺ حتى قام على رؤوسهم ، فاخذ قبضة من تراب ، فحصبهم بها ، وقالت: شأنت الوجوه ! فما أصاب رجلا منهم شيء منه إلا قتل يوم بدر كافرا"^٤.

ان هذه الحادثة ما هي الا نموذج ومثال لما تعرّض له النبي ﷺ لمحاولة القتل، والمعلوم أنه قد تعرّض لذلك عدة مرات، وإن اشارة الامام امير المؤمنين عليه السلام بقوله: " فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا " هي اشارة اجمالية ربما عنى بها كل تلك المحاولات التي رامت قتله ﷺ ، ومنها ما جرى في شعب ابي طالب،

١- ابن الأثير: الكامل: 682 / 1.

٢- نهج البلاغة: ص 502.

٣- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 4 / 430-431 . حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 17 / 302.

٤- ينظر: ابن حنبل: المسند : 1 / 303 . الحاكم: المستدرک : 1 / 163. الهيثمي: مجمع الزوائد: 8 / 228.

فقد كان ﷺ عرضة للقتل في كل ليلة، حتى روي " فلما اجمعت قريش على قتل رسول الله ﷺ وكتبوا الصحيفة القاطعة ، جمع ابو طالب بني هاشم ، وحلف لهم بالبيت والركن والمقام والمشاعر في الكعبة، لئن شاكت محمدا شوكة لاثنتين عليكم، او لاثين عليكم، وأدخله في "الشعب" وكان يحرسه بالليل والنهار قائما على رأسه بالسيف "¹.

ويروي أن ابا طالب ﷺ كان يعمد الى تغيير محل مبيت النبي ﷺ الى عدة أماكن في الليلة الواحدة، ويأمر ابنه امير المؤمنين ﷺ بالمبيت في فراشه ﷺ يفيديه بنفسه حفاظا على سلامته ﷺ.²
واما عن اشارة امير المؤمنين ﷺ إلى حادثة حصارهم في شعب ابي طالب فظاهر في قوله :
وَهُمُّوْا بِنَا اَلْهُمُوْمَ وَفَعَلُوْا بِنَا اَلْاَفَاعِيْلَ، وَمَنْعُوْنَا الْعَذْبَ وَأَحْلَسُوْنَا اَلْخَوْفَ، وَاضْطَرُّوْنَا اِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ،
وَأَوْقَدُوْنَا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ " فقد هموا بايقاع الشرور بهم ، ومنعوه طيب العيش " فضاقت الامر ببني هاشم، وعدموا القوت، الا ما كان يحمل اليهم سرا وخفية. وهو شيء قليل لا يمسك ارقامهم، واخافتهم قريش، فلم يكن يظهر منهم احد، ولا يدخل اليهم احد، وذلك اشد ما لقي رسول الله ﷺ واهل بيته بمكة"³.

وعن قوله ﷺ " واضْطَرُّوْنَا اِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ " فقد يجمل على معنيين:

الاول: كان مثلاً ضربه ﷺ لخشونة مقامهم، وشطف منزلهم ، أي كانت حالهم فيه كحال من اضطر الى ركوب جبل وعر.

الثاني: يجوز أن يكون حقيقة لا مثلاً، لان الشعب الذي حصروهم فيه مضيق بين جبلين⁴.

هنا سؤال جدير بالطرح : هل المشركون هم من اختار الشعب مكانا لحصار بني هاشم؟

في الواقع ان اختيار الشعب تم بارادة الداخلين فيه ، ولم يكونوا مرغمين على ذلك. ونحن أمام رأيين هما في من اختار المكان من بني هاشم:

١- القمي: تفسير القمي : 1/ 380 . ابن شهر آشوب: المناقب: 57/1.

٢- لمزيد من التفاصيل ينظر : المحمداوي : ابو طالب : ص 295-296

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 14 / 59.

٤- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 14/48. المجلسي: البحار : 33/115.

الأول: النبي محمد ﷺ: إن النبي ﷺ هو من اختار مكان الشعب، بعد عزم المشركين على قتله ﷺ، فأشار على عمه ابي طالب ﷺ في دخول الشعب فوافق على ذلك^٢. وما يؤيد ذلك قول امير المؤمنين ﷺ، وهو يحاج احد اليهود في دخول نبي الله يوسف ﷺ السجن قائلاً: "لئن كان يوسف ﷺ حبس في السجن فقد حبس نبي الله ﷺ نفسه في الشعب ثلاث سنين..."^٣.

الثاني: أبو طالب: جاء في رواية " ... فلما بلغ ذلك ابا طالب جمع هاشماً ودخل الشعب ... فحلف لهم بالكعبة ... والحرم والركن والمقام لئن شأكت محمد ﷺ شوكة لاتين عليكم يا بني هاشم وحسن الشعب ... "^٤. ويظهر نسبة الرأي لأبي طالب لأنه كان كبير بني هاشم والقائم بأمرهم، وهو كبير المحاصرين.

وفي هذه المرحلة العصبية برز دور ابي طالب ﷺ في اروع المواقف الايمانية الصلبة التي كانت ذات اثر فعال في اجتياز المحنة وتثبيت أركان الدعوة الاسلامية.

ولعل اشارة الامام امير المؤمنين ﷺ السابقة: " ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الدَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ " ، ينطبق على موقف ابيه وموقفه هو ﷺ في تلك المحنة - اذ فدى النبي ﷺ بنفسه في مبيته في تلك الليالي في محل مبيت النبي ﷺ معرض نفسه للقتل في اية لحظة، كما أشرنا إلى ذلك سابقا ، وفي هذا الموقف الفدائي منه وما عداه من مواقف على طول الخط الرسالي الى جانب النبي ﷺ تتجسد معاني من مقولته الشهيرة : " أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا، حَتَّى تَوَلَّتُ بِحَدَائِيرِهَا مَا عَجَزْتُ وَلَا جَبُنْتُ "^٦.

١- المحمداوي: ابو طالب: ص 294.

٢- المفيد: الفصول المختارة : ص 58.

٣- الطبرسي: الاحتجاج: 1 / 215.

٤- القمي: تفسير القمي: 1 / 380 . ابن شهر آشوب: المناقب: 1/57.

٥- لمزيد من التفاصيل ينظر : المحمداوي : ابو طالب ﷺ : ص 293-303.

٦- نهج البلاغة : ص 70 _ 71.

وفي قول آخر يقول عليه السلام: " وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ ، الَّتِي تَنَكُّصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَفْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا " ١. وما موقفه الا صورة مجسدة لشجاعته النادرة في دفاعه عن حياض الاسلام وشخص النبي الاعظم عليه السلام.

وقد اشار الامام امير المؤمنين عليه السلام إلى أن موقف بني هاشم كان متميزا في دفاعهم عن النبي عليه السلام مؤمنهم وكافرهم، اذ يقول مبينا دافع كل منهم في موقفه الدفاعية عن النبي عليه السلام: " مؤمننا يبغي بذلك الاجر، وكافرنا يحامي عن الاصل ". وفي هذا دلالة على ان بني هاشم الذين حصرنا في شعب ابي طالب كانوا صنفين: مؤمنين وكافرين ، وقد اختلف الشراح في بيان شخوص كل صنف ٢. فاما الصنف الاول وهم الذين آمنوا بالنبي عليه السلام حق الايمان، فانما هم يطلبون الاجر من الله في الصبر على تلك المحنة ومواساة النبي الاعظم عليه السلام والدفاع عنه . واما عن دافع الصنف الثاني وهم الذين بقوا كافرين على دين قومهم، ولكنهم يذوبون عن رسول الله عليه السلام ويحامون عنه ويدافعون عنه لا من حيث العقيدة، بل من حيث الحمية للنسب الواحد والاصل المشترك.

ومن الطريف ما ورد في احدى الروايات حول موقف لأعدى اعداء النبي عليه السلام وهو ابو لهب الذي لم ينضم الى بني هاشم في هذا الطرف بل ظاهر عليهم، ولكن في موقف نجده يحامي عن اصله، اذ روى ابن اسحاق قائلا: " فلم يُؤثر عن ابي لهب خير قط، الا ما يروى أن ابا سلمة بن عبد الاسد المخزومي ٣، لما وثب عليه قومه ليعذبه، ويفتوه عن الاسلام هرب منهم، فاستجار بابي طالب، وام ابي طالب مخزومية وهي ام عبد الله والد رسول الله عليه السلام فأجاره، فمشى اليه رجال من بني مخزوم، وقالوا له: يا ابا طالب! هبك منعت منا ابن أخيك، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا، قال: أنه استجار بي وهو ابن اختي وان انا لم امنع ابن اختي لم امنع ابن اخي، فارتفعت اصواتهم واصواته ، فقام ابو لهب ، ولم ينصر ابا طالب قبلها ولا بعدها ، فقال: يا معشر قريش! والله لقد اكثرتم على هذا الشيخ ، لا تزالون تتوثبون عليه في جواره من بين قومه! اما والله لتنتهن عنده او لنقومن معه، فيما قام فيه حتى يبلغ ما اراد. فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا ابا عتبة ، فقاموا فانصرفوا ، وكان وليا لهم ومعينا على رسول الله

١- نهج البلاغة : ص422.

٢- ينظر: ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 4 / 432 . حبيب الله الخوني : منهاج البراعة : 17 / 305-316.

٣- هو عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، وأمة برة بنت عبد المطلب، اسلم بعد عشرة من المسلمين، وتزوج أم سلمة وهاجر بها إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ومات بعد بدر أو احد. ابن عبد البر: الاستيعاب 2 / 338، ابن حجر: الإصابة : 2/335.

وابي طالب، فانقوه وخافوا ان تحمله الحمية على الاسلام، فطمع فيه ابو طالب حيث سمعه قال ما قال،
وامل ان يقوم معه في نصره رسول الله ﷺ فقال يحرضه على ذلك:

وإن امرأ ابو عُتَيْبَةَ عَمُّهُ لفي معزلٍ من ان يُسامِ المظالما
ولا تقبلنَّ الدهر ما عشتَ خَطَّةً تُسبِّ بها اما هبّطتِ المواسما
أقول له واين منه نصيحتي ابا عُتَيْبَةَ ثَبِتْ سوادك قائماً^١

وفي معرض التمييز لموقف اهل بيت النبي ﷺ عن سواهم في تلك الفترة القاسية يقول امير المؤمنين عليه السلام: " ومن اسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه، او عشيرة تقوم دونه، فهو من القتل بمكان آمن ". فتفريقه بين الصنفان قائم على أن بعضهم كانوا على حلف وعهد من الكفار، فمن أجل ذلك كانوا آمنين، وبعضهم الآخر لم يكن لهم العهد لكنهم كانوا ذوي عشيرة تقوم دونهم وتمنعهم الاعداء، فالمراد ان البلية انما كانت متوجهة اليه عليه السلام والى سائر بني هاشم وبني المطلب لم يكونوا على عهد، ولم يكن لهم من يقوم دونهم، وبذلك يعلم فضيلتهم في حماية رسول الله وذبّه عن كيد الاعداء^٢ .

ثم إن الله تعالى سلط على صحيفتهم التي كتبها الارضة ، فلم تدع الا
(باسمك الله فاغفر) ، فاخبر الله عز وجل بذلك رسوله ﷺ ، فاخبر رسول الله ﷺ عمه ابا طالب عليه السلام ، فخرج ابو طالب في جماعة من رهطه ، حتى وقف على قريش وطالبهم باخراج الصحيفة، واراهاهم صنيع الله بها وصدق رسوله ﷺ فبهتوا وخابوا واخزاهم الله سبحانه وتعالى^٣ .

وفي السنة العاشرة من البعثة خرج النبي ﷺ وبنو هاشم من الحصار، وهم اصلب عودا، واغنى تجربة ، واكثر قدرة على التحرك صوب الهدف الذي آلوا على انفسهم أن لا يتخلوا عنه رغم كل الصعاب، وكان من اثر الحصار، أن اشتهر ذكر الاسلام والمسلمين وانتشر في كل ارجاء الجزيرة

١- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 56/14-57.

٢- حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 17 / 316 .

٣- ابن الأثير: الكامل: 1 / 684.

العربية، وكانت امام رسول الله ﷺ مهام صعبة منها ، الانفتاح بصورة اوسع خارج نطاق مكة ، ومحاولة ايجاد اكثر من مكان آمن تتحرك من خلاله الرسالة الاسلامية¹ .

اذن استتبع اعلان الدعوة العام المواجهة من قبل رموز الجاهلية الذين عبر عنهم ﷺ بـ " المأ " ، وكانت قريش² ببطونها هي المخاطب الاول لدعوة النبي ﷺ ، وكانت استجابتها - وهي في الموقع الاجتماعي والسياسي المرموق عند عرب الجزيرة - تشكل منعطفا كبيرا في تقدم الرسالة، كما كان احجامها وتكؤها يشكل عقبة كؤود امام حركة الرسالة وتطورها³ وتمخضت دعوتهم الى الايمان بالدعوة عن مرحلتين من المواجهة:

اولا: المواجهة السلمية او الحرب النفسية : المتمثلة بالتعجب والتشكيك وطلب المعجزة والسخرية

واتهامه ﷺ بالكذب والسحر كما مر بنا.

ثانيا: التهديد بشتى اشكاله الذي كان تعبيراً عن اخر السهام التي اطلقها المأ القرشي لضرب النبي ﷺ ودعوته للانتقال من المواجهة السلمية الى المواجهة الساخنة، التي بدأت بآي ذاء وتعذيب المسلمين، ثم انتهت بقرار التصفية الشاملة والسريعة المتمثلة في قتل القيادة وانهاؤها وجودها وتحركها بشكل تام⁴ . وهذا ما اشار اليه ﷺ بقوله : " فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَا حَ أَصْلِنَا"⁵ .

كانت ردود فعل النبي ﷺ في كل مرحلة من مراحل المواجهة تتناسب مع اهدافه العليا ومثله وقيم الرسالة التي يريد ارساءها في وجدان ذلك المجتمع، فكان البلاغ المبين والصبر والمقاومة هو الشعار الاول، والهجر الجميل الذي تمثل بالامر بالهجرة حلا للضرورة كما كان استمرار المقاومة والدعوة هو الشعار الثاني، وقد خرج النبي ﷺ من المقاطعة الشاملة منتصرا ظافرا بالحماية الالهية، واستمر يبحث

١- المجمع العالمي : اعلام الهداية:1/103.

٢- كان موقف قريش تجاه دعوة النبي ﷺ اتجاها مضادا ومناهضا لدعوته ظنا منهم ان الملك سوف يؤول الى آل عبد المطلب ، ومن ثم ينصاعون تحت زعامته ، وهو ﷺ من ولد عبد المطلب ، وهذا ما اتضح من مقولة ابي سفيان بن حرب للعباس بن عبد المطلب عند فتح مكة : " يا ابا الفضل ، لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما " . القرشي : آل عبد المطلب : ص 108 .

٣- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 111 .

٤- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 112 .

٥- نهج البلاغة : ص 502 .

عن القلوب الواعية حتى امره الله بالهجرة الشاملة ليعد العدة اللازمة لصد العدوان القرشي الذي اخذته العزة بالاثم، وراح يخطط لاطفاء نور الله في الارض ، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون^١.

ولكن فجع النبي ﷺ ورسالاته الغراء بمضة شديدة اثر فقد حاميتها وسندها القوي المنيع ابو طالب ﷺ ، وكذلك وفاة السيدة خديجة ؓ ثاني سندي الرسول الاعظم ﷺ ولشدة اثر فقدهما على النبي ﷺ روي أنه سمى ذلك العام بـ "عام الحزن"^٢ ، وقد صرح ﷺ قائلاً: " ما زالت قريش كاعة عني حتى مات ابو طالب"^٣ ، بل جاء الامر الالهي بوجوب الخروج من مكة ، والبحث عن مأوى آمن بعد غياب ابي طالب^٤.

ثالثاً : مرحلة الهجرة وبناء الدولة

تعد الهجرة ظاهرة من الظواهر ذات العلاقة بالرسالات الإلهية ، وبالتحولات الكبيرة في هذه الرسالات ، ليس باعتبارها راحة، أو تحولا إلى مكان أفضل للاستقرار، والعيش الهني المطمئن ، بل هي من ظواهر المعاناة والابتلاء الذي خص الله سبحانه به من اجتباه لمثل هكذا مهمات وادوار^٥.

إن ما يبدو من تاريخ الرسالات الإلهية أن الهجرة كانت ظاهرة مهمة لازمت أنبياء كثر، ولا سيما أولوا العزم منهم ، إذ كانت ذات اثر فعال في تطور البشرية ، وقد مثلت منعطفا مهماً جدا في تاريخ الإسلام تحديدا ، فقد أقامت مجتمعاً ودولة إسلامية . وهذا يعد من خصائص الرسالة الإسلامية التي تميزت بها عن جميع الرسالات الإلهية ، وهو أحد المؤشرات على تكامل هذه الرسالة، إذ إن كل الرسالات السابقة التي جاء بها الأنبياء كان لها دور في تطوير حركة التوحيد، والوصول إلى مستويات كبيرة ومهمة في ترسيخ دعائمه في تاريخ البشرية ، إلا أنها لم توفق إلى إقامة دولة في ظل صاحب الرسالة كما هو حال الرسالة الإسلامية ، التي رسخت دعائم الوحدانية بين الناس ، وتمكنت من إقامة

١- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 112

٢- الزمخشري: ربيع الأبرار: 62/1. الطبرسي: إعلام الوري: 53/1. المقرئبي: إمتاع الأسماع: 45/1 .

٣- ابن معين: تاريخ : 38 / 1 ، الحاكم: المستدرک: 622/2، ابن عساکر: تاريخ دمشق: 339/66.

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 29/1.

٥- الحكيم: الرسول الأعظم ﷺ : ص 174.

مجتمع إسلامي ودولة إسلامية ، استمرت فترة طويلة وكان العنوان العام للحكم فيها هو حكم الله رغم كثرة الانحرافات في مسيرتها إلا أنها حافظت على الإطار العام للإسلام^١.

لقد اضطر النبي ﷺ إلى ترك موطنه والهجرة مرارا في تاريخ الدعوة الإسلامية ، فبعد أن ضيق المشركون عليه ﷺ والمسلمين أن الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ وأتباعه بالهجرة من مكة بعد أن ضاق الحال بهم ، إذ أودوا في سبيل الله، ونشر دعوته ، وأصبح لا بد لهؤلاء المعذبين من الفرار بدينهم ، واللجوء إلى مكان آمن يخلصهم من سطوة عتاة قريش ، ولما رأى النبي ﷺ إن دعوته تتعرض لضغوط قوية تمنع من انتشارها ، ومن دخول الآخرين فيها ، فكان لا بد من تحرك جديد، يعطي للدعوة دفعة جديدة، ويجعلها أكثر حيوية وأكثر قدرة على مواجهة الأخطار المحتملة^٢.

هنا كانت الهجرة هي المخرج الوحيد الذي يكفل لهذه الدعوة أن تتنفس الصعداء بعيدا عن مضايقات المشركين ، فكانت الهجرة إلى الحبشة ، إذ هاجر جماعة من المسلمين الأوائل إلى خارج الجزيرة العربية ، وتمكنوا من إيجاد حصن آمن لهم قبالة ضغوط أعدائهم ، ثم كانت هجرة النبي ﷺ والمسلمين إلى المدينة المنورة التي كانت ذات أثر فعال في نشر الدعوة الإسلامية، وتثبيت أركان الدولة الإسلامية.

لا نجد في نهج البلاغة تفاصيل عن هجرته ﷺ إلا فيما يخص الإشارة الواردة عن هجرته ﷺ إلى المدينة والتحاقه بالنبي الأعظم ﷺ بعدما تخلف عنه في مكة بأمر منه ﷺ ل (بييت على فراشه، يخادع المشركين عنه ليروا انه لم يبرح فلا يطلبوه ، حتى تبعد المسافة بينهم وبينه، وان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي عنده للناس"^٣. إذ يقول ﷺ: " جَعَلْتُ أَنْبُعَ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَطَأُ نِكَرَهُ حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ " ، فهنا يحكي الإمام ﷺ ما جرى من حاله في خروجه من مكة إلى المدينة، وقوله : " جَعَلْتُ أَنْبُعَ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَطَأُ نِكَرَهُ حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ"^٤.

١- الحكيم: الرسول الأعظم ﷺ: ص 171 - 172.

٢- العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ: 3 / 265 .

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 13 / 304.

٤- نهج البلاغة: ص 486-487 .

٥- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 3 / 381.

ولو تتبعنا معه ﷺ ذلك الطريق - كما ذكرته مصادر السيرة - لوقفنا على تلك المنازل والمحال التي سار فيها رسول الله ﷺ ومن بعده أمير المؤمنين ﷺ والذي أبى إلا أن يستتبع النبي الأعظم ﷺ في كل خطوة من خطواته الشريفة، كيف لا وهو القائل: " وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمَّهِ " ^١ وقد كان لهذا القول أبعاد أخرى أكثر عمقا وقفنا عليها سابقا

جاء في الروايات: " فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط ^٢ ، سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ^٣ ، ثم سلك بهما على أسفل أمج ^٤ ، ثم استجاز

بهما ، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قديدا ^٥ ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخرار ^٦ ، ثم سلك بهما ثنية المرة ^١ ، ثم سلك بهما لققا ^٢ ، ويقال لفتا ^٣ ، ثم أجاز بهما

١- نهج البلاغة: ص406.

٢- هو عبد الله بن أريقط وقيل ابن أرقط الليثي أو الديلي، الشخص الذي استأجره النبي ﷺ كدليل في هجرته الى المدينة، وقيل بعد ذلك أعاده النبي ﷺ إلى مكة لنقل من بقي من أهل بيته والمستضعفين، مع أنه كان كافرا ، ولم تشر المصادر هل أسلم فيما بعد، وهل شارك في حروب المشركين ضد النبي ﷺ ، ومتى مات؟. ينظر: ابن سعد: الطبقات: 1/229، 3/173، 8/62. الطبراني: المعجم الكبير: 23/25. ابن عبد البر: الاستيعاب: 4/1937. ابن قدامة: المغني: 6/39، ابن حجر: الإصابة: 4/5 ، فتح الباري: 7/186. العيني: عمدة القاري: 12/81.

٣- عسفان: لغة من عسفت المفازة ، أي قطعنها بلا هداية ولا قصد، بين مكة والمدينة، وعلى مرحلتين من مكة، وسميت عسفان لتعسف السبل فيها، وهي أحد مناهل الطريق بين مكة والجحفة. الحموي: معجم البلدان: 4/121. الحميري: الروض المعطار: ص421.

٤- أمج: الأماج في اللغة يعني: العطش، يقال: صيف أمج، أي شديد الحر، وقد ورد ذكرها في الشعر العربي. وهي بلد من أعراض المدينة المنورة، وغدت قرية جامعة كثيرة المزارع والنخيل. ينظر: الجوهري: الصحاح 1/298. البكري: معجم ما استعجم: 1/190. الحموي: معجم البلدان: 1/250. ابن منظور: لسان العرب: 2/208. الحميري: الروض المعطار: ص30.

٥- موضع قرب مكة، وهي تصغير قد، وهو مأخوذ من قولهم قددت الجلد، أو هو بالكسر، وهو جلد السخلة، ينسب إليها بعض أهل العلم. ينظر: الحموي: معجم البلدان: 4/313. ابن الأثير: اللباب: 3/20. السيوطي: لب اللباب: ص204.

٦- الخرار: من خرير الماء، أي صوته، وادي في الحجاز، فيه ماء لبني زهير وبدر أبني ضمرة، البكري: معجم ما استعجم: 2/492. ابن منظور: لسان العرب: 4/234. الزبيدي: تاج العروس: 6/337.

مدلجة لقف^٤ ، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج^٥ ، ويقال مجاج^٦ ، ثم سلك بهما مرجح مجاج^٧ ، ثم

تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين^٨ ، ويقال العضوين ، ثم بطن ذي كشر^٩ ، ثم أخذ بهما على الجادج^{١٠} ، ثم على الاجرد^{١١} ، ثم سلك بهما ذا سلم^{١٢} من بطن اعداء مدلجة تعهن^{١٣} ،

١- ثنية المرة: بفتح الميم، وتخفيف الراء، كأنه تخفيف المرأة من النساء، وهي إحدى المحطات التي مر بها النبي ﷺ في طريقه إلى المدينة، وهي إلى مكة أقرب. الحموي: معجم البلدان : 85/2. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية : 367/9 .

٢- لققا: بفتح اللام أو كسرهما، من لقف لققا، أي تناول الشيء بسرعة، موضع ما بين مكة والمدينة، مر به النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة، وقد وردت الإشارة إليها في الشعر العربي. البكري: معجم ما أستعجم : 1161/4. ابن سيده: المخصص : 63/1/4. السهيلي: الروض الآنف : 244/2. الحموي: معجم البلدان: 85/2.

٣- لفتا: الكلام يرسل على عواهنه، أو صرفه صرفا، أو هي التي عن الجهة، أي الالتفات، وهي ثنية بين مكة والمدينة، ويرى البكري أنهما لققا ولفتا موضعان متقاربان. البكري: معجم ما أستعجم: 1161/4. الزمخشري: الفائق : 207/3. السهيلي: الروض الآنف : 244/2. الحموي: معجم البلدان : 20/5 . ابن منظور: لسان العرب: 84 /2 . الفيومي: المصباح المنير: 555/2 .

٤- مدلجة لقف: أحد المواضع التي مر بها النبي ﷺ في طريقه إلى المدينة. ينظر: الحموي: معجم البلدان : 55/5 . النويري: نهاية الإرب : 238/16. الذهبي: تاريخ الإسلام : 323/1 .

٥- مجاج: هو وادي بين مكة والمدينة ، قريب من الجحفة، فيه ماء لبني عبدالله بن الزبير أعطاه لأخيه عروة بن الزبير. البكري: معجم ما أستعجم: 1161/4. ابن الأثير: النهاية : 21/2.

٦- مجاج: موضع من نواحي مكة، مر به النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة ، وقد رجح السهيلي والحموي أنها مجاج بالحاء وليس مجاج بالجيم. السهيلي: الروض الآنف: 244/2. الإدريسي: نزهة المشتاق: 142/1. الحموي: معجم البلدان: 55/5.

٧- مرجح مجاج: لم تذكر في المصادر إلا في نص ابن هشام وغيره الذي يشير إليها كأحد المواضع التي نزلها النبي ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة. ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: 340/2 . ابن سعد: الطبقات : 232/1 . ابن كثير: السيرة النبوية: 255/2.

٨- ذو الغضوين: بفتح الغين، والضاد، وهي تثنية الغضا، ويقال: العصوين: بالعين والصاد، موضع بين الحجاز والشام، مر به النبي ﷺ أثناء هجرته إلى المدينة، وقد وردت الإشارة إليه في الشعر العربي. ينظر: الحموي: معجم البلدان : 206/4.

٩- جبل بين مكة والمدينة، وهو أحد المواضع الذي مر به النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة. الحموي: معجم البلدان : 462/4. وينظر: الطبري: تاريخ : 389/2 .

، ثم على العباييد^٦، ويقال العباييب^٧، ويقال العيثانة، يريد: العباييب، ثم أجاز بهما الفاجعة، ويقال: القاحة^٨، ثم هبط بهما العرج، ثم خرج بهما دليلهما من العرج، فسلك بهما ثنية العائر^٩، عن يمين

ركوبه، حتى هبط بطن رئم^{١٠}، ثم قدم بهما قباء^{١١}، على بني عمرو بن عوف^{١٢}.

- ١- الجدادج: لعلها جمع جدج، وهي آبار مر بها النبي ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة، ويقال بئر جد، أي قديمة، السهيلي: الروض الآنف: 244/2.
- ٢- الاجرد: الموضع الذي لا نبات فيه، وهو اسم جبل بين مكة والمدينة. البكري: معجم ما استعجم: 112 / 1 . الحموي: معجم البلدان: 101/1-102.
- ٣- وادي ينحدر على الذنائب، وسوق الذنائب: قرية دون زبيد من أرض اليمن، وبه قبر كليب وائل. ينظر: البكري: معجم ما استعجم: 749 / 3 . الحموي: معجم البلدان: 8/3 .
- ٤- بطن أعدا: البطن: الغامض من الأرض، وجمعه: بطنان، مثل: عبد وعبدان، موضع بين مكة والمدينة مر به النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة، الحموي: معجم البلدان: 448/1.
- ٥- تعهن: بفتح التاء أو كسرهما أو ضمهما، عين ماء، على ثلاثة أميال من السقيا، بين مكة والمدينة، وفيها امرأة يقال لها أم عقي، عندها عين ماء، استسقاها النبي ﷺ فلم تسقه، قيل فتحولت العين إلى صخرة. ينظر: السهيلي: الروض الآنف: 244/2، الحموي: معجم البلدان: 35/2 .
- ٦- العباييد: جمع عباد، أحد المواضع التي مر بها النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة، السهيلي: الروض الآنف 245/2. الحموي: معجم البلدان: 73/4.
- ٧- العباييب: جمع عباب من عبيت الماء عبا، فكأنه مياه تعب عبابا، وهو أحد المواضع التي مر بها النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة. السهيلي: الروض الآنف: 245 / 2. الحموي: معجم البلدان: 73/4.
- ٨- اختلف بها بين القاحة (بالقاف والحاء) أو الفاجه (بالفاء والجيم)، وهي على ثلاث مراحل من المدينة، وقيل هي جبل، بين الحفة وقديد، وقيل فيها بئران عذبتان، مر بها النبي ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة. الحموي: معجم البلدان: 290/4.
- ٩- ثنية العائر: العائر يقال هو الرمد، وقيل هو المتردد، وقيل العائر: سهم عائر: هو الذي لا يعرف من رماه؟ واختلف هل هو جبل في المدينة أو لا؟ الحموي: معجم البلدان: 73/4.
- ١٠- رئم: لغة مفردة آرام، وهي الضباء البيض، هو وادي لمزينة قرب المدينة المنورة على بعد ثلاثة أميال عنها، الفراهيدي: العين 295/8. الحموي: معجم البلدان: 114/3 .
- ١١- قبا أو قباء: قرية على ميلين من مكة على يسار القاصد إلى مكة، فيها مسجد التقوى الذي بناه المهاجرون الأولون والانتصار وكانوا يصلون فيه إلى بيت المقدس حتى هاجر النبي صلى فيه النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة. وينسب إليها عدد من طلبة العلم. الحموي: معجم البلدان 302/4. ابن الأثير: اللباب: 3 / 12.

وفي رواية عنه عليه السلام: " لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس ، وإنما كان يسمى الأمين، فأقمت ثلاثا وكنت اظهر، ما تغيبت يوما واحدا، ثم خرجت فجعلت اتبع طريق رسول الله ﷺ حتى قدمت بني عمرو بن عوف ورسول الله ﷺ مقيم، فنزلت على كلثوم بن الهدم^٢ وهناك منزل رسول الله ﷺ^٣. وعن قوله عليه السلام: " فأطأ ذكره " قال الشريف الرضي: " من الكلام الذي رمى به إلى غايتي الإيجاز والفصاحة، أراد إني كنت أعطي خبره من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع فكفى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة^٤ ".

أما ابن ميثم^٥ فيرى أن أمير المؤمنين عليه السلام " استعار وصف (الوطيء) لوقوع ذهنه على ذكره ﷺ وخبره من الناس في تلك الطريق كوقوع القدم على الأرض ، ووجه المشابهة إن الخبر عنه ﷺ وذكره طريق حركات قدم عقله إلى معرفة حسه ﷺ كما أن المحسوس طريق لحركات قدمه إلى الوصول إليه ، وقيل: أراد بذكره ما ذكره لي ووصفه من حال الطريق، والأول أسبق إلى الفهم ".

في حين قال ابن منظور في معناه: " أراد: إني كنت أعطي خبره من أول خروجي إلى إن بلغت العرج... فكفى عن التغطية والإيهام بالوطء، الذي هو ابلغ في الإخفاء والستر^٦ ".

ويستوقفنا هنا إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى موضع " العرج " الذي انتهى إليه في مسيره بأثر رسول الله ﷺ: فلماذا خص أمير المؤمنين عليه السلام هذا الموضع (العرج) بالذكر؟ فكما ظهر لنا إن هذا

١- ابن هشام: السيرة النبوية : 103/2-104. ابن بريال: تاريخ ابن بريال: 401/1-404، الذهبي: تاريخ الإسلام: 1 / 322-323 .

٢- ابو قيس كلثوم بن الهدم بن أمرؤ القيس الأنصاري احد بني عمرو بن عوف، أسلم قبل هجرة النبي ﷺ، وكان شيخا كبيرا، اقام عنده النبي ﷺ أربعة أيام إبان هجرته إلى المدينة، يعرف بصاحب رحل رسول الله، ونزل عنده عدد من المهاجرين وهم في طريقهم إلى المدينة ، وهو أول الصحابة موتا، مات قبل بدر ببسير . ينظر: ابن سعد: الطبقات 3/623. ابن عبد البر: الاستيعاب : 1/42، 3/1327. الذهبي: سير أعلام النبلاء: 1/242.

٣- ابن سعد: الطبقات: 3 / 22. ابن عساكر : تاريخ دمشق: 42 / 69 . المتقي الهندي: كنز العمال: 16 / 685 .

٤- نهج البلاغة: ص 487.

٥- شرح نهج البلاغة: 4 / 381.

٦- لسان العرب: 1 / 196.

المكان لا يزال يبعد عن المدينة، أو عن موضع نزول رسول الله ﷺ في قباء وقد وردت الروايات انه ﷺ أبى دخول المدينة قبل وصول أمير المؤمنين ﷺ إليه، وبالفعل فقد دخلها معا^١.

ولكن لم أشار الإمام ﷺ إلى موضع " العرج " هل ثمة أمر قد حصل فيه استوجب منه هذا التوقف فيه ولو إن الشريف الرضي قد أتم لنا نقل ذلك الخبر بالتمام لاتضحت لنا أمور أخرى، إذ إن الشريف الرضي - وكما هو ظاهر - قد اقتطع هذا النص من حديث طويل ، كما أشار بقوله " في كلام طويل "، لأنه انتقى منه ما اشترطه في منهجه بانتخاب ما كان في قمة البلاغة فقط.

لقد كانت البيئة المكية غير صالحة لاقامة الدولة الاسلامية عليها ، فضلا عما لاقاه اتباع الدين الجديد من اضطهاد مرير من قبل عتاة مكة ، فكان على القيادة الحكيمة ان تبحث عن ارض صالحة لتحقيق هذه المهمة تتكفل تجسيد الرسالة الاسلامية في الحياة الانسانية ، وتقديم النموذج الذي يريده الله للاسلام على يد رسوله الامين ﷺ ، ومن هنا لاحظنا اهتمام النبي ﷺ بالهجرة الى الطائف ، وطلب النصرة والحماية لاقامة دين الله في الارض ، وحين احجمت الطائف عن تقديم النصرة لرسول الله ﷺ والدفاع عنه امام قريش ، اخذ يبحث عن بيئة اخرى فكانت يثرب خياره الوحيد في هذا المضمار .

وقد كانت " يثرب " بما توافر فيها من مقومات اقامة الدولة هي العاصمة الاسلامية للدولة المحمدية ، اذ اجتمعت فيها القاعدة الشعبية التي لمس منها النبي ﷺ قبولا لدعوته بعد البيعة^٢ ، وشكلت مع من هاجر اليها " شعباً " مؤمناً برسالته ﷺ ، فضلا عن وجود قيادة إلهية حكيمة تدير الامور وترعى عملية نشر الدعوة، الى جانب وجود دستور إلهي يحكم وفق أساسياته، وبهذا اجتمعت اهم عناصر تكوين الدولة من " شعب " و " سلطة " و " دستور " .

١- قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ﷺ: جُعِلْتُ فِدَاكَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِئْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَيْنَ فَارَقَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قُبَا فَتَنَزَلَ بِهِمْ يَنْتَظِرُ قُدُومَ عَلِيٍّ ﷺ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: انْهَضْ بِنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ فَرَحُوا بِقُدُومِكَ وَهُمْ يَسْتَرِيضُونَ إِيَّاكَ الْبَيْتَ فَاَنْطَلِقْ بِنَا وَلَا تَقُمْ هَاهُنَا تَنْتَظِرُ عَلِيًّا فَمَا أَظْنَهُ يَقْدَمُ عَلَيْكَ إِلَى شَهْرٍ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَلَّا مَا أَسْرَعَهُ! وَلَسْتُ أَرِيْمُ حَتَّى يَقْدَمَ ابْنُ عَمِّي وَأَخِي فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَحَبُّ أَهْلِ بَيْتِي إِلَيَّ فَقَدْ وَقَّانِي بِنَفْسِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: فَاَنْطَلِقْ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، وَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبَا يَنْتَظِرُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ. ينظر: الكليني: الكافي 340/8. ابن بريال: تاريخ ابن بريال : 1/ 404 . ابن سليمان الحلبي:

المحتضر :ص106. البحراني: حلية الأبرار : 1/159. المجلسي: مرآة العقول : 26/499.

٢- عن تفاصيل بيعة العقبة الاولى والثانية ينظر ابن هشام : السيرة النبوية : 2/57- 85 . العاملي : الصحيح من سيرة النبي الاعظم : 4/127- 147 .

اذن في المدينة قد تكاملت ملامح الخطوط العامة للدولة ، والنظام السياسي والاجتماعي ، وتكوّن اول مجتمع سياسي اسلامي ولاول مرة في التاريخ ، اذ قام ﷺ بعد دخوله المدينة بوضع اسس مقومات دولته وعمل على تنظيم ادارة الجهاز الحكومي وتطبيق النظريات المثالية وتنزيلها منزلة الواقع ، بأسلوب فريد اوحدي لم تعهده أي دولة .

كان ﷺ نبياً ومبلغاً عن الله تعالى ، كما كان حاكماً وقائداً محنكا يمارس رئاسة الدولة وقيادة الجيش ومسؤولية القضاء ، وادارة شؤون المسلمين في المجتمع الجديد الذي بُني على اسس فريدة ويمكن ايجاز ابرز سمات الدولة المحمدية:

- 1 تقرير العبودية لله وحده ، فلا يعبد سواه من آلهة البشر والمال والاصنام . ومن ثم صناعة النظام الاجتماعي المتعاون والمتكامل الفاضل .
- 2 اعطي النبي ﷺ كافة الصلاحيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وذلك لقوله تعالى ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾^١ وقوله ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾^٢ الى غيرها من الآيات القرآنية التي تنضوي تحت هذا المضمار الذي تحظر فيه الفواحش والمنكرات، ومجتمع الاخوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعدل اساس المجتمع ، ولا يكون التفاضل على اساس العصبية والجاه والمال بل على اساس التقوى ومن ابرز الخطوات التي انتهجها النبي ﷺ في بناء دولته الالهية ووفق ما وردت الاشارة اليه في مغان كلام الامام علي عليه السلام :

□ -التشريع:

يعد التشريع (السياسي والمالي والقضائي والاداري والمدني) من اهم مقومات الدولة والمجتمع الانساني المتحضر، وقرر القرآن للبشرية ان مجتمعهم مجتمع قانوني، وان ما انزله الله هو كتاب شامل ودائم ولم يترك شيئاً يحتاجه الامة الا بينة او ثبت اساسه، واحال على الرسول ﷺ ايضاحه وتفصيله^٣. يقول الامام امير المؤمنين عليه السلام : " وَعَمَرَ فِكُمْ نَبِيَّهِ اَزْمَانًا حَتَّى اَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ ، فِيمَا

١- سورة الاحزاب الاية 6 .

٢- سورة النساء الاية 59 .

٣- سالم الصفار : سيرة الرسول ﷺ في القيادة والمناهج الانسانية : ص27.

أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّةَ مَنْ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِ،
وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ " ١ .

قامت الدولة الاسلامية في المدينة على التشريعات القرآنية، فنزلت آيات العبادات والجهاد والعقوبات والخمس والزكاة والمواريث والعلاقات الاجتماعية كالزواج والطلاق والنفقة والعلاقة بغير المسلمين وشؤون المال والتجارة وغيرها من التشريعات التي لبت حاجة المجتمع الجديد في ظل حاكمية الله تعالى المتمثلة بشخص النبي ﷺ واغنت السنة النبوية التشريع الاجتماعي بالفعل والممارسة التطبيقية والاقدار، اضافة الى البيان اللفظي للاحكام والقوانين والاجتماعية اللازمة لتنظيم المجتمع، ولقد اصبحت تلك الاحكام والاسس مصدراً للفقهاء والاجتهاد في هذا المجال فيما بعد ٢ .

□ المُواخَاة:

في اشارة للامام امير المؤمنين ع عليه السلام عن دور النبي ﷺ في تأليف المجتمع وفق نظام الهي جديد يقول ع عليه السلام: " وَأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ " ٣ وفي موضع آخر قال ع عليه السلام : " دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ ، وَأَطْفَأَ بِهِ النَّوَائِرَ أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا ، أَعَزَّ بِهِ الذَّلَّةَ ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ " ٤ ، ويمكن ان يفهم من هذا النص في احد ابعاده التأخي الذي اقره الدين الاسلامي بين المسلمين بعد تلك الخلافات والحروب الدامية فيما بينهم. اذ كان له ﷺ الدور الريادي في تحكيم اواصر المسلمين في مجتمعهم الجديد وذلك من خلال المُواخَاة التي عقدها بين المسلمين التي الف فيها بين القلوب المتنافرة وأزال البغضاء ، لتتطلق الدولة على اسس وقواعد متينة ، وبناء اجتماعي راسخ متماسك يقوم على اساس التعاون والتأخي والحب والايثار ، وهذا ما اشار اليه الباري عز وجل في محكم كتابه اذ يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ ٥ .

□ بِنَاءُ الْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ:

- ١- نهج البلاغة : ص137.
- ٢- الصفار: سيرة الرسول ﷺ : ص 27 . وينظر: وحدة تأليف الكتب الدراسية: تاريخ الاسلام: 1 / 163 - 164 .
- ٣- نهج البلاغة : ص 483 .
- ٤- نهج البلاغة: ص178-179.
- ٥- سورة الحشر الاية 9 .

ومن اهم خطواته ﷺ في طريق بناء الدولة تكوين الجيش عملا بالاذن الالهي ﴿ اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾^١ وانطلاقا من قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾^٢، وانتصارا للدهوة الفنية التي بشر الله تعالى بانها ستكون ظاهرة على كل الشرائع ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^٣، خاض النبي ﷺ معارك ضد المشركين، وقد شارك ﷺ في قيادة جيش المسلمين، وكان قائدهم الذي لا يجارى في شجاعته^٤ وحنكته وسياسته العسكرية^٥ التي اذهلت العقول، وبفضل كل ذلك كان النصر حليف المسلمين في اغلب تلك المعارك.

ولم ترد الاشارة في نهج البلاغة الا في غزوة بدر^٦ واحد^٧ وسرية مؤتة^٨، وقد مر بنا بضعة صور من من جهاد المسلمين في المعارك التي خاضوها^٩.

١- سورة الحج الاية 39- 41 .

٢- سورة الانفال الاية 60 .

٣- سورة التوبة الاية 33 .

٤- ومثيل ذلك اشارة الامام عليه السلام بقوله : " كُنَّا إِذَا احْمَرَّ النَّبَأُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ " نهج البلاغة: ص 503.

٥- لمزيد من التفاصيل عن المنهج النبوي في الجانب العسكري ينظر: الصفار: سيرة النبي في القيادة: ص 49 - 82 . جابر: الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول ﷺ : (الصفحات جميعها) .

٦- وذلك في كتابه عليه السلام الى معاوية: " فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ - قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالَكَ شَدْحًا يَوْمَ بَدْرٍ " وايضا حول مقتل عبيدة بن الحارث : " فَقَتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ " .

٧- ذكر ذلك عليه السلام في محادثة له مع رسول الله ﷺ يظهر تشوقه عليه السلام للشهادة : " فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ، حَيْثُ اسْتَشْهَدَ مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحَبِزْتُ عَنِّي الشَّهَادَةَ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتَ لِي أَبَشِّرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ، فَقَالَ لِي إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرِكَ إِذَا، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبَشْرَى وَالشُّكْرِ " نهج البلاغة: ص 289. وايضا اشارته لمقتل الحمزة عليه السلام : " وَقَتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ " نهج البلاغة : ص 503.

ومن اشاراته القيمة ﷺ حول بعض معالم سيرته ﷺ الحربية:

- أ - اشار ﷺ انه كان اقرب المسلمين الى العدو وانه كان ملاذهم اذا احمر البأس واشتد الضراب. وان منهجه كان يقوم على تقديم اهل بيته ﷺ قبل غيرهم للجهاد ومبارزة الاعداء. وقد " جاهد في الله اعداءه غير واهن ولا معذر" وقد كان في جهاده النموذج الامثل الذي تخطى المقاييس والامثلة، اذ تقانى في مقارعة اعداء الله، و " وَقَاهَرَ اَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَنْ دِينِهِ، لَا يَنْثِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالتَّمَسُّ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ" لان الله أبى الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون.
- ب ان سيرته الحربية لم تبتن على التغلب والتسلط بل كانت لنجاة الانسان من الضلال: " فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنَاجِتِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ"^٣.
- ج مراعاته للجند وحرصه على تتبع ام ورهم ومعاملتهم بانسانية ملؤها الرحمة والشفقة " يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَيَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ، إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنَاجِتَهُمْ، وَيَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رِحَاهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ "^٤.

اساليب النبي ﷺ في دعوته

لقد كانت رسالة النبي محمد ﷺ رسالة تغييرية اجتماعية، فلا بد ان تتفد الى اعماق الفكر والنفس الانسانية وتستخرجها من ظلمات الوهم والجاهلية والعصبية الى نور العلم والمعرفة والايمان واليقين ، والى نور القيم الرفيعة السامية^٥. لذا في عدة مواضع من كلام الامام ﷺ نجده واصفا النبي ﷺ بصفات تعكس اثر وجوده الطيب المبارك الذي اصلح حال المجتمع ونقله تلك النقلة النوعية الفريدة، إذ يصفه قائلا: " أَضَاعَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةَ، وَالْجَهَالَةَ الْعَالِيَةَ وَالْجَفْوَةَ الْجَافِيَةَ "^٦

١- اذ اشار ﷺ الى مقتل جعفر ﷺ فيها: " وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُوتَهُ " نهج البلاغة : ص503.

٢ - ينظر الفصل الثاني: ص 169 - 170.

٣- نهج البلاغة : ص 198.

٤- نهج البلاغة : ص198.

٥- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 122 .

٦- نهج البلاغة : ص 275.

وفي موضع آخر نراه يقول : " حَتَّى أَوْرَى قَبْسًا لِقَابِسٍ ، وَأَنَارَ عِلْمًا لِحَابِسٍ " ^١ " سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ ، وَزُنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ " ^٢ الى غيرها من النصوص التي تناثرت في طيات هذا البحث.

وكان من الطبيعي ان تختلف منطلقات وأساليب وألوان المواجهة من قبله ﷺ تجاه قومه وسائر من شملته دعوته الى الايمان بنبوته، والتي يمكن تقسيمها الى محاور ثلاث:

المحور الاول: اسلوب النصح والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

يقول ﷺ : " فَبَالِغٌ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فِي النَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ " ^٣ . هذا النص يتضمن الاشارة الى منهجين من مناهج النبي ﷺ في دعوته:

الاول: المبالغة في النصيحة : النصح: تحري فعل او قول فيه صلاح صاحبه، ونصحت له الود، أي اخلصته. والنصح هو الخلوص من الغش، فهو يقابل الغش سواء كان في قول او عمل او أي امر آخر، واما الخلوص : فيلاحظ فيه التصفية عن الشوب، فهو انما يتحصل بعد التنقية والتصفية، ومن مصاديقه: في العمل: كالخدمة والتبليغ في الله بخلوص وصدق . وفي القول: كإبلاغ الاحكام وذكر الحقائق الالهية.

وقد تحدث القرآن الكريم عن مواقف الانبياء في مقام النصح لاقوامهم في آيات عدة ^٤ ، وكان من وظائفهم ابلاغ ما امروا به في مقام الرسالة، والعمل الناصح الخالص المؤدي الى السعادة . وهذه حقيقة قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ^٥.

١- نهج البلاغة : ص 197.

٢- نهج البلاغة : ص 176.

٣- نهج البلاغة : ص 178.

٤- حسن مصطفىوي : التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ص 137.

٥- منها قوله تعالى : ﴿ أَلْبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾ الاعراف 62 . وقوله ﴿ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ الاعراف 79 ، وقوله ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ هود 34 .

٦- سورة الجمعة الاية 3 .

وكلام امير المؤمنين عليه السلام عن دور النبي ﷺ في هذا المجال واضح في انه قد ادى ذلك على اتم وابلغ وجه ، بدليل قوله " فبالغ " في النصيحة أي اخلص تمام الاخلاص . وتجدر الاشارة الى ان من آداب النصيح اخذ المنصوح بالرفق ولين الكلام وعدم التقرير^١ . وهذا قد تحقق في منهج النبي ﷺ وطريقة تعامله بالرفقة والرحمة والمداراة لمن حوله حتى استجلب القلوب والعقول اليه ، بدلالة قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾^٢ وقد مر بنا الاشارة الى سجية من سجاياه ﷺ وهي " الرحمة " ^٣ التي من مصاديقها هذه الاساليب الرحيمة مع من حوله ﷺ .

الثاني: دعا الى الحكمة والموعظة الحسنة: امتتالا لأمر الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾^٤ . الحكمة هنا بمعنى العلم والمنطق والاستدلال ، فاول خطوة على طريق الدعوة الى الحق هي التمكن من الاستدلال وفق المنطق السليم ، او النفوذ الى داخل فكر الانسان ومحاولة تحريك وايقاظ عقولهم، كخطوة اولى في هذا الطريق^٥ .

وقيل في معنى الحكمة هنا وجوه عدة : القرآن ، وسمى القرآن حكمة لانه يتضمن الامر بالحسن والنهي عن القبيح ، واصل الحكمة المنع ، ومنه حكمة اللجام ، وانما قيل لها حكمة لانها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي ان يختار، وقيل: ان الحكمة هي المعرفة بمراتب الافعال في الحسن والقبح والصالح والفساد ، لانه بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الافعال والاقوال^٦ .

اذ كان من اهم اساليب النبي ﷺ المحاججة بالبراهين والادلة المنطقية والعقلية ، والى ذلك يشير أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: " أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحَجَجِ " ^٧ ، وقوله: " أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ

١- ابن ميثم : شرح مئة كلمة لامير المؤمنين عليه السلام : ص 150 .

٢- سورة آل عمران الآية 159 .

٣- ينظر الفصل الثالث : ص 287 - 289 .

٤- سورة النحل الآية 125 .

٥- ناصر مكارم الشيرازي : الامثل : 8 / 269 .

٦- الطبرسي : مجمع البيان : 6 / 210 - 211 . وينظر : حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 7 / 92 .

٧- نهج البلاغة : ص 361.

وَدَعْوَةٌ مُتَلَفِيَةٌ^١ التي توافرت في كتاب الله " القرآن الكريم " وهو الناطق الذي لا يعيا لسانه كما وصفه
عليه السلام^٢.

وبين عليه السلام انه من اهم ادوات النبي ﷺ في التغيير والاصلاح: " ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ وَالْبُرْهَانَ الْجَلِيَّ، وَالْمِنْهَاجَ الْبَادِي وَالْكِتَابَ الْهَادِيَ " ، وفي قول: " إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ " ويقول عليه السلام: " ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ".

كان القرآن الكريم بأسلوبه المنطقي ومنطقه الرائع وبلاغته الفائقة يجيب على التساؤلات ويقدم الحجج والبراهين للعقل الانساني ويبشر وينذر ويرسم للانسان آفاق المستقبل الذي ينتظره بعد هذه الحياة الدنيا^٣.
الدنيا^٤.

وقد كان الهدف الاول للنبي ﷺ هو البناء العقيدي على اساس متين ، وقد سعى لتحقيقه بشتى الطرق ، وقد افلح في ذلك حينما قرن حججه الدامغة بالحلم والصبر والجهاد المستمر في الدعوة مهما قست الظروف عليه عليه السلام^٥.

اما الخطوة الثانية فاستخدام اسلوب " الموعظة الحسنة " وهو نداء وحث روحاني يعلو بالانسان نحو الكمال ، ويدعوه الى ترك ما عليه من سوء وغفلة، وعدم الخروج عن الغاية والهدف من الخلق^٦. ولاهمية ولاهمية هذه الطريقة في الهداية، امر الله تعالى نبيه بان تكون دعوته مقترنة بالموعظة الحسنة، وذلك لما لها من اثر فعال ودقيق على تحريك وجدان وعاطفة الانسان. وان تقييد " الموعظة " بقيد " الحسنة " لعله اشارة الى ان النصيحة والموعظة انما تؤدي فعلها على الطرف المقابل اذا خليت من اية خشونة ، او استعلاء وتحقير التي تثير فيه حس العناد واللجاجة وما شابه ذلك^٧. فالدعوة بالحكمة تعني الدعوة

١- نهج البلاغة : ص302.

٢- اشارة الى قوله عليه السلام: " وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ " نهج البلاغة :ص250.

٣- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 122 .

٤- مكتبة الروضة الحيدرية : الموعظة في نهج البلاغة : ص 5 .

٥- الامثل : 8 / 269 - 270 .

بالبرهان والدعوة بالموعظة تعني الدعوة بالخطابة^١ و"الحكمة" تستثمر البعد العقلي للإنسان، و"الموعظة الحسنة" تتعامل مع البعد العاطفي له^٢.

المحور الثاني: استخدام القوة والمواجهة العسكرية.

لما أسس النبي ﷺ دولته المباركة على قاعدة إيمانية صلبة استخدم إلى جانب المنطق سلاح القوة دفاعاً عن كيانه الفتي، ومقابلة السلاح بالسلاح والقوة بالقوة بعد أن يئس من جدوى سائر الوسائل التي استخدمها في العهد المكي إذ تمادى المشركون في العناد واللجاج، فكانت القوة هي الأداة الوحيدة التي يفهمها العدو، حتى استطاع أن يرفع الحواجز المادية التي كانت تكبل كثيراً من العقول والنفوس وتمنعها من العود إلى فطرتها النقية واختيار طريق الإسلام النقي^٣. يقول ﷺ: "فَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ"^٤ "غَيْرَ تَأْكُلِ عَنْ قُدُمٍ وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ"^٥ و"فَبَلِّغْ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، غَيْرَ وَاہِنٍ وَلَا مُقَصِّرٍ، وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ، غَيْرَ وَاہِنٍ وَلَا مُعَدِّرٍ"^٦.

وقد كان ﷺ بأساليبه العسكرية الفذة قد أعطى النموذج القيادي الأمثل في استخدام القوة مع العدو.

١- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 2 / 530 .

٢- الامثل : 8 / 269 .

٣- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الإسلام : 1 / 123 .

٤- نهج البلاغة : ص 192 .

٥- نهج البلاغة ص 107 .

٦- نهج البلاغة : ص 225 - 226 .

الفصل الخامس

السنة النبوية في رؤية

أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الأول : مفهوم السنة النبوية ومكانها :

المبحث الثاني : السنة النبوية ومكانها في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الثالث : دور أمير المؤمنين عليه السلام في إحياء السنة النبوية .

الفصل الخامس

السنة النبوية في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الأول

مفهوم السنة النبوية ومكانتها

□ - معنى السنة ، لغة ، واصطلاحاً .

السنة لغة: مأخوذة من (سنّ) ، السين والنون أصل واحد مطرد ، وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة ، والأصل قولهم : سننت الماء على وجهي ، أسنّه سنّاً ، إذا أرسلته إرسالاً^١ . إن الذي يبدو من معاجم اللغة أن هناك شرحين لهذه المفردة يختلفان سعة وضيقاً:

الأول: تعني الطريقة ، دون تقييد هذه الطريقة كونها محمودة أو مذمومة أو نحوهما.

الثاني: خصوص الطريقة المحمودة المستقيمة^٢ .

يبدو إن إطلاق معنى السنة لغة وتجريده من قيد التحسين والذم هو الأصح ، وإن اقتران مفهوم الحسن بالسنة إنما جاء وليداً للثقافة الإسلامية في ثنائيتها التي قدمتها تحت عنوان: السنة والبدعة ، وإلا فتحرير المفردة من الثقل الإسلامي الذي حملته بعد البعثة النبوية يستدعي فهم السنة على أنها مطلق الطريقة^٣ .

أما السنة اصطلاحاً: هي ما شرعه رسول الله ﷺ قولاً، أو فعلاً ، أو تقريراً . وهي ما أمر به النبي ﷺ . أو نهى عنه ، أو ما ندب إليه ، والمندوب ينطق به الكتاب العزيز^٤ .

١- ابن فارس: المعجم : 3 / 60 .

٢- الزبيدي: تاج العروس : 9 / 244 . وينظر: الجوهري: الصحاح : 5 / 2138- 2139 . الفيروز آبادي: القاموس المحيط: 2 / 54 . سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي: ص184 .

٣- حيدر حب الله: حجية السنة: ص 27- 28 .

٤- ابن الأثير: النهاية: 2 / 409 . وينظر: سبحاني: موسوعة طبقات الفقهاء : 1/ 88 ، الحديث النبوي بين الرواية والدراية : ص 5 ، 9 .

أما مدلول السنة الاصطلاحي ، فلها تحديدات تضيق وتتنوع بحسب تعريف المصطلحين، فهي في عرف الفقهاء: الطريقة الشرعية . فتكون أعم من الواجب والمندوب، وقد تطلق كثيرا على الفروض^١ وتطلق أيضا على ما يقابل البدعة، و يراد بها كل حكم يستند إلى أصول الشريعة في مقابل البدعة ، وربما استعملها الكلاميون بهذا الاصطلاح^٢ . أما الأصوليون فقد اختلفوا في مدلولها سعة وضيقاً مع اتفاقهم على صدقها على (ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير)^٣ . ويضيف أهل الحديث (أو صفة)^٤ .

ويلحق بالسنة قول الصحابي^٥ و أئمة أهل البيت عليهم السلام^٦ .

□ -مكانة السنة النبوية

تعد السنة النبوية ثاني مصدر للتشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم ، وحجبتها من أكبر ضروريات الدين عند المسلمين^٧ . وقد جاءت الحاجة إلى السنة النبوية لأن الكتاب العزيز ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾^٨ ، كما أن القرآن ليس متكفلاً ببيان جميع الأحكام ، ولا بخصوصيات ما تكفل بيانه من العبادات كالصلاة والصوم والحج والزكاة فلم يتعرض لبيان الأجزاء والشرائط والموانع^٩ . ولذا قال سبحانه مخاطباً رسوله الكريم : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ وَالْمَوَانِعُ^٩ .

١- أبو حبيب: القاموس الفقهي: ص 184.

٢- محمد تقي الحكيم: الأصول العامة للفقهاء المقارن: ص 121.

٣- الطريحي: مجمع البحرين : 2 / 436. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد تقي الحكيم: السنة في الشريعة الإسلامية : ص 8 _ 20. الجواهري: بحوث في الفقه المعاصر: 13/1، قلعجي: معجم لغة الفقهاء: ص 177.

٤- الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية: ص 6. الباجي: التعديل والتجريح 14/1. عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: 57/1 - 556 . قلعجي: معجم لغة الفقهاء : ص 140 - 177. مركز المعجم الفقهي: المصطلحات : ص 957.

٥- الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية : ص 6، المناوي: فيض القدير : 171/1، ان نظرة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد سنجد أن هناك آلاف من الاحاديث تنتهي إلى الصحابة لذا تعد من السنة الملحقة بسنة النبي صلى الله عليه وآله. ولمزيد من التفاصيل عن سنة الصحابة ينظر: محمد تقي الحكيم: السنة في الشريعة الإسلامية : ص 21_ 29 .

٦- ينظر: المجلسي: ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار : 20/1. محمد تقي الحكيم: السنة في الشريعة الإسلامية : ص 29- 75. سنة أهل البيت عليهم السلام : ص 5. غفاري: دراسات في علم الدراية: ص 12.

٧- لمزيد من التفاصيل ينظر: . محمد تقي الحكيم: الأصول العامة: ص 199 - 251. حب الله: حجية السنة : ص 9 وما بعدها .

٨- سورة آل عمران الآية 7.

٩- السيد الخوئي: معجم رجال الحديث: 20 / 1.

وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ^١، وقال أيضا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ الرَّسُولِ وَآلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ^٢﴾
 إن ظاهر الكتاب لا يغني الأمة عن السنة ، وهي لا تفارقه حتى يردا الحوض على النبي عليه السلام ،
 وحاجة الأمة إلى السنة لا تقل عن حاجتها إلى الكتاب ، وأنها في مجالات الاستدلال صنو الكتاب وفي
 رتبته ، بل هما واحد من حيث انتسابهما إلى المشرع الأول وهو الله عز وجل ، ولا يمكن الاستغناء به
 عنها^٣ ، بل ذهب الأوزاعي^٤ للقول: "الكتاب أحوج إلى السنة ، من السنة إلى الكتاب" ، وذلك لأنها تبين
 المراد منه. ولما سئل ابن حنبل عن الرأي الذي يذهب إلى أن السنة قاضية على الكتاب ، قال: " ما
 أجسر على هذا أن أقوله ، ولكن السنة تفسر الكتاب ، وتعرف الكتاب وتبينه"^٥ ، وروي أن جبرائيل كان
 ينزل على رسول الله عليه السلام بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن^٦ . وليس القول
 بأهمية السنة النبوية وحجيتها وتبينها للقرآن من القول الجزاف ، وبلا دليل يركن إليه ، فقد دلت نصوص
 قرآنية وأحاديث نبوية على ذلك كما سيأتي بيانه إجمالاً:

أولاً : في القرآن الكريم:

إن منزلة السنة النبوية وأهميتها نابعة من منزلة النبي الأعظم عليه السلام وأهميته ، لأنها ثمرة من ثمرات
 وجوده المقدس ، وعليه فلا يمكن معرفة أهميتها إلا إذا تعرفنا على منزلة نفس النبي الأعظم عليه السلام
 وأهميته ، وهذا الأمر قد تكفلت به الآيات القرآنية على أكمل وجه ، فقد تحدثت كثير من آيات الكتاب
 العزيز عن الموقعية الدينية التي يمثلها شخص النبي الأعظم عليه السلام ، وعن قداسة كل ما يصدر عنه من

١- سورة النحل الآية 44.

٢- سورة النساء الآية 83.

٣- محمد تقي الحكيم: الأصول العامة: ص 250-251.

٤- الأوزاعي: هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو، من قبيلة الأوزاع، ولد في بعلبك سنة 88 هـ، ونشأ في البقاع، ثم
 سكن بيروت حتى توفي فيها سنة 157 هـ، يعد إمام الديار الشامية في الفقه، له عدة مؤلفات في الفقه حتى دان أهل
 الأندلس بمذهبه إلى أيام الحكم بن هشام. ينظر: ابن سعد: الطبقات : 488/7. ابن خياط: طبقات: ص577. ابن حبان:
 مشاهير علماء الأمصار : 285-286. السمعاني: الأنساب : 1 / 227. ابن عساکر: تاريخ دمشق : 147/35- 229.
 ابن خلكان: وفيات الأعيان : 127/3 - 128. الذهبي: تذكرة الحفاظ : 178/1 _ 183. سير أعلام النبلاء 7 / 107 -
 134 . الزركلي: الأعلام: 320/3. بالنشأ: تاريخ الفكر الاندلسي: ص465.

٥- ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله : 2 / 191-192.

٦- الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية: ص 27.

قول أو فعل أو تقرير، وهذا ما نتلمسه من الآيات القرآنية الدالة على وجوب الإيمان بالنبى ﷺ، كذلك دعت الآيات القرآنية إلى ضرورة التآسى بكل حركات هذه الشخصية العظيمة وسكناتها والافتداء بها، إذ وصفته بأكمل أنواع الوصف وبما لم يوصف به نبى ولا رسول قبله. فقد وصفه الله تعالى في كتابه بأنه على خلق عظيم في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^١، وبالسراج المنير الذي يمد الناس بالهداية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^٢. ولم يكتف عز وجل بهذا التعظيم والتبجيل لشخصه ﷺ في القرآن بل اوجب على المؤمنين تعظيمه وتبجيله وتوقيره، رافضا التعامل معه على انه فرد مثل بقية الافراد، ومن ذلك ما أمر به سبحانه المؤمنين أن لا يخاطبوه كمخاطبة بعضهم لبعض وألزم عليهم أن يوقروه^٣، وأمرهم أن لا يرفعوا أصواتهم أصواتهم فوق صوتهم، ثم هدد من يرفع صوته بحبط العمل وضياع الإيمان^٤، وألزم الأمة بضرورة

١- كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ سورة النساء الآية 61، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ سورة النساء الآية 136، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ سورة الاعراف الآية 158، وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة التوبة الآية 91، ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعَبِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ سورة النور الآية 62، وكذلك قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِنُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَرِّزُوهُ وَنُوقِرُوهُ وَنُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ . سورة الفتح الآيتان 8-9، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ سورة الحجرات الآية 15.

٢- سورة القلم آية 4 .

٣- سورة الأحزاب ب 45 - 46.

٤- قال سبحانه ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْتُونَ مِنْكُمْ لَوْأَدَا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة النور الآية 63 .

٥- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ سورة الحجرات الآية 2 .

الإيمان به، على أساس أن الإيمان به يعني التصديق به والإذعان برسالته وبما جاء من عند الله سواء جاء في الكتاب أم لا، ولا اقل من أن عدم إتباعه ينافي الإيمان به والتصديق^١.
لقد أكدت الآيات القرآنية على وجوب طاعة الرسول ﷺ وإن طاعته من طاعة الله^٢، وتؤكد على الإيمان بكل ما جاء به وبكل ما قاله، وإلا لا يكون التصديق تاما، ولا الإيمان كاملا، ومن الواضح إن إطلاق لزوم الإيمان والتصديق معناه الأخذ بكل ما صدر عنه ﷺ. فيما تأتي آيات أخرى تدل على مدح النبي الأعظم ﷺ في خلقه ووظائفه والأوامر الإلهية التي وجهت إليه، وإذا رصدناها وجدناها التوكل على الله^٣، والهداية إلى الصراط المستقيم والدعوة إليه^٤، والحكم بين الناس بما انزل الله^٥، وعدم إتباع أهواء الكافرين^٦ وتبليغ ما نزل إليه^٧، وانه على شريعة من الأمر^٨، وغيرها من الدلالات المنصوية تحت هذه المفاهيم التي يتبين منها أن النبي ﷺ هو معيار الهداية والرشاد^٩. ولذا أوجب الله تعالى على الأمة طاعة نبيه ﷺ بشكل مطلق^{١٠}. وقرن الله طاعته بطاعة رسوله ﷺ مما يوجب الإلزام

- ١- من ذلك قوله سبحانه: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ سورة التغابن الآية 8، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ سورة الفتح الآية 13.
- ٢- كما ورد في الآيات التالية: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ سورة آل عمران الآية 32. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فَنفَشُلُوا وَتَدْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة الأنفال الآية 46، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سورة الأنفال الآيتان 20، 21، وقوله ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ سورة المائدة الآية 92، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ سورة النساء الآية 59، وقوله: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ سورة الأحزاب الآية 66.
- ٣- سورة النمل آية 79 .
- ٤- سورة المؤمنون آية 73 ، سورة يس آية 3- 4 ، سورة الشورى آية 52 - 53 .
- ٥- سورة المائدة آية 48- 49 .
- ٦- سورة الأحزاب الآيتان 1- 2 .
- ٧- سورة المائدة آية 67 .
- ٨- سورة يوسف آية 108 ، سورة الجاثية آية 18 .
- ٩- حب الله: حجية السنة: ص 70 - 71 .
- ١٠- إذ يقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ آل عمران الآية 132، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ ، سورة محمد الآية 33 ، وانظر ما يماثلها: سورة النساء 13 - 14 ، 64 ، 69 ، 79 - 80 ، سورة الأحزاب الآية 36 ، سورة النور الآية 54، وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ سورة الأحزاب الآية 71 .

بحجية كل ما يصدر عنه عليه السلام، ومما يعزز هذا المعنى أفراد الأمر بطاعة الرسول عليه السلام في بعض الآيات عن طاعة الله سبحانه مما يؤكد انه ليس المراد واحداً، وان رجعت طاعة الرسول بعنوانها إلى طاعة الله تعالى¹، وبلوغ النبي عليه السلام منتهى الكمال، اهله لإن يكون منهاجاً يتأسى الخلق به فيسيروا على خطاه².

وهناك مجموعة أخرى من الآيات تبين إن من أهم وظائف النبي الأعظم عليه السلام انه مبين للقرآن ومفسر له³، وتدل على إن النبي عليه السلام سيتولى أمر بيان القرآن وتوضيحه آياته وذلك لا يكون إلا من خلال سنته وعمادها الأول أحاديثه الشريفة⁴. وضمن إطار وظائفه الشريفة أيضاً أوكل القرآن له عليه السلام مهمة تعليم الكتاب والحكمة⁵، وكانت هذه الآيات - الدالة على تعليم الكتاب والحكمة - من ابرز ما ذكره الإمام الشافعي (ت 204 هـ) في كتابه (الرسالة)⁶ تأسيساً لمبدأ حجية السنة، ولعله أقدم بحث نظري أصولي إسلامي وصل إلينا، لذلك عد بعض نقاد السنة إن الشافعي هو مؤسس نظرية حجية السنة في تاريخ المسلمين⁷. وسيأتي مناقشة هذا الرأي فيما بعد.

لما بلغ النبي عليه السلام من صفات الكمال ارقاها، بعد أن صنع على عين الله ورعايته، وبعد أن أدبه ربه فأحسن تأديبه، إذ وصل إلى مرتبة ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾⁸، فصار خلقه عليه السلام إلهياً، ومنطقه إلهياً وتفكيره إلهياً، فكيف لا يقتدى به ويسار على أثره⁹. فيكون كل ما أتى به إنما

١- حب الله: حجية السنة ص 88، كما في قوله تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ سورة النساء الآية 8، و ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ سورة النساء الآية 64.

٢- قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ سورة الأحزاب الآية 21. ومن هذه الآيات التي تدعو إلى التأسى وإتباع النبي عليه السلام: سورة البقرة الآيات 142 - 144، سورة آل عمران آية 31، سورة الأنعام الآية 155، سورة الأعراف الآية 157 - 158، سورة الأحزاب آية 21 - 37.

٣- كقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ سورة النحل الآية 44. وقال أيضاً ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة النحل الآية 64.

٤- ينظر مثلاً: سورة البقرة الآيات 129 - 231، سورة آل عمران الآية 164، سورة النساء آية 113، سورة الأحزاب آية 34.

٥- كقوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة الآية 151. وقال أيضاً: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾. سورة الجمعة الآية 2.

٦- ص 78.

٧- حب الله: حجية السنة: ص 79.

٨- سورة النجم 3 - 4.

٩. البلداوي: فضائل أهل البيت: ص 25.

إنما هو وحي من الله وانه ﷺ غير قادر على أن يأتي بشيء من عنده أو يتقول على الله سبحانه ،^١ ففي الآيات دلالة واضحة على وحيانية السنة النبوية . وإن القرآن من خلال هذا الكم من آياته الشريفة أسس لحجية السنة النبوية ، وفيه دلالة واضحة على وجوب التعبد المحض بكل ما يصدر عن النبي الأعظم ﷺ .

ثانياً: في الحديث النبوي:

دللت الاحاديث النبوية على عظيم مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي ومرجعيتها الدينية الملازمة للقرآن ، وتقع الروايات الواردة في هذا المجال ضمن عدة مجموعات أهمها:

أولاً: ما دل على أن النبي ﷺ أوتي غير القرآن وانه يشرع منه ، وقد شكل هذا الفرع الالهي امتداداً طولياً في تشريع الاحكام وبيانها مع القرآن الكريم وهذا ما يشير إليه قول النبي المصطفى ﷺ: " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله ، ألا إني أوتيت القرآن ومثله ، ألا يوشك رجل شعبانا على أريكته ، يقول: عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم حلالاً فأحلوه ، وما وجدتم حراماً فحرموه " ^٢ ، وقال ﷺ: " يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدث بحديثي، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرماناه، ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مثل ما حرم الله " ^٣ ، وقال ﷺ: " أحسب أحدكم متكئاً على أريكته ، قد يظن إن الله تعالى لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن ؟ ألا إني والله قد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء ، أنها مثل القرآن أو أكثر ، وهذه الاكثرية هي ما في تفصيله مجملات القرآن وغيرها..."^٤

١. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَابِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ سورة الحاقة الآيات 44 - 46.

٢- الأشيب البغدادي: جزء أشيب: ص73. ابن حنبل: المسند: 4/ 131. أبو داود: السنن: 2/ 392. ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث: ص182. الطبراني: المعجم الكبير: 20/ 283. الدار قطني: سنن الدارقطني: 4/ 191. البيهقي: السنن الكبرى: 9/ 332. ابن عبد البر: التمهيد: 1/ 150. المتقي الهندي: كنز العمال: 1/ 174.

٣- ابن حنبل: المسند: 4/ 132. الدارمي: السنن: 1/ 144. ابن ماجه: السنن: 1/ 6. الترمذي: السنن: 4/ 145. الطبراني: المعجم الكبير: 20/ 275. مسند الشاميين: 3/ 138. الدار قطني: السنن: 4/ 190. البيهقي: السنن الكبرى: 7/ 76. الخطيب البغدادي: الكفاية: ص 23. المتقي الهندي: كنز العمال: 1/ 173.

٤- أبو داود: السنن: 2/ 45. البيهقي: السنن الكبرى: 9/ 204. ابن عبد البر: التمهيد: 1/ 149. السيوطي: الجامع الصغير: 1/ 468. المتقي الهندي: كنز العمال: 1/ 174.

ثانياً: ما دل على أن الرسول ﷺ لا يأمر إلا بما أمره الله كقوله ﷺ: " لا يسألني الله عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرني بها، ولكن أسألوا الله من فضله " ^١ ، وقال ﷺ: " يا أيها الناس إني ما آمركم إلا ما آمركم به الله، ولا أنهاكم إلا عما نهاكم الله عنه " ^٢ .

ثالثاً: ما دل على الإلزام بطاعة النبي ﷺ كقوله ﷺ: " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصا الله " ^٣ . وقوله ﷺ: " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أباي . قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أباي " ^٤ .

رابعاً: ما دل على إتباع سنته ﷺ وإحيائها، كقوله ﷺ: " من تمسك بسنتي في اختلاف أمتي " ^٥ ، وفي رواية عند فساد أمتي ^٦ فله اجر مائة شهيد " ، وقوله : " إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً ، فطوبى فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسدته الناس من سنتي " ^٧ ، وقوله ﷺ: " من أحيا سنتي من بعدي ، فقد أحياها ، ومن أحياها كان معي في الجنة " ^٨ ، وفي لفظ آخر: من أحيا سنتي ، فقد أحياها ، ومن أحياها كان معي في الجنة ^٩ ، وقوله ﷺ: " لكل عمل شره ، ولكل شره فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتي سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك " ^{١٠} ، وقوله ﷺ: " إن الله تعالى يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها " ^{١١} ، وقوله ﷺ: " من أحيا سنة من سنة الله أميتت بعدي فان له من الأجر مثل اجر من عمل بها من الناس لا ينقص من أجور الناس شيئاً، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله

- ١- ابن الأثير: أسد الغابة: 63/3. الهيثمي: مجمع الزوائد: 100/4. المتقي الهندي: كنز العمال: 103/4.
- ٢- الطبراني: المعجم الكبير: 85/3. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 120/14.
- ٣- ابن حنبل: المسند: 2 / 253. البخاري: الصحيح: 4 / 8. مسلم: الصحيح: 6 / 13.
- ٤- البخاري: الصحيح: 8 / 139. ابن حبان: الصحيح: 1 / 197. الهيثمي: موارد الضمان: ص 573.
- ٥- البرقي: المحاسن: 27/1- 224. علي الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص 256. المجلسي: البحار: 2/ 262.
- ٦- الطبراني: المعجم الأوسط: 5 / 315. الهيثمي: مجمع الزوائد: 1/ 172. الذهبي: تاريخ الإسلام: 15 / 119. المتقي الهندي: كنز العمال: 1/ 175. السيوطي: الجامع الصغير: 2/ 664. الشعراي: لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية: ص 18.
- ٧- الترمذي: السنن: 4/ 129. وانظر ابن أبي شيبة: المصنف: 8 / 134. ابن حنبل: المسند: 2 / 389. الطبراني: المعجم الأوسط: 3/ 156. ابن سلامة: مسند الشهاب: 2/ 137-138.
- ٨- الترمذي: السنن: 4/ 151. المتقي الهندي: كنز العمال: 7 / 504.
- ٩- الطبراني: المعجم الأوسط: 6/ 125. الهيثمي: مجمع الزوائد: 1/ 272. السيوطي: الجامع الصغير: 2 / 558. المتقي الهندي: كنز العمال: 1/ 184.
- ١٠- ابن خزيمة: الصحيح: 3/ 294. وينظر: ابن حنبل: المسند: 2 / 158- 210. ابن حبان: الصحيح: 1/ 187. الطبراني: المعجم الكبير: 2/ 285. الهيثمي: مجمع الزوائد: 2/ 259. السيوطي: الجامع الصغير: 1/ 371. المتقي الهندي: كنز العمال: 3/ 41، 670، 16 / 276.
- ١١- القاضي عياض: الشفا: 2 / 12.

ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً " ^١ ، وقوله عليه السلام: " سنة لعنتهم ولعنتهم الله ، وكل نبي مجاب الدعوة - ذكر منهم - والتارك لسنتي " ^٢ . وقوله عليه السلام: " فمن رغب عن سنتي فليس مني " ^٣ .

خامساً: ما دل على الحث على الاستماع إلى كلام النبي وحفظه ونقله وعدم جواز الكذب عليه أو كتم حديثه ، كقوله عليه السلام: " ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع " ^٤ . وعن أبي ذر: " أمرنا رسول الله عليه السلام ... ونعلم الناس السنن " ^٥ ، وقوله عليه السلام: " نضر الله عبداً ، سمع مقالتي فحفظها ووعاها واواها " ^٦ ، وقوله عليه السلام: " اللهم ارحم خلفائي " قيل من خلفائك؟ قال: " الذين يأتون من من بعدي ويروون أحاديثي وسنتي، فيعلمونها الناس من بعدي " ^٧ ، وقوله عليه السلام: " من أدى إلى أمتي حديثاً تقام به سنة أو تنلم به بدعة فله الجنة " ^٨ . وقوله عليه السلام: " بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عني ولا تكذبوا ، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " ^٩ .

إن هذه النصوص تدل على حجية السنة ، وإلا لماذا يأمر النبي عليه السلام بنشرها ، ويدعو إلى حفظها ، وينهى عن الكذب فيها؟ فهذا الكلام يؤكد إن كلامه يمثل مرجعية في الفكر الإسلامي ؛ تلك المرجعية التي اثبتها له الله سبحانه .

١- ابن أبي عاصم: كتاب السنة: ص23 . الترمذي: السنن: 4 / 150 - 151 . السيوطي: الجامع الصغير: 1 / 180.

٢- ابن أبي عاصم: كتاب السنة: ص24 . الكليني: الكافي: 2 / 293 . الحاكم: المستدرک: 2 / 525.

٣- الكليني: الكافي: 5 / 496 . الطبرسي: مكارم الأخلاق: ص115 . الكحلاني: سبل السلام: 2 / 173.

٤- ابن حنبل: المسند: 5 / 45 . البخاري: الصحيح: 2 / 191.

٥- ابن حنبل: المسند: 5 / 165 . الدارمي: السنن: 1 / 136 .

٦- الشافعي: مسند الشافعي: ص240 . الطبراني: المعجم الكبير: 2 / 127.

٧- الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: 1 / 40.

٨- البرقي: المحاسن: 2 / 297 . ابن عساكر: الأربعين البلدانية: ص44 . ابن حجر: لسان الميزان: 1 / 433 .

٩- البخاري: الصحيح: 1 / 35 . ابن ماجه: سنن: 1 / 13.

المبحث الثاني

السنة النبوية ومكانتها في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

وقبل أن نأتي إلى مكانة السنة النبوية في نهج البلاغة لنقف على رؤية أمير المؤمنين عليه السلام لها، ولا بد لنا أولاً الوقوف قليلاً عند الإشكال الذي طرحته بعض المؤلفات في تناولها لموضوع سنة النبي ﷺ، وهو ما يتعلق بـ "مصطلح السنة النبوية"، فهل كان معروفاً في القرن الأول الهجري بالمعنى الذي بتنا نفهمه اليوم وهو شمول المصطلح (السنة النبوية) كل ما صدر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير، واكتسابها سلطة تشريعية تلي القرآن الكريم في المنزلة؟ إذ نلاحظ تغيب مصطلح - السنة النبوية - عن آيات القرآن الكريم، على الرغم من ورود لفظة "السنة" في ست عشرة آية، ولكن افاد معناها أمرين:

أ. استعملت كلمة سنة في صلة مع الله كي تعني الكيفية المعهودة للتعامل مع الشعوب التي ظلت على جهالتها كما في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾^١، وقوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^٢.

ب. استعملت لفظة السنة مقرونة بـ "الأولين" مثل الآية: ﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾^٣، والآية ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾^٤.

إذن القرآن على الرغم من إشارته إلى لفظة (السنة) إلا أنه لم يعقد الصلة بينها وبين الرسول ﷺ أي أنه لم يربط بين السنة في مفهومها العام وأقوال الرسول وأفعاله وتقريراته، لاقتصاره على بيان سنة الله المخالفة لبقية السنن وعلى الحديث عن سنة الأولين السابقين^٥.

١- سورة الأحزاب الآية 38.

٢- سورة فاطر الآية 43.

٣- سورة الأنفال الآية 38.

٤- سورة الكهف الآية 55.

٥- محمد حمزة: الحديث النبوي: ص 23.

٦- حمزة: الحديث النبوي: ص 23.

إن عدم ورود المصطلح (حرفيا) في كتاب الله لا يعني إلغاء وجوده ومعناه ، فقد مر بنا أعلاه كيف إن القرآن قد أصل مبدأ حجية السنة النبوية من خلال مجموعة من الآيات التي يستفاد منها وجوب إتباع النبي ﷺ وطاعته في كل ما يصدر عنه قولاً أو فعلاً أو تقريراً ، وإن طاعته ملازمة لطاعة الله ، و ما يأتي به إنما هو عن الله تعالى . ورغم ورود لفظة " سنتي " في أحاديث النبي الأعظم ﷺ الآتفة الذكر ، إلا إن من بحثوا في هذا الإشكال تجاهلوا عمداً ، فلم تخضع لأي تحليل سندي أو دلالي يبرر تجاهلها ، إذ إن وجودها - نسا - في تلك الأحاديث يستوجب عدم تجاوزها ، أو على الأقل التثبت من صحتها ، لأن ذلك سيسهم في حل الإشكال المطروح حول تاريخ ظهور المصطلح كما سبق .

لقد ذكر باحث معاصر : " أما السنة في مفهومها الإسلامي الأصيل فإن لها دلالة سياسية أكثر من دلالتها الشرعية ذلك أنها ترتبط بسياسة الخليفة وإدارته ، من ذلك إن مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ت (35 هـ) حف به اتهامه بأنه حاد عن سياسة الخليفين أبي بكر وعمر وفي هذا الظرف بالذات ظهر مفهوم " سنة النبي " الذي لم يأخذ بعد مفهوماً تشريعياً محدداً بقدر ما كان مرتبطاً بسنة الخليفين أبو بكر وعمر " 1 .

ولكن تفحص نصوص نهج البلاغة يقدم لنا رؤية مغايرة لهذه الرؤية ، فإنه يقدم السنة على انه ذات بعد تشريعي شامل في مفهومها . واما غلبة الصبغة السياسية على السنة النبوية لارتباطها بسياسة الخلفاء ، فهذا يعود الى من تولى السلطة بعد النبي ﷺ كان توليهم سياسياً مفرغاً من الجانب التشريعي ، إذ أنهم لم يستندوا إلى الشرع المقدس ، فكما هو معلوم أنهم جانبوا النص الإلهي والتوصية النبوية ، وكان اعتلائهم سدة الحكم اعتماداً على القهر والغلبة والتحايل السياسي . أما عن القول بان مفهوم سنة النبي لم يأخذ بعده التشريعي لارتباطه بسنة الخليفين أبي بكر وعمر ، فهذا من اثر ما استنته الأخيران من سنة لم تتساو أو تتوافق مع سنة النبي ﷺ بل نشأت في قبالتها .

إن القول بان - سنة النبي - ارتبطت في ذلك الوقت بسنة الخليفين ، فهو تفسير قد يبدو صحيحاً من جانب ظهور ما يسمى " بسيرة أو سنة الشيخين " إلى جانب كتاب الله وسنة النبي ، وقد نشأت أجيال على الاعتقاد والتسليم بهذا الأمر ، ولكن لا يمكن تضيق فهم المجتمع برمته للسنة النبوية من هذا

1- حمادي ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص 24.

المفهوم، ولا سيما ان الإمام علياً عليه السلام وأتباعه كانت لهم رؤية خاصة ومفهوم مغاير لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما سيأتي بيانه .

وقد جاءت الإشارة لدى احد النقاد إلى إن هذا المصطلح بمفهومه التشريعي الشامل قد ظهر في نهاية القرن الأول الهجري ، اعتمادا على وثيقتين استخدمتا تعبير " سنة النبي " والوثيقتان هما :

الأولى: رسالة عبد الله بن أباض الخارجي ¹ إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، إذ وردت الإشارة فيها إلى سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ست مرات ² . يقول ذويب ³ : " ومع إن هذا التواتر لافت للنظر في حد ذاته ، فالواضح إن لفظ " سنة " لم يتمخض بعد للدلالة على سنة الرسول فحسب ذلك أن الرسالة تضمنت عبارة سنة المؤمنين وسنة أبي بكر وعمر". ويقول أيضا: " ونجد في هذه الرسالة ما يوحي أن ملايسات ظهور عبارة سنة النبي تقترب بفترة حكم عثمان في نفس الفترة تجد كلمات الإمام عليه السلام تطلق هذا المصطلح حسبما وردت الروايات ونهج البلاغة: " فولوا عثمان ففعل ما شاء الله ... ونفاهم في أطراف الأرض من اجل أن ذكروه بكتاب الله وسنة نبيه وآثار من كان قبله من المؤمنين " ، لقد ركز ابن أباض في رسالته هذه على أن الخليفة عثمان (ت 35 هـ) أدخل بعض البدع وإهمل القرآن وسنة النبي وسنة الخليفين السابقين عنه أبي بكر وعمر، ويتساقق هذا الموقف مع غاية الرسالة وهي تبرير الموقف الاباضي من عثمان" ⁴ .

الثانية: رسالة الحسن البصري (ت 110 هـ) إلى عبد الملك بن مروان أيضا، أرسلت في المدة نفسها " ⁵ أرسلها لينافح عن موقفه المناقض للجبر والمؤيد لحرية الإرادة والمسؤولية الإنسانية، وهكذا اقتران مفهوم سنة النبي في هذه الرسالة بمعنى حاف كلامي اتصل بنموذج السلف " ⁶ ، إذ يقول الحسن

- 1- هو عبدالله بن إباط من بني مرة بن عبيد بن تميم، زعيم إحدى فرق الخوارج في العصر الأموي، كانت له مواقف سياسية وعسكرية وفكرية في العصر الأموي، اختلف هل مات في أيام عبد الملك أم أنه عاش إلى أيام الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد؟ وانتشر مذهبه في المغرب الاسلامي. ينظر: البغدادي: الفرق بين الفرق ص 70 . الشهرستاني: الملل والنحل : ص108. الزركلي: الاعلام: 61/4-62.
- 2- حمزة: الحديث النبوي: ص24 . ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص44.
- 3- السنة بين الاصول والتاريخ: ص44.
- 4- ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص44.
- 5- القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال: ص 215-216.
- 6- ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص 44-45.

البري في رسالته : " وقديما أدركنا السلف الذين قاموا بأمر الله واستنوا بسنة الرسول فلم يبطلوا حقا... "

ثم نجد هذا الباحث يخلص إلى : " إن الموطن الأصلي لعبارة سنة النبي هو العراق ، وإنها كانت أقرب إلى العراقيين منها إلى المدنيين... وهكذا ينبغي أن ننتظر " المحدث الشافعي " ورسالته في أصول الفقه حيث فرض السنة بكونها مجموعة الأحاديث النبوية الصحيحة وبصفتها المصدر "الموضوعي" الثاني أو الأصل الثاني للشريعة بعد القرآن " وقد استدلت على اعتبار الشافعي هو المؤسس لنظرية حجية السنة النبوية وأنها ثاني مصادر التشريع إلى جانب القرآن ب :

1 - التواتر غير المعهود قبله لعبارة سنة النبي والأقوال العديدة التي ضمنها ضرورة إتباع سنة النبي

عليه السلام

2 - ذكره للسنة -أي الشافعي- ضمن مصادر التشريع الأخرى.

3 - إن السنة حسب قوله قد اكتسبت هذه المنزلة الأثيرة ، اثر اعتبار الشافعي لها وحيا من نمط يختلف عن وحي الكتاب ^٢ .

وقد كان لحيدر حب الله ^٣ رؤية مغايرة لما طرح ، سنذكرها إتماما للفائدة ، ومن ثم ستكون لنا وقفة لتسجيل الملاحظات ، إذ جاء في قوله وهو في معرض الاستدلال على حجية السنة النبوية من خلال أحاديث النبي عليه السلام التي ذكرناها فيما مضى وتضمنت مصطلح " سنة النبي " : " وهذه الروايات العديدة واضحة في دلالتها على وجود سنة للنبي عليه السلام ، وان المطلوب إحيائها دوما ، وحفظها والمحافظة عليها ، وليس لهذه المفاهيم أي معنى إذا لم تكن سنة النبي حجة ومعتبرة في الدين " ، ويمكن ان يلاحظ على هذه النصوص جملة ملاحظات :

الملاحظة الأولى: إن كلمة " السنة " لغة ، كما تطلق على السيرة مطلقا، كذلك تعني السيرة الحسنة

المستقيمة ، إذا فمن المحتمل جدا أن تكون هذه الروايات تشير إلى ضرورة إتباع السنة الصالحة ، والسيرة النقية للنبي عليه السلام ، وهذا لا يدل على حجية سنته ، بقدر ما يرشد إلى إتباع محاسن أفعاله التي يعلم في مرحلة مسبقة - كما عن طريق القرآن - أنها أمور حسنة ، فسيرة النبي عليه السلام في تطبيقه القرآن تسمى سنة أيضا، لا سيما ان هذه الروايات لا إطلاق فيها يدل على سنة النبي غير القرآن ، بمعنى

١- القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال: ص 216.

٢- ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ : ص 45- 46.

٣- حب الله: حجية السنة : ص 142- 145.

أنها تفترض وجود سنة للنبي، ولكنها لا تؤكد أنها غير تطبيق القرآن ، كما أنها ليست بصدد الحديث عن ذلك حتى نقول : إنها تشمل سنن النبي التي لا تعبر عن الموجود - سلفا - في النص القرآني . من هنا نفهم المنطلق الذي ذهب إليه بعضهم بالقول : إن الحجة في السنة هو خصوص السيرة العملية (السنة العملية) التي بلغتنا بالتواتر، ومرجع هذه النظرية إلى مقطعين:

الأول: واقعي ، يفهم السنة بمعنى السيرة العملية ، ومن ثم لا يقال عن قول الرجل: هو سنته ، إذ لا يطلق تعبير السنة لغة على القول ، بل على السيرة العملية .

الثاني: ظاهري، وهو شرط التواتر الذي مرجعه إلى إنكار حجية خبر الأحاد، وان فهم السيرة والسلوك العام من كلمة السنة هو الأصح لغويا ، فلا تكون السنة شاملة للقول إلا قليلا. وعليه تترتب ملاحظة تعمق في واقعها هذه الملاحظة وهي .

الملاحظة الثانية: إن استخدام مصطلح " السنة " بالمعنى الذي نفهمه اليوم ، لا يحرز عوده إلى القرن الأول الهجري، بل المؤكد هو المعنى اللغوي للكلمة ، وان النبي ﷺ كان رمزا للأدب والأخلاق والصفات السامية الحميدة ، كما كان ملتزما بكتاب الله تعالى، وهذا الخط الذي حكم حياة النبي ﷺ هو سيرته وسنته ، ومعنى ذلك إن هذه الروايات لا تزيد في الدلالة على آية الأسوة والإتباع ونحوها، وقد دللنا ... على أن جعل شخص أسوة لا يعني حجية قوله وفعله وتقريره .

ومن هذا المنطلق يؤيد حب الله استنادا الى تحليله اللغوي - المقولة التي ترى إن كلمة " السنة " بمعناها الاصطلاحي قد ولدت متأخرة عن القرن الأول الهجري ، ويقول ايضا : لا نريد إن نبت الآن بالنظرية القائلة إن الشافعي (204هـ) هو أول من أسس هذا المصطلح الجديد ونحتته في التراث الإسلامي مع كتاب " الرسالة " . ويضيف: نعم لا تعني الولادة المتأخرة لمصطلح السنة بمعناه الجديد إن مقولة حجية السنة كانت متأخرة كذلك ، كما توحيه كلمات بعض النقاد ، فهذا خلط بين أمرين:

أحدهما: واقع رؤية المسلمين لقول النبي وفعله وتقريره ، وهل كانوا ينظرون بعين التقديس والمرجعية لهذه الثلاثة أم لا ؟ سواء كانوا يسمون ذلك سنة النبي أو السنة النبوية أم كانوا يطلقون على ذلك اسما آخر، أو لم يكن قد ولد بعد مصطلح يختزل ويختزن هذا الثلاثي النبوي .

وثانيهما: مصطلح " السنة " الذي ورد في طائفة معتد بها من الروايات وهل يعني هذا المصطلح في الثقافة الإسلامية ما قبل الشافعي ما بتنا نفهمه اليوم منه أم لا ؟

ويقول حب الله^١: وإذا لم يكن بأيدينا دليل على الأمر الثاني، فإن هذا ما يضيق فرص الاستفادة الاستدلالية من النصوص التي استعملت كلمة "سنة" مثل الطائفة من الروايات التي نحن بصددنا لكن ذلك لا يعني إن فكرة السنة - بواقعها - مهما كان المصطلح الذي يستوعبها، لم يكن لها وجود في القرن الأول، وبهذا نضع ملاحظة على بعض النقاد المتأخرين الذين خلطوا بين الأمرين (القرآن والسنة) عندما ادعوا أن الشافعي أو غيره هو أول من أسس فكرة حجية السنة^٢، دون أن يقيموا شواهد تؤكد ذلك على المستويين معا، فإن قيام الشافعي بتأسيس نظرية السنة بما هي رؤية أصولية على أساس جعلها جزءا من بنية النص القرآني لا مجرد الشارح كما يقول نصر حامد أبو زيد^٣، لا يعني إن أصل اعتبار السنة والاستناد إليها لم يكن ولو بالصورة الأولية الساذجة غير المعقدة نظريا والمدونة في عصر الشافعي الذي يعد أول عصور التدوين الأساسية في التراث الإسلامي لم يكن حاضرا في ذهن المسلمين وفكرهم.

- السنة النبوية ومكانتها في نهج البلاغة.

لقد وردت الإشارة إلى السنة النبوية لفظا ومعنى عدة مرات في نصوص نهج البلاغة. و يتضح جليا من خلال تأمل هذه النصوص واستقراءها، إن لأمير المؤمنين عليه السلام نظرة خاصة تميزه عن غيره في تعامله مع سنة النبي الأعظم ﷺ، كما إن تلك النصوص تؤرخ لنا عن تلك المرحلة التي مرت بها السنة في تاريخها بعد رحيل النبي الأعظم ﷺ، وكيف تعاملت الأمة معها؟ حتى تولى أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة نهاية سنة (35 هـ). ويمكن تلخيص أبعاد رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للسنة النبوية في ضوء نهج البلاغة بالنقاط الآتية:

أولاً: يلاحظ إن أمير المؤمنين عليه السلام قد نعت سنة النبي ﷺ بما يدل على تقديسها واجلالها، إذ يقول واصفا إياها: "وَأَقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَنْتُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ"، وقال عنها: "وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ"^٤، ولعل ذلك متأت من تقديسه لذات النبي ﷺ ولكل ما يصدر عنه، وإن سنته هي الطريق إلى معرفة أحكام الله، وفي هذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "وَعَمَرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَرْمَانًا، حَتَّى

١- حجية السنة: ص144.

٢- لم يذكر حب الله من هم أصحاب هذا الإدعاء؟.

٣- الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية: ص117 - 118.

٤- نهج البلاغة: ص 211.

٥- نهج البلاغة: ص176.

أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ فِيهَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ . [دِينَهُ] الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَهُ مِنْ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِهُ ، وَنَوَاهِيَهُ وَ أَمْرَهُ ^١ " كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ^٢ ، لذا نجده عليه السلام قد دأب على الدعوة إلى التآسي به عليه السلام وإتباع سنته الشريفة وعدم تضييعها، كما هو واضح في أقواله الواردة في خطب النهج وكلماته : " فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَةٌ لِمَنْ تَأَسَّى ، وَعِزَاءٌ لِمَنْ تَعَزَّى " ^٣ ، ونجده حتى آخر لحظات حياته يوصي الأمة قائلا: " وَصِيَّتِي لَكُمْ : أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَمَحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله) فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ ، أَقِيمُوا هُدْيَ الْعُمُودِينَ ، وَأَوْقِدُوا هُدْيَ الْمِصْبَاحِينَ وَخَلَاكُمْ دَمٌ " ^٤ ، إذ انه عليه السلام في هذا المقطع يجعل اتباع السنة وحفظها دليلا على الإيمان بنبوة النبي محمد عليه السلام ، وقرينه لتوحيد الله جل في علاه .

ثانيا: نلاحظ تأكيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ملازمة السنة للقرآن الكريم في عدة إشارات وردت واضحة في مطاوي كلامه الشريف كقوله عليه السلام : "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ" ^٥ ، وكقوله في أمر الصدقات : "... لِنَفْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ ذَلِكَ ذَلِكَ أَكْبَرُ لِأَجْرِكَ ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ " ^٦ ، وقوله في وصيته لعامله على مصر مالك الأشر: " وَارْتَدُّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضِلُّكَ مِنَ الْخُطُوبِ ، وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، فَالرُّدُّ إِلَى اللَّهِ : الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ ، وَالرُّدُّ إِلَى الرَّسُولِ : الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ " ^٧ . وقوله عليه السلام إبان تسلمه مقاليد الحكم وهو يتعهد أمام الأمة راسما معالم سياسته وحقيقة منهجه: " وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَ النَّعْشُ لِسُنَّتِهِ " ^٨ . وأيضا قوله في عهده لواليه على مصر مالك الاشر بعد أن عد جميع أصناف المجتمع وبين ما لهم وما عليهم، فأشار إلى إن أحكام الجميع وارد في الكتاب والسنة: "

١- نهج البلاغة: ص137.

٢- سورة الحشر آية 7.

٣- نهج البلاغة: ص298.

٤- نهج البلاغة: ص516.

٥- نهج البلاغة: ص324.

٦- نهج البلاغة: ص521.

٧- نهج البلاغة: ص599 . 600.

٨- نهج البلاغة: ص325.

وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللهُ سَهْمَهُ ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَةَ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -
عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا^١ .

ان لهذه النصوص ابعاد دلالية ، يشكل الوقوف عليها بياناً لابعادها ، وهو ما يمكن بلورته في جملة من النقاط ، وهي :

أ . أن للسنة ما للكتاب من شأن ومكانة في التشريع الإسلامي ، ولولا أن السنة مصدر ديني فلا موجب لذكرها إلى جانب القرآن ، فكلاهما مصدره واحد ألا وهو الله سبحانه وتعالى ، فهو الذي أنزل القرآن وأمر فيه بإتباع ما جاء به النبي ﷺ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^٢ ، فكانت مهمته ﷺ غاية في الخصوصية والأهمية لتبيين هذا القرآن وتوضيح ما جاء فيه، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في حديثه الآنف الذكر " وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ " ، " وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَرْزَامًا ، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ . [دِينَهُ] الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّةً مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِهُ ، وَنَوَاهِيَهُ وَ أَمْرَهُ " ^٣ . وقوله عليه السلام : " فَأَلْفَرَانُ ... حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ ... أَتَمَّ نُورَهُ ، وَ أَكْمَلَ [أَكْرَمَ] بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَقَدْ فَرَعَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ " ^٤ . وقال عليه السلام في مقطع آخر استنكاري: " أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ ؟ وَ اللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَفِيهِ تَبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ " ^٥ .

ب . إن هذا التلازم بين كتاب الله وسنة نبيه ﷺ هو الذي أقرته السماء بجعلها النظام الإلهي يرتكز على ركنين أساسيين هما كتاب الله المنزل ونبيه المرسل وهو المصطفى محمد ﷺ بقوله وفعله ، وبتقريره ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : " وَلَمْ يُخَلِّ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ " ^٦ . فالنظام الإلهي لا يعمل إلا بالاثنتين معاً، ولا يعطي أكله إلا بركنيه ، إذ إن هناك وحدة عضوية بين القرآن المنزل والنبي المرسل، فالقرآن معجزة النبي ودليل نبوته، والنبي هو الشاهد الأوحد على أن القرآن

١- نهج البلاغة: ص596.

٢- سورة الحشر آية 7.

٣- نهج البلاغة: ص137.

٤- نهج البلاغة: ص356.

٥- نهج البلاغة: ص46 - 47.

٦- نهج البلاغة: ص20.

من عند الله ، وان مهمته هي بيان ما انزل للناس من ربهم ^١ . وهذا ما سبقت إشارة الإمام إليه في النص الآنف الذكر أعلاه إذ يقول: " وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَفِيهِ تَبَيُّانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ " ^٢ .

وقد جرت محاولات من قبل الطامعين في السلطة قبيل رحيله عليه السلام لهدم هذه الوحدة العضوية ، تمهيدا لتفكيك النظام الإلهي ، فادعوا تمسكهم بالقرآن وحده وانه لا خلاف عليه ، بإطلاقهم بدعة " حسينا كتاب الله " ^٣ ، وعزلوا النبي ، وقد وجهت نحوه سهام تشكيكهم وطعنهم في قداسته وعصمته ، فنالوا من سنته واتهموه بالهجر والهديان ^٤ .

إن تأكيد أمير المؤمنين عليه السلام على تلازم القرآن والسنة تأتي ضمن خطواته للتصدي لتلك المؤامرة الرامية للنيل من سنته عليه السلام ، وما تركته من آثار وخيمة جعلت السنة معطلة مهملة ، وهذا ما جاء في أقواله عليه السلام المؤكدة والدالة على أن السنة قد عطلت والبدعة قد أحييت.

ثالثاً: نلاحظ منه عليه السلام تأكيداً مباشراً أو ضمناً على وجوب التسليم المطلق والتعبد المحض لكل ما يصدر عن النبي عليه السلام من أقوال وأفعال، إذ نجده يقول: " وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ عليه السلام مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ " ^٥ ؛ لان قوله إنما هو وحى من الله لا يخالفه قيد أنملة قط ﴿ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ^٦ ، و نلمح ما يتساق مع هذه الآية في كلماته عليه السلام إذ يقول: " وَاعْلَمُ يَا بُنَيَّ ، إِنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ عليه السلام فَارْضَ بِهِ رَاضِئاً " ^٧ ، ونجد في إشارة أخرى دالة على عصمة مقالته عليه السلام وذلك في معرض حديث أمير المؤمنين عليه السلام عن أصناف رواة الحديث عنه عليه السلام قال : " وَأَخْرَجَ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ " ^٨ ، والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا على هذا المقطع : إن الموضوع الذي أطلق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

١- يعقوب: الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية: ص 431-432.

٢- نهج البلاغة: ص 46 . 47.

٣- قاله عمر في يوم وفاة النبي عليه السلام حينما طلب النبي دواة وكتب ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده أبدا. فقال عمر: ان النبي عليه السلام قد غلبه الوجع. ينظر: ابن حنبل: المسند 1/325-336. البخاري: الصحيح: 5/138_ 9/7. مسلم: الصحيح: 5/76. النووي: شرح صحيح مسلم: 11/90 .

٤- ينظر: النووي: شرح صحيح مسلم: 11/89.

٥- نهج البلاغة: ص 281.

٦- سورة النجم آية 3 . 4.

٧- نهج البلاغة: ص 541 _ 542.

٨- نهج البلاغة: ص 442.

في ضوء هذه الكلمات إنما يتعلق بكلام وحديث رسول الله ﷺ ولا ذكر لكلام الله هنا ، إذ . كما سيمر بنا . انه قد سأله سائل عن علل اختلاف أحاديث النبي ﷺ بين الناس فما وجه قول الإمام عليه السلام هنا: لم يكذب على الله؟ لعنا هنا نتفق مع الحسيني^١ بقوله: " انه عليه السلام لا ينطق عن الهوى ، ولا يقول ما يقول إلا عن وحي من الله تعالى وعصمة فيما يقوله وتأيد، فهو في الحقيقة مخبر عن الله، فالكذب عليه في الحقيقة هو كذب على الله تعالى، كما أن الطاعة له طاعة لله تعالى كما قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ . أليس في إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه إثبات لحجية قول النبي ﷺ؟

ويمكن أن تدلنا شواهد أخرى وردت في نهج البلاغة على حجية فعل النبي ﷺ أيضا بروية أمير المؤمنين عليه السلام فسعى لتطبيقه والدعوة للعمل به حرفيا، **وسنشير لها هنا إجمالاً، لأننا سنذكرها تفصيلاً في محل آخر لاحق من هذا البحث**^٣: منها حادثة استشارة عمر للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قضية حلي الكعبة ، إذ قال له عليه السلام: " فَأَقْرَهُ حَيْثُ أَقْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ " ، واحتجاه على طلحة والزبير لما عاتباه على أمر التسوية بالعتاء ، إذ خالف بذلك عليه السلام من سبقه ، فقال عليه السلام: " وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي ، وَلَا وَلِيَّتُهُ هَوَى مَنِي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - قَدْ فُرِعَ مِنْهُ " .^٤ وكذلك ما أوصى به من كان يستعمله على الصدقات في حكومته **كما مر بنا**، ولما احتج على الخوارج احتج بسنة النبي ﷺ " وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ ، إِلَى أَنْ نُحْكَمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ ، لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُنْتَوِي ، عَنْ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْكَمَ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهَا " ومن وصيته عليه السلام لابن عباس لمابعثه للاحتجاج على الخوارج: " لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَالٌ ذُو وُجُوهِ ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ . . . وَلَكِنْ حَاجِبُهُمْ بِالسُّنَّةِ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً " ^٥

١- الديباج الوضي: 4/ 1707.

٢- سورة النساء آية 80.

٣- ينظر من هذا الفصل: ص 416 - 418 .

٤- نهج البلاغة: ص 713.

٥- نهج البلاغة: ص 437.

٦- نهج البلاغة: ص 238 - 239.

٧- نهج البلاغة: ص 646.

إذن في الشواهد أعلاه بينه على حجية قول النبي ﷺ وفعله بروية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولو كان ما جمع في نهج البلاغة شاملا لكل كلامه عليه السلام لأتحفتنا شواهد أخرى في هذا المجال.

- واقع السنة بعد النبي ﷺ في ضوء نهج البلاغة :

من خلال استقراء كلمات أمير المؤمنين عليه السلام المتضمنة مفهوم وموضوع السنة النبوية نلمح انه أشار إليها بعبارات تدل على واقع مؤلم عاشته سنة النبي بعد رحيله ﷺ وحتى تسلم الإمام عليه السلام مقاليد الخلافة ، مما يتوجب علينا الوقوف عند تلك الالامحات ، التي يمكننا من خلالها رصد المعضلات التي تعرضت لها السنة النبوية التي منها:

أولاً: نقشي ظاهرة الوضع في الحديث النبوي بالكذب على رسول الله ﷺ ، وقد جاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام ليحذر منه ، ويوضح إن لهذه الظاهرة جذورها التي تمتد إلى عهده ﷺ إذ يقول: " وَوَقَدْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عَلَى عَهْدِهِ ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " .^١ وأما بعد النبي ﷺ فقد كان المجال أوسع لانتشار الوضع في الحديث ثم كذب عليه من بعده، حتى قال عليه السلام لمن سأله عن اختلاف الحديث الذي بات يشهد تناقضا وتضاربا وكله ينسب الى النبي ﷺ فقال عليه السلام : " إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا ، وَصِدْقًا وَكُذْبًا ، وَنَاسِحًا وَمُنْسُوخًا ، وَعَامًّا وَخَاصًّا ، وَمُحْكَمًا وَمُنْتَشَابَهَا ، وَحِفْظًا وَوَهْمًا " ^٢ ، وعدّ من أصناف الرواة عن النبي ﷺ " وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ ، رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلَامِ ، لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مُتَعَمِّداً " ^٣ ، هذا الصنف هو صاحب اليد الطولى في الوضع والتزوير الذي لحق بأحاديث النبي الشريفة وبيّن عليه السلام موقف المجتمع منه ، وما يقف وراء تقبل حديثه رغم كونه موضوعا ومكذوبا على النبي ﷺ ، إذ يقول عليه السلام : " فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - رَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِيَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ " ^٤ .

١ - نهج البلاغة : ص441.

٢ - نهج البلاغة : ص440 - 441.

٣ - نهج البلاغة: ص441.

٤ - نهج البلاغة: ص441.

ثم أشار عليه السلام إلى حركة هذه الفئة المنافقة وخطرها على المجتمع: " **ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أئِمَّةِ الضَّلَالَةِ، والدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمُ الأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمُ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ** ".^١ أي أن أئمة الضلالة بسبب وضع الأخبار أعطوا هؤلاء المنافقين الولايات وسلطوهم على الناس ، ويحتمل العكس أي بسبب مفتريات هؤلاء المنافقين صاروا ولاية على الناس وصنعوا ما شاءوا وابتدعوا ما أرادوا ، وقد استبعده المجلسي^٢ . ولعل وجه استبعاده أن ظاهر كلامه عليه السلام يفيد كون إمامة أئمة الضلالة متقدمة على وضع الإخبار حيث تقربوا بها إليهم، فلا تكون حينئذ ولايتهم وإمامتهم مستتدة إلى وضعها ومسببة لها ، ولكن يمكن رفع البعد بان يكون المراد إن إثبات حكومتهم وولايتهم واستحكامها كان بسبب مفتريات المنافقين وان لم يكن أصل الولاية بسببها "^٣، ثم قال عليه السلام : " **فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا** " أي معهم وبإعانتهم ، والضمير الأول راجع إلى أئمة الضلالة ، والثاني إلى المنافقين المفترين، ويحتمل العكس أيضا، وأشار إلى علة تقربهم إلى الولاة بمفترياتهم بقوله : " **وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ المُلُوكِ وَالدُّنْيَا** " ، لكون هواهم فيها ، فهم عبيد لها، ولمن في يديه شيء منها حينما زالت زالوا إليها وحينما أقبلت أقبلوا عليها (إلا من عصم الله) تعالى منها ومن أهلها، وهم الذين امنوا وعملوا الصالحات، و قليل ما هم ^٤ . ثم أشار عليه السلام في موضع آخر إلى إن الأمر سوف يزداد سوءا من بعده عليه السلام ، إذ يقول : " **وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَحْقَى مِنَ الْحَقِّ ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ البَاطِلِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ** " ^٥ . وسيمر بنا كيف سعى الإمام عليه السلام لبيان سبيل النجاة من هكذا فتن ومخاطر .

ثانيا: أشار عليه السلام في أكثر من مورد إلى **ظاهرة " البدع "** في الدين وتفشيها في المجتمع آنذاك ، كما تدلنا النصوص التي سنتناولها في هذا البحث تباعا ، ولكن في البدء لا بد من بيان مفهوم البدعة ، فالبدع في اللغة : الاختراع والانشاء لا عن سابق ^٦ ، اسم من الابتداع سواء كانت محمودة أم مذمومة ،

١- نهج البلاغة : ص 441.

٢- ينظر: البحار: 2/ 232.

٣- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 14 / 29.

٤- نهج البلاغة: ص441.

٥- نهج البلاغة : ص441.

٦- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 14 / 29.

٧- نهج البلاغة : ص267.

٨- الرازي: مختار الصحاح: ص31 . ابن منظور: لسان العرب: 8 / 6. الفيروز آبادي: القاموس المحيط: 3/4.

ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة^١، والبدعة في الدين: إيراد قول أو فعل لم يستن قائله أو فاعله فيه بصاحب الشريعة^٢، وهي كل محدث جديد على غير مثال سابق^٣، وتطلق شرعا في مقابل السنة، ولذلك هي في عرف الشرع مذمومة^٤، وروى إن أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن السنة والبدعة فقال: "السنة ما سن رسول الله ﷺ، والبدعة ما أحدث من بعده"^٥. ويبدو إن مفهوم السنة والبدعة صارا متقابلين، فان البدعة والإحداث في الدين مما لم يكن فيه، يوجب ترك السنة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام "وما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة"^٦.

عصفت بالأمة بعد رحيل النبي ﷺ الفتن المظلمة ومن ابرزها ظهور البدع، وتجرؤ بعضهم على مخالفة الشريعة الحقة، وهو ما أشار له أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "إنما بدء وُقوع الفتن أهواء تُتبع وأحكام تُتبدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجال رجلا على غير دين الله"^٧. وهذا ما اكده رسول الله ﷺ: "كيف أنتم إذا ألبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، ويجري الناس عليها ويتخذ منها سنة فإذا غير منها شيء، قيل: قد غيرت السنة، وقد أتى الناس منكرا"^٨.

وإن الله قد نهى عن البدعة في الدين مبينا إن التشريع الإلهي أمر يختص بالله تعالى وهو توقيفي فلا يجوز الاجتهاد في مقابله، وقد دل القرآن على ذلك^٩. وهو ما تمثله النبي ﷺ في نهيه عن ذلك في

- ١- ابن الأثير: النهاية: 1/ 106 - 107، أبو سعدي: القاموس الفقهي: ص 32.
- ٢- الجوهرى: الصحاح: 3/ 1184. الطريحي: مجمع البحرين: 1/ 164. العسكري: المصطلحات الإسلامية: ص 224.
- ٣- الزبيدي: تاج العروس: 5 / 271.
- ٤- أبو سعدي: القاموس الفقهي: ص 32.
- ٥- الصدوق: معاني الأخبار: ص 155. الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص 265، وينظر ما يشابهها: الحراني: تحف العقول: ص 211. المتقي الهندي: كنز العمال: 1/ 378. المحمودي: نهج السعادة: 1/ 358.
- ٦- نهج البلاغة: ص 265.
- ٧- نهج البلاغة: ص 87.
- ٨- المازندراني: شرح اصول الكافي: 11 / 393.
- ٩- كقوله: " وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" سورة المائدة الآية 44، وقوله: " وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" سورة المائدة الآية 45، وقوله: " وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ" سورة المائدة الآية 49، وقوله: " وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَتَّرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ" سورة النحل الآية 116، وقوله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ" سورة الأنفال الآية 20.

في جملة من الأحاديث منها قوله عليه السلام: " ما أمرتكم به فخذوه ، وما نهيتكم عنه فانتهاوا " ^١ . وقوله: عليه السلام: " ستة لعنتهم وكل نبي مجاب... " وذكر منهم " وتارك السنة " ^٢ ، وقوله عليه السلام: " إن خير الحديث الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة " ^٣ . وقوله: " إياكم إياكم والبدع فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار " ^٤ ، وقوله: " تفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة أضرها على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام و يحرمون الحلال " ^٥ ، وقوله: " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتُمْ " ^٦ ، وعن الإمام الصادق عليه السلام: " قال جدي رسول الله عليه السلام: أيها الناس حلالي حلالي حلال إلى يوم القيامة، وحرامي حرام إلى يوم القيامة، ألا وقد بينهما الله عز وجل في الكتاب، وبينتهما لكم في سيرتي وسنتي، وبينهما شبهات من الشيطان، وبدع من بعدي، من تركها صلح له من أمر دينه ، وصلحت له مروته وعرضه... " ^٧ .

وقد جاء كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام متناغما مع ما أمر به الله ورسوله عليه السلام ، مبينا مخاطر إتباع البدع ، ناهيا عنها ، داعيا إلى وجوب التمسك بالسنة المحمدية الهادية إلى الحق ، فقد قال عليه السلام: " إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ ، وَإِنَّ الْمُبْتَدِعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ " ^٨ . وقال أيضا " فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وَأَعْلَامَ الْبِدَعِ ، وَالزُّمُومَا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ ، وَبُيِّتَ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ " ^٩ ، وقد حذر أمير المؤمنين عليه السلام من تعطيل السنة والاتجاه نحو البدع فان في ذلك هلاك الأمة ، وهذا الأمر يتوجه إلى الحكام في البداية لان بيدهم زمام الأمور ومنهم يخاف ويرهب ^{١٠} ، قال الإمام عليه السلام: " وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ

-
- ١- ابن ماجه: سنن : 3 / 1 . القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 7 / 138 . المتقي الهندي: كنز العمال: 1 / 175.
 - ٢- الطبراني: المعجم الأوسط: 2 / 186. الهيثمي: مجمع الزوائد: 7 / 205.
 - ٣- أبو يعلى: مسند أبو يعلى: 4 / 85 . ابن قدامة: المغني: 2 / 155 . النووي: المجموع: 4 / 516.
 - ٤- ابن بابويه: فقه الرضا عليه السلام: ص 383 . المفيد: المسائل الصاغانية: ص 86 . الشهيد الأول: الذكرى: ص 255.
 - ٥- أبو داود: سؤالات الآجري: 2 / 278 . الحاكم: المستدرک: 3 / 547 . ابن حزم: المحلى: 1 / 62 . النوري: مستدرک الوسائل: 17 / 257.
 - ٦- الدارمي: السنن: 1 / 69 . أبو خيثمة النسائي: كتاب العلم: ص 16 . الهيثمي: مجمع الزوائد: 1 / 181.
 - ٧- الكراکجي: كنز الفوائد: ص 164.
 - ٨- نهج البلاغة: ص 324.
 - ٩- نهج البلاغة: ص 277.
 - ١٠- الميلاني: سيرة الرسول الاعظم عليه السلام في نهج البلاغة: ص 30.

والدَّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ ... الْمُعْطَلُ لِلْسُنَّةِ فِيهِلِكَ الْأُمَّةُ^١ ، وفي نص آخر يشير إلى أهمية دور الحاكم في الحفاظ على السنة ، وان ذلك يتبع صلاحه أو فساده، فيجعل عليه السلام المقيم للسنة من أفضل عباد الله ، والمميت لها من شر الناس، يقول عليه السلام : " فَاَعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ ، هُدًى وَهَدًى ، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بَدْعَةً مَجْهُولَةً ، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَبِيْرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضَلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً ، وَأَحْيَا بَدْعَةً مَتْرُوْكَةً^٢ ". وقد شخص عليه السلام أهم دلالات البدع التي يمكن إفرادها بنقاط :

- 1 - مخالفتها لكتاب الله إذ يقول عليه السلام: " يخالف فيها كتاب الله^٣ " ومخالفته أما بان لا يكون فيه ما يدل عليها ، وأما إن تخالفه بان تكون مناقضة لحكمه^٤.
- 2 - وقد وصف عليه السلام حال المحدث في الدين بالمجهول: " وأمات بدعة مجهولة^٥ " أي ما ابتدع من الأمور المضادة للسنن هو مما يجهل أمره ولا يعرف له طريق^٦.
- 3 - وفي نص آخر يشير عليه السلام إلى إن البدع " ظاهرة " جلي أمرها " لها أعلام " ^٧ قد أوضحها الرسول ﷺ وارشد إليها من اجل اجتنابها كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: " ويهديكم سنن الذين من قبلكم^٨ " يعني من الأنبياء " ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما " ^٩ مخالفا للحق مخالفة ظاهرة لا لبس فيها^{١٠}.

وهناك نصوص عديدة يحذر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيها من خطر البدع وأثرها السلبي على الدين والمجتمع. كقوله عليه السلام : " إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ ، رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ، فَهُوَ جَائِرٌ عَن قَصْدِ السَّبِيلِ ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَتَنَ بِهِ ضَالٌّ عَن هُدًى

١ - نهج البلاغة: ص 247.

٢ - نهج البلاغة: ص 309.

٣ - نهج البلاغة: ص 87.

٤ - الحسيني: الديباج الوضي: 1 / 456.

٥ - نهج البلاغة: ص 309.

٦ - الحسيني: الديباج الوضي: 3 / 1352.

٧ - نهج البلاغة: ص 309.

٨ - سورة النساء الآية 26.

٩ - سورة النساء الآية 27 .

١٠ - الحسيني: الديباج الوضي: 3 / 1352.

مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنْ أَقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ " ١ ،
ويقول عليه السلام أيضا: " إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ وَلَهَا يَرْضَى
وَيَسْخَطُ ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا ، وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ، أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِيًا رَبَّهُ ، بِخَصْلَةٍ
مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتَّبِعْ مِنْهَا ، أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، أَوْ يَشْفِي غَيْظَهُ بِهَلَاكِ
نَفْسٍ ، أَوْ يَعْرِ بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ " ٢ وقال أيضا: "
" اسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ ، وَعَلَى مِنْهَا جِ أَمْرُهُ وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، ثُمَّ لَا تَمَرُّقُوا مِنْهَا وَلَا
تَبْتَدِعُوا فِيهَا ، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَهْلَ المُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... وَاغْلَمُوا عِبَادَ
اللَّهِ أَنَّ المُؤْمِنِينَ يَسْتَحِلُّونَ العَامَ ، مَا اسْتَحَلَّ عَامًا أَوَّلٌ وَيُحَرِّمُ العَامَ مَا حَرَّمَ عَامًا أَوَّلٌ ، وَأَنَّ مَا أُحْدِثَ
النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئًا ، مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ، ... وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُتَّبِعِ شِرْعَةٍ وَمُبْتَدِعِ بِدْعَةٍ ، لَيْسَ
مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بَرَهَانٌ سُنَّةٍ وَلَا ضِيَاءٌ حُجَّةٍ " ٣ .

ويمكن بلورة رؤية الامام أمير المؤمنين عليه السلام في تيارين متضادين مثلا في تعاملهما مع السنة النبوية
المجتمع انذاك . وهذان التياران هما :

التيار الأول: (متبع الشرعة) ملتزم باستقاء الأحكام من القرآن والسنة، منتهجين منهج الطاعة
والامتثال لمطلق الأوامر الصادرة عن الله ورسوله ﷺ دون أدنى اعتراض. وقد دأبوا على إحياء السنة ،
وهم الذين كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتأوه على فقدانهم بقوله : " أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ
فَأَحْكَمُوهُ ، وَتَدَبَّرُوا الْفُرْصَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَوْا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ " ٤ ، وهم الذين وصفهم بقوله: " طُوبَى
لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ ... وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ " ٥ .

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام اصدق مظهر لهذا التيار وواضحه ، فهو الذي كان رائدا في مجال
إحياء سنة النبي ﷺ والعمل بها، بعد أن تعهد الالتزام بهذا المنهج، وكان يفتخر ويقول: " وَلَقَدْ عَلِمَ
المُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - ، أَنِّي لَمْ أُرِدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ

١- نهج البلاغة: ص 43.

٢- نهج البلاغة: ص 281 - 282.

٣- نهج البلاغة: ص 337 - 339.

٤- نهج البلاغة: ص 354.

٥- نهج البلاغة: ص 678.

سَاعَةً قَطُّ^١ ، وفي قول آخر: "واني والله لم أخالف رسول الله ﷺ قط ولم اعصه في أمر قط^٢ ، وقال عليه السلام: "أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمُضَلَّةِ^٣ ."

التيار الثاني: (مبتدع بدعة) وهو التيار الذاهب إلى مشروعية الرأي وصحة الاجتهاد مقابل النص ، وهم وان كانوا معتقدين برسالة النبي محمد ﷺ إلا أنهم لم يعطوه تلك القدسية والمكانة التي منحها الله إياه ، فكانوا يتعاملون معه ﷺ على انه بشر يخطئ ويصيب ، ولذا لم يتعبدوا بالأحكام الصادرة عنه ، بل من حقهم الاجتهاد في استحداث ما يرونه مناسباً ، حسب ما تقتضيه المصلحة - مصلحة الدولة - ويرأيهم ان نصوص الكتاب مادام أنها جاءت لرعاية مصلحة العباد ، فلذا من حقهم تعطيل أو استبدال أي نص قرآني أو حديثي عندما يضر بالمصلحة ، عندئذ يفتون بما يرونه بديلاً عن النص والحكم الصادر عن الله ورسوله ﷺ . وقد أدى ذلك إلى ظهور البدع ، وشكل ظاهرة واضحة يمكن إحصاء دلالاتها وآثارها على المجتمع " **وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ** " ^٦ ، وقد جاءت إشارات الإمام عليه السلام واضحة لنماذج من هذا التيار وما أحدثوه في المجتمع: " **فَيَا عَجَبًا وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرَقِ ، عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ، لَا يَقْتَصُونَ أَثَرَ نَبِيِّ وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيِّ ... مَفْرَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهْمَاتِ [المبهمات] عَلَى آرَائِهِمْ ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرَى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابِ مُحْكَمَاتٍ** " ^٧ . ويقول عليه السلام في وصف نموذج منهم " **وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ ، فَافْتَبَسَ جِهَائِلَ مِنْ جُهَالٍ وَأَضَالِيلَ مِنْ ضَلَالٍ ... يَقُولُ أَقْفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ ، وَيَقُولُ أَعْتَزَلُ الْبِدْعَ وَيَبْنِيهَا اضْطَجَعَ ، فَالْصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانَ** " ^٨ . وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام في مقطع آخر من كلامه الشريف ما آل إليه أمر الأمة في تلك

١- نهج البلاغة: ص 421-422.

٢- المفيد: الأمالي: ص 235 ، الاختصاص: ص159 . المجلسي: البحار: 32/595.

٣- نهج البلاغة: ص 32، قال صبحي الصالح: جواد المضلة: الجواد جمع جادة وهي الطريق، والمضلة . بفتح الضاد وكسرهما . الارض يضل سالكها. نهج البلاغة: ص32 هـ11.

٤- لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر : عبد الحسين شرف الدين : الاجتهاد مقابل النص (الصفحات جميعها).

٥- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية ، ثلاثون عاما بعد الرسول ﷺ : ص34 - 55.

٦- نهج البلاغة: ص 309.

٧- نهج البلاغة: ص143 - 144.

٨- نهج البلاغة : ص140 - 141.

الفترة من تاريخها : " وظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعَمِلَ بِأَهْوَى ، وَعُظِّلَتْ الأَحْكَامُ " ١ .

وهنا لا بد من تلمس واقع الحال الذي عاشته سنة النبي ﷺ إبان تلك المدة من تاريخها، وكيف تعاملت الأمة معها بعد رحيله ﷺ! وهو ما يتطلب العودة إلى مصادر التاريخ، واستجلاء الشواهد التي نطقت بها الروايات في هذا المجال، إذ ليس بخاف على المتصفح لمطايير كتب التراث الإسلامي إن الطعن في السنة النبوية قد بدأت بوادره والنبي ﷺ ما يزال حيا بين أظهرهم، وإن الواقع ينبئ عن تجرأ بعض الصحابة على تحطئة النبي ﷺ أو الاعتراض على قراراته وأقواله وأفعاله والتشكيك بها، وقد أوضح القرآن ذلك وعالج الكثير من أمثال هذه الحالات اللا مسؤولة، منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ٢ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ ٣ ، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴾ ٤ ، إلى غيرها من الآيات التي لوححت أو صرحت بما لا يقبل الشك من وجود هكذا أناس جهلوا جهلوا وتجاهلوا مكانة النبي ﷺ .

ولم تقتصر الدلالات على القرآن بل صرحت أحاديث النبي ﷺ بوجود هذا الاتجاه وانتقدته، لأن التعدي لم يقتصر على الرسول ﷺ بل تعداه إلى كتاب الله، فلذلك نجده يقول ﷺ لبعضهم: " ما لكم تضربون كتاب الله ببعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم " ٥ ، وفي نص آخر " أيتلاعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم " ٦ ، وما فتئ ﷺ يحذر أصحابه من التهافت في التعامل مع النصوص القرآنية

١- نهج البلاغة: ص 452. ذكر صبحي الصالح في هامش 5 من هذه الصفحة: محاج السنن: جمع محجة، وهي جادة الطريق ووسطها.

٢- سورة الحجرات الآيتان 1 - 2 .

٣- سورة الأحزاب آية 57 .

٤- سورة المجادلة الآية 8 .

٥- ابن كثير: تفسير: 1/ 542 . المتقي الهندي: كنز العمال: 1/ 193 .

٦- ابن حزم: المحلى: 10/ 167 . النووي: المجموع: 17 / 85 . المارديني: الجوهر النقي: 7 / 333.

والنبوية ، إذ الإيمان بالله ورسوله يقتضي التسليم والانقياد لما يقوله الله ويأمر به الرسول ﷺ ، فعدم التسليم بقدسية النبي ﷺ وأقواله وأفعاله يتقاطع مع الإيمان المطلق بالله ورسوله ﷺ .^١

ومن الشواهد المحسوسة على ما ذكرناه ما فعله بعضهم من مخالفة لأقوال النبي وأفعاله ﷺ وهو بين أظهرهم كفعل خالد في بني جذيمة ، فقد تبرأ النبي ﷺ من فعله^٢ ، وقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك^٣ - مع بدهاءة حرمة دم المسلم - رغم نطقه بالشهادتين^٤ ، ومن ذلك قول رجل من الأنصار في قسمة كان قسمها النبي ﷺ " والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله " ، فشق ذلك على النبي ﷺ وتغير وجهه وغضب^٥ . والآنكى من ذلك إن بعض رواد هذا الاتجاه أدوا النبي ﷺ في عرضه وأزواجه حتى قال طلحة وعثمان : " أينكح محمد نساءنا إذا متنا ولا ننكح نساءه إذا مات ؟ لو مات لقد اجلنا على نسائه بالسهم فانزل الله " ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تتكحوا أزواجه من بعده أبدا^٦ " .^٧

واللافت للنظر إن رواد البدع في المدة اللاحقة - التي نحن بصدد البحث فيها - وهم الخلفاء الذين تولوا الحكم بعد النبي ﷺ لم يكونوا بمنأى عن هذه الظاهرة إذ نجد لهم نصيبا من الاعتراض على رسول الله ﷺ ومخالفة أوامره و لا سيما عمر الذي خالف النبي ﷺ في مفردات كثيرة منها : إنكاره

١- الشهرستاني: وضوء النبي ﷺ: 2 / 16.

٢- ابن حنبل: المسند: 2 / 151. البخاري: الصحيح: 4 / 67. السرخسي: المبسوط: 20 / 143. ابن خلدون: تاريخ: 2/1 / 321 . ابن حجر: فتح الباري: 13 / 159 ، وللتفاصيل ينظر : شرف الدين: النص والاجتهاد: ص 460 - 462.

٣- مرداس بن نهيك: أو مرداس بن عمرو الفدكي، اختلف في امره، ولكنه الوحيد الذي اسلم من قومه، وكان صاحب غنم كثير، ورغم اعلانه اسلامه لكن اسامة قتله بدعوى انه قال الشهادة متعودا من القتل، مما اغضب النبي ﷺ ونزلت آيات قرآنية تنتقد ذلك التصرف. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: 4/1039. ابن شبه النمري: تاريخ المدينة: 2/450، الطبري: تاريخ 2/408، جامع البيان: 5/304. القمي: تفسير القمي: 1/148. الواحدي: أسباب نزول الآيات: ص116. ابن الاثير: أسد الغابة: 3/77، 4/376. ابن كثير: البداية والنهاية: 4/252. ابن حجر: الإصابة: 6/59، فتح الباري: 8/194، 12/171. السيوطي: الدر المنثور: 2/200.

٤- الطبري: جامع البيان: 5/304 . الواحدي: أسباب النزول: ص116. ابن الأثير: أسد الغابة: 4/346. ابن حجر: فتح الباري: 8/164. السيوطي: الديباج: 1/113 . المتقي الهندي: كنز العمال: 1/310.

٥- البخاري: الصحيح: 4/130 . ابن حزم: المحلى: 11/219 . ابن قدامة: المغني: 10/59 . الشوكاني: نيل الأوطار: 8/125 .

٦- سورة الأحزاب الآية 53.

٧- ابن طاووس: الطرائف: ص493. السيوطي: الدر المنثور: 5/214 - 215 .

أخذ الفداء من أسارى بدر^١، واعتراضه على النبي ﷺ في صلاته على المناق^٢، واستيائه من قسمة قسمها النبي ﷺ^٣، ومواجهته ﷺ بلسان حاد في صلح الحديبية^٤، ومطالبته النبي ﷺ أن يستفيد من مكتوبات اليهود في الشريعة^٥، وغيرها حتى بلغ به الحال التجرؤ على النبي ﷺ في آخر ساعاته واتهامه بالهجر. ومن ثم منعه ﷺ من كتابة كتابه وإطلاقهم البدعة التي فرقت بين القرآن والسنة " حسبنا كتاب الله "^٦. وما أن رحل النبي ﷺ حتى بان الانقسام بأوضح حالاته في أمته وافتتتوا فيما بين بين " متبع شرعة " و " مبتدع بدعة " فدخلت سنة النبي ﷺ في مرحلة التعطيل والتضييع، كما هو واضح في بيانات أمير المؤمنين عليه السلام وفي خطبه الشريفة، وذلك إن تسلط أصحاب التيار الثاني - الاجتهاد والرأي - على السلطة فسح لهم المجال لابتداع ما شاءوا من أحكام وان خالفت نص الكتاب والسنة الشريفة.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى تلك المرحلة التي أعقبت رحيله ﷺ وما حدث فيها وكيف تنبأ ﷺ بذلك إذ يقول: " وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها حكم الله يتولى فيها رجالاً رجالاتاً، إلا إن الحق لو خالص لم يكن اختلاف، ولو أن الباطل خالص لم يخف على ذي حجي، لكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجللان معا، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: كيف انتم إذا ألبستم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويجري الناس عليها ويتخذونها سنة فإذا غير منها شيء قيل: قد غيرت السنة، وقد أتى الناس منكراً، ثم تشتد البلية، وتسبى الذرية، وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب، وكما تدق الرحي بئقالها، ويتفقون لغير الله، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بإعمال الآخرة "^٧. ثم نجده عليه السلام يصرح بما احدث قبله من قبل الخلفاء " قد عملت الولاية قبلي

١- لمزيد من التفاصيل والمصادر ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص 319 - 323 .

٢- لمزيد من التفاصيل ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص 186 - 189 . الشهرستاني: وضوء النبي ﷺ: 19/2.

٣- ابن حنبل: المسند: 20/1.

٤- لمزيد من التفاصيل والتحليل ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص 163 - 186 .

٥- الصنعاني: المصنف: 313/10.

٦- ابن حنبل: المسند: 325/1. البخاري: الصحيح: 5/ 138. مسلم: الصحيح: 5/ 76، ولمزيد من التفاصيل ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص 148 - 163.

٧- ابن أبي شيبة: المصنف: 8/ 599 . الكليني: الكافي: 8/ 59 . المازندراني: شرح أصول الكافي: 11/ 393 .

أعمالاً خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمدين لخلافه ، ناقضين لعهدده ، مغيرين لسنة " ^١ ، إن شواهد كلامه واضحة فقد ابتدأ الخليفة أبو بكر عهده باتخاذ موقفاً سلبياً من سنة النبي ﷺ إذ نجده يخالف أوامر الله ورسوله ﷺ بسلب حقوق أهل البيت السياسية والاقتصادية ^٢ التي أقرتها السماء على لسان النبي ﷺ ، وهذا ما هو إلا اجتهاد منه في قبال النص الإلهي ، وقد استخدم هو وحكومته شتى الوسائل لتحقيق مرامهم ، ومن ذلك افتعال الأحاديث مما يدعم اجتهادهم كحديث " إنا معاشر الأنبياء لا نورث " ^٣ .

لقد شهد عهد أبي بكر تعطيلاً للسنة النبوية من وجه آخر تمثل بمنع الرجوع إلى سنة النبي ﷺ ومنع حديثه بقوله " لا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه " ^٤ . فقد عمل ببدعة " حسبنا كتاب الله " ، وهذا ما حذر منه النبي ﷺ قائلاً: " يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي ، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحلناه وما وجدنا من حرام حرّمناه . ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله " ^٥ . وتوالت القيود والإجراءات القاسية بحق سنة النبي ﷺ رواية وتدويناً ، إذ تعرضت للمنع والإحراق بل ومعاقبة من يروونها أو يدونها من الصحابة ، كالذي فعله الخليفة عمر إذ عاقب بالضرب والحبس جماعة ممن رووا الحديث عن النبي ﷺ ^٦ .

ومهما كان المدى الذي تم فيه المنع - يتسع أو يضيق - ليقصر على أفراد معينين ، فقد تعرضت سنة النبي ﷺ للتعطيل ، وأحدثت بدع كثيرة لم يكن لها حجة ولا برهان واضح في الدين ، إنما هي محض اجتهاد اجتهاده بعض الخلفاء ، منها بدعة عمر في صلاة التراويح التي اعترف بنفسه بأنها بدعة بقوله " نعم البدعة هذه " ^٧ . وقد علق علماء اللغة في شرحها : " سماها بدعة لان رسول الله لم يسن لهم

-
- ١- الكليني: الكافي: 8 / 59 . البحراني: الحقائق الناظرة: 8 / 168 - 169 .
 - ٢- لمزيد من التفاصيل ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: ص 679 - 1017 .
 - ٣- لمزيد من التفاصيل ينظر: شرف الدين : النص والاجتهاد: ص 55 . 66 . العواد: السيدة فاطمة عليها السلام : ص 860 - 900 .
 - ٤- الذهبي: تذكرة الحفاظ: 1 / 2-3 .
 - ٥- الدارمي: السنن: 1 / 144 . ابن ماجه : سنن: 1 / 6 .
 - ٦- لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص 17 - 34 . الشهرستاني: منع تدوين الحديث النبوي: ص 191 - 299 . البلادوي: فضائل أهل البيت: ص 31 . 43 ، الحلو: تاريخ الحديث النبوي: ص 126 . 236 .
 - ٧- البخاري: صحيح: 2 / 252 . البيهقي: السنن الكبرى : 2 / 493 . ابن حجر: فتح الباري: 4 / 219 ، لمزيد من التفاصيل انظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص 250 - 255 .

لهم ، ولا كانت في زمن الصديق ، و لا أول الليل ، ولا هذا العدد " ^١ . ويأتي منه اعتراف آخر بتعطيله حكم الله وسنة النبي ﷺ : " متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة النساء ومتعة الحج " ^٢ .

وفي نص الخطبة عن أمير المؤمنين عليه السلام المشار إليها أعلاه ، روي انه عليه السلام قد أوجز بيان تلك البدع التي أحدثها الخلفاء قبله بقوله : بعد أن أشار إلى أنهم قد غيروا سنة رسول الله "... مغيرين لسنة ، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ لتفرق عني جندي... رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام ، فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ ، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام ، ورددت صاع رسول الله ﷺ كما كان ، وأمضيت قطائع اقطعها رسول الله ﷺ لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد ، ورددت قضايا من الجور قضي بها ، ونزعت نساء تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن ، واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأحكام ، وسبيت ذراري بني تغلب ، ورددت ما قسم من ارض خيبر ، ومحوت دواوين العطايا ، وأعطيت كما كان رسول الله ﷺ يعطي بالسوية ولم اجعلها دولة بين الأغنياء وألغيت المساحة ، وسويت بين المناكح ، وأنفذت خمس رسول الله كما انزل الله عز وجل وفرضه ، ورددت مسجد رسول الله ﷺ إلى ما كان عليه ، وسددت ما فتح فيه من الأبواب ، وفتحت ما سد منه ، وحرمت المسح على الخفين ، وحددت على النبيذ ، وأمرت بإحلال المتعتين ، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأخرجت من ادخل بعد رسول الله ﷺ في مسجده ممن كان رسول الله ﷺ أخرجه ، وأدخلت من اخرج بعد رسول الله ﷺ ممن كان رسول الله ﷺ ادخله ، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة ، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها ، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها ، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم ، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، إذا لتفرقوا عني " ^٣ .

١- ابن الأثير: النهاية: 1/ 107 . ابن منظور: لسان العرب: 8/ 6 . الزبيدي: تاج العروس: 5/ 271 .

٢- ابن حنبل: مسند: 3/ 325، لمزيد من التفاصيل: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص 194-217.

٣- الكليني: الكافي: 8/ 59- 63 . وأشار لبعضها: الزمخشري: الفائق في غريب الحديث: 1/ 367 . ابن الأثير: النهاية: 1/ 210 .

ولقد ألف الناس هذه البدع وظنوا بأنها هي من سنة النبي ﷺ ، وذلك كله بسبب منهج الخلفاء وسياستهم في التعامل مع سنة النبي ﷺ ، تلك السياسة التي سلبت السنة شرعيتها و قداستها ومنحت بالمقابل لما استته الخلفاء مقاما تشريعيا لا يضاهاى بظهور ما عرف " بسنة أو سيرة الشيخين " ، إذ جعلوا منها قسما ثالث لكتاب الله وسنة النبي ﷺ ، بل إن الواقع يكشف عن ما هو أدهى ، إذ إن الناس أعطوا لسنة الشيخين من التقديس والإجلال ما لم يعطوه لسنة النبي ﷺ . ودلائل ذلك واضحة كما حدث مع أمير المؤمنين عليه السلام في عهد عثمان الذي لم يكن يقصر في الصلاة في السفر ، فصادف أن اعتل في منى فدعوا أمير المؤمنين عليه السلام للصلاة بهم ، فقال: "إن شئتم صليت بكم صلاة رسول الله ﷺ" فقال أكثرهم : لا، إلا صلاة أمير المؤمنين - يعنون عثمان "¹. وقصة أمير المؤمنين عليه السلام مع صلاة التراويح من هذا القبيل ، فحين أمرهم بالعود إلى ما كان أيام رسول الله ﷺ قالوا : "وا سنة عمراه"². فهم يعلمون جيدا أنها "سنة عمر" وان الذي يدعوهم إليه الإمام إنما هو "سنة النبي ﷺ"؟! فهكذا غيرت سنة النبي ﷺ وطراً عليها هذا النحو من التبديل ، فكان تداركها لإحياء السنة النبوية الثابتة هو من أهم ما وضعه أمير المؤمنين عليه السلام نصب عينيه لما تولى الحكم : "وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ... وَتُقَامَ الْمُعْطَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ"³.

ولكن ما موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من هذه المشكلات التي واجهت السنة النبوية وما هو دوره في معالجتها وإحياء سنة النبي ﷺ ، وهذا ما سنقف عليه في المبحث التالي بشيء من التفصيل .

١- ابن حزم: المحلى: 4 / 270. المارديني: الجوهر النقي: 3 / 144 - 145.

٢- الجواهري: جواهر الكلام: 13 / 141.

٣- نهج البلاغة: ص 247 .

المبحث الثالث

دور الامام أمير المؤمنين عليه السلام في احياء السنة النبوية

أولاً: - مؤلفاته العلمية عليه السلام ثانياً: منهجه عليه السلام في احياء السنة النبوية

أولاً: مؤلفاته العلمية عليه السلام

□ علمه بالسنة النبوية:

كان علمه عليه السلام بالسنة النبوية علماً شمولياً تفصيلياً ، مستوعباً لأفرادها ، عارفاً بحدودها ومواقعها ، وليس هذا محض ادعاء ، بل حقيقة ثابتة لم يكن يخفيها ، فلطالما أفصح عنها في خطب بليغة يلقيها على الملأ العظيم ، وفيهم كثير من الصحابة الذين عاشوا معه عليه السلام ومع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعرفوه وعرفوا غيره من الصحابة ، فمن ذلك قوله في كلام يصنف فيه رواية الحديث إلى أربع طبقات ، ثم يقول في مقارنة بينه وبين غيره من الصحابة ، " وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ ، حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيُجِيبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ ، فَيَسْأَلَهُ عليه السلام حَتَّىٰ يَسْمَعُوا ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ " ^١.

وفوق هذا كانت هناك عناية ربانية خاصة ترعاه إذ شملته رعاية السماء في كثير من جوانب العظمة والارتقاء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنْ اللَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أُدْنِيكَ وَلَا أَقْصِيكَ ، وَإِنْ أَعْلَمَكَ وَانْ تَعِي ، وَحَقَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ أَنْ تَعِي ، قَالَ: فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿ وَتَعِيهَا أُنْزُ وَأَعِيَّةٌ ٢﴾ ^٢ ، وفي رواية: حين نزلت

١- نهج البلاغة:ص 443 .

٢- سورة الحاقة آية 12 .

٣- الواحدي: اسباب النزول:ص294. ابن طلحة : مطالب السؤل:ص121.

هذه الآية ، قال رسول الله ﷺ: " سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك يا علي ، قال علي عليه السلام : " فما نسيت شيئاً من بعد وما كان لي أن أنسى " ^١.

هذا ما أهله لأن يصرح بعظمة علمه قائلاً: " بَلِ ائْتَمَرْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِاضْطِرَابِكُمْ ، اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ " ^٢ ، إذ بهذا النص الجلي وصف أمير المؤمنين عليه السلام غزارة علمه ، وما تتطوي عليه شخصيته العلمية من شمول وعمق بجوانب متعددة ، لذا نجده يتحدى كل من يدعي العلم من غير أهل البيت عليه السلام قائلاً: " أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ " ^٣.

ولما كان عليه السلام على هذا القدر من العلم أصبح هو الوحيد الذي لم يحتج إلى أحد في علمه بعد رسول الله ﷺ ، وقد صرح بذلك عليه السلام حينما خاطب طلحة والزبير ، مشيراً إلى أنه في غنى عن رأيهما على الصعيد العلمي وغيره ، وذلك حينما عتبا عليه فقالا : ما نراه يستشيرنا في أمر ، ولا يفاوضنا في رأي ، ويقطع الأمر دوننا ويستبد بالحكم عنا ^٤ ، فقال عليه السلام : " فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا ، وَأَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ، وَمَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فَأَقْتَدَيْتُهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمْ وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمْ ، وَلَا وَقَعَ حُكْمَ جَهْلَتِهِ فَاسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلَا عَنْ غَيْرِكُمْ " ^٥.

وإذا كان عليه السلام قد أشار إلى علمه إجمالاً في النصوص المتقدمة في وصفه لسعة علمه ، فإنه في نصوص أخرى قد تكلم بلون من التفصيل عما يشتمل عليه من العلوم في الميادين المختلفة ومن تلك الميادين علمه بسنة النبي ﷺ إذ " يبرهن للناس على علمه التفصيلي الدقيق بالسنة ، كما هو في الكتاب ، في خطاب يأخذ بمجاميع القلوب ، ما سمع الناس نظيراً له من صحابي غيره قط ، فيقول: " وَخَلَّفَ فِيكُمْ [النبي] مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّمِهَا ، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بَغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ ، كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيَّنًّا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ ، وَرُخْصَتَهُ وَعَزَائِمَهُ

١- الزيلعي: تخريج الاحاديث والاثار: 84 / 4. المازندراني: شرح أصول الكافي: 88 / 7 ، وينظر: ابن المغازلي: المناقب: ص250 . المتقي الهندي: كنز العمال: 177 / 13.

٢- نهج البلاغة: ص34.

٣- نهج البلاغة: ص263.

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : ص11 / 10.

٥- نهج البلاغة: ص437.

وخاصته وعامته ، وعبره وأمثاله ومرسله ومحدوده ، ومحكمه ومتشابهه مفسراً مجمله ومبيناً غوامضه ، بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله ، وبين مثبت في الكتاب فرضه ، ومعلوم في السنة نسخته ، وواجب في السنة أخذه ، ومرخص في الكتاب تركه ، وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله ، ومباين بين محارمه من كبير أوعده عليه نيرانه ، أو صغير أصد له غفرانه ، وبين مقبول في أدناه موسع في أقصاه " ١ ، هذه أبواب من السنن فتحت على علوم جمة توفر عليها ، مع بصيرة لا يخشى عليها لبس ولا توهم " ٢ .

وفي عهده عليه السلام إلى مالك الاشتهر يقول : " واعلم أن الرعية طبقات ، لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ، فمنها جنود الله ومنها كتأب العامة والخاصة ، ومنها فضاء العدل ومنها عمال الإنصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكل قد سمى الله له سهمه ، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه - صلى الله عليه وآله - عهداً منه عندنا محفوظاً " ٣ .

فهنا أشار عليه السلام إلى جميع أصناف المجتمع وما لهم وما عليهم وذكر إن الله تعالى بين أحكام الجميع في الكتاب والسنة وهما محفوظان عنده عليه السلام ، وقال عليه السلام أيضاً : " فما ذلك القرآن عليه من صفة قائم به ، واستنصى بنور هدايته وما كلفك الشيطان علمه ، مما ليس في الكتاب عليك فرضه ، ولا في سنة النبي - صلى الله عليه وآله - وأئمة الهدى أثره ، فكل علمه إلى الله سبحانه ، فإن ذلك منتهى حق الله عليك " ٤ .

□ اختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

إن اختصاصه عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم جعله الأولى بسنته والأحق بها من بعده ، وقد مر بنا في الفصل الأول دلالات ومعالم هذا الاختصاص الفريد .

١- نهج البلاغة: ص 21 - 22.

٢- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص 58

٣- نهج البلاغة: ص 596.

٤- الميلاني : سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : في نهج البلاغة: ص 31-32.

٥- نهج البلاغة: ص 149 - 150.

وقد اشار عليه السلام الى معلم من معالم ملازمته للنبي ﷺ وحرصه ﷺ على اعداده عليه السلام انه قد خصه بعلم الكتاب والسنة الشريفة ، إذ يقول: " فما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا الله إن يعطيني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام ، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ، ولا كتاب منزل على احد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته ، فلم أنس حرفاً واحداً ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملا قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً " ^١.

وبالقدر الذي كان فيه النبي ﷺ حريصاً على إعداد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ونشأته علمياً في كنف النبوة المقدسة كان الإمام عليه السلام نفسه شديد الحرص على التزام شخص النبي ﷺ واخذ العلم عنه ، إذ جاءت كلماته صريحة في بيان هذه الملازمة وهذا الحرص منه ^٢ ، وفي نص آخر يقول: " ما دخل نوم عيني ، ولا غمض رأسي على عهد محمد ﷺ حتى علمت ما نزل به جبرئيل من حلال ، أو حرام ، أو سنة أو كتاب ، أو أمر أو نهى ، وفيمن نزل " ^٣.

وقد بين رسول الله ﷺ إن هذا الاختصاص بالإمام عليه السلام إنما هو توجيه من السماء : " يا علي ! إن الله أمرني أن أدنيتك ولا أقصيك ، وإن أعلمك ، وإن تعي ، حق على الله أن تعي " ، فنزلت آية ﴿ وَتَعِيهَا أُنْزُ وَاعِيَةً ﴾ ^٤.

فمن ذا - بعد هذه الخصوصية - أحق بالنبي ﷺ وسنته سوى أمير المؤمنين عليه السلام لذا قال عليه السلام : " إن حُكِمَ بسنة رسول الله ﷺ فنحن أحق الناس وأولاهم بها " ^٥ ، وقد أشار عليه السلام إن مرجعية علومه ومصدرها هو النبي الأعظم ﷺ : " أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي ، وَلَا تَتَرَامُوا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّ الَّذِي أَنْبَأَكُمْ بِهِ عَنِ

١- الكليني: أصول الكافي: 1 / 64 ، ينظر: المازندراني: شرح أصول الكافي: 2 / 306. المير جهاني: مصباح البلاغة: ص 1 / 327 - 328 . البروجردي: جامع أحاديث الشيعة: ص 1 / 16 ، وتجد ما يشابهه عند: الصدوق: كمال الدين : 284 - 285.

٢- وذلك اشارة لقوله عليه السلام : " وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمَّهُ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ ... " ، نهج البلاغة: ص 406.

٣- الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: 43/1.

٤- الواحدي: اسباب النزول: ص 294. ابن طلحة : مطالب السؤول: ص 121.

٥- نهج البلاغة: ص 238 - 239.

النَّبِيِّ الْأَمِيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَلَا جَهْلَ السَّامِعُ " ١ ، ولشدة التصاقه برسول الله ﷺ وحمله علومه ومعارفه ، كان عليه السلام يفرغ عن لسانه ، ولا يتردد في تأكيد ذلك بكل اطمئنان فيقول : " وَاللَّهِ مَا أَسْمَعُكُمْ الرَّسُولُ شَيْئًا ، إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمْوه " ٢ .

إذن النبي ﷺ هو المصدر الذي استقى منه أمير المؤمنين عليه السلام الى جانب القرآن الكريم ، ولكن كيف كان يتلقى الإمام عليه السلام ذلك من النبي ﷺ ؟ إن نصوص النهج تفصح عن وجود عدة طرق :
أولاً: أشار الإمام عليه السلام الى أن النبي ﷺ كان يخصه ببعض الأحاديث ، فيقول عليه السلام : " قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ... " ٣

ثانياً: الوصية أو العهد ، في قوله عليه السلام : " عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا " ٤

ثالثاً: سؤاله عليه السلام : فقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من مورد انه كان يتوجه للنبي فيسأله ٥ ، وهذا مصداق لقوله عليه السلام : " وكننت إذا سألت رسول الله ﷺ أجابني " ٦ ، وقد مر بنا إشارة الإمام عليه السلام إن أصحاب النبي ما كانوا يسألونه كما كان يفعل هو عليه السلام .

رابعاً: السماع : كان النبي ﷺ يوجه خطابه لسائر المسلمين ، أو من حضر عنده في المسجد أو غيره ، وكان عليه السلام بحكم مرافقته له ﷺ ، والتزام شخصه ﷺ احد السامعين له ٧ ، ولكنه بالتأكيد كان أحفظهم لكلامه ﷺ وافهمهم له ، وقد انتقد عليه السلام أصنافا من الرواة الذين سمعوا من رسول الله ﷺ ولكنهم لم يفهموا ويعوا حديثه

خامساً: مشاهدة أفعاله ﷺ : لما كانت السنة النبوية المشرفة لا تقتصر على أقوال النبي بل تشمل أفعاله ﷺ وبحكم مرافقته له ﷺ في حله وترحاله ، لذلك كان عليه السلام يشاهد أفعاله ﷺ التي تعد سنة واجبة الإتباع ٨ .

١- نهج البلاغة: ص 186 - 187 .

٢- نهج البلاغة: ص 145 .

٣- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص 525 .

٤- نهج البلاغة: ص 596 .

٥- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص 610 .

٦- الكليني: الكافي 1/64 . النعماني: الغيبة: ص 82 . المازندراني: شرح أصول الكافي: 2/306 .

٧- نهج البلاغة: ص 309 ، 581 ، 583 ، 609 .

٨- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص 431 ، 503 .

سادسا: أخرى: كان أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى بعض أقوال النبي صلى الله عليه وآله وأفعاله دون الإشارة إلى الكيفية التي استقى من خلالها ، فيقول مثلا : " كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول " ^١ أو " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ " ^٢ أو " وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ " ^٣ أو " على لسان النبي الأُمي " ^٤ ، أو : " فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول... يقول... " ^٥

سابعا: الاستشهاد بكلام النبي صلى الله عليه وآله دون الإشارة لذلك ^٦ وفي ذلك دلالة على امتزاج الإمام بالنبي صلى الله عليه وآله.

لم يقتصر دور أمير المؤمنين عليه السلام على رواية الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله بل نجده عاملا بها ، و شارحا لها ، مبينا صحيحها من زيفها .

ثانيا : منهجه عليه السلام في احياء السنة النبوية

إن المنهج هو الذي سيحدد عنده موقع السنة ، وطريقته في التعامل معها رواية وتدوينا ، لقد كانت السنة عنده في المكان الذي وضعها الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، حاکمة غير محكوم عليها ، لا تتسخها (مصلحة) ، فالمصلحة كل المصلحة في تحكيمها وإتباعها ، ولقد ضحى بالخلافة مرة حفاظا على السنة أن تنتهك أو يساء الفهم في حقيقة مكانتها ^٧ . وهو الذي عارض عثمان في مخالفته لسنة النبي صلى الله عليه وآله وأصر على إحيائها ، إذ روي أنه اجتمع أمير المؤمنين والخليفة عثمان في عسفان ^٨ ، فكان عثمان

١- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص503.

٢- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص338.

٣- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص430.

٤- ينظر مثلا: نهج البلاغة ص 281، 662.

٥- ينظر مثلا : نهج البلاغة: ص339.

٦- نهج البلاغة: ص754 ، 756-757.

٧- عبد الحميد: تاريخ السنة: ص59.

٨- عسفان: بضم أوله ، وسكون ثانية ، سميت لتعسف السيل فيها ، وهي ما بين المدينة ومكة ، تبعد عن مكة مرحلتين. ياقوت الحموي: معجم البلدان: 121/4-122.

ينهى عن المتعة أو العمرة ، فقال له علي: ما تريد إلى أمر فعله النبي ﷺ تنهى الناس عنه ؟ فقال له عثمان دعنا عنك ، قال: إني لا أستطيع أن ادعك ، فلما رأى ذلك علي أهل بهما جميعا^١ فهنا أمير المؤمنين عليه السلام لم يداهن أو يحابي على الحق وان خالف بذلك الحاكم في وقته ، وفي رواية ثانية : عن مروان بن الحكم ، انه شهد عثمان وعلياً بين مكة والمدينة ، وعثمان ينهى عن المتعة ، وان يجمع بينهما ، فلما رأى ذلك علي أهل بهما: لبيك بحجة وعمرة ، فقال عثمان : تراني أنهى الناس وأنت تفعله ؟ فقال : ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد^٢ . وروي انه قيل له : ألا تخلف رجلاً رجلاً يصلي الناس في العيدين ؟ فقال: لا أخالف السنة^٣ ، وفي رواية : انه قال: أكره أن استن سنة لم لم يستنها رسول الله ﷺ^٤ .

فالإمام عليه السلام يثبت عملياً انه لا يجوز مخالفة سنة رسول الله ﷺ بل الواجب التقيد بها مهما كان . لذا نجده رفض أن يبايعوا له بالخلافة على عقد يقرن بسنة النبي ﷺ سننا أخرى ، إذ عرض عليه عبد الرحمن بن عوف أن يبايع له على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر ، فرفض أن يقرن إلى كتاب الله وسنة رسوله شيئاً آخر^٥ ، فضحى بالخلافة حفظاً لمكانة السنة في درس بليغ لم تقف الأمة على جوهره حتى اليوم^٦ .

وفي حادثة أخرى نجده أيضاً يرفض أن يعزز جيشه بكتيبة جاءت تباع له على خلاف السنة يوم خرج عليه المارقون ، إذ قالوا: نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين ! فرفض أن يقرن بكتاب الله وسنة رسوله شرطاً ولو أدى رفضه إلى تمرد هؤلاء والتحاقهم بالمارقين^٧ . فلو قبل الإمام عليه السلام بهذا الشرط ، فان ذلك يعني التخلي عن مدرسة التعبد المحض ، والانخراط في سلك الاجتهاد بالرأي

١- البخاري: الصحيح: 2/ 153 . البيهقي: السنن الكبرى: 22/5 . ابن عبد البر: الاستنكار: 66/4 . ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين: 1/ 182 . ابن تيمية: مجموعة الفتاوى: 26/ 82 . الذهبي: تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: 2/ 15 . الزيلعي: نصب الراية: 3/ 199 . العيني: عمدة القاري: 9/ 203 . السيوطي: الدر المنثور: 1/ 216 .

٢- أبو داود: المسند: ص16 . الدارمي: السنن: 2/ 70 . البيهقي: السنن الكبرى: 22/5 .

٣- البرقي: المحاسن: 1/ 222 . الطوسي: الخلاف: 1/ 667 . الطبرسي: المؤلف من المختلف بين أئمة السلف: 1/ 234 .

٤- البحراني: الحدائق الناظرة: 10/ 209 . المجلسي: البحار: 87/ 374 . الجواهري: جواهر الكلام: 11/ 335 .

٥- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 1/ 188 . ابن ميثم البحراني: اختيار مصباح السالكين: ص95 .

٦- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص59 .

٧- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص59-60 .

وذلك ما لا يقره الامام علي بن أبي طالب عليه السلام تبعا لرسول الله ﷺ والقرآن المجيد... لأنه يضيف الشرعية على تلك الفكرة المستحدثة^١.

ورفض عليه السلام أن يشترى استقرار الحكم أيام خلافته بمداهنة أهل البدع والانحراف الذين انتهكوا السنن وعطلوا الحدود في درس عبقرى يظنه القشريون حتى اليوم إخفاقا سياسيا^٢، ورفض أن يعامل أعداءه ولو مرة بخلاف السنة، وهم يمكرون وينكثون ويغدرون^٣، فالمنهج الذي تعامل به عليه السلام مع السنة النبوية المشرفة هو الذي حفظ لهما مكانتها وأعاد لها روحها وقدسيتها، إذ دخلت السنة في عهده مرحلة جديدة مغايرة لما عهدته بعد النبي ﷺ، إذ انه على وفق هذا المنهج قد كانت له مواقف وسياسة أخرى غير التي مارسها من سبقه ومن جاء بعده من خلفاء بني أمية ومن تلاهم.

- أليات حفظ السنة -

ويمكن إجمال أعماله في سبيل إحياء السنة النبوية ﷺ بالأمور التالية:

أ - تدوين السنة ب - رواية الحديث

أ - تدوين السنة :

من المعلوم إن أمير المؤمنين عليه السلام كان كاتب الوحي، وكاتب للحديث بين يدي رسول الله ﷺ وما اشتهر عنه في هذا المجال " صحيفة علي " التي كان يحملها في قائم سيفه، وبلغ من شهرتها: " لا يكاد يخلو منها واحد من كتب الحديث والسنن، نقلوا منها نصوصا متفرقة بعضها أشبه بعناوين لما تحويه، وبعضها فيه تفصيل^٤، وقد جمع ابن حجر العسقلاني كثيرا مما نقل عن تلك الصحيفة، وقال: الجمع بين هذه الأحاديث إن الصحيفة كانت واحدة، وكان جميع ذلك مكتوبا فيها، ونقل كل واحد من

١- الشهرستاني : ضوء النبي ﷺ : 22/2.

٢- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص 59.

٣- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص 60.

٤- الشافعي: اختلاف الحديث: ص 565، الأم: 40/6، 187/7، 340، المسند: ص 190، ابن حنبل: المسند: 79/1.

البخاري: الصحيح: 1/ 36، 4/ 30، الدارمي: السنن: 2/ 190، الترمذي: السنن: 2/ 433. ابن حزم: المحلى: 10/

354. النووي: شرح صحيح مسلم: 18/ 130، المجموع: 18/ 356، العيني: عمدة القاري: 15/ 301، ولمزيد من

الدراسة عنها ينظر: محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية: ص 94-96. العاملي: كتاب علي عليه السلام: ص 51 -

الرواة عنه ما حفظه ^١ . ولم تكن الصحيفة هي الوحيدة التي جمع فيها أمير المؤمنين أحاديث النبي ﷺ بل تشير الروايات إلى ما عرف بـ " كتاب علي " ^٢ الذي أصبح علما يتكرر في أحاديث أهل البيت عليهم السلام كتاب كبير يتوارثونه . وكان هذا الكتاب عند الإمام الحسن بن علي يرجع إليه ^٣ ، وكان الإمام الباقر عليه السلام قد اخرج هذا الكتاب أمام طائفة من أهل العلم ، وقال لهم : " انه بخط علي وإملاء رسول الله ﷺ " ^٤ ، وعرض هذا الكتاب أيضا الإمامان الصادق و الهادي عليهما السلام غير مرة يقول : " انه بخط علي وإملاء رسول الله ﷺ نتوارثه صاغرا عن كابر " ^٥ .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يدعو إلى تدوين السنة الشريفة ، فقد خطب في الناس مرة ، فقال : " قيدوا العلم ، قيدوا العلم " أي أكتبوه ^٦ . وكانت الكتابة عند أمير المؤمنين عليه السلام وبين يديه مشهورة حدث بها كثيرون ^٧ .

ب- رواية الحديث:

إن لحديث النبي ﷺ (السنة القولية) خصوصية لدى أمير المؤمنين عليه السلام إذ كما مر بنا انه يقرر حجية قوله ﷺ وعصمته ووجوب التسليم المطلق لكل ما يقوله ﷺ ، فقد دعا أمير المؤمنين عليه السلام إلى رواية الحديث عن النبي ﷺ ، إذ روى انه خطب في الناس مرة ، فقال : " خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: اللهم ارحم خلفائي - ثلاث مرات - قيل: يا رسول الله ومن خلفائك ؟ فقال: الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس " ^٨ . وكان يوصي أصحابه قائلا: " تزاوروا وتدارسوا الحديث ، ولا

- ١- فتح الباري: 183/1 .
- ٢- الشافعي: الأم: 161/2. البرقي: المحاسن: 107 / 1 . الكليني: الكافي: 340/4. ابن حزم: المحلى 6 / 37 ، 103/7 . العاملي: كتاب علي: ص 21- 49 .
- ٣- ابن حنبل: العلل: 346/1 .
- ٤- النجاشي : رجال: ص 360 .
- ٥- المسعودي: مروج الذهب: 86 / 4 . المجلسي: البحار: 208 / 50 .
- ٦- ابن حمزة الطوسي: الثاقب: ص 278 . ابن ميثم: شرح مئة كلمة: ص 261 .
- ٧- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص 50 .
- ٨- الرامهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: ص 163 . الزيلعي: نصب الراية: 1 / 471 . المتقي الهندي: كنز العمال : 221 / 10 .

ولا تتركوه يُدرّس " ^١. وقد قسم كلام رسول الله ﷺ إلى قسمين " وقد كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - الْكَلَامُ ، لَهُ وَجْهَانِ فَكَلَامٌ خَاصٌّ وَكَلَامٌ عَامٌّ " ^٢. وقد بين عليه السلام الحاجة لهذا التوضيح منه عليه السلام ببيان واثر ذلك على سامعي الحديث عنه ﷺ وناقليه إذ يقول: " فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِهِ ، وَلَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - فَيَحْمِلُهُ السَّمَاعُ وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ ، وَمَا قُصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ " ^٣.

في هذا النص إشارة تنبيهية الى وجوب الدقة والتحري عن معنى ما قصده النبي ﷺ بهذا الكلام أو ذلك وسبب إطلاقه ، فالإمام عليه السلام يضع الأسس الصحيحة الواجب على المحدث أو الناقل عن النبي ﷺ الالتزام بها، ولعل آلية ذلك هو التوجه للسؤال إلى النبي ﷺ نفسه إن كان الناقل أو السامع لحديثه إنما سمعه مباشرة منه ، وقد أشار عليه السلام إلى انه ما كان كل أصحاب النبي ﷺ حريصين على سؤاله . بينما كان هو عليه السلام حريصا على ذلك، ومن حرصه على ذلك " وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ " ^٤، وفي نص آخر يحمل توجيهها منه عليه السلام يوضح لنا أهمية العناية بدراسة الحديث ومعرفة فقهه إذ يقول عليه السلام: " اغْفَلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ ، فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرِعَايَتَهُ قَلِيلٌ " ^٥، وأشار عليه السلام في موضع آخر إلى سمة من سمات العترة الطاهرة الذي يتقدمهم امير المؤمنين عليه السلام في تعاملهم مع الشارع والتشريع بقوله : " عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وَرِعَايَةٍ ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ ، فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرِعَايَتَهُ قَلِيلٌ " ^٦.

ومن الشواهد على ذلك حين سُئِلَ عن قول النبي ﷺ: " غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود " ، فقال عليه السلام: " إِنَّمَا قَالَ - صلى الله عليه وآله وسلم - ذَلِكَ وَالِدَيْنُ قُلٌّ - فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ - فَأَمْرٌ وَمَا اخْتَارَ " ^٧ ، مما يدل على لزوم فهم النص مع ملاحظة ملابساته الزمانية والمكانية والمكانية ^٨. فإن لم يكن الناقل للحديث عن النبي ﷺ ممن سمعه منه مباشرة ، أي نقل إليه بالواسطة ،

١-المتقي الهندي: كنز العمال : 304 / 10.

٢- نهج البلاغة: ص443.

٣- نهج البلاغة: ص443.

٤- نهج البلاغة: ص443 .

٥- نهج البلاغة: ص671.

٦- نهج البلاغة: 490.

٧- نهج البلاغة: ص653.

٨- الميلاني: سيرة الرسول الاعظم ﷺ: ص35.

، وجب عليه الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام وفق السمة التي أشار إليها الإمام أعلاه ، والشاهد الذي قدمناه ، إذ أنهم عليهم السلام أهل العلم الذين عندهم " أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ " ' و " فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا " ٢ .

وفي أثناء فتحه لباب الرواية والتدوين كان يكثر عليه السلام التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقرع أسماعهم بين الحين والآخر بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " ٣ ، وقد اهتم عليه السلام كثيرا بتوثيق الأحاديث وحمايتها من آفة الدس والوضع ، وكان من أهم خطواته في هذا المجال مما مر ذكره أنفا من وضع عدد من الضوابط المشار إليها ، وأيضا قام بطرد القصاصين من المسجد ٤ الذين لهم اليد الطولى في دخول الإسرائيليات وانتشارها في كتب التراث الإسلامي من ذلك العهد وإلى الآن . وبين أيدينا نص مهم يشخص فيه أمير المؤمنين عليه السلام الواقع الذي كان عليه الحديث النبوي آنذاك ، إذ سئل عليه السلام عن أحاديث البدع واختلاف الناس في روايتهم الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فأجاب عليه السلام: " إِنْ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا وَصَدَقًا وَكُذْبًا ، وَنَاسِخًا وَمَنْسُوخًا ، وَعَامًّا وَخَاصًّا ، وَمَحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا ، وَحَفْظًا وَوَهْمًا ، وَقَدْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) ... " ، ثم صنف رواة الحديث وحالهم فيه، واثر ذلك على ما صدر عنهم من أحاديث: فقال عليه السلام " وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةٌ رِجَالٌ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ " ٥ .

الصنف الأول: المنافقون: " رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِإِيمَانِهِ مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - رَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِيَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أُنْمَةِ الضَّلَالَةِ ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوهُمْ

١- نهج البلاغة: ص 230.

٢- نهج البلاغة: ص 283.

٣- نهج البلاغة: ص 441.

٤- المتقي الهندي: كنز العمال: 281/10 - 282.

٥- نهج البلاغة: ص 440-441.

الأعمال وجعلوهم حكماً على رقاب الناس ، فأكلوا بهم الدنيا وإنما الناس مع الملوك والدنيا ، إلا من عصم الله فهذا أحد الأربعة ، ^١ . وقد تناولنا هذا الصنف فيما سبق فلا حاجة للإعادة هنا .

الصنف الثاني: الخاطئون: " وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَوَهِمَ فِيهِ وَلَمْ يَتَّعَمَدْ كَذِباً فَهُوَ فِي يَدَيْهِ ، وَيُرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَيَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمٌ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ ! " ^٢ . وذلك أن يسمع من الرسول ﷺ كلاماً فيتصور منه معنى غير ما يريده الرسول ، ثم لا يحفظ اللفظ بعينه ، فيورده بعبارة الدالة على ما تصوره من المعنى ، فلا يكون قد حفظه وتصوره على وجهه المقصود للرسول ﷺ ، فوهم فيه ، ولم يتعمد كذباً لوهمه ، فهو في يديه يرويه ويعمل به على وفق ما تصور منه ويسنده إلى الرسول ﷺ ، وعلّة دخول الشبهة على المسلمين فيه هي عدم علمهم بوهمه ، وعلّة دخولها عليه في الرواية والعمل هو وهمه حين السماع حتى لو علم ذلك لترك روايته والعمل به ^٣ . ومما ذكر انه يشترط في راوي الحديث من جملة ما يشترط أن يكون من الذين يحسنون ضبط ما يسمعون ويؤدونه على وجهه ، ولا ثقة بقول من لا يحسن الضبط وان لم يكن فاسقاً ^٤ .

الصنف الثالث: أهل الشبهة: " وَرَجُلٌ تَالَتْ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - شَيْئاً ، يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ الْمُنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ ، " ^٥ .

كان رسول الله ﷺ يبلغ بعض الأحكام ، فيسمعه من كان حاضراً ، وقد يكون الحاضر السامع صادقاً واعياً لما سمع ، ولكن الرسول قد ينهى عما كان قد أمر به من قبل ، لان المصلحة التي أوجبت العمل قد انتهت وذهبت بذهاب وقتها ، فيسمع النهي من حضر غير الذي سمع الأمر ، فينقل عن النبي النهي من سمعه ، فينقل الأمر من سمعه أيضاً ، والإحاطة بجميع أحاديث الرسول ﷺ أمر عسير ^٦ .

١- نهج البلاغة: ص 441-442.

٢- نهج البلاغة: ص 442.

٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 31-32.

٤- مغنية: في ظلال نهج البلاغة: 3 / 244 .

٥- نهج البلاغة: ص 442.

٦- مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ص 3 / 244 .

وإن كتب الحديث والفقهاء مشحونة بذلك، كالذين أباحوا لحوم الحمر الأهلية لخبر روه في ذلك ولم يرووا الخبر الناسخ^١.

الصنف الرابع: الصادقون الحافظون: " وَأَخْرَجُ رَابِعٌ ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - ، وَلَمْ يَهَمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَحَفِظَ الْمُنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْمُحَكَّمَ وَالْمُتَشَابِهَ ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ " ^٢. وهو صنف العلماء الراسخون في العلم^٣.

فهو الراوي العالم القدير الذي له عناية بأمر الدين واهتمام بمدارك الشرع المبين^٤ كما هو راو ثقة خبير، يميز بين موارد الحقيقة والمجاز، وبين الحديث الواضح الذي لا يجوز تأويله بحال، والمشكل الذي يمكن تأويله بما يتفق مع العقل ومقاصد الشريعة، ويعرف العموميات والمطلقات، وما يعارض المعنى الظاهر من المخصصات والمطلقات، ويجمع بينها بما يقتضيه الفن والصناعة، وأيضا يعرف زمن الناسخ وزمن المنسوخ، ولا يخلط بين المتقدم والمتأخر، ويصنع كل شيء في موضعه^٥.

إن هذه النكتة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام جامعة لأكثر أحكام الأخبار التي يذكرها الأصوليون، ويطنبون في تفصيلها قد جمعها باخسر لفظ واقله^٦. ولا يجوز الأخذ والعمل برواية الأول والثاني إطلاقا، وأما الثالث، فيؤخذ بروايته نظريا إذا كان صادقا ضابطا، ولا يجوز الأخذ بها عمليا إلا بعد التتبع والبحث عما يعارض الرواية من الأدلة والقرائن، فإن لم نجد المعارض عملنا بها كما هي، وإلا قارنا بينها وبين المعارض، وعملنا بما تستدعيه الأصول والقواعد، والرابع كالثالث، ولا اثر للعلم وكثرته في صحة الحديث وقوته^٧.

١- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ص 11 / 39

٢- نهج البلاغة: ص 442- 443

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ص 11 / 39

٤- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ص 4 / 31 .

٥- مغنية: في ضلال نهج البلاغة: ص 3 / 244- 245 .

٦- الحسيني: الديباج: ص 4 / 1712 - 1713 .

٧- مغنية: في ضلال نهج البلاغة: ص 3 / 245 .

يعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أصدق مثال على الأنموذج الرابع من رواة الحديث ، **وقد مر بنا** مؤهلاته العلمية التي ميزته عن سائر الناس ، وألمح عليه السلام إلى الفارق بينه وبين غيره من الصحابة في تعامله مع الحديث النبوي ، لذا كان الأولى به عليه السلام وبسنته الشريفة ورواية حديثه ، فكان عليه السلام لشدة امتزاجه برسول الله ﷺ كان يفرغ من لسانه عليه السلام في كل ما يرويه " **فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّ الَّذِي أَنْبَأَكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَلَا جَهْلَ السَّامِعُ** " ، وفي قول آخر: " **وَاللَّهِ مَا أَسْمَعُكُمْ الرَّسُولُ شَيْئًا ، إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا مُسْمِعِكُمُوهُ** " ^١.

والغريب إننا نجد في بعض النصوص الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام انه اتهم بالكذب ، ولكن كيف يتهم أمير المؤمنين عليه السلام بذلك؟! ولعل سبب ذلك يرجع إلى الحقد والحسد الذي ابتلي به عليه السلام من قبل بعض الصحابة، وهم ممن لا يتورع عن الكذب ، فاتهموه جزافا بهكذا تهمة وأشاعوها بين الناس فمن ألفوا إتباعهم لهم جهلاً أو تجاهلاً.

في الواقع إن المدة التي أعقبت وفاة النبي ﷺ (11 - 35 هـ) التي أسدل فيها الستار على قداسة السنة النبوية ، فوضعت الأحاديث التي رفعت من مقام من لا مقام له ، ومنحتهم ما ليس لهم كذباً وزوراً على رسول الله ﷺ ، وفي المقابل تم الحجر على رواية الكثير من الأحاديث ولا سيما المتعلقة منها بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام وهذا ضمن سياسة الخلفاء قبله ، لدفعه عن حقه في الخلافة ، وما أن جاء عهد الإمام عليه السلام وتولى الحكم ، كما أسلفنا انه قد فتح باب الرواية والحديث عن رسول الله ﷺ ، فأطلق الأحاديث التي لم يعرفها المجتمع ، إذ لم يسمع بها من قبل ، فتفاجئوا بها لذا اتهموه بالكذب ! ولقد نفى أمير المؤمنين عليه السلام هذه التهمة عنه في أكثر من مورد ، إذ كيف يكذب على رسول الله ﷺ وهو أول من صدقه؟ إذ جاء في خطابه لأهل العراق: " **وَلَقَدْ بَلَّغَنِي أَنْكُمْ تَقُولُونَ عَلَيَّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ أَعْلَى اللَّهُ فَأَنَا أَوْلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ، أَمْ عَلَيَّ نَبِيَّهُ فَأَنَا أَوْلُ مَنْ صَدَّقَهُ** " ^٢. وقال في مورد آخر: " **أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَوْلُ مَنْ صَدَّقَهُ ، فَلَا أَكُونُ أَوْلُ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ** " ^٣ ، وفي وصف مكانته من رسول الله ﷺ: " **وَمَا وَجَدَا**

١- نهج البلاغة: ص187.

٢- نهج البلاغة: ص145.

٣- نهج البلاغة: ص105.

٤- نهج البلاغة: ص77.

لي كذبة في قول ولا خطلة^١ في فعل^٢، وما فتى عليه السلام يؤكد على مصداقيته ، وهو يروي أخبار الملاحم عن النبي ﷺ " والله ما كتمت وشمة^٣ ولا كذبت كذبة^٤ ، ولقد نبتت بهذا المقام وهذا اليوم^٥ . وقال : " فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إن الذي أنبتكم به عن النبي الأمي^٦ - صلى الله عليه وآله وسلم - ما كذب المبلغ ولا جهل السامع ، " . وقال عليه السلام " والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ، ما أنطق إلا صادقاً ، وقد عهد إلي بذلك كله وبمهلك من يهلك ، ومنجى من ينجو ومآل هذا الأمر ، وما أبقي شيئاً يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني ، وأفضى به إلي^٧ .

إن تأكيده على تصديقه للنبي ﷺ إنما هو إشارة لكونه هو " الصديق الأكبر " تلك الكلمة التي قالها على منبر البصرة " أنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كذاب^٨ .

ومن هنا كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الوارث الحقيقي للنبي ﷺ ، لذا اتسم ببعض خصوصياته الشريفة ﷺ : إذ يقول ﷺ : " إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى ، إلا أنك لست بنبي ولكنك لوزير ، وإنك لعل خير...^٩ "

وقد ورد في نهج البلاغة عدة مرويات حديثة أسندها أمير المؤمنين عليه السلام للنبي الأعظم ﷺ ، استشهد بها تأييدا لكلامه عليه السلام وهي على نوعين :

- ١- الخطل :الكلام الفاسد الكثير المضطرب. ابن الاثير : النهاية: 2 / 50 .ابن منظور : لسان العرب : 11 / 209 .
- ٢- نهج البلاغة: ص 406.
- ٣- الوشمة: الكلمة. ابن الاثير : النهاية : 5/ 189 .
- ٤- نهج البلاغة: ص41.
- ٥- نهج البلاغة: ص187.
- ٦- نهج البلاغة: ص333 .
- ٧- أبو جعفر الاسكافي: نقض العثمانية: ص 290. البخاري: التاريخ الكبير: 4 / 23. ابن قتيبة: المعارف: ص 169. البلاذري: أنساب الأشراف: 2 / 146. ابن ابي عاصم: الأحاد والمثاني: 1 / 151. المفيد: الإرشاد: 31/1، الفصول المختارة: ص261، ابن كرامة: تنبيه الغافلين: ص 83، 148. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 42 / 32-33. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 13 / 228. ابن جبر: نهج الإيمان: ص 515. محب الدين الطبري: ذخائر العقبى: ص 56 ، 58. الشامي: الدر التنظيم: ص 282. الخطيب التبريزي : الإكمال: ص127. المزي: تهذيب الكمال: 12 / 18، 35 / 308. الذهبي: سير أعلام النبلاء: 4 / 508، الكاشف: 2 / 517، ميزان الاعتدال: 2 / 212. ابن كثير: البداية والنهاية: 7 / 370. ابن حجر: تهذيب التهذيب: 4 / 179 ، 12 / 401. الخرجي: خلاصة تهذيب تهذيب الكمال: ص 153 . المتقي الهندي: كنز العمال : 13 / 164 . البحراني: غاية المرام: 5 / 171 . ابن الدمشقي: جواهر المطالب : 1 / 38. القندوزي: ينابيع المودة: 2 / 144، 146 . البري: الجوهرة في نسب الإمام علي وآله عليه السلام: ص8-9 .
- ٨- نهج البلاغة: ص406.

أولاً : الأحاديث ثانياً : المغيبات والملاحم

أولاً : الأحاديث :

هناك جملة من الاحاديث رواها أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في موضوعات مختلفة ، وقد وردت في المصادر الاخرى برواية الامام عليه السلام وغيره من الصحابة عنه عليه السلام كما يتبين من توثيقها :

- فعن زهد النبي صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام في وصف زهد النبي صلى الله عليه وسلم : " وَيَكُونُ السَّيْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ ، يَا فَلَانَةُ لِإِخْدَى أَزْوَاجِهِ غَيْبِيهِ عَنِّي ، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَّارِفَهَا " ^١.

- وعن أهل البيت ومكانتهم قال عليه السلام : " أَيُّهَا النَّاسُ خُذُواهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ - وَيَبْلَى مَنْ بَلَِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ " ^٢.

- وعن الصلاة ذكر حديثين ، وهما قوله عليه السلام : " وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ ، فَلَا تَكُونَنَّ مُنْفَرًا وَلَا مُضِيْعًا ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَّةُ ، وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ ، كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ ؟ فَقَالَ : صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَوْسَعِهِمْ ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا " ^٣.

١- نهج البلاغة: ص299. وينظر: ابن حمدون : التذكرة الحمدونية : 1 / 86 - 87 .
 ٢- نهج البلاغة: ص 141 - 142. ورد في المصادر بلفظ مقارب ينظر: الصفار : بصائر الدرجات : ص 295 .
 الراوندي : الخرائج : 2 / 818 . الأملي : تفسير المحيط الاعظم : 1 / 439 . القندوزي : ينابيع المودة : 1 / 84 ، 3 / 432 .
 ٣- نهج البلاغة: ص610. وينظر:الحراني : تحف العقول : ص 144 . ابن حمدون : التذكرة الحمدونية : 1 / 325 .
 النويري : نهاية الارب : 6 / 29 . المجلسي : البحار : 33 / 609 ، 74 / 260 ، 85 / 92 . الريشهري : ميزان الحكمة : 2 / 1649 .

- وقال عليه السلام في فضل الصلاة : " ... وشبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنْ الدَّرَنِ " ^١ .
- وروى عن رسول الله ﷺ قوله : " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " ^٢ .
- وقال عليه السلام قال لي رسول الله ﷺ : " إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشْرِكِهِ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مَنَافِقِ الْجَنَانِ ، عَالِمِ اللِّسَانِ ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ " ^٣ .
- وعن إصلاح ذات البين قال عليه السلام في وصيته لولديه عليه السلام : " فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - يَقُولُ ، صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ " ^٤ .
- وعن حرمة المثلة قال عليه السلام : " فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - يَقُولُ ، إِيَّاكُمْ وَالْمُثَلَّةَ وَلَوْ بِالْكَلبِ الْعُقُورِ " ^٥ .
- وعن حقوق الضعفاء ، قال عليه السلام : " فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ ، لَنْ تَقْدَسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَّعِعٍ " ^٦ .

- ١- نهج البلاغة: ص 430. وينظر: المجلسي: البحار : 449/33 ، 79 / 225 . البروجردي : جامع احاديث الشيعة : 2 / 52 . الريشهري : ميزان الحكمة : 2 / 1629 .
- ٢- نهج البلاغة: ص 441. وينظر : الصنعاني : المصنف : 261/11 . ابن حنبل : المسند : 1 / 78 ، 130 ، 3 / 44/ . الدارمي : السنن : 1 / 76 - 77 ، 146 . البخاري : الصحيح : 2 / 81 . مسلم : الصحيح : 1 / 8 . الصدوق : من لا يحضره الفقيه : 4 / 364 . الحاكم : المستدرک : 1 / 77 ، 3 / 262 ، 280 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 1 / 142 - 144 .
- ٣- نهج البلاغة: ص 525. وينظر : النقي : الغارات : 1 / 248 . الطبراني : المعجم الاوسط : 7 / 128 ، المعجم الصغير : 2 / 93 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 1 / 187 . الشهيد الثاني : منية المرید : 136 - 137 . المجلسي : البحار : 2 / 110 .
- ٤- نهج البلاغة: ص 581 - 582. وينظر : الصدوق : ثواب الاعمال : ص 148 . الطوسي : الامالي : ص 522 . ابن ابي جمهور الاحسائي : عوالي اللئالي : 1 / 266 .
- ٥- نهج البلاغة: ص 583. ينظر : الطبري : تاريخ : 4 / 114 . ابن القتال : روضة الواعظين : ص 137 . الزمخشري : ربيع الابرار : 2 / 94 . الاربلي : كشف الغمة : 2 / 60 . المحب الطبري : الرياض النضرة : 3 / 238 .
- ٦- نهج البلاغة: ص 609. ينظر : ابن ابي شيبه : المصنف : 5 / 247 . الكليني : الكافي : 5 / 56 . الطبراني : المعجم الاوسط : 5 / 235 . الحاكم : المستدرک : 3 / 256 . السيوطي : الجامع الكبير : 2 / 299 .

- وقال عليه السلام عن الحاكم الجائر: " وَاِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - يَقُولُ ، يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ ، وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى - ثُمَّ يَرْتَبِّطُ فِي قَعْرِهَا ^١ .
- وعن العمل قال عليه السلام : " وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ ^٢ .
- وقال عليه السلام : " فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَانَ يَقُولُ ، إِنَّ الْجَنَّةَ حُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ ، وَإِنَّ النَّارَ حُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ^٣ .
- وقال عليه السلام : " لَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ ^٤ .
- وقال عليه السلام : " فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَانَ يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ اَعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ ^٥ .
- وقال عليه السلام : " لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا ، عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي ، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا ^٦ عَلَى الْمُنَافِقِ ، عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَأَنْقَضَى عَلَى

- ١- نهج البلاغة: ص 309. ينظر: الطبري: تاريخ: 3 / 376. الزمخشري: ربيع الابرار: 5 / 173. ابن الاثير: الكامل: 3 / 151. الريشهري: ميزان الحكمة: 1 / 125.
- ٢- نهج البلاغة: ص 283. ينظر: الطوسي: الامالي: ص 411. ابن شهر آشوب: المناقب: 3 / 320. العلامة الحلي: اجوبة المسائل المهنية: ص 50.
- ٣- نهج البلاغة: ص 334. وينظر: ابن ابي شيبة: المصنف: 8 / 159. الطبراني: المعجم الكبير: 9 / 104. ابن عبد البر: التمهيد: 19 / 116. ابن عساکر: تاريخ دمشق: 32 / 13. ابن عربي: الفتوحات المكية: 4 / 385.
- ٤- نهج البلاغة: ص 338. ينظر: ابن حنبل: المسند: 3 / 198. الطبراني: المعجم الكبير: 10 / 227. البيهقي: شعب الايمان: 1 / 41. المتقي الهندي: كنز العمال: 3 / 62، 9 / 56. المجلسي: البحار: 68 / 287.
- ٥- نهج البلاغة: ص 339. وينظر: الديلمي: اعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 107. ابن ابي جمهور الاحسائي: عوالي اللئالي: 1 / 279. المجلسي: البحار: 72 / 321.
- ٦- الخيشوم اصل الانف. ابن سيده: المخصص: ج1ق1 (السفر الاول) : ص 131.
- ٧- جمع جمّة ، وهي موضع مجتمع الماء المترشح من الواح السفينة، ويقصد الامام عليه السلام: لو كفات عليهم الدنيا بجليلها وحقيرها. الجوهري: الصحاح: 5 / 1890.

لسانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَنَّهُ قَالَ يَا عَلِيُّ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ^١.

- ولما سُئِلَ عليه السلام عن قول النبي ﷺ : " غَيْرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ ، فَقَالَ عليه السلام إِنَّمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - ذَلِكَ وَالَّذِينَ قُلُّ ، فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ ، فَأَمْرٌ وَمَا اخْتَارَ "٢.

- قال عليه السلام : " إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَزَكَّوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ *٣ ، عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بَيْنَ أَظْهَرِنَا ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ، فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ ، حَيْثُ اسْتَشْهَدَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، وَحِيرَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ لِي أَبَشِّرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ ، فَقَالَ لِي إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرِكَ إِذَا ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ ، وَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمْنُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ فَيَسْتَحِلُّونَ الْحَمْرَ بِالنَّبِيذِ ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ وَالزَّبَا بِالْبَيْعِ ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أَنْزَلْتَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ، أِبْمَنْزِلَةٍ رَدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةٍ فِتْنَةٍ فَقَالَ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ "٤

١- نهج البلاغة: ص 662 . وينظر النقي : الغارات : 43/1 . القاضي المغربي : شرح الاخبار : 3 / 575 . الطوسي : الامالي : ص 206 . ابن المغازلي : المناقب : ص 164 . الزمخشري : ربيع الابرار : 401/1 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 42 / 277 . الاربلي : كشف الغمة : 2 / 21 .

٢- نهج البلاغة: ص 653 . وينظر : ابن حنبل : المسند : 1 / 165 . الترمذي : السنن : 3 / 144 . الصدوق : الخصال : ص 498 . البيهقي : شعب الايمان : 5 / 212 . الشوكاني : نيل الاوطار : 1 / 145 .

٣- سورة العنكبوت الآية 1 - 2

٤- نهج البلاغة: ص 289 . وينظر : الديلمي : اعلام الدين : ص 104 . المتقي الهندي : كنز العمال : 16 / 194 . المجلسي : البحار : 22 / 241 .

- قال عليه السلام : " وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَبَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الوَحْيُ عَلَيْهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذِهِ الرَّبَّةُ ، فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنْكَ لَسْتِ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ " ^١ .
- قال عليه السلام : " وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا ، لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِيكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ... " ^٢ . وجاءت بعض الأحاديث على لسان أمير المؤمنين عليه السلام ولم يشر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان الشريف الرضي يوصي إلى إن هناك من ينسبه للنبي صلى الله عليه وآله أو إلى أمير المؤمنين عليه السلام من أمثال :
- " العين وكاء السه " ^٣ ، يقول الشريف الرضي : وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله ، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام .^٤
- " القناعة مال لا ينفد " قال الرضي : " روى بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله " ^٥
- وتبع الإمام جنازة فسمع رجلا يضحك فقال عليه السلام : " كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَانَهُمْ وَنَأْكُلُ تَرَاتُهُمْ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ ، ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ وَرُمِينَا بِكُلِّ فَادِحٍ وَجَائِحَةٍ " ^٦ .

١- نهج البلاغة: ص 406. وينظر: ابن طاووس: الطرائف: ص 415. البيضاوي: الصراط المستقيم: 65/2. المجلسي: البحار: 14/476، 37/270.

٢- نهج البلاغة: ص 407. وينظر: ابن طاووس: الطرائف: ص 415. القندوزي: ينابيع المودة: 210/1.

٣- قال الشريف الرضي: وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنه يشبه السه بالوعاء، والعين بالوكاء، فإذا اطلق الوكاء لم ينضب الوعاء. نهج البلاغة: ص 754.

٤- ينظر: الشريف الرضي: المجازات النبوية: ص 277.

٥- نهج البلاغة: ص 754. وينظر: ابن ماجة: السنن: 1/161. الطبراني: المعجم الكبير: 19/373. الطوسي: الخلافة: 1/109. ابن عبد البر: التمهيد: 18/248. ابن قدامة: المغني: 1/165. المتقي الهندي: كنز العمال: 9/342.

٦- نهج البلاغة: ص 663، 756 - 757. وينظر: الشريف الرضي: خصائص الائمة: ص 125. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: الطبراني: المعجم الاوسط: 84/7. الصوري: الفوائد المنتقاة: ص 110. الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص 223. الهيثمي: مجمع الزوائد: 10/256. النوري: وسائل الشيعة: 15/226.

٧- نهج البلاغة: ص 678. قال الشريف الرضي وهناك من ينسب هذا القول للنبي صلى الله عليه وآله. خصائص الائمة: ص 99.

- وقال عليه السلام: " طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَطَابَ كَسْبُهُ ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَأَنْفَقَ الْفُضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفُضْلَ مِنْ لِسَانِهِ ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ قَالَ الرضی أقول ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله - وكذلك الذي قبله " ١ .

- قال عليه السلام: " اخْبُرْ تَقْلَهُ قَالَ الرضی ، ومن الناس من يروي هذا للرسول - صلى الله عليه وآله - ومما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي قال المأمون ، لولا أن عليا عليه السلام قال اخبر تقله ، لقلت أقله تخبر " ٢ .

ثانياً : المغيبات والملاحم : ٣

الغيب لغة: ما غاب عنك ٤ . والغيبات هي الحوادث التي تقع في المستقبل. اما علم الغيب فهو العلم الذي يلم به انسان تتفتح من امام عينيه حجب القرون ، وتتطوي المسافات فيقرأ المستقبل البعيد او الحاضر المحجوب كما يقرأ في كتاب مفتوح ، ويعي حوادثه كأنها بنت الساعة التي هو فيها ٥ . وقد جاء في كلام الامام عليه السلام اشارات مستقبلية تنبأ بها ؛ اذ ان كلامه عليه السلام . " داخل في باب المعجزات المحمدية لاشتمالها على الاخبار الغيبية وخروجها عن وسع الطبيعة البشرية " ٦ . فقد كان عليه السلام يخبر عن امتلاكه المعرفة بحوادث ومستقبل الايام اذ يقول: " فاسألوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ ، فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً ، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا ، وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا وَمَنَاخِ رِكَابِهَا ، وَمَحَطَّ رِحَالِهَا ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا ، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا ، وَلَوْ قَدْ فَتَقَدْتُمُونِي ، وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهِ الْأُمُورِ ، وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ ، لِأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنْ

١- نهج البلاغة: ص678. خصائص الائمة: ص99. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 311 / 18.

٢- نهج البلاغة: ص749. وينظر: الطبراني: مسند الشاميين : 2 / 358 . الذهبي : ميزان الاعتدال : 4 / 497 . المتقي الهندي : كنز العمال : 9 / 30 ، 35 .

٣- لمزيد من التفاصيل ينظر: غزوان عبد الكاظم المرزوك: الغيبات في نهج البلاغة دراسة تاريخية: (الصفحات جميعها).

٤- الجوهري: الصحاح 1 / 196 . ابن الأثير: النهاية: 3 / 399 . ابن منظور: لسان العرب: 1 / 654 .

٥- شمس الدين : دراسات في نهج البلاغة: ص12 .

٦- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 4 / 1 - 5 .

السَّائِلِينَ ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ " ١. ولم يُعرف احد قال: " سلوني قبل ان تفقدوني " لا من الصحابة ولا غيرهم سوى الامام علي عليه السلام حتى ان احد الوعاظ قال ذلك على المنبر فتعرض للسخرية والاستهزاء ٢. وقد اكد عليه السلام " فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّْي بِطُرُقِ الْأَرْضِ " ٣ فيه اشارة الى ما اختص به من العلم بمستقبل الامور لا سيما الملاحم والدول ، وقد صدق هذا القول عنه ما تواتر من الاخبار الغيبية لا مره ولا مائه مرة ، حتى زال الشك والارتياب في انه اخبار عن علم وليس اتفاقاً.

تضمنت خطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إشارات إلى بعض الحوادث التي سوف تقع مستقبلاً ، ومن الجدير بالذكر إن الإمام عليه السلام ذكر كل ذلك على طريقة الواثق ما يقول وكأنه ينظر إلى المستقبل بعين الحاضر المشاهد، وسبب ذلك يرجع إلى ثقة الإمام عليه السلام بالمصدر الذي يستقي منه ذلك العلم الذي لا يعتريه باطل ولا يشوبه شك " ٥. وقد أعرب مرارا وتكرارا انه استقى هذا العلم بحوادث المستقبل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي خصه بها، وقد أخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الوحي الإلهي، ولعل الإمام عليه السلام كان يتوقع من بعضهم أن يستنكر عليه مثل هذه الأخبار، وكبر في نفسه أن يرى عليا يتحدث عن الآتي المجهول كحديثه عن الماضي المنصرم، أو الحاضر المشاهد مما جعله يبادر للتصريح عن مصدر علمه هذه الأمور ٦.

إذ قال في إحدى خطبه التي خصها للملاحم:

" أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي ، وَلَا تَتَرَامُوا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّْي ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّ الَّذِي أَنْبَأَكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَلَا جَهَلَ السَّامِعُ " ٧. ولما اخبر عن التتار وفتنتهم ، بادر احدهم بعد أن انتابه العجب والانبهار قائلاً : لَقَدْ أُعْطِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ ، فَضَحِكَ - عليه السلام - وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيًّا ، يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلَّمَ مِنْ ذِي عِلْمٍ ، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ،

١- نهج البلاغة ص 173 .

٢- ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 13/ 164.163، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 13/ 109.107، الذهبي: تذكرة الحفاظ: 2/ 755 ، الدميري: حياة الحيوان: 2/ 368.

٣- نهج البلاغة ص 375. 376 .

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 13/ 106.

٥- درويش: علي كما وصف نفسه: ص 55- 56.

٦- درويش : علي كما وصف نفسه ص 69.

٧- نهج البلاغة ص 187.

وما عدده الله سبحانه بقوله ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ * وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ *
وما تدري نفس ما ذا تكسبُ غداً * وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴿ ١ ، فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي
الأَرْحَامِ ، مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ
حَطْبًا ، أَوْ فِي الْجَنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا ، فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمُ
، عِلْمَهُ اللَّهُ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَعَلَّمْنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضَطَّمَ عَلَيْهِ
جَوَانِحِي ٢ .

وقد صرح الإمام عليه السلام من تخرجه في كثير من الأوقات في أن يتحدث عن المغيبات خوفا من أن
يفاجئ الكثير ممن لا يستوعب مثل هذه الخاصية لديه عليه السلام إذ قال: " وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ
مِنْكُمْ ، بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَاصْطَفَاهُ عَلَى
الْخَلْقِ ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقًا ، وَقَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلَّهُ وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو وَمَالَ هَذَا
الْأَمْرِ ... ٣ "

اذن هذه النصوص صريحة بان علمه عليه السلام بالمغيبات مأخوذ من النبي صلى الله عليه وآله ولكن هل يمكن
التصور انه صلى الله عليه وآله افضى للإمام عليه السلام بتفاصيل كل الحوادث ، فالظرف الزمني الذي جمع النبي بالامام
لا يسع ذلك فالامام عليه السلام يقول: " فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ ، فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً ... ٤ " ويقول: " فَلَأَنَا بِطَرْقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّْي بِطَرْقِ
الْأَرْضِ ... ٥ " ويقول: " وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ ، بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ
... ٦ " فهذا علم واسع لا يسعه الظرف الزمني الذي قضاه الامام مع النبي صلى الله عليه وآله ولكن الامام يصرح بان
علمه مستقى من النبي صلى الله عليه وآله فكيف التوفيق في ذلك؟

١- سورة لقمان آية 34.

٢- نهج البلاغة ص 244.

٣- نهج البلاغة : ص 333 .

٤- نهج البلاغة : ص 173 .

٥- نهج البلاغة : ص 375 . 376 .

٦- نهج البلاغة : ص 333 .

الظاهر انه عليه السلام افضى للامام عليه السلام بكليات الامور، ثم كان نشاط القوة الخفية المودعة للامام فتكشف له ما محجوب من احشاء الزمان وثنايا المكان، لان الامام عليه السلام كان على درجة من الصفاء العقلي والטהارة الروحية والنقاء الوجداني وهذه القوى انشط في النفوذ الى المغيب المحجوب ، وكان عليه السلام بعد ان اوضح للامام عليه السلام الكليات هداه للسبل التي تؤدي به الى ارفع درجات الحالة الروحية التي تتيح لقواه الخفية ان تعمل عملها الخارق فيعي بسببها تفصيل ما اجمله الرسول عليه السلام ¹ . ومن امثلة ذلك :
 تنبؤه عليه السلام لاحداث خلافته ؛ من الانذار بالحروب التي وقعت في عصره ، واختلاف الكلمة ،
 وظهور الفتنة ² . وايضا ما تنبأ به الى قيام الدولة الاموية وبرز حكامها وولاتها ، فقد تنبأ بوصول معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان الى الحكم ³ ، ومن الولاة اشار الى الحجاج بن يوسف الثقفي ⁴ ، وايضا تنبأ لبعض الاحداث في زمن بني امية كمقتل الامام الحسين عليه السلام ⁵ .
 وقد حفل كلامه عليه السلام الوارد في نهج البلاغة بالاشارات الى مستقبل الخوارج من عصره الى العصر العباسي ⁶ .

وفي اكثر من نص نجد الامام عليه السلام يشير الى زوال دولة بني أمية وقيام الدولة العباسية مقامها ⁷ .
 ومن تنبؤاته ما اختص بالبصرة ؛ اذ اشار عليه السلام الى بعض ما سيجري فيها من ظهور حركة الزنج ⁸ ،
 وما تتركه من آثار على تلك المدينة ، فضلا عن آثار الفتن التي تعصف باهلها ، حتى نبؤاته بغرقها ،

-
- 1- شمس الدين: دراسات في نهج البلاغة : ص138. 141 .
 - 2- نهج البلاغة : ص 172 ، 185 ، 506 . وينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 7 / 33 - 34 ، 93 - 94 ، 83 / 15 .
 - 3- نهج البلاغة : ص 93 - 94 ، 109 ، 187 - 188 ، 257 . وينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 4 / 54 - 55 ، 63 ، 147 - 148 ، 7 / 99 ، 9 / 47 ، 89 .
 - 4- نهج البلاغة : ص 227 . وينظر ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 7 / 277 - 281 .
 - 5- نهج البلاغة : ص 194 . وينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 7 / 117 ، 120 .
 - 6- نهج البلاغة : ص 94 - 95 ، 693 . وينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 4 / 132 ، 5 / 3 - 4 ، 74 - 76 ، 6 / 130 ، 7 / 408 .
 - 7- نهج البلاغة : ص 195 ، 697 ، 754 . وينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 7 / 98 ، 101 ، 117 ، 120 - 121 ، 19 / 29 ، 20 / 182 - 183 .
 - 8- لمزيد من التفاصيل عن حركة الزنج : ينظر : الطبري : تاريخ : 9 / 410 - 661 .

فلا يرى منها الا مسجدها^١ . كما اشار عليه السلام في جوانب من خطبه الشريفة الى ظهور الامام المهدي (عج) في آخر الزمان^٢

وفي غير التدوين والرواية نجد ان النصوص في نهج البلاغة تنبؤنا عن إحياء أمير المؤمنين عليه السلام للسنة النبوية في جانبها العملي ، ومن ذلك: روي انه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة ، فقال قوم : لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر ، وما تصنع الكعبة بالحلي ، فهم عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال : " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - ، وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ ، وَالْفِيءُ فَقَسَمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ ، وَالْخُمْسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا ، وَكَانَ حَلِي الْكُعْبَةِ فِيهَا يَوْمئِذٍ ، فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَى حَالِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نَسِيَانًا وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَانًا ، فَأَقْرَهُ حَيْثُ أَقْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ لَوْلَاكَ لَأَفْتَضَحْنَا ، وَتَرَكَ الْحَلِيَّ بِحَالِهِ^٣ .

وهناك شاهد آخر لما أفضت إليه وتسلم مقاليد الأمور وعمل بنظام رسول الله في التسوية بالعتاء ، جاءه طلحة والزبير يعتبان فقال عليه السلام : " وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسُوءَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي ، وَلَا وَلِيِّتُهُ هُوَ مِنِّْي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قَسْمِهِ ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ ، فَلَيْسَ لَكُمَا وَاللَّهُ عِنْدِي وَلَا لِعَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى "

وفي نص آخر يوجب على من يوصيه من عماله بما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعله بقوله : " فَاْمْنَعْ مِنَ الْإِحْتِكَارِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مَنَعَ مِنْهُ^٤ ، وفيما يخص الصدقات نجده يقول لمن ولاه عليها: " لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - " ، وكان مما احتج به على الخوارج سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الموقف من مرتكب الكبيرة ، إذ كان مخالفا لما أحدثه

١- نهج البلاغة : ص 39 ، 189 ، 242-244 . وينظر ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 7 / 104 ، 8 / 218 .

٢- نهج البلاغة : ص 185 ، 256 ، 272-273 ، 320 ، 352 - 353 ، 371 ، 697 . وينظر ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 6 / 135 ، 7 / 84 ، 9 / 126 ، 10 / 195 ، 19 / 29 ، 104 .

٣- نهج البلاغة: ص 713 .

٤- نهج البلاغة : ص 437 .

٥- نهج البلاغة: ص 606 .

٦- نهج البلاغة : ص 521 .

بعده الخوارج في ذات المسألة ، فذكرهم لسنة رسول الله ﷺ وتشريعه : " وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -
صلى الله عليه وآله - رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ
أَهْلَهُ ، وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفِيءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ ،
فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله - بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ سَهْمَهُمْ
مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ " ^١

١- نهج البلاغة: ص 241.

الفاتحة

الخاتمة

افضت بنا فصول هذه الرحلة البحثية - في رحاب النبي الاعظم ﷺ في رؤية أمير المؤمنين ﷺ - الى خاتمة يمكن ايجاز فيها اهم ما توصل اليه البحث من نتائج:

اولاً: لقد تعددت الرؤى التي قدمت لنا شخصية النبي الاعظم ﷺ وسيرته العطرة بأطر مختلفة تبعا لمنابع كل رؤية وبما تحمله من فهم وإدراك لأبعاد الشخصية المحمدية العظيمة ، فمنهم من كان يؤطره بإطار بشري محض ، فلا يوجد تدخل للسماء في صنعه ، لذا تصدر منه الهفوات والزلات كغيره من بني البشر .

ومنهم من قدم لنا هذه الشخصية وفق اطار مجزأ في رؤيته لشخص النبي ﷺ الى جزأين الاول يحمل طابع التقديس فيكون النبي ﷺ مسدداً من قبل السماء في مهام التبليغ فقط ، وفي جزئه الثاني مجرد بشر خطاء . الى غيرها من الرؤى التي تعتمد في اساسياتها على مقاييس تتبع اهواء وإدراك اصحابها لأبعاد شخصية النبي ﷺ .

وأمام تعدد وتباين هذه الرؤى وتلك تحار العقول بحجة من تأخذ لتصل الى الحقيقة؟! فليس لنا إلا اللجوء الى أمير المؤمنين ﷺ والإنصات الى قوله ، والعمل بأوامره وهو القائل : " فاستمعوا من ربانيكم ، واحضروه قلوبكم ، واستيقضوا ان هتف بكم " ١ .

وهنا تبرز اهمية هذه الدراسة التي هي محاولة لتقديم رؤية جديدة عن النبي ﷺ وسيرته العطرة ، مأخوذة من كلام أمير المؤمنين ﷺ ، ولأجل الوقوف على اهم ما يميز هذه الرؤية عن سواها يمكن القول :

أ- إن الامام أمير المؤمنين ﷺ شخصية غنية عن التعريف ، فهو بكل ما يملكه من مؤهلات وبما يختص به من علم وسمات ، وبما انطوت عليه ذاته من مكونات عظيمة ، يمثل لنا منبعاً صافياً تتساقب منه الحقائق على درجة عالية من الوثوق بها والاطمئنان اليها دون سواها ؛ لانه ﷺ

صنيعة الله وريب حبيبه المصطفى ﷺ الذي صاغه ليكون مثيله وثانيه على الحقيقة . فمن ذا يكون الاولى منه ﷺ بتقديم رؤية ناضجة وواضحة غير مشوشة ولا مشوبة بالتناقضات عن شخصية النبي الاعظم ﷺ وهو الذي ما فارقه لحظة، وكان اشد الناس قربا منه، والتصاقا به، بتلك القرابة القريبة والمنزلة الخصيصة.

ب- إن الامام امير المؤمنين ﷺ هو عدل القرآن ؛ المعصوم من كل زلل ، وهو ﷺ كما الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ فمن الطبيعي ان تكون رؤيته متوافقة مع الرؤية القرآنية ، وبهذا تتحقق مقولة النبي ﷺ : (يا علي ما عرفني إلا الله وأنت). وهذا هو ابرز ما يميز رؤية الامام ﷺ عن سواها .

ج- إن الامام امير المؤمنين ﷺ الاقرب الى النبي ﷺ والأكثر اطلاعا على مجريات سيرته وتفاصيل احداثها ، وبهذا يكون شاهدا حيا نقل لنا تلك الجزئيات الهامة عن النبي ﷺ بأمانة وثقة عالية.

د- امتازت رؤية الامام ﷺ بأنها رؤية ذات طابع تقديسي لا يضاهيه احد في طرحها بهذا قدسية ، وان نظرة فاحصة في تلك الكلمات النيرة التي قالها وهو يتحدث عن النبي ﷺ تكشف لنا عن ذلك بوضوح ، فهو الوحيد المطلع على حقيقة النبي ﷺ ولذا نال منه ما يستحقه من اجلال وتقديس .

ثانيا : مع ان كتاب نهج البلاغة يمكن تصنيفه ضمن المؤلفات الادبية إلا انه يحوي في مطاويه على

علوم وكنوز معرفية عديدة ، ومنها المادة التاريخية ، وما هذه الدراسة إلا دليل واضح على تنوع المادة الموجودة في نهج البلاغة ، بل ان اغلب نصوصه الشريفة كما الآيات القرآنية يمكن ان تتعدد وجوه استخداماتها ، فلا ينفذ عطائها المعرفي ولا يقف عند جانب واحد .

ثالثا : يمكن ايجاز اهم ما توصلت اليه رحلة البحث عبر فصوله الخمسة ، وفق ما قدمه الامام ﷺ من

رؤية عن شخصية النبي ﷺ وما يتصل بحياته الشريفة من احداث :

1- كشف لنا الفصل الاول عن علاقة فريدة من نوعها تربط ما بين النبي ﷺ والامام ﷺ فهو الذي

تعاهد تربيته وإعداده وتهيئته لأمر جسيم ألا وهو اكمال الدور النبوي بعد غياب شخصه ﷺ

التمثل بتتصيه إماماً للأمة وخليفة للنبي ﷺ من بعده فضلاً عما توحيه تلك العلاقة بجعل الإمام الأولى بمعرفة النبي ﷺ عن سواه .

2 -أورد لنا نهج البلاغة في نصوصه القيمة مادة تاريخية مركزة عن البيئة التي عاش في كنفها النبي ﷺ ومن جوانبها المتعددة (الجغرافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية) وما انطوت عليه من معلومات هامة عن تلك الفترة من تاريخ العرب في الجاهلية وما حصل من تغير بعد الاسلام ، واثر الوجود المبارك للنبي ﷺ وما جاء به من معالجات لذلك الواقع المتردي اذ انتقل بالمجتمع من الثرى الى الثريا.

3 -تضح لنا ان المكون المجتمعي الذي احاط بالنبي ﷺ لم يكن على مستوى واحد من الفضل والسبق في الاسلام والموقف من النبي ﷺ ، ولا كان على درجة واحدة من الوعي والإدراك والفهم لشخصية النبي العظيم ورسالته الغراء ، مما تولد عن ذلك انعكاسات سلبية فيما بعد على حياة الامة باجيالها المتلاحقة وأفرزت لنا تلك الرؤى المتباينة عن شخص النبي ﷺ وشريعته .

في الوقت نفسه برز لنا دور الامام ﷺ وأهل بيته المتميز في نصرة النبي ﷺ ، والمغاير والمنفرد في فهمه وإدراكه ومعرفته بشخص النبي ﷺ كونه نبيا مفترض الطاعة .

4 وفي ما يخص تغاير رؤيته عن باقي الرؤى يمكن ايجاز ابرز دلائلها :

أ -أشار الامام ﷺ ان ارتباط النبي ﷺ بالسماء انما كان في وقت مبكر من حياته ﷺ اذ وكل الله به ملكا من لدن ان كان فطيما . وهذا يخالف ما افته مرويات التاريخ التي تؤخر هذا اللقاء بالملك الى ما بعد سن الاربعين ، وما ترتب على ذلك اللقاء المتأخر من تفاجئ وفزع وتردد وخوف لدى النبي ﷺ .

ب -أشار ﷺ الى طهارة اباء وامهات النبي ﷺ من كل دنس وشرك واتصال هذه السلالة الطاهرة بالشجرة الابراهيمية المباركة .

ج- ان النبي ﷺ قد دأب على التحنث والتعبد في غار حراء قبل ان يكلف بمهام الرسالة وان الامام كان لوحده برفقته شاهدا على نزول الوحي عليه .

د - اتضح ان لمفهوم " الهجرة " ابعاد اخرى في رؤية امير المؤمنين عليه السلام تتجاوز المعنى اللغوي والاصطلاحي الذي قد يتحدد بهجرة البدن من مكان الى اخر ، اذ عدها ظاهرة ذات علاقة بالرسالة الالهية ومنوطة بمعرفة الحجة في الارض ووجوب طاعته ، سواء كان نبيا او اماما .

وبذا افقد الكثيرين ممن تكسب بهذه الفضيلة مكاسب دنيوية اوجدت الطباقية في المجتمع الاسلامي .

هـ - ان لأمير المؤمنين عليه السلام رؤية خاصة تميزه عن غيره في تعامله مع السنة النبوية ، وقد دللتنا نصوص النهج على شواهد ذلك ، وهي في الوقت ذاته قد أرخت لنا بدقة عن تلك المرحلة التي مرت بها السنة في تاريخها بعد رحيل النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وكيف تعاملت الامة معها ، حتى تولى امير المؤمنين عليه السلام الخلافة نهاية سنة 35 هـ ، فما كان منه الا العناية الفائقة بإنعاش السنة النبوية والعمل بجدية على اعادة احيائها .

و- تبين لنا من خلال الفصل الخامس ريادة الامام عليه السلام في اثبات حجية السنة النبوية وعدها مصدرا ثانيا للتشريع ، وبهذا ثبت خطأ رؤية بعضهم حول ارجاع هذا الدور الى عصر الشافعي وان الامام عليه السلام قد سبقه بذلك .

وختاما يمكن القول أن نهج البلاغة يعد وثيقة تاريخية لا غنى عنها في دراسة أحداث الصدر الأول للإسلام ، كونها صادرة عن شخص عاصر الأحداث وسبر غورها وأدرك كنهها، لذا فإن دراسة الفترة التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه وآله حتى استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام من خلال كلام أمير المؤمنين عليه السلام الوارد في نهج البلاغة سيقدم لنا هذه الفترة برؤية أخرى لما تعارف عليه في الأوساط الأكاديمية. وهذا ما سنعمل على دراسته بإذن الله في دراسة لاحقة.

A decorative border with floral motifs in the corners and a dotted pattern along the sides.

فهرس

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

✿ القرآن الكريم

المصادر الاولية :

- ✿ ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله 658 هـ / 1261 م .
- 1 - رحلة السيرة ، تح : حسين مؤنس ، القاهرة ، 1963 .
- ✿ الألوسي : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي كان حيا في 1270 هـ .
- 2 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تعليق : محمد احمد الامد وعمر عبدالسلام السلامي ، ط 1 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1420 هـ - 1999 م .
- ✿ الأمدي : عبد الواحد التميمي القرن الخامس الهجري .
- 3 - غرر الحكم ودرر الكلم ، تح: السيد مهدي الرجائي ، ط3، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، 2008 م .
- ✿ الأملي: السيد حيدر بن علي 720 - 782 هـ .
- 4 - المحيط الأعظم والبحر الخضم في تفسير تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، حققه وقدم له معلق عليه: السيد محسن الموسوي التبريزي ، ط4 ، قم ، 1428 هـ .
- ✿ ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين علي بن محمد ت 630 هـ .
- 5 - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح : الشيخ خليل مأمون شيحة ، ط 2 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1422 هـ ، 2001 م .
- 6 - الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت ، 1965 .
- 7 - اللباب في تهذيب الأنساب ، ب. محق ، القاهرة ، 1386 هـ .
- ✿ ابن الأثير: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد 544-606 هـ .
- 8 - النهاية في غريب الحديث والأثر، تح : طاهر الزواوي - محمود الصناجي ، ط4 ، قم ، 1364 ش .
- ✿ ابن إدريس الحلبي : أبو جعفر محمد بن منصور ت 598 هـ .
- 9 - السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ط 2 ، 1410 هـ .
- ✿ الادريسي : الشريف ابو عبد الله محمد الحمودي الحسني ت 560 هـ .
- 10 - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط 1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1989 .
- ✿ الاربلي: أبو الحسن علي بن عيسى ت 693 هـ .
- 11 - كشف الغمة في معرفة الائمة ، ط2 ، دار الأضواء ، بيروت ، 1985 م .
- ✿ الأزرقى: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد ت 250 هـ .
- 12 - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تح : رشدي الصالح ملحس ، ط3 ، بيروت ، 1983 م .
- ✿ ابن إسحاق : محمد ت 151 هـ .

- 13 - السبر والمغازي ، تح : سهيل زكار ، ط1 ، دار الفكر ، ب . مكا ، 1978م .
 ❁ الاسكافي : محمد بن همام ت336هـ .
- 14 - التمحيص ، مدرسة الإمام المهدي ، قم ، ب.ت.
 ❁ الاثري : ابو الحسين ورام بن ابي فراس المالكي ت605 هـ .
- 15 - تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بـ (مجموعة ورام) ، ط2، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، 1368 .
- ❁ الاشيبي البغدادي: أبو علي الحسن بن موسى ت209 هـ .
- 16 - جزء اشيب، دار علوم الحديث، ط1، دبي، الإمارات العربية المتحدة ، 1990.
 ❁ الاصبهاني : موفق الدين أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي. 457 - 535هـ .
- 17 - دلائل النبوة ، حققه وعلق عليه : أبو عبد الرحمن مساعد بن سليمان ، دار العاصمة ، ب.ت.
 ❁ الأنصاري: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا ت 936 هـ .
- 18 - فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 1998.
 ❁ الإيجي: عضد الدين بن عبد الرحمن بن أحمد ت756 هـ .
- 19 - المواقف ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، ط1، دار الجيل ، بيروت ، 1997.
 ❁ ابن بابويه : أبو الحسن علي بن موسى ت 329 هـ .
- 20 - الإمامة والتبصرة من الحيرة ، الناشر :مدرسة الإمام المهدي (ع ج) ، قم ، ب.ت .
- 21 - فقه الرضا ؑ ، المؤتمر العالمي للإمام الرضا ؑ ، ط 1، مشهد، 1410 هـ.
 ❁ ابن بابويه: منتجب الدين علي بن عبيد الله الرازي ، القرن السادس الهجري .
- 22 - الأربعون حديثا (في فضائل أمير المؤمنين ؑ)، ط1، مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم، 1408هـ.
 ❁ الباجي : أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ت 474 هـ .
- 23 - التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، تح: احمد البزاز، ب.ط، ب. مط ، ب.ت.
 ❁ البحراني: السيد هاشم التوبلي الموسوي ت 1107 هـ .
- 24 - البرهان في تفسير القرآن ، تح: قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم، ب.ت.
 25 - حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار ، تح : غلام رضا البحراني ، ط 1 ، بهمن ، الناشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ، إيران ، 1411هـ .
- 26 - غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام ، تح : علي عاشور ، قم ، 1421 .
- ❁ البحراني: يوسف بن أحمد البحراني ت 1186 هـ .
- 27 - الحقائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة ، تح: محمد تقى الإيرواني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1363 ش .

- 28 - الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية ، تحقيق ونشر: شركة دار المصطفى لإحياء التراث، ط 1، بيروت، 2002.
- ❁ البخاري: أبو عبد الله إسماعيل بن محمد ت 256هـ.
- 29 - الأدب المفرد ، تح : محمد فؤاد ، ط3 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ب.مكا ، 1989م .
- 30 - التاريخ الصغير ، تح : محمود إبراهيم ، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1406هـ .
- 31 - التاريخ الكبير، المكتب الإسلامية، ديار بكر، ب.ت.
- 32 - خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984.
- 33 - الصحيح، دار الفكر، بيروت، 1401 هـ.
- ❁ البرقي : احمد بن محمد بن خالد ت 274 هـ .
- 34 - المحاسن ، تح : السيد جلال الدين الحسيني ، دار الكتب الإسلامية ، ب . ت .
- ❁ أبو البركات : سيدي احمد الدريير ت 1201 هـ .
- 35 - الشرح الكبير، طبع إحياء الكتب العربية، الحلبي وشركائه ، بيروت، ب.ت .
- ❁ ابن بريال : أبو بكر عبد الباقي بن محمد الحجاري ن 502 هـ / 1108 م.
- 36 - تاريخ ابن بريال، دراسة وتحقيق: بهمن صالح محمد، ط 1، بغداد ، 2011.
- ❁ ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري ت 578 هـ / 1128 م .
- 37 - الصلة ، تح : إبراهيم الابياري ، ط2 ، بيروت ، 1989 .
- ❁ ابن البطريق : شمس الدين يحيى بن الحسن 533-600 هـ .
- 38 - خصائص الوحي المبين ، تح: مالك المحمودي ، ط1، دار القرآن الكريم ، قم ، 1417هـ.
- 39 - عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار ، تح : جماعة المدرسين ، ط 1 ، مط : جماعة المدرسين ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1407 .
- ❁ البغدادي: عبد القادر بن عمر ت 1093 هـ.
- 40 - خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تح : عبد السلام هارون ، القاهرة ، 1967 .
- ❁ البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت 429 هـ.
- 41 - الفرق بين الفرق، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.
- ❁ البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد الفراء ت 510 هـ/ 1117 م .
- 42 - تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، تح: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.
- ❁ البكري: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز ت 487 هـ .
- 43 - معجم ما استعجم ، تح : مصطفى السقا ، ط3 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1983م .
- ❁ البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر ت 279 هـ .
- 44 - انساب الأشراف ، الإمام علي (عليه السلام) ح2، تح وتعليق: محمد باقر المحمودي، ط2، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية 1419هـ.

- 45 - أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار - رياض زر كلي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996م .
 ❁ البلخي: أبو زيد احمد بن سهل ت322هـ .
- 46 - البدء والتاريخ، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997
 ❁ البلخي: أبو القاسم الكعبي ت319هـ .
- 47 - باب ذكر المعتزلة، تح: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974 .
 ❁ البلوي: أبو الحجاج يوسف بن محمد ت604هـ/1207م .
- 48 - ألف باء، ب.محق، المطبعة الوهيبية، مصر، 1287م.
 ❁ البهوتي: الشيخ منصور بن يونس الحنبلي ت1051هـ .
- 49 - كشاف الفتاع عن متن الإقناع، حققه: أبو عبد الله محمد حسن الشافعي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
 ❁ البياضي: زين الدين العاملي ت877هـ .
- 50 - الصراط المستقيم: تح: محمد اليهودي، ط1، المكتبة المرتضوية، 1384هـ.
 ❁ البياضوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر ت682هـ .
- 51 - تفسير البياضوي المسمى أنوار التنزيل، ب.محق، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
 ❁ البيهقي: احمد بن الحسين بن علي (384-485هـ).
 52 - السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
- 53 - شعب الإيمان، تح: أبو هاجر محمد السعيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.
 54 - معرفة السنن والآثار، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
 ❁ البيهقي: ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد ت565هـ .
- 55 - معارج نهج البلاغة، حققه وقدم له: محمد تقي دانش، ط1، قم، 1409هـ.
 ❁ التبريزي: ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت741هـ .
- 56 - الإكمال في أسماء الرجال، تعليق: أبو أسد بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاري، مؤسسة أهل البيت، قم، ب.ت.
 ❁ الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى (209 . 279هـ) .
- 57 - سنن الترمذي: تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، ب.ط، دار الفكر، بيروت، 1403هـ .
- 58 - الشمائل المحمدية، تح: أسامة الرحال، ط1، دار الفيحاء، دمشق، 2001.
 ❁ التستري: نور الله ت1019هـ
- 59 - الصوارم المهركة في جواب الصواعق المحرقة، عني بتصحيحه: جلال الدين المحدث، جابخانة نهضت، طهران، 1367هـ.
 ❁ التفرشي: السيد مصطفى ق11هـ .
- 60 - نقد الرجال، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط1، قم، 1418هـ .
 ❁ ابن تيمية: تقي الدين أحمد الحراني ت728هـ .

- 61 - مجموعة الفتاوي ، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، ب ، مكا ، ب.ت.
 ❁ الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي ت 875 هـ.
- 62 - تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تح: علي محمد عوض و عادل أحمد،
 ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ.
 ❁ الثعالبي: أبو منصور ت 430 هـ.
- 63 - فقه اللغة وسر العربية ، تح: فائز محمد، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996.
 ❁ الثعالبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ت 427 هـ/1035 م.
- 64 - تفسير الثعالبي المسمى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، تح: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث
 العربي، بيروت، 2002.
- ❁ الثقفى: أبو هلال إبراهيم بن محمد ت 283 هـ .
- 65 - الغارات، تح: السيد جلال الدين المحدث ، مط بهمن ، ب . ت .
 ❁ الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد ت 161هـ/ 777م.
- 66 - تفسير الثوري، صححه ورتبه وعلق عليه: لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
 ❁ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت 255هـ
- 67 - البيان والتبيين ، تح : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، 1985 .
- 68 - الحيوان ، شرح وتحقيق : د. يحيى الشامي ، ب ط ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 2003 م .
- 69 - العثمانية ، تح وشرح : عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل ، بيروت ، 1374هـ.
- 70 - فضل هاشم على عبد شمس ضمن رسائل الجاحظ ، تح : حسن السندي، ط 1 ،
 القاهرة ، 1933م.
- ❁ ابن الجارود : أبو محمد عبد الله النيسابوري ت 307 هـ .
- 71 - المنتقى من السنن المسندة ، تح : عبد الله عمر البارودي ، ط 1 ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت ،
 1988 .
- ❁ ابن جبر: زين الدين علي بن يوسف (القرن السابع الهجري)
- 72 - نهج الإيمان ، تح : السيد أحمد الحسيني ، ط 1 ، مشهد ، 1418 هـ .
- ❁ الجرجاني : أبو الحسن علي بن محمد بن علي (740-816هـ/1340-1413م) .
- 73 - التعريفات ، ب.محق، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، بيروت، 2003 م.
- 74 - شرح المواقف، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1907م.
- ❁ الجزائري: السيد نعمة الله الموسوي ت 1112 هـ.
- 75 - نور البراهين في اخبار السادة الطاهرين، تح: السيد الرجائي، ط 1 ، مؤسسة النشر الاسلامي، قم،
 1417 هـ.
- ❁ ابن الجعد: أبي الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري (134-230هـ) .
- 76 - مسند ابن الجعد، مراجعة عامر حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت ، ب.ت .

- ✽ أبو جعفر الاسكافي: محمد بن عبد الله المعتزلي ت 240 هـ .
- 77 - المعيار والموازنة ، تح : محمد باقر المحمودي ، ط 1 ، ب .مكا ، 1981 .
- 78 -نقض العثمانية (نصوص من الكتاب ملحقة بكتاب العثمانية للجاحظ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت . ب.ت.
- ✽ ابن ابي جمهور الاحسائي ت نحو 880 هـ .
- 79 -عوالي اللثالي، تح : المرعشي . العراقي ، ط 1، قم ، 1983 .
- ✽ الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد ت 539 هـ.
- 80 - شرح أدب الكاتب، تقديم : مصطفى صادق الرفاعي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1350 هـ.
- ✽ الجواهري: محمد حسن النجفي ت 1266 هـ .
- 81 -جواهر الكلام ، تح : الشيخ عباس القوجاني ، دار الكتب الإسلامية ، ب .ت .
- ✽ ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (510 . 597 هـ) .
- 82 - دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، حققه وقدم له: حسن السقاف، ط 3، دار الإمام النووي، عمان . الأردن، 1992م.
- 83 -زاد المسير في علم التفسير، حققه: محمد بن عبد الرحمن عبدالله، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1987.
- 84 -كشف المشكل من حديث الصحيحين، ط 1، دار الوطن، الرياض، 1997.
- ✽ الجوهري: أبو بكر احمد بن عبد العزيز البصري ت 323 هـ.
- 85 -السقيفة وفدك، تح : محمد هادي الاميني ، ط 2 ، شركة الكتبي ، بيروت 1993م.
- ✽ الجوهري: إسماعيل بن حماد ت (393 هـ / 1003 م) .
- 86 -الصحاح، تح : احمد عبد الغفور ، ط 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1987 م .
- ✽ ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ت 327 هـ.
- 87 -تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، دار الفكر، بيروت، 2003.
- ✽ الحاكم الحسكاني: الحافظ عبيد الله بن أحمد الحنفي النيسابوري (القرن الخامس الهجري).
- 88 -شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تح: محمد باقر المحمودي، ط 1 ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران، 1990.
- ✽ الحاكم النيسابوري: محمد بن محمد ت 405 هـ.
- 89 -المستدرک، تح: يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، 1406 هـ.
- 90 -معرفة علوم الحديث ، ط 4 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1400 .
- ✽ ابن حبان: محمد البستي التميمي ت 354 هـ .
- 91 -كتاب الثقات ، ط 1 ، حيدر آباد الدکن ، الهند ، 1393 هـ .
- 92 -صحيح ابن حبان بترتيب ابن يلبان، ط 2 ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، 1993 .
- 93 -مشاهير علماء الأمصار، تح: مرزوق علي، ط 1، دار الوفاء، ب.مكا، 1991م.

- ✽ ابن حبيب : محمد البغدادي ت ما بعد 279 هـ .
- 94 - المنق ، تح : خورشيد احمد فاروق ؛ ط1 ، حيدر آباد الدكن . الهند ، 1384 هـ/1964 م .
- ✽ ابن حجر العسقلاني: احمد بن علي ت 852 هـ
- 95 -الإصابة في تمييز الصحابة، تصحيح: إبراهيم الفيومي، دار الفكر، بيروت، 1328 هـ .
- 96 -تهذيب التهذيب ، تح : صدقي جميل العطار ، ط1 ، دار الفكر ، 1995 .
- 97 -العجاب في بيان الأسباب، تح: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1997.
- 98 -فتح الباري، ط 2، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.
- 99 -القول المسدد في الذب عن المسند للإمام احمد ، ط1 ، القاهرة ، 1401.
- 100 -لسان الميزان ، ب.محق ، ط1 ، حيدر آباد الدكن-الهند ، 1330-1331 هـ.
- ✽ ابن أبي الحديد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني 586-656 هـ .
- 101 -شرح نهج البلاغة، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1، دار الجيل، بيروت، 1987 .
- ✽ الحر العاملي: محمد بن الحسن 1033 - 1104 هـ .
- 102 -الفصول المهمة في أصول الأئمة، تح: محمد القائيني، ط 1، مؤسسة معارف الإمام الرضا عليه السلام، قم، 1418 هـ.
- 103 -هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، ط1، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، 1312 هـ.
- 104 -وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، ط2 ، مؤسسة آل البيت، قم ، 1414 هـ .
- ✽ الحربي: إبراهيم بن اسحق ت 285 هـ.
- 105 -غريب الحديث ،تح سليمان إبراهيم ، ط1 ، جدة ، 1402.
- ✽ ابن حزم: أبو محمد بن احمد ت456 هـ.
- 106 -الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط1، دار صادر، بيروت، 1317 هـ .
- 107 -المحلى ، تح : احمد محمد شاكر ، ب.ط ، دار الفكر ، بيروت ، ب.ت .
- ✽ الحسني: ابو الحسين يحيى بن حمزة بن علي ت 749 هـ .
- 108 -الديباج الوضي في الكشف عن اسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة) ،تح: خالد بن قاسم بن محمد المتوكل ، ط1 ، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية ، صنعاء ، 2003 م .
- ✽ ابن الحسين: الحسن بن يحيى القاسمي ت 298 هـ .
- 109 -التحفة العسجدية في ما دار من الاختلاف بين العدلية والجبرية، أبو أيمن للطباعة، صنعاء، 1343 هـ.
- ✽ الحسيني : السيد شرف الدين علي ت نحو 965 هـ .
- 110 -تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، قم ، 1407 هـ .
- ✽ الحلبي : علي بن بهاء الدين الشافعي 975-1044 هـ / 1567-1635 م .
- 111 -السيرة الحلبية ، تصحيح : عبد الله الخليلي ، ط2 ، بيروت ، 2006 .
- ✽ الحلواني: الحسين بن محمد بن الحسن (القرن الخامس الهجري).
- 112 -خزعة الناظر وتنبية خاطر، تح: مدرسة الإمام المهدي (عج)، ط1، قم، 1408 هـ.

- ❁ العلامة الحلي : أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر (648 - 726هـ).
- 113 - أجوبة المسائل المهنية، ب. محق، مطبعة الخيام، قم، 1401هـ.
- 114 - الباب الحادي عشر، انتشارات تمدن اسلامي، قم، 1382.
- 115 - خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تح: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ط2، 1422 هـ.
- 116 - الرسالة السعدية، تح: عبد الحسين محمد علي، ط1، قم، 1410 هـ.
- ❁ ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي المعروف بأبي المعالي ت 562هـ.
- 117 - التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس و بكر عباس، ط 1، دار صادر، بيروت، 1996م.
- ❁ أبو حمزة الثمالي: ثابت بن دينار. ت 148هـ.
- 118 - تفسير أبو حمزة : جمع : عبد الرزاق محمد ، ط1 ، قم ، 1420 .
- ❁ ابن حمزة الطوسي: عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي ت 560 هـ.
- 119 - الثاقب في المناقب، تح: نبيل رضا علوان، ط2، مؤسسة أنصاريان، قم، 1412 هـ.
- ❁ الحميدي : أبو بكر عبد الله بن الزبير ت 219هـ.
- 120 - مسند الحميدي : تح : حبيب الرحمن الاعظمي ، ط 1 ، بيروت ، 1988 .
- ❁ الحميري : محمد بن عبد المنعم ت 727 هـ .
- 121 - الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، بيروت ، 1975 .
- ❁ الحميري : أبو العباس عبد الله بن جعفر (ق 3 هـ) .
- 122 - قرب الإسناد ، تح : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط1 ، مط : مهر ، قم ، 1413 هـ .
- ❁ ابن حنبل : أبو عبد الله احمد بن محمد (164-241 هـ) .
- 123 - المسند، ب. محق، دار صادر، بيروت، ب. ت .
- 124 - العلل ، تح : وصي الله بن محمود عباس ، ط 1 ، بيروت ، 1408 هـ .
- ❁ الحويزي : عبد علي بن جمعة العروسي ت 1112هـ.
- 125 - خور الثقلين ، تح : هاشم المحلاتي ، ط 1 ، قم ، 1412 هـ.
- ❁ ابن حيان: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي الحياتي ت 754 هـ.
- 126 - تفسير ابن حيان المسمى (البحر المحيط)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، ط 1، دارالكتب العلمية، بيروت، 2001.
- ❁ الخزاز: أبو القاسم علي بن محمد بن علي القمي ت (ق 4 هـ) .
- 127 - كفاية الأثر في النص على الائمة الاثني عشر ، تح : عبد اللطيف الحسيني ، ب. ط ، مط : الخيام ، الناشر : بيدار ، قم ، 1401 هـ .
- ❁ الخزرجي : صفي الدين احمد بن عبد الله الأنصاري اليمني ت بعد 923 هـ .
- 128 - خلاصة تهذيب تذهيب الكمال ، قدم له : عبد الفتاح أبو غده ، ط 4 ، بيروت ، 1411 هـ .
- ❁ ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن إسحاق السلمي ت 311 .
- 129 - صحيح ابن خزيمة ، تح : د. محمد الاعظمي ، ط2 ، المكتب الإسلامي ، 1412هـ.

- ✽ الخطيب البغدادي: أبو بكر احمد بن علي ت 463هـ
130 - تاريخ بغداد ، ب. محق، مط السعادة ، القاهرة ، 1931 .
- 131 - الكفاية في علم الرواية ، تح وتعليق: أحمد عمر هاشم ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1985.
- ✽ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد. ت 806هـ.
132 - التاريخ، دار الفكر، بيروت، 2000م.
- ✽ ابن خلكان : أبو العباس احمد بن محمد (608- 681 هـ) .
133 - وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار الفكر ، بيروت ، 1994 .
- ✽ الخوارزمي: أبو المؤيد موفق الدين بن أحمد البكري (القرن السادس الهجري).
134 - المناقب، قدم له: محمد رضا الخرسان، النجف، 1385هـ.
- ✽ الخياط : أبو الحسن عبد الرحيم بن محمد (ت حدود 300هـ).
135 - الانتصار ، تصحيح : نيبيرج ، بيروت ، 1957.
- ✽ ابن خياط : خليفة ت 240 هـ .
136 - تاريخ خليفة ، تح : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1993 .
- 137 - طبقات خليفة ، تح : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1993 .
- ✽ أبو خيثمة : زهير بن حرب النسائي ت 234 هـ.
138 - كتاب العلم، تح: محمد ناصر الألباني، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1983.
- ✽ الدارقطني : أبو الحسن علي بن عمر ت 385 هـ.
139 - سنن الدار قطني، تح: مجدي بن منصور، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996م .
- 140 - علل الدارقطني، تح: محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، ط 1 ، دار طيبة ، الرياض ، 1985م.
- ✽ الدارمي : أبو محمد عبد الله بن بهرام (ت 255 هـ) .
141 - السنن، ب. محق ، ب. ط ، الناشر : مطبعة الاعتدال ، دمشق ، ب. ت .
- ✽ ابن داود : تقي الدين (ألف كتابه سنة 707 هـ).
142 - رجال ابن داود ، المطبعة الحيدرية ، النجف . 1392 هـ .
- ✽ أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني ت 275 هـ
143 - سنن أبي داود ، تح : سعيد محمد اللحام ، ط 1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1990 .
- 144 - سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود تح : عبد العظيم عبد العليم البستوي ، ط 1 ، دار الاستقامة ، مؤسسة الريان ، 1997 ،
- ✽ الدروقي: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم البغدادي ت 246هـ.
145 - مسند سعد بن أبي وقاص، حققه وخرج أحاديثه : عامر حسن صبري ، ط1، دار البشائر الإسلامية ، بيروت، 1987.
- ✽ ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن (223 _ 321 هـ).
146 - الاشتقاق، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1958.

- ❁ ابن الدمشقي : محمد بن احمد الباعوني الشافعي ت 871هـ.
- 147 -جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب عليه السلام، ط1، تح: محمد باقر المحمودي ، قم ، 1415هـ.
- ❁ الدميري: كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى ت 806 هـ .
- 148 -حياة الحيوان الكبرى، ب . محق ، المكتبة التجارية ، مصر، 1956 .
- ❁ ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن عبيد 208 -281هـ .
- 149 -التواضع والخمول، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م.
- 150 -كتاب الهواتف، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1993م.
- 151 -الورع ، تحقيق وتعليق: أبو عبد الله محمد بن حمد، ط1، الدار السلفية ، الكويت ، 1988م.
- ❁ الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن ت 966 هـ /1559م .
- 152 -تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، دار صادر ، بيروت ، ب.ت.
- ❁ الديلمي: الحسن بن أبي الحسن (القرن الثامن الهجري).
- 153 -أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ب.ت.
- ❁ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد 748 هـ / 1347م .
- 154 -تاريخ الإسلام ، تح: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1987.
- 155 -تذكرة الحفاظ ، ب.محق ، ب.ط ، الناشر : مكتبة الحرم المكي ، ب.مكا ، ب.ت .
- 156 -تفقيح التحقيق في أحاديث التعليق، تح: مصطفى أبو الغيط، دار الوطن، الرياض، 2000.
- 157 -سير أعلام النبلاء ، تح : محب الدين العمروي ، ط1 ، بيروت ، 1997 .
- 158 -الكاشف في من له رواية في الكتب الستة، ط1، دار القبلة ، جدة ، 1413 هـ.
- 159 -المغني في الضعفاء ، تح: أبو الزهراء حازم القاضي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م.
- 160 -ميزان الاعتدال ، تح :علي محمد الجاوي ، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1382هـ.
- ❁ الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ت بعد 660هـ / 1268م .
- 161 -مختار الصحاح : تح : احمد شمس الدين ، ط1 ، بيروت ، 1994 .
- ❁ الرافعي : أبو القاسم عبد الكريم بن محمد ت 623 هـ .
- 162 -فتح العزيز ، ب . محق ، دار الفكر ، ب . ت .
- ❁ الرامهرمزي: الحسن بن عبد الرحمن بن خالد ت 360 هـ 970 م .
- 163 -المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، تح: محمد عجاج الخطيب ، ط3، دار الفكر، بيروت، 1404 هـ.
- ❁ ابن راهويه : إسحاق بن إبراهيم ت 238 هـ .
- 164 -مسند ابن راهويه ، تح : عبد الغفور عبد الحق ، ط 1 ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، 1991 .
- ❁ الراوندي: قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله قطب الدين ت 573هـ .

- 165 - الخرائج والجرائح، تح: مدرسة الإمام المهدي (عج) ، ط1 ، قم ، 1407 هـ .
- 166 - قصص الانبياء، تح: الميرزا غلام رضا عرفانيان ، ط1، قم، 1418 هـ .
- 167 - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تح : السيد عبد اللطيف الكوهكمري ، ب ط ، مط الخيام ، قم ، 1406 هـ .
- ✽ ابن رشد : ابو الوليد محمد بن احمد ت 595 هـ .
- 168 - بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، تح : خالد العطار ، دار الفكر ، بيروت ، 1995 .
- ✽ الزبيدي : محمد مرتضى ت 1205 هـ .
- 169 - تاج العروس، مكتبة الحياة، بيروت، ب.ت .
- ✽ الزرندي : جمال الدين محمد بن يوسف الحنفي ت 757 هـ .
- 170 - معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول والبتول ، تح : محمد كاظم المحمودي ، ط 1 ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ، 1425 هـ .
- 171 - نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين ، مكتبة أمير المؤمنين .. العامة ، ط1 ، 1958 هـ .
- ✽ الزمخشري : محمود بن عمر ت 538 هـ .
- 172 - أساس البلاغة، ب.محق، ب.ط، دار ومطابع الشعب، القاهرة، 1960 .
- 173 - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تح : سليم النعيمي ، مط العاني ، بغداد ، 1982 .
- 174 - الفائق في غريب الحديث، ط1، بيروت، 1417 هـ .
- 175 - الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ب.ت .
- ✽ ابن أبي الزمنين: ت399 هـ .
- 176 - تفسير ابن أبي الزمنين، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ط 1، الفاروق الحديثة، القاهرة، 2002 م .
- ✽ الزيلعي: العلامة جمال الدين ت 762 هـ .
- 177 - تخريج الأحاديث والآثار، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط 1، دار ابن خزيمة، الرياض، 1414 هـ .
- 178 - نصب الراية (تخريج أحاديث الهداية)، اعتنى بهما: أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة، 1995 .
- ✽ زين العابدين: الإمام علي بن الحسين ؑ ت 95 هـ .
- 179 - الصحيفة السجادية، تح: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الاصفهاني، ط 1، 1411 هـ ، قم، مؤسسة الإمام المهدي .
- ✽ السبكي: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي ت 756 هـ .
- 180 - فتاوي السبكي، دار المعرفة، بيروت، ب.ت .
- ✽ السرخسي: شمس الدين ت 483 هـ .

- 181 - المبسوط، تح: جمع من الأفاضل، دار المعرفة، بيروت، 1406هـ.
 ❁ ابن سعد: محمد ت 230هـ .
- 182 - الطبقات الكبرى ، تح : إحسان عباس ، بيروت ، 1978م .
 ❁ أبو السعود: محمد بن محمد العمادي ت 951هـ .
- 183 - تفسير أبو السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.
 ❁ ابن سلام: أبو القاسم عبيد الهروي ت 224هـ .
- 184 - غريب الحديث : تح : محمد عبد المعين خان ، ط 1 ، بيروت ، 1396هـ / 1964 .
 ❁ ابن سلامة: أبو عبد الله محمد القضاءي ت 454هـ .
- 185 - دستور معالم الحكم ، مكتبة المفيد ، قم ، ب.ت.
 186 - مسند الشهاب، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985
 ❁ ابن سليمان الحلبي: الشيخ حسن (ق 9هـ) .
- 187 - المختصر ، ب.محق ، ط 1 ، مط : الحيدرية ، النجف ، 1951م .
 188 - مختصر بصائر الدرجات ، ط 1 ، النجف ، 1950 .
 ❁ السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد ت 383هـ .
- 189 - تفسير السمرقندي، تح: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
 ❁ السمعاني : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ت 562هـ .
- 190 - ادب الاملاء والاستملاء، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام، ط 1، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1989.
- 191 - الأنساب ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ، ط 1 ، دار الجنان ، بيروت ، 1408هـ.
 ❁ السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد ت 489هـ .
- 192 - تفسير السمعاني، تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، ط 1، دار الوطن، الرياض، 1997.
 ❁ السهيلي: الامام المحدث ابو القاسم عبد الرحمن ت 581هـ .
- 193 - الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ت 213هـ ، تعليق : الشيخ عمر عبد السلام السلامي ، ط 1 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 2000م .
 ❁ سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت 180هـ .
- 194 - كتاب سيبويه ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، ب.ت.
 ❁ ابن سيد الناس: محمد بن عبد الله بن يحيى 671-734هـ .
- 195 - عيون الأثر، مؤسسة عز الدين ، ب.ط ، بيروت ، 1986 .
 ❁ ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ت 458هـ .
- 196 - المخصص ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ب.ت.
 ❁ السيوطي: ابو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ .

- 197 -الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق: سعيد المنذوب ، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996م.
- 198 -تاريخ الخلفاء ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، منشورات الشريف الرضي . ب . ت .
- 199 -التعظيم والمنة في ان ابوي رسول الله في الجنة ، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .
- 200 -تنزيه الأنبياء عن تشبيه الاغبياء ، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 م .
- 201 -تتوير الحوالمك شرح على موطأ مالك ، ضبط وتصحيح محمد الخالدي ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 .
- 202 -الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ط1، دار الفكر، بيروت، 1401 هـ.
- 203 -الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ب . محق ، بغداد ، 1377 هـ .
- 204 -الدرج المنيفة في الاباء الشريفة ، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .
- 205 -الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، حقق أصله وعلق عليه: أبو إسحاق الجويني الأثري، ط 1، دار ابن عفان، 1996.
- 206 -الرسائل العشر ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 م .
- 207 -السبل الجليلة في الاباء العلية، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .
- 208 -كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص الكبرى، دار الكتاب العربي، 1320 هـ.
- 209 -لباب النقول : ضبطه وصححه : احمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب.ت.
- 210 -لب الباب من تحرير الأنساب، دار صادر. بيروت، ب. ت.
- 211 -المحاضرات والمحاورات، تح: يحيى الجبوري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.
- 212 -مسالك الحنفا في والدي المصطفى، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .
- 213 -المقامة السندسية في النسبة المصطفوية ، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .
- 214 -تشر العلمين المنيفين في اخبار الابوين الشريفين ، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .
- ✽ ابن شاذان: سيد الدين شاذان بن جبرئيل القمي ت 660 هـ.
- 215 -الروضة في فضائل أمير المؤمنين ﷺ، تح: علي الشكرجي، ط1، مركز الأمير، قم، 1423 هـ.
- 216 -الفضائل ، مطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، 1962.
- ✽ الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (150-204 هـ).

- 217 - اختلاف الحديث، (على قرص المعجم الفقهي بلا معلومات).
- 218 - كتاب الأم، ط2، دار الفكر، بيروت، 1983.
- 219 - الرسالة، تح: محمد أحمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، ب.ت.
- 220 - مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
- ✽ الشامي: أبو حاتم جمال الدين يوسف بن حاتم العاملي ت 664 هـ.
- 221 - الدر النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ب.ت.
- ✽ ابن شبة: أبو زيد عمر بن شبة البصري ت 262 هـ.
- 222 - تاريخ المدينة، تح: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، قم، 1410 هـ.
- ✽ الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد ت 960 هـ.
- 223 - مغني المحتاج، دار إحياء التراث العربي، 1958.
- ✽ الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين (359-406 هـ).
- 224 - تلخيص البيان في مجازات القرآن، ط 1، حققه وقدم له وصنع فهرسه: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م.
- 225 - حقائق التأويل: شرح محمد رضا، دار المهاجر، بيروت، 1355 هـ.
- 226 - خصائص الأئمة، تح: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، 1406 هـ.
- 227 - المجازات النبوية، تح: طه محمد الزيني، القاهرة، مؤسسة الحلبي، 1967.
- 228 - نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهرسه العلمية: صبحي الصالح، ط 6، دار الاسوة، طهران، 1429 هـ.
- ✽ الشريف المرتضي: أبو القاسم علي بن الحسين علم الهدى 355-436 هـ.
- 229 - الامالي، تح: احمد الشنقيطي، ط 1، قم، 1907.
- 230 - الانتصار: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1415 هـ.
- 231 - رسائل المرتضى، تح: مهدي رجائي، ب.ط، مط: سيد الشهداء، الناشر: دار القرآن، ب.مكا، 1405 هـ.
- ✽ ابن شعبة الحراني أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (ق 4 هـ).
- 232 - تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تح: علي اكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1404 هـ.
- ✽ الشعراني: سيدي عبد الوهاب بن احمد بن علي الشافعي ت 973 هـ.
- 233 - لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1393 هـ.
- ✽ ابن شهر آشوب: أبو عبد الله محمد بن علي ت 588 هـ.
- 234 - معالم العلماء، قم، ب.ت.
- 235 - متشابه القرآن ومختلفه، جابخانة شركة سهامية طبع كتاب، 1328 هـ.
- 236 - مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، 1376 هـ.
- ✽ الشهرستاني: ابو الفتح محمد بن عبد الكريم ت 548 هـ.

- 237 -الملل والنحل، اشرف على تعديل هذا الكتاب وقدم له: صدقي جميل العطار، ط 2، دار الفكر، بيروت، 2002.
- ✽ الشهرزوزي: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ت 643 هـ.
- 238 -مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ط 1، علق عليه أبو عبد الرحمن صلاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995.
- ✽ الشهيد الأول: محمد بن مكي ت 786 هـ.
- 239 -الذكري ، طبعة حجرية ، كتبت بالخط الكرمانى سنة 1272 هـ .
- ✽ الشهيد الثاني : زين الدين بن علي الجبعي العاملي (911- 966 هـ) .
- 240 -رسائل الشهيد الثاني، ط1، مركز انتشارات، قم، 1421هـ.
- 241 -مسالك الإفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، ط1، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، 1413 هـ .
- 242 -منية المرید : تح : رضا المختاري ، ط 1 ، مكتب الاعلام الاسلامي ، 1409هـ.
- ✽ الشوكاني : محمد بن علي بن محمد الصنعاني ت 1250 هـ .
- 243 -فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، مط عالم الكتب ، ب . ت .
- 244 -خيل الأوطار ، دار الجليل ، بيروت ، 1973 .
- ✽ ابن أبي شيبية: عبد الله بن محمد ت 235 هـ .
- 245 -المصنف، تح : سعيد محمد اللحام ، ط 1 ، دار الفكر ، 1409 هـ .
- ✽ الصالحي : محمد بن يوسف الشامي ت 942 هـ .
- 246 -سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تح : عادل احمد ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1414 هـ .
- ✽ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي ت 381 هـ .
- 247 -الامالي ، تح : قسم الدراسات الإسلامية ، ط 1 ، قم ، 1417 هـ .
- 248 -التوحيد ، تح : هاشم الحسيني ، ط 1 ، جماعة المدرسين ، ط 1 ، 1387 هـ .
- 249 -ثواب الأعمال ، ط 2 ، منشورات الرضي ، قم ، 1368 .
- 250 -الخصال ، تح : علي اكبر غفاري ، جماعة المدرسين ، قم ، 1403 هـ .
- 251 -علل الشرائع ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، 1966 .
- 252 -عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ط 1 ، مط شريعت ، المكتبة الحيدرية، قم، 1425هـ.
- 253 -كمال الدين وتمام النعمة، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1405 هـ.
- 254 -معاني الأخبار ، صححه : علي اكبر الغفاري ، ب.ط ، قم ، 1361 .
- 255 -المقنع ، مؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام)، 1415 هـ.
- 256 -من لا يحضره الفقيه، تح: علي اكبر غفاري، ط2، جماعة المدرسين، قم، 1404 هـ .
- ✽ الصفدي : خليل الدين أبيك ت 764 .

- 257 -الوافي بالوفيات : تح احمد الارناؤوط . تركي مصطفى ، دار احياء التراث ، بيروت ، 2000 .
 ❁ الصفار : محمد بن الحسن ت 290 هـ .
- 258 -جوائر الدرجات ، تح : ميرزا محسن ، مؤسسة الاعلمي ، طهران ، 1404 هـ .
 ❁ أبو الصلاح الحلبي: تقي الدين بن نجم الدين بن عبيد الله (374 . 447 هـ).
- 259 -الكافي في الفقه ، تح : رضا أستاذي ، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام ، أصفهان ، 1403 هـ .
 ❁ ابن أبي الصلت: أمية ت 5 هـ / 626 م .
- 260 -ديوان أمية بن أبي الصلت، دراسة وتحقيق: بهجة الحديثي، ط 2، بغداد، 1991.
 ❁ الصنعاني : أبو بكر عبد الرزاق بن همام 211 هـ / 827 م .
- 261 -تفسير القرآن ، تح : مصطفى مسلم محمد ، ط 1، مط : مكتبة الرشد ، الرياض ، 1410 هـ / 1989 م .
 262 -المصنف ، تح : حبيب الله الاعظمي ، الناشر : المجلس العلمي ، ب . ت .
 ❁ الصوري: محمد بن علي ت 441 هـ .
- 263 -الفوائد المنتقاة والغرائب الحسان عن الشيوخ الكوفيين، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ .
- ❁ الضبي : أحمد بن عيسى ت 599 هـ ، 1202 م .
- 264 -جنية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تح : إبراهيم اليباري ، ط 2 ، بيروت ، 1989 م
 ❁ الضبي : سيف بن عمر ت 200 هـ
- 265 -الفتنة ووقعة الجمل ، جمع وتحقيق : احمد راتب ، ط 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1391 هـ .
 ❁ أبو طالب بن عبد المطلب ت 3 ق هـ .
- 266 -ديوان شيخ الأباطح أبي طالب، جمع: أبي هفان عبد الله بن أحمد المهزمي ت 257 هـ، تحقيق وإستدراك: محمد باقر المحمودي، ط 1، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ب.ت.
 ❁ أبو طالب المكي: محمد بن علي الحارثي ت 386 هـ .
- 267 -قوت القلوب في معاملة المحبوب ، تح : سعيد نسيب مكارم ، ط 1 ، دار صادر ، بيروت ، 1995 م .
 ❁ ابن طاووس: أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد ت 664 .
- 268 -التحصين : تح : الأنصاري ، قم ، 1413 .
- 269 -سعد السعود، منشورات الرضي، طبعة أمير، قم، 1363 هـ .
- 270 -الطرائف في معرفة مذهب الطوائف، ب.محق، ط 2، مطبعة الخيام، قم، 1399 هـ .
- 271 -اليقين في إمرة أمير المؤمنين ، ط 1 ، تح : الأنصاري ، قم ، 1413 .
 ❁ الطبراني : أبو القاسم سليمان بن احمد (260-360 هـ) .
- 272 -الاحاديث الطوال، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م .
- 273 -الأوائل : تح : محمد شكور ، ط 1 ، بيروت ، 1403 .
- 274 -كتاب الدعاء ، تح : مصطفى عبد القادر، ط 1 ، بيروت ، 1413 هـ .
- 275 -مسند الشاميين ، تح : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط 2 ، بيروت ، 1996 م .

- 276 -المعجم الأوسط ، تح : إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ب.ت .
- 277 -المعجم الصغير ، ب.محق ، ب.ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب.ت .
- 278 -المعجم الكبير ، تح : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط2 ، دار إحياء التراث العربي ، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ب.ت .
- ✽ الطبرسي: رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل ت 548 هـ.
- 279 -المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف (منتخب الخلاف للطوسي)، حققه وقابله: جمع من الاساتذة، مجمع البحوث الإسلامية، قم، 1410 هـ.
- 280 -مكارم الاخلاق، ب.محق، ط6، منشورات الشريف الرضي، 1972 .
- ✽ الطبرسي : أبو الفضل علي (المتوفي اوائل القرن السابع الهجري) .
- 281 -مشكاة الانوار، تح: مهدي هوشمند، ط1، دار الحديث، 1418 هـ.
- ✽ الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب ت 548 هـ.
- 282 -الاحتجاج ، تعليق: محمد باقر الخرسان، مطبعة النعمان، النجف، 1966 .
- ✽ الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن ت 548 هـ.
- 283 -إعلام الوري بأعلام الهدى ، ط1 ، مؤسسة آل البيت ، قم ، 1417 هـ .
- 284 -جوامع الجامع، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1، 1418 هـ.
- 285 -تفسير الطبرسي المسمى (مجمع البيان في تفسير القرآن)، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء، قدم له: السيد محسن الأمين العاملي، ط1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1995.
- ✽ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت 310 هـ .
- 286 -تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ب . ت.
- 287 -جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ب ، محق ، ط3 ، ب ، مكا ، 1968 .
- ✽ الطبري : عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم ت بعد 553 هـ .
- 288 -بشارة المصطفى لشيعه المرتضى ، تح : جواد القيومي ، ط 2 ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1422 هـ .
- ✽ الطبري الصغير : أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ق 5 هـ) .
- 289 -دلائل الإمامة ، تح : قسم الدراسات الإسلامية ، ط1 ، قم ، 1413 هـ .
- 290 -المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تح : احمد المحمودي ، ط1 ، مط : سلمان الفارسي ، الناشر : مؤسسة الثقافة الإسلامية ، قم ، ب.ت .
- ✽ الطريحي: فخر الدين ت 1085 هـ.
- 291 -مجمع البحرين ، تح : احمد الحسيني ، ط2 ، قم ، 1408 هـ .
- ✽ ابن طلحة الشافعي: كمال الدين محمد (582 . 652 هـ).
- 292 -مطالب السؤل في مناقب آل الرسول، تح: ماجد بن أحمد العطية، ب.مكا، ب.ت.
- ✽ الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن (385 . 460 هـ) .

- 293 - اختيار معرفة الرجال ، تح : مير داماد ، محمد باقر الحسيني ، السيد مهدي الرجائي ، قم ، 1404 هـ .
- 294 - لاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ط2، دار الاضواء، بيروت، 1986.
- 295 - الامالي ، ب .محق ، دار الثقافة للنشر ، قم ، 1414 هـ.
- 296 - تهذيب الأحكام، تح: السيد حسن الخراسان وآخرين ، ط4 ، دار الكتب الإسلامية ، 1390 هـ .
- 297 - رجال الطوسي ، تح : جواد القيومي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1415 هـ .
- 298 - الفهرست ، تح : الشيخ جواد القيومي ، مؤسسة نشر الفقاهة ، ط2 ، 1422 هـ .
- 299 - التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد قصير حبيب العملي، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1409 هـ.
- 300 - الخلاف، تح: سيد علي الخراساني وآخرين، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، 1407 هـ.
- 301 - الرسائل العشر، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ب.ت.
- 302 - المبسوط في فقه الإمامية، تح: محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية، طهران، 1378 هـ.
- ✽ الطيالسي : أبو داود سليمان بن داود ت 204 هـ .
- 303 - مسند الطيالسي ، دار الحديث ، بيروت ، ب .ت .
- ✽ ابن أبي عاصم: أبو بكر عمرو الضحاك بن مخلد الشيباني ت 287 هـ.
- 304 - الأحاد والمثاني، تح: باسم فيصل الجوابرة، ط 1، دار الدراية، السعودية، 1991م.
- 305 - الاوائل، تح: محمود محمد، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- 306 - كتاب السنة، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1993.
- ✽ العملي: السيد أحمد بن زين العابدين العلوي (ت نحو 1060 هـ).
- 307 - مناهج الأخيار في شرح الاستبصار، تقديم: السيد شهاب الدين المرعشي، قم، 1399 هـ.
- ✽ ابن عبد البر : أبو عمرو يوسف القرطبي ت 463 هـ .
- 308 - الاستنكار ، تح : سالم محمد عطا و محمد علي معوض ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000 .
- 309 - الاستيعاب في أسماء الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م.
- 310 - الانباه على قبائل الرواة ، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م.
- 311 - التمهيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف، المغرب، 1387 هـ.
- 312 - الدرر في اختصار المغازي والسير، ب.محق، ب.مكا، ب.ت.
- 313 - جامع بيان العلم وفضله، ب.محق، بيروت، دار الكتب العلمية، 1398 هـ.
- ✽ ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. ت 257 هـ / 871 م.
- 314 - فتوح مصر وأخبارها، تح: محمد الحجيري، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996.
- ✽ العجلوني : اسماعيل بن محمد ت 1162 هـ.
- 315 - كشف الخفاء ومزيل الالباس، ط2، بيروت، 1988.
- ✽ ابن عربي: محمد بن علي بن محمد ت 638 هـ.

- 316 - تفسير ابن عربي، ضبطه وصححه وقدم له: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
- ✽ ابن العربي: القاضي أبو بكر المالكي ت 543 هـ.
- 317 - العواصم من القواصم، حققه وعلق عليه: محب الدين الخطيب، ط2، دار السعودية، جدة، 1387هـ.
- ✽ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي (499-571هـ).
- 318 - الاربعين البلدانية، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
- 319 - تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، ب.ط، دار الفكر، بيروت، 1995م .
- ✽ آل عصفور: الشيخ حسين البحراني ت 1216هـ.
- 320 - الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع، تح: محسن آل عصفور، مطبعة أمير، قم، ب.ت.
- ✽ ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب ت 542 هـ / 1148 م .
- 321 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.
- ✽ ابن عقدة: أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد ت 332 هـ.
- 322 - اللولاية، جمع نصوصه، عبد الرزاق حرز الدين، ب.مكا، ب.ت.
- 323 - فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، جمعه ورتبه وقدم له: عبد الرزاق حرز الدين، ب.مكا، 1421هـ.
- ✽ العياشي: أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي ت 320 .
- 324 - التفسير، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ب.ط، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ب.ت .
- ✽ العيني: بدر الدين ت 855 هـ .
- 325 - عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ب.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت .
- ✽ الغازي: داود بن سليمان ت 203 هـ.
- 326 - مسند الرضا عليه السلام، حققه: محمد جواد الحسيني الجلاي، ط 1، مكتب الإعلام الاسلامي، قم، 1418هـ.
- ✽ الغرناطي: محمد بن أحمد بن جزي ت 741 هـ.
- 327 - التسهيل لعلوم التنزيل، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ب.ت.
- ✽ الغزالي: ابو حامد محمد بن محمد 505 هـ
- 328 - المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال، تح: د.جميل صليبا، د.كامل عياد، ط 7، دار الاندلس، بيروت، 1967 م .
- ✽ ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت 395 هـ.
- 329 - معجم مقاييس اللغة، تح وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، 1404 هـ.
- ✽ الفاضل الهندي: بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني (1062 _ 1137هـ).
- 330 - كشف اللثام عن قواعد الأحكام، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، قم، 1416هـ.

- ✽ ابن الفتال النيسابوري : أبو جعفر محمد بن الحسن ت 508 هـ .
331 - روضة الواعظين ، ط2 ، مط : أمير ، قم ، 1375 هـ .
- ✽ أبو الفتوح: حسين بن علي الخزاعي النيسابوري (أوائل القرن السادس الهجري).
332 - روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، تح: محمد جعفر و محمد مهدي، مشهد، 1371 ش.
- ✽ الفخر الرازي: فخر الدين ت 606 هـ .
333 - تفسير الفخر الرازي المعروف بـ (مفتاح الغيب)، ط3، ب. محق، ب. مكا، ب. ت.
✽ أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين ت 732 هـ .
334 - المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ب. ت.
✽ فرات بن إبراهيم الكوفي : أبو القاسم ت 352 هـ .
335 - تفسير فرات الكوفي ، تح : محمد الكاظم ، ط 1 ، مط : التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، إيران ، 1990 م .
- ✽ الفراهيدي: أبي عبد الرحمن الخليل بن احمد (100 . 175 هـ).
336 - العين، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار الهجرة ط 2 ، 1409 هـ .
- ✽ أبو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين ت 356 هـ .
337 - الاغانى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994 م.
- 338 - مقالات الطالبين ، تقديم واشراف: كاظم المظفر ، ط 2 ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الاشرف ، 1965 م .
- ✽ الفرزدق: همام بن غالب ت 114 هـ / 733 م .
339 - ديوان الفرزدق، تح: كرم البستاني، بيروت، 1966 .
- ✽ ابن الفقيه الهمداني : أبو بكر محمد بن إبراهيم ت 289 هـ / 901 م .
340 - مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، 1322 م .
- ✽ ابن فهد الحلي: جمال الدين أحمد بن محمد (757 - 841 هـ).
341 - التحصين في صفات العارفين من العزلة والخمول بالأسانيد المتلقاة من آل الرسول ﷺ ، تح: مدرسة الإمام المهدي ﷺ، ط2، قم، 1406 هـ .
- ✽ الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ت 817 هـ .
342 - القاموس المحيط ، جمع وشرح : نصر الهوريني ، ب . مكا ، ب ت .
✽ الفيض الكاشاني: محمد محسن (1007 - 1091 هـ).
343 - الأصفى في تفسير الأصفى، تح: محمد درايبي و محمد نعمتي، ط 1 ، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قم، 1418 هـ .
- 344 - المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، ط2، قم، ب. ت.
345 - مفاتيح الشرائع، تح: مهدي رجائي ، مجمع الذخائر الإسلامية ، قم، 1401 هـ .
346 - الوافي، مكتبة أمير المؤمنين ﷺ، ط1، إصفهان، 1406 هـ .

- ❁ الفيومي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ت 770هـ.
- 347- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ب.محق، دار الفكر، ب.ت.
- ❁ القاضي: عبد الجبار عماد الدين أبي الحسن بن احمد (ت 415هـ).
- 347 -فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، تح : فؤاد سيد، تونس، 1974.
- ❁ القاضي عياض: أبو الفضل اليحصبي ت 544 هـ.
- 348 -الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، 1988 .
- ❁ القاضي النعمان : أبو حنيفة محمد بن منصور بن احمد المغربي ت 363هـ .
- 349 -دعائم الإسلام ، تح : أصف بن علي ، ب.ط ، دار المعارف ، مصر ، 1963م .
- 350 -شرح الأخبار في فضائل الائمة الأطهار ، تح : محمد الحسيني الجلاي ، ب.ط ، مط : مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ب.ت .
- ❁ ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ت 276هـ.
- 351 -الإمامة والسياسة (منسوب) ، تح: علي شيري، ط 1 ، مط : أمير ، الناشر : الشريف الرضي ، قم ، 1413 هـ .
- 352 -تأويل مختلف الحديث، ب.محق، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
- 353 -غريب الحديث ، تح : عبد الله الجبوري ، ط 1 ، بيروت ، 1988م .
- 354 -المعارف، تح : ثروت عكاشة ، القاهرة، 1981 .
- ❁ ابن قدامة: موفق الدين أبي محمد عبد الله بن احمد ت 620هـ.
- 355 -المغني، ب.محق، دار الكتاب العربي، ب.ت .
- ❁ ابن قدامة : عبد الرحمن 682 هـ .
- 356 -الشرح الكبير ، ب.محق ، ب.ط ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ب.ت .
- ❁ القرطبي : أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (671هـ/1273م)
- 357 -الجامع لأحكام القرآن، ط2، القاهرة ، دار الكتب المصرية، 1960.
- ❁ القلقشندي: احمد بن عبد الله ت 821هـ /1418م.
- 358 -صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
- 359 -مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تح : شوقي أبو خليل ، ط2 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، 1997 .
- ❁ القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم ت 329 هـ.
- 360 - تفسير القمي، صححه وعلق عليه وقدم له: السيد طيب الجزائري، ط 3، مؤسسة دار الكتاب، قم، 1404 هـ.
- ❁ القمي: أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن المعروف بابن شاذان.(القرن الرابع والخامس الهجريين).
- 361 -مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين ﷺ، ط1، مدرسة الإمام المهدي، قم، 1407 هـ.

- ❁ القندوزي: سليمان بن إبراهيم الحنفي ت 1294هـ.
- 362 -تبايع المودة لنوي القرى ، تح: سيد علي جمال أشرف الحسيني ، ط1، دار الأسوة، 1416هـ.
- ❁ الكاشاني : ابو بكر بن مسعود الحنفي ت 587هـ.
- 363 -بدائع الصنائع : ط1 ، باكستان ، 1989 .
- ❁ ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر ت 774 هـ .
- 364 -البداية والنهاية، اعتنى به، حنان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، ب.ت .
- 365 -تفسير ابن كثير ، ب.ط ، مط : دار المعرفة ، بيروت ، 1412 هـ .
- 366 -السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، 1971.
- ❁ الكلاني: محمد بن إسماعيل الصنعاني ت 1182 هـ.
- 367 -سبل السلام (شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر)، راجعه وعلق عليه: محمد عبد العزيز الخولي، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1960.
- ❁ الكراكي : أبو الفتح محمد بن علي ت 449 هـ
- 368 -كنز الفوائد ، ط2 ، مطبعة الغدير ، مكتبة مصطفىوي ، قم ، 1369 هـ .
- ❁ ابن كرامة : المحسن سعيد ت 494 هـ
- 369 -تتبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، تح: تحسين آل شبيب الموسوي ، ط 1 ، مركز الغدير ، 2000 م
- ❁ الكراسي: محمد جعفر بن محمد طاهر الخراساني ت 1175 هـ.
- 370 -إكليل المنهج في تحقيق المطلب، الطبعة الأولى، تحقيق السيد جعفر الحسيني الأشكوري، دار الحديث، قم، 1425 هـ.
- ❁ الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى ت 634هـ.
- 371 -الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، تح: محمد عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
- ❁ ابن الكلبي :ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب ،ت 204 هـ .
- 372 -الاصنام ، تح الاستاذ احمد زكي باشا ، ط3 ، دار الكتب المصرية بالقاهرة ، 1995 م.
- ❁ الكليني : أبي جعفر محمد بن يعقوب ت 329 هـ .
- 373 -الكافي ، تح علي اكبر غفاري ، ط3 ، دار الكتب الإسلامية ، 1388 هـ .
- ❁ الكنجي الشافعي : أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد ت 658 هـ .
- 374 -كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب ، تح محمد الاميني ، ط2، النجف ، 1970.
- ❁ الكوفي : محمد بن سليمان القاضي ، (حياً 300 هـ) .
- 375 -مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ، تح : محمد باقر المحمودي ، ط 1 ، الناشر :
- مجمع أحياء الثقافة الإسلامية ، قم ، 1412 هـ .
- ❁ ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني ت 275 هـ .
- 376 -سنن ابن ماجه ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ب .ت .

- ✽ الماحوزي: سليمان بن عبد الله البحراني ت 1121 هـ.
- 377 كتاب الأربعين حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تح: السيد مهدي الرجائي، ط 1، قم، 1417هـ.
- ✽ المارديني: العلامة علاء الدين بن علي بن عثمان الحنفي ابن التركماني ت 745 هـ .
- 378 -الجواهر النقي ، دار الفكر، عن طبعة 1316 هـ .
- ✽ المازندراني : موسى محمد صالح ت 1081هـ.
- 379 -شرح أصول الكافي، ضبط وتصحيح: علي عاشور، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000.
- ✽ ابن ما كولا: علي بن هبة الله ت 475 هـ.
- 380 -الإكمال، ب.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ب.ت.
- ✽ مالك بن انس (93 _ 179 هـ).
- 381 -المدونة الكبرى ، مط السعادة ، مصر ، ب . ت .
- 382 -الموطأ، تح : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ، ط 2 ، بيروت ، 1997.
- ✽ الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد البصري ت 450هـ.
- 383 -الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تح : عماد زكي البارودي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ب . ت .
- 384 -إعلام النبوة ، تح : سعيد محمد اللحام، ط 1، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1989.
- ✽ المباركفوري : أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ت 1353 هـ.
- 385 تحفة الأحوزي في شرح الترمذي، ط 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1410 هـ .
- ✽ المتقي الهندي: علاء الدين بن علي ت 975 هـ/1567 م .
- 386 -كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ط 2 ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، 1950 . 1967 .
- ✽ مجاهد بن جبر المكي المخزومي ت 104هـ.
- 387 -تفسير مجاهد، قدم له وحققه وعلق حواشيه: عبد الرحمن الطاهر، مجمع البحوث الإسلامية، باكستان، ب.ت.
- ✽ المجلسي الأول: محمد نقي (1003 _ 1070هـ).
- 388 -روضه المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، علق عليه: حسين الكرمانى وعلي الاشتها ردي، قم، 1393 هـ.
- ✽ المجلسي : محمد باقر ت 1111 هـ .
- 389 -بحار الأنوار، ط 2، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983.
- 390 -مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ط 2، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1404 هـ.
- 391 -سلامذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، تح: السيد مهدي الرجائي، مطبعة الخيام، قم، 1406هـ.
- ✽ مجهول المؤلف
- 392 -تفسير الامام الحسن العسكري، تح ونشر: مدرسة الإمام المهدي، ط 1، قم، 1409 هـ.
- ✽ المحاملي : حسين بن اسماعيل ت 330 هـ

- 393 -أمالي المحاملي (رواية ابن يحيى البيع)، تح :ابراهيم القيسي ، ط 1 ، المكتبة الاسلاميه ،دار ابن القيم ،الاردن ، 1412 هـ .
- ✽ المحب الطبري: احمد بن عبد الله ت 694هـ.
- 394 -خزائر العقبي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1356 هـ.
- 395 -الرياض النضره، تح: سليمان حسن عبد الوهاب، ط2، مصر، 1953م.
- ✽ المحقق الحلبي: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن ت 676 هـ.
- 396 -شرائع الإسلام ، تح : صادق الشيرازي ، ط 2 ، قم ، 1409 هـ .
- ✽ المحلي: جلال الدين ت 864 هـ، السيوطي : جلال الدين ت 911 هـ.
- 397 -تفسير الجلالين، قدم له وراجعته: مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ب.ت،
- ✽ ابن مخذ القرطبي: ابو عبد الرحمن بقي ت 276 هـ.
- 398 -ماروي في الحوض والكوثر، ط 1، تح: عبد القادر محمد عطا صوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1413 هـ.
- ✽ المدني: السيد علي خان الشيرازي (1052 - 1120هـ).
- 399 -رياض السالكين في شرح صحيفه سيد الساجدين صلوات الله عليه، تح: محسن الموسوي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1415هـ.
- ✽ ابن المرتضى: احمد بن يحيى (ت840هـ).
- 400 -شرح الأزهار ، غمضان ، صنعاء ، 1400 هـ .
- 401 -طبقات المعتزلة، عنيت بتحقيقه: سوسنه ديفلد. فلزر، ط2، دار المنتظر، بيروت، 1988.
- ✽ ابن مردويه : أبو بكر احمد بن موسى الاصفهاني ت 410هـ.
- 402 -مناقب علي بن أبي طالب، جمع: عبد الرزاق حرز الدين، ط2، دار الحديث، قم، 1424 هـ.
- ✽ المرزوقي: أبو علي أحمد بن محمد الاصفهاني ت 421هـ.
- 403 -الأزمنة والامكنة، ضبطه : خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.
- ✽ المزي: أبو الحجاج يوسف ت 742 هـ.
- 404 -تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تح : د. بشار عواد ، ط4 ، مؤسسة الرسالة ، 1406 هـ .
- ✽ المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين ت 346هـ.
- 405 -ثبات الوصية للامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، ب.ط ، ب.مط ، قم ، 1996 م .
- 406 -التنبيه والإشراف ، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي ، القاهرة ، ب . ت .
- 407 -مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ ، عني به : محمد النعسان و عبد المجيد طعمة ، ط1، دار المعرفة ، 2005.
- ✽ مسلم بن الحجاج النيسابوري ت 261 هـ .
- 408 -صحيح مسلم ، ب.ب. محق ، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
- ✽ المشهدي : الميرزا محمد القمي ت 1125 هـ .

- 409 - تفسير كنز الدقائق ، تح : آقا مجتبی العراقي ، ط 1 ، قم ، 1407 هـ .
- ✽ أبو المعالي: محمد بن إسحاق صدر الدين القونوي (607-673هـ).
- 410 - الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص ، ط 1 ، مطبعة فارابي ، انتشارات مولی ، 1413 هـ.
- ✽ ابن معد: أبو علي شمس الدين فخار بن معد الموسوي ت 630 هـ .
- 411 - الحجة على الذاهب إلى كفر أبي طالب ، تح: السيد محمد بحر العلوم ، ط 1 ، قم ، 1410 هـ.
- ✽ ابن معين: يحيى ت 233 هـ .
- 412 - تاريخ ابن معين برواية الدوري ، تح : عبد الله احمد حسن ، دار القلم ، ب .ت .
- ✽ ابن المغازلي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الشافعي ت 483 هـ .
- 413 - مناقب علي بن أبي طالب ، ط 1 ، إنتشارات سبط النبي ﷺ ، ب.مكا ، 1426 هـ .
- ✽ المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان (336 . 413 هـ) .
- 414 - الاختصاص ، تح : علي اكبر غفاري ، جماعة المدرسين ، قم ، ب . ت .
- 415 - الإرشاد ، تح : حسين الاعلمي ، ط 5 ، بيروت ، 2001 م .
- 416 - أقسام المولى في اللسان ، تح: مهدي نجف ، ط 2 ، دار المفيد ، بيروت ، 1993 .
- 417 - الامالي ، تح : الحسين استناد ولي ، قم ، ب.ت .
- 418 - أوائل المقالات ، ب . محق ، طهران ، 1371 هـ .
- 419 - الفصول المختارة ، تح : السيد مير علي شريعتي . دار المفيد ، بيروت ، ط 2 ، 1414 هـ / 1993 .
- 420 - المسائل السرورية ، مط مهر ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ب.مكا ، ب.ت .
- 421 - المسائل الصاغانية ، تح: محمد القاضي ، ط 1 ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، 1413 هـ .
- 422 - المسائل العكبويه : ط 2 ، بيروت ، 1993 .
- 423 - المقنعة ، ب.محق ، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد ، قم ، 1413 هـ .
- ✽ مقاتل بن سليمان ت 150 هـ .
- 424 - تفسير مقاتل بن سليمان ، تح: أحمد فريد ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003 .
- ✽ المقداد السيوري ت 826 هـ .
- 425 - النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر ، تح: مشتاق الزيدي ، ط 1 ، النجف الأشرف ، 2010 .
- ✽ المقرئ: تقي الدين أبو العباس احمد بن علي (ت 845 هـ / 1442 م) .
- 426 - إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمناع ، تحقيق وتعليق : محمد عبد الحميد ، منشورات محمد علي بيضون ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1999 .
- 427 - الخطط المقرئية ، ب.محق ، بولاق ، 1294 هـ ، أعادت طبعه بالافوسيت ، مكتبة المثني ، بغداد ، 1970 .
- 428 - النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، شركة الكتبي ، بيروت ، ب.ت .
- ✽ الملطي: أبو الحسين محمد بن احمد الشافعي (ت 377 هـ / 987 م) .
- 429 - التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع ، تح : محمد زاهد الكوثري ، بيروت ، 1968 .

- ✽ المناوي : محمد عبد الرؤوف ت 1031 هـ .
- 430 -الفتح السماوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض، ب.ت.
- 431 -فيض القدير في شرح الجامع الصغير ، تح : احمد عبد السلام ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415 هـ .
- ✽ المنذري: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي ت656هـ.
- 432 -الترغيب والترهيب، ضبط أحاديثه: مصطفى محمد، دار الفكر، بيروت، 1988م.
- ✽ ابن منصور: سعيد الخراساني المكي ت 227هـ.
- 433 -سنن سعيد بن منصور، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
- ✽ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت 711هـ/1311م.
- 434 -لسان العرب ، ط1 ، دار أحياء التراث العربي ، أدب الحوزة ، ب .ت.
- ✽ المنقري: نصر بن مزاحم ت212 هـ.
- 435 -وقعة صفين، تح: محمد عبد السلام هارون، ط2، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1382 هـ.
- ✽ ابن المنير الاسكندرني: ناصر الدين أحمد بن محمد المالكي ت 683 هـ.
- 436 -الانصاف فيما تضمنه الكشاف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1966 .
- ✽ ابن ميثم :كمال الدين بن علي البحراني ت 679 هـ .
- 437 -اختيار مصباح السالكين من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام وهو (شرح نهج البلاغة الوسيط)، تح وتقديم وتعليق: محمد هادي الأميني، ط1، مجمع البحوث الإسلامية، 1408 هـ.
- 438 -شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام ، عني بطبعه ونشره وتصحيحه والتعليق عليه: مير جلال الدين الحسيني الإرموي المحدث، منشورات جماعة المدرسين، قم، 1390 هـ.
- 439 -شرح نهج البلاغة ، ط1 ، مط :وفا ، قم ، 1427 هـ .
- 440 -النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة، ط1، مجمع الفكر الإسلامي، قم، 1417 هـ
- ✽ الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد .ت 588 هـ .
- 441 -مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مط السعادة، مصر، 1959 .
- ✽ ابن نباته: جمال الدين محمد بن محمد (ت 768هـ).
- 442 -سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ط 4، مصر، 1321 هـ.
- ✽ ابن النجار البغدادي: محب الدين أبي عبد الله محمد ت 643 هـ.
- 443 -ذيل تاريخ بغداد ، تح : مصطفى عبد القادر ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 .
- ✽ النجاشي: أبو العباس احمد بن علي ت450هـ.
- 444 -رجال النجاشي: تح: السيد موسى الزنجاني، ط5 ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1416 هـ .
- ✽ النحاس : أبو جعفر ت338 هـ.
- 445 -معاني القرآن : تح محمد علي الصابوني ، ط 1 ، جامعة أم القرى ، 1988.
- ✽ النسائي: أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب (215 - 303 هـ) .

- 446 - خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: محمد هادي الاميني، النجف، 1969 .
- 447 - السنن الكبرى ، تح : عبد الغفار سليمان . سيد كسروي حسن ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1411 هـ / 1991 .
- 448 - فضائل الصحابة: دار الكتب العلمية ، بيروت . ب . ت .
- ✽ النسفي: ابو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ت 537 هـ.
- 449 - تفسير النسفي المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ب.محق، ب.مكا، ب.ت.
- ✽ النعماني : محمد بن إبراهيم ت 380 هـ .
- 450 - الغيبة: تح : علي اكبر غفاري ، طهران ، ب.ت.
- ✽ أبو نعيم : احمد بن عبد الله الاصبهاني ت 430 هـ .
- 451 - ذكر أخبار اصبهان ، ب.محق ، بريل ، لندن ، 1931 .
- 452 - مسند أبو حنيفة: تح نظر محمد الفارياي ، ط 1 ، الرياض ، 1415 هـ.
- ✽ النوري : الميرزا حسين ت 1320 هـ .
- 453 - مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل ، تح : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط 1 ، بيروت ، 1987 .
- 454 - وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، 1414 هـ.
- ✽ النووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي (631_676 هـ).
- 455 - الأذكار النووية، دار الفكر، بيروت، 1994 م.
- 456 - روضة الطالبين: تح عادل احمد . علي محمد ، بيروت ، ب.ت.
- 457 - رياض الصالحين ، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت، 1991 م.
- 458 - شرح صحيح مسلم، ب.محق، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987.
- 459 - المجموع ، من شرح المذهب ، دار الفكر ، ب.ت .
- ✽ النووي: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت 733 هـ.
- 460 - خهاية الإرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، ب.ت.
- ✽ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك الحميري ت 218 هـ .
- 461 - السيرة النبوية، تح: محمد محيي الدين، الناشر: مكتبة محمد علي، مصر، 1963 .
- ✽ أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل ت 395 هـ.
- 462 - الأوائل ، وضع حواشيه : عبد الرزاق غالب ، ط 1 ، منشورات بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 .
- 463 - جمهرة الأمثال ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم - عبد المجيد قطامش ، ط 1 ، المؤسسة العربية ، 1964 م .
- 464 - الفروق اللغوية، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1412 هـ.
- ✽ الهمداني: لسان اليمن الحسن بن احمد بن يعقوب ت 334 هـ

- 465 - صفة جزيرة العرب ، تح : محمد بن علي الاكوع الحوالي ، ط1 ، مكتبة الارشاد ، صنعاء ، 1990 م
 ❁ الهيثمي: احمد بن حجر ت 974 هـ
- 466 - الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة، تح: عبد الوهاب الحسني، القاهرة، 1375 هـ.
 ❁ الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت 807 هـ) .
- 467 - بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، حققه وعلق عليه مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع ،
 القاهرة، ب.ت.
- 468 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، 1352-1353 هـ.
- 469 - موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، تح: محمد عبد الرزاق حمزة، ب.ط، دار الكتب العلمية، بيروت،
 ب.ت.
- ❁ الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ت 478 هـ
- 470 - أسباب النزول، دار الباز، مؤسسة الحلبي، القاهرة، 1986.
- ❁ الواسطي الليثي: كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد الواسطي (ق 6 هـ).
- 471 - عيون الحكم والمواعظ ، تح : حسين الحسني ، ط 1 ، دار الحديث ، قم ، 1376.
- ❁ الواقدي: محمد بن عمر بن واقد ت 207 هـ.
- 472 - المغازي ، تحقيق: مارسدن جونس ، عالم الكتب، بيروت، 2006.
- ❁ وكيع: محمد بن خلف بن حيان ت 306 هـ.
- 473 - اخبار القضاة، تعليق: مصطفى المراغي ، ب.محق، عالم الكتب، بيروت، ب.ت.
- ❁ الياضي: أبو محمد عبد الله بن أسعد ت 768 هـ.
- 474 - امرأة الجنان وعبرة اليقظان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م.
- ❁ ياقوت الحموي: أبو عبد الله الرومي ت 626 هـ .
- 475 - معجم الأديباء، ط الأخيرة، مكتبة عيسى الحلبي، مصر، 1963.
- 476 - معجم البلدان ، تح : وستنفلد ، لا بيزج ، 1868 .
- ❁ اليعقوبي : احمد بن أبي يعقوب (كان حيا في 292 هـ).
- 477 - التاريخ ، علق عليه : خليل المنصور ، ط1، مط مهر ، دار الاعتصام ، 1425 هـ.
- ❁ أبو يعلى: احمد بن علي التميمي الموصلبي 210 . 307 هـ.
- 478 - مسند أبو يعلى، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت . دمشق، ب . ت.

المراجع الثانوية

- ❁ الألوسي: محمود شكري البغدادي (1342 هـ / 1924 م).
- 479 - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تصحيح: محمد بهجة الأثري، ط3 ، مصر، 1342 هـ .

- ❁ إيداح: د. اقبال بن عبد الرحمن
480 -الوحي القرآني بين المفسرين والمستشرقين - دراسة تحليلية مقارنة - ، ط1 ، دار دجلة ،المملكة الاردنية
، 2011م .
- ❁ الأسدي : عبد الرزاق فرج الله
481 -الإمام علي ؑ بين طهر الميلاد ومجد الاستشهاد ،تح : قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة
العباسية المقدسة ،ط2 ،مط دار الضياء ، النجف الاشرف ، 2009م .
- ❁ إسماعيل: حيدر .
❁ آباء النبي محمد ﷺ من آدم إلى عبد الله (سيرة مختصرة ورد شبهات)، ط1، دار ومكتبة البصائر، بيروت،
2012.
- ❁ الاصفهاني: أبو عبد الله محمد تقي الموسوي ت1348هـ .
482 - مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم (ؑ)، ط1، تح: السيد علي عاشور، مؤسسة الاعلمي - بيروت،
1421هـ/2001م .
- 483 -وظيفة الأنام في زمن غيبة الإمام، ترجمة السيد أبو أحمد الكاظمي، نشر: مدرسة الإمام المهدي (عج)،
ط1، قم، 1407هـ .
- ❁ الألباني: محمد ناصر الدين .
484 -إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م .
❁ الاميني : عبد الحسين بن احمد النجفي ت 1390 هـ / 1970 م .
485 -الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ط 1 ، 1995 م .
- ❁ باقر : طه ، وآخرين .
486 -تاريخ ايران القديم ، ب.ط ، ب.مط ، بغداد ، 1980 م .
- ❁ بالنثيا: أنخل جنثالث الاميني : عبد الحسين بن احمد النجفي ت 1390 هـ / 1970 م .
487 -تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الاسبانية: حسين مؤنس، ط 2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008 .
- ❁ بحر العلوم: السيد محمد مهدي (1155 _ 1212 هـ / 1742 _ 1798م).
488 -الفوائد الرجالية، حققه وعلق عليه: محمد صادق لحر العلوم _ حسين بحر العلوم، ط 1، مكتبة الصادق،
طهران، 1363 هـ .
- ❁ البديري :السيد سامي
489 -السيرة النبوية تدوين مختصر مع تحقيقات واثارات جديدة ، تح : حسين البديري ، احسان المظفر ، ط 3 ،
مط :ياسين ، نشر : طور سينين ، ب . مكا ، 2005 م .
- ❁ بدوي: عبد الرحمن .
490 -مذاهب الإسلاميين ، ط 3، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1983م .
- ❁ بركات : د.محمد خليفة
491 -علم النفس التعليمي ، ط4 ، دار القلم ، الكويت ، 1994 م .

- ❁ البروجردى : حسين الطباطبائي ت 1383 هـ . (المشرف على الجمع) .
492 -جامع أحاديث الشيعة ، المطبعة العلمية ، قم ، 1407 هـ .
- ❁ البري: محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني.
493 -الجوهرة في نسب الإمام علي عليه السلام وآله ، تح : محمد التونجي ، ط 1 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1402 هـ .
- ❁ البغدادي: إسماعيل باشا ت 1339 هـ .
494 -إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ب . ت .
495 -هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1955 .
- ❁ البغدادي :خالد .
496 -تصحیح القراءة في نهج البلاغة ردا على " قراءة في نهج البلاغة " للدليمي ، ط 1 ، مط :ستارة ، قم ، 1427 هـ .
- ❁ البكري: عبد الرحمن احمد .
497 -من حياة الخليفة عمر بن الخطاب،تحقيق وتعليق مرتضى الرضوي ، ط 2 ،الارشاد، بيروت-لندن 1998م .
- ❁ البلداوي: الشيخ وسام برهان .
498 -فضائل اهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين (دراسة لاثبات وقوع التحريف والتناقض في مصادر الحديث وقواعده عند العامة واثر ذلك في فضائل اهل البيت عليهم السلام)، ط1،العتبة الحسينية المقدسة،منشورات الاعلمي،بيروت،2012 م .
- ❁ التستري: محمد تقي .
499 -جهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ط 1 ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، 2011 م
500 -قاموس الرجال ، الطبعة الأولى ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ، قم، 1419 هـ .
- ❁ التميمي: هادي عبد النبي محمد .
501 -الدور اليهودي في الدولة الاسلامية حتى نهاية عصر الرسول ﷺ ، النجف، 2006 .
- ❁ جابر : د.حميد سراج .
502 -الانغلاق الفكري عند مدعي التجديد وصورة الاستقراء النصي الاجتزائي في التعامل مع شخصية الرسول ﷺ ، ط 1 ، دار الفيحاء ، بيروت ، 2013 م .
- 503 -الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول ﷺ ، ط 1 ، مط : تموز ، دمشق ، 2012 م .
- 504 -الفكر الأختباري في نهج البلاغة ، ط 1 ، دار ومكتبة البصائر ، بيروت ، 2012 م .
- ❁ ابو جادو : صالح محمد
505 -علم النفس التربوي ، ط 8 ، دار المسيرة ، عمان ، 2011م .
- ❁ الجبوري: صفاء كامل .
506 -موسوعة العلماء والمكتشفين والمخترعين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 2007م .

- ✿ جرداق: جورج.
507 -الإمام علي ؑ، صوت العدالة الإنسانية، ط 1، دار المهدي، بيروت، 2004م.
- ✿ الجميلي : رشيد
508 -تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية، ط2 ، مط الرصافي ، بغداد ، 1976 م.
- ✿ الجواهري: حسن.
509 -بحوث في الفقه المعاصر، الطبعة الأولى ، دار الذخائر ، بيروت ، 1419 هـ.
- ✿ حب الله: حيدر.
510 -حجية السنة في الفكر الإسلامي قراءة وتقويم ، مؤسسة الانتشار العربي ، ط1، بيروت ، 2011م.
- ✿ ابو حبيب: سعدي.
511 -القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988.
- ✿ حبيب الله الخوئي: الميرزا الهاشمي ت 1324 هـ.
512 -منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح: علي عاشور، ط2، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2008 م .
- ✿ الحسنی : هاشم معروف .
513 -سيرة الائمة الاثني عشر: ط5، مطبعة شريعت، انتشارات المكتبة الحيدرية، 1427هـ.
- ✿ حسون: فارس
514 -الحج في نهج البلاغة ضمن سلسلة في رحاب نهج البلاغة ،ب ط ،الناشر :العتبة العلوية المقدسة ،النجف، 2011م،
- ✿ الحكيم: محمد باقر ت 2003 م.
515 -دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ط2، دار الحكمة، النجف الاشرف، 1424هـ.
- 516 -الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله) ،اعداد: حسين المياحي : ط 1 ،مؤسسة شهيد المحراب ،النجف ، 1424 هـ .
- ✿ الحكيم: محمد تقي
517 -الاصول العامة للفقه المقارن، ط2، مؤسسة أهل البيت، النجف، 1979.
- 518 -السنة في الشريعة الإسلامية ، بلا معلومات (قرص مكتبة أهل البيت ؑ).
- 519 -سنة أهل البيت ؑ ، الطبعة الأولى، قم ، 1426 هـ.
- ✿ الحلو: السيد محمد علي.
520 -تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النص ونص السلطة ، دار الكتاب الإسلامي، ط 1، مطبعة ستار، 2005م.
- ✿ حمزة: محمد.
521 -الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي ، ط 1 ،المؤسسة العربية للتحديث الفكري ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ، 2005 م .

- ❁ الحيدري: السيد كمال
522 عصمة الأنبياء في القرآن ، بقلم محمود الجياشي ، ط3 ، مط ستارة ، 2005 م .
❁ خان : د. محمد عبد المعيد .
523 -لأساطير العربية قبل الاسلام ، ب ط ، مط لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1937 م .
❁ الخراساني: حسين الوحيد .
524 -مناسك الحج ، ب.مكا، بز.ت. (قرص مكتبة أهل البيت ﷺ).
❁ الخراساني: محمد تقي النقوي القايني .
525 -مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، مكتبة المصطفوي، طهران، ب. ت .
❁ الخراسان: محمد مهدي .
526 -المحسن السبط، مولود أم سقط؛ مكتبة الروضة الحيدرية، النجف، 1427هـ .
❁ خريسات : محمد عبد القادر
527 -العصية القبلية في صدر الاسلام ، ط1 ، مؤسسة حمادة ودار اليازوري ، الاردن ، 2011م .
❁ الخطيب : السيد عبد الزهراء الحسيني .
528 -مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ط 3 ، مط : دار الاضواء ، بيروت ، 1985 م .
❁ الخليلي: جواد جعفر
529 -السقيفة أم الفتن، ط1، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ب.ت.
❁ ابو خليل : شوقي .
530 -الحضارة العربية الاسلامية ، دار الفكر ، دمشق ، 1996 م .
❁ الخوئي: السيد أبو القاسم الموسوي ت 1413هـ / 1992م .
531 -البيان في تفسير القرآن، بيروت، 1989 .
532 -معجم رجال الحديث، تح: لجنة التحقيق، ط5، ب.مكا، 1992م .
❁ خوئي : د .عباس زرياب
533 -دراسة تحليلية في السيرة النبوية ، عصر ما قبل الهجرة ، ترجمة علي الغدير سيد هادي ، ط 1 ، مط :
الغدير ، بيروت ، 1997 م .
❁ دروزة: محمد عزة (1305-1404هـ / 1887-1984م).
534 -التفسير الحديث، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م .
❁ درويش: السيد طاهر عيسى .
535 -علي كما وصف نفسه، ط1، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، 2004 .
❁ دغيم: د.سميح
536 -أديان ومعتقدات العرب قبل الاسلام ، ط1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1995 م .
❁ نويب: حمادي .

- 537 - السنة بين الاصول والتاريخ ، ط1، المؤسسة العربية للتحديث الفكري ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، 2005م.
- 538 -الرافعي: مصطفى صادق ت 1937 م .
- 539 -عجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ب ط ،دار الارقم ،بيروت ، ب ت .
✽ الراوي: عبد الستار عز الدين.
- 540 -ثورة العقل (دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد)، دار الرشيد، بغداد، 1989
✽الرحو :جنان سعيد
- 541 -اساسيات في علم النفس ،ط1 ،الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2005 م .
✽ الرصافي : معروف .
- 542 -كتاب الشخصية المحمدية ، ط 5 ، منشورات الجمل ، المانيا ، 2011 م .
✽ الرضوي: محمد الرضي.
- 543 -من أقطاب الكذابين أحمد بن تيمية الحراني، بلا مكا، ب.ت.
✽ الريشهري: محمد.
- 544 -القيادة في الإسلام، تعريب: علي الأسدي، ط1، دار الحديث، 1417هـ.
- 545 -ميزان الحكمة، دار الحديث، ط1، قم، 1416هـ.
✽ أبو رية : محمود .
- 546 -أضواء على السنة المحمدية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2، قم، 2007.
✽ الزركلي : خير الدين .
- 547 -الأعلام، دار العلم للملايين، ط 5، بيروت، 1980.
✽ الزرندي: السيد أبو الفضل مير محمدي.
- 548 -بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1420هـ.
✽ زهادت : عبد المجيد
- 549 -التربية والتعليم في نهج البلاغة، ترجمة: حسن النمر ، ط1 ، دار الهدى ، بيروت ، 2005 م.
✽ أبو زيد : نصر حامد.
- 550 -الإمام الشافعي وتأسيس الايديولوجية الوسطية ، ط1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2007 م .
✽ زيني دحلان :احمد ت 1304 هـ
- 551 -السيرة النبوية ، الطبعة الجديدة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ب.ت .
✽ الساعدي :نعمة هادي.
- 552 -علي القرآن الناطق ، ط1 ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، 2006 م .
✽ سالم : السيد عبد العزيز
- 553 -تاريخ الدولة العربية ، ب.ط ، بيروت ، ب.ت .
✽ سبحاني: جعفر .

- 554 - الأمثال في القرآن ، ط1 ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، قم ، 1420 هـ.
- 555 - الحديث النبوي بين الدراية والرواية ، ط1 ، قم ، 1419 هـ.
- 556 - السيرة المحمدية دراسة تحليلية للسيرة المحمدية على ضوء الكتاب والسنة والتاريخ الصحيح ، اعداد واقتباس : يوسف جعفر سعادة ، تعريب : جعفر الهادي ، ط1 ، مط : اعتماد ، قم ، 1420 هـ .
- 557 - عصمة الانبياء في القرآن الكريم ، ط2 ، قم ، 1420 هـ.
- 558 - العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، نقله إلى العربية : جعفر الهادي ، ط1 ، قم ، 1998 م.
- 559 - محاضرات في الالهيات ، تلخيص : علي الكلبايكاني ، ط7 ، مط : مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، قم ، 1425 هـ .
- 560 - موسوعة طبقات الفقهاء ، ط1 ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، قم ، 1418 هـ.
- ✽ السعداوي : عبد الكريم حسين .
- 561 - غريب نهج البلاغة ، مكتبة الروضة الحيدرية ، النجف الأشرف ، 2011 م.
- 562 - السند : آية الله السيد محمد
- 563 - الصحابة بين العدالة والعصمة ، اعداد : مصطفى الاسكندري ، ط1 ، مؤسسة الرافد ، قم ، 2005 م.
- ✽ السويج : السيد محمد مهدي محمد .
- 564 - في النبوة والانبياء الستة العرب ، كتاب فيما فيه معلومات وبحوث قل ان يتطرق اليها... مهمة للغاية ، ط1 ، مؤسسة البلاغ ، لبنان ، 2000 م .
- ✽ السيستاني : السيد علي الحسيني .
- 565 - الفقه للمغتربين ، ترتيب وتنظيم : عبد الهادي محمد تقي الحكيم ، لندن ، 1418 هـ / 1998 م.
- 566 - مناسك الحج ، ط1 ، مطبعة شهيد ، قم ، 1413 هـ.
- 567 - منهاج الصالحين ، قم ، ط1 ، 1416 هـ .
- ✽ شرف الدين : السيد عبد الحسين الموسوي (1873 . 1958) .
- 568 - النص والاجتهاد ، دار الأسوة ، ط3 ، قم ، 1382 ش .
- ✽ الشرهاني : حسين علي
- 569 - اضواء على السيرة النبوية دراسة في حياة الرسول مع السيدة خديجة ، ط1 ، مط : تموز ، دمشق ، 2013 م .
- 570 - حياة السيدة خديجة من المهد الى اللحد ، ط1 ، مكتبة الهلال ، بيروت ، 2005 م .
- ✽ شكشك : انس .
- 571 - علم النفس العام ، ط1 ، دار النهج ، حلب ، 2008 م .
- ✽ شمس الدين : محمد المهدي .
- 572 - حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام ، ط4 ، المؤسسة الدولية ، بيروت ، 1997 م .
- 573 - دراسات في نهج البلاغة ، المؤسسة الدولية ، بيروت ، 2001 م .

- ✿ الشهرستاني: علي .
- 574 - وضوء النبي ﷺ ، ط1، بيروت، 1994 .
- 575 - منع تدوين الحديث ، ط1 ، دار الغدير ، قم ، 2005 هـ .
- ✿ الشنقيطي:
- 576 - أضواء البيان، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1995م.
- ✿ الشيرازي: السيد محمد الحسيني (1422هـ).
- 577 - تقريب القرآن إلى الأذهان، ط1، دار العلوم، بيروت، 2003.
- 578 - توضيح نهج البلاغة، دار تراث الشيعة، طهران، ب.ت.
- ✿ الصانع: مجيد.
- 579 - علي ﷺ بين أمه وأبيه، بيروت، 2001م.
- ✿ الصالح: صبحي (الشارح)
- 580 - نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: صبحي الصالح، ط6، دار الاسوة ، طهران، 1429هـ.
- ✿ صبحي: أحمد محمود.
- 581 - في علم الكلام، ط5، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- ✿ الصدر: محمد باقر ت1980م.
- 582 - الرسول . المرسل . الرسالة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 2003.
- ✿ الصدر: محمد صادق ت1999م.
- 583 - سما وراء الفقه ، ب ط ، دار ومكتبة البصائر ، بيروت ، 2011 م .
- ✿ الصدر: مهدي الصدر
- 584 - أخلاق أهل البيت ﷺ ، ط4 ، مط ستار ، 2008 م .
- ✿ الصفار : الشيخ سالم .
- 585 - سيرة الرسول ﷺ في القيادة والمناهج الانسانية دراسة تحليلية ، ط1 ، دار الثقليين ، بيروت ، 1999 م .
- ✿ ضيف : شوقي ت 2005 م .
- 586 - تاريخ الادب العربي ، ط28 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2008 م .
- ✿ الطائي : نجاح
- 587 - نساء النبي وبناته ، ط2، دار الهدى ، لندن ، 2002
- ✿ الطباطبائي: السيد محمد حسين ت 1402هـ
- 588 - الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ب.ت.
- ✿ الطحان : مصطفى محمد .
- 589 - التربية ودورها في تشكيل السلوك ، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، 2006 م .
- ✿ الطهراني : آغا بزرك.

- 590 -الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ط3 ، دار الأضواء ، بيروت ، 1983م .
 ❁ العاملى: ياسين عيسى .
- 591 -الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العلمية، ط1، دار البلاغة ، بيروت ،1993م .
 ❁ العاملى: جعفر مرتضى
- 592 - بنات النبي أم ربابه ، ط2 ، المركز الإسلامى للدراسات ، بيروت ، 2002 م .
- 593 -تخطيط المدن في الاسلام ، ط1 ، المركز الاسلامى للدراسات ، بيروت ، 2009 م .
- 594 -الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ ، ط6 ، المركز الاسلامى للدراسات ، بيروت ، 2010 م .
- 595 -منطلقات البحث العلمى في السيرة النبوية ، ط1 ، المركز الاسلامى للدراسات ، بيروت ، 1996م .
 ❁ العاملى: حسن مكى .
- 596 -بداية المعرفة، ط 2، ذوى القربى، قم، 1427هـ .
 ❁ العاملى: حسين جمعة .
- 597 -شروح نهج البلاغة، ط1، مطبعة الفكر، بيروت، 1983م .
 ❁ العاملى: الشيخ قاسم محمد مصرى .
- 598 -رسالة في التعرب بعد الهجرة ، ط1، دار الغدير، قم، 2003م .
 ❁ عاقل: د. نبيه .
- 599 -تارىخ العرب القديم وعصر الرسول ، ط3 ، دار الفكر، 1983م .
 ❁ العاملى: مصطفى قصير .
- 600 -كتاب علي ؑ والتدوين المبكر للسنة النبوية الشريفة، ط 2، رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية، قم، 1996 .
 ❁ عبد الحميد: صائب .
- 601 -تارىخ السنة النبوية (ثلاثون عاما بعد الرسول ﷺ) ، ط1، مط : فروردين ، ب مكا ، 1997 م .
 ❁ عبد الرازق: مصطفى .
- 602 -تمهيد لتارىخ الفلسفة الاسلامية ، ط3 ، القاهرة ، 1944 م .
 ❁ عبد الكرىم : خليل
- 603 -إلا .. أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، ط1 ، مؤسسة الانتشار العربى ، بيروت ، 2006 م .
 ❁ عبد المنعم: محمود عبد الرحمن .
- 604 -معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية ، دار الفضيلة ، القاهرة ، 1999م .
 ❁ عبده : محمد (شارح) .
- 605 -شرح نهج البلاغة للشريف الرضى، دار المعرفة ، بيروت ، ب.ت .
 ❁ العسكري: مرتضى .
- 606 -المصطلحات الاسلامية، المجمع العالمى لاهل البيت ؑ ، ط1، بيروت، 2010 .
- 607 -معالم المدرستين ، ط1 ، مط : لىلى، الناشر: المجمع العالمى لأهل البيت ؑ ، 2003م .

- ✽ العسكري: نجم الدين. ت 1390هـ/1970م.
- 608 -حديث الثقلين ، ط4، مطبعة الآداب ، النجف ، ب.ت.
- ✽ العقاد: عباس محمود
- 609 -ابو الشهداء الحسين بن علي ،ب ط ، مط :نهضة مصر ،مصر ،ب ت
- ✽ علي: جواد.
- 610 -المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، آوندانش، 2006م.
- ✽ علي: طارق محمد.
- 611 -سقائنا، ب. ط، ب. مكا، 1418هـ.
- ✽ العواد: انتصار عدنان.
- 612 -السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة تاريخية، مؤسسة البديل، بيروت، 2009 .
- ✽ الغروي: محمد.
- 613 -لامثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، ط3، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1415هـ.
- ✽ غفاري: علي اكبر (محقق وملخص).
- 614 -دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية للمامقاني ت 1351 هـ ، ط 1 ، جامعة الإمام الصادق 1369 ش.
- ✽ فتح الله: أحمد.
- 615 -معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ط1، مطابع المدوخل، الدمام، 1995م.
- ✽ الفحام: عباس علي حسين
- 616 -لاثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون ، ط 1 ،العتبة العلوية المقدسة ، مكتبة الروضة الحيدرية ،منشورات الفجر ،بيروت ، 2010 م.
- 617 -جلاغة النهج في نهج البلاغة ، ط1 ،مؤسسة دار الصادق الثقافية ودار الرضوان ، الاردن ، 2014م .
- ✽ فرحان : عدنان (ابو أنس)
- 618 -دروس من السيرة النبوية ، ط 1 ، مط : شريعت ، ايران ، 1386 هـ .
- ✽ فلسفي : محمد تقى
- 619 -الطفل بين الوراثة والتربية ، تعريب وتعليق فاضل الحسيني الميلاني ، ط 2 ، مط دار سبط النبي عليه السلام ، 2005 م .
- ✽ الفياض: محمد إسحاق.
- 620 -مناسك الحج ، ط1، مطبعة أمير، قم، 1418هـ.
- ✽ القاسم: أسعد وحيد.
- 621 -أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة ، ط1، مركز الغدير، بيروت، 1997م.
- ✽ القزويني: لطيف.
- 622 -رجال تركوا بصمات على قسماات التاريخ ، بلا معلومات

- ❁ قلعة جي: محمد رواس.و قنيبي: محمد صادق.
- 623 -معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس، بيروت، 1998م.
- ❁ القمي: عباس ت1359هـ.
- 624 -الكنى والالقب، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران، ب.ت.
- ❁ الكتاني: السيد محمد عبد الحي الادريسي الحسني الفاسي.
- 625 -التراتب الادارية(نظام الحكومة النبوية)، ط2، اعتناء وتحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت ، 1996م.
- ❁ كحالة: عمر رضا.
- 626 -معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.
- 627 -معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م1957.
- ❁ الكربلائي: جواد بن عباس .
- 628 -الانوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة ، مراجعة محسن الاسدي ، ط 1 ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 2007 م .
- ❁ كرستنسن : آرثر .
- 629 -ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، ب.ط ، ب.مط ، بيروت ، 1982م
- ❁ الكوراني: علي .
- 630 -السيرة النبوية برواية اهل البيت ﷺ ، الطبعة الجديدة ،دار المرتضى ،بيروت ، 2009 م
- 631 -المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عج)، ط3، 1430هـ/ 2010م.
- ❁ آل لطيف : محمد بن ابراهيم على الله .
- 632 -مآثر آل البيت وبنو هاشم ، ط1 ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2011 م
- ❁ مؤسسة الإمام الصادق (ع).
- 633 -موسوعة طبقات الفقهاء، ط1، مؤسسة الإمام الصادق ﷺ، مطبعة اعتماد، قم، 1418هـ.
- ❁ محمد السيد: محمد صالح.
- 634 -أبو جعفر الاسكافي وآراؤه الكلامية والفلسفية ، دار إحياء الكتب ، القاهرة ، 1988 م.
- ❁ المحمداوي: علي صالح رسن.
- 635 -الاسلام قبل البعثة المحمدية رؤية قرآنية، ط 1 ، مط: دار ومكتبة البصائر بيروت 2013 م .
- 636 -أبو طالب بن عبد المطلب ، ط1، مؤسسة البصرة للكتاب الثقافي، دار ومكتبة البصائر، بيروت ، 1433هـ.
- 637 -حقييل بن أبي طالب بين الحقيقة والشبهة، ط1، مركز الأبحاث العقائدية ، قم ، 1432هـ
- ❁ محمديان : محمد
- 638 -حياة أمير المؤمنين ﷺ عن لسانه ، ط 1 ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، 1417 هـ.ق
- ❁ محمود: د.محمود عرفة.

- 639 -العرب قبل الإسلام ، احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم ، ط 1 ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ،مصر ،1995 م .
 * المحمودي : محمد باقر .
- 640 -نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ط1، دار التعارف، بيروت، 1396.
 * المرعشي : ت 1411هـ.
- 641 -شرح احقاق الحق ، تح وتعليق السيد شهاب الدين المرعشي ، تصحيح : ابراهيم الميانجي ، ب ط ، ب مط ، منشورات مكتبة آية الله المرعشي ، قم ، ب.ت .
 * مركز المعجم الفقهي.
- 642 -المصطلحات، (قرص مكتبة أهل البيت عليه السلام)، بلا معلومات.
 * المسعودي: محمد فاضل.
- 643 -الأسرار الفاطمية، ط3 ،مؤسسة الانوار الفاطمية ، قم ،2002م .
 * مصباح: محمد تقي
- 644 -النبوة في القرآن ،نقله الى العربية :محمد الخاقاني ،ط1 ، مط :افق ،قم ،1426 هـ .
 * المصطفوي : الشيخ حسن .
- 645 -التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ط 1 ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد ، طهران 1417 هـ .
 * المظفر :محمد رضا.
- 646 -السقيفة: تقديم : د. محمود المظفر ، ط4 ، قم ، 2004 .
- 647 -المنطق، مطبعة حسام، بغداد، د . ت.
 * المغربي: احمد بن محمد الحسني ت 1380هـ.
- 648 -فتح الملك العلي بصحة حديث مدينة العلم علي : تح محمد هادي الاميني ، أصفهان ،ب.ت.
 * مغنية: محمد جواد
- 649 -التفسير الكاشف، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م.
- 650 -في ظلال نهج البلاغة،محاولة لفهم جديد،ط2،مط: ستار،قم،1428 هـ .
 * مكتبة الروضة الحيدرية
- 651 -القرآن في نهج البلاغة (سلسلة في رحاب نهج البلاغة) ،الناشر العتبة العلوية المقدسة ،النجف ،2011م .
- 652 -الموعظة في نهج البلاغة (سلسلة في رحاب نهج البلاغة) ،الناشر العتبة العلوية المقدسة ،النجف ،2012م .
 * الملاح: هاشم يحيى.
- 653 -الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الكتب ، الموصل، 1994م.
 * المنصوري : اياد

- 654 -المنهج العلمي في تقييم افعال الصحابة ، ب.ط ، مؤسسة احياء الكتب الاسلامية ، قم ، ب.ت .
 ❁ المهريزي : مهدي
- 655 -دروس في نصوص الحديث ونهج البلاغة ، ترجمة انور الرصافي ، ط 4 ، مط : زلال كوثر ، قم ،
 1432 هـ
- ❁ المير جهاني: حسن الطباطبائي.
- 656 -مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة (مستدرك نهج البلاغة)، طهران، 1388 هـ
 ❁ الميلاني: السيد علي الحسيني.
- 657 -آية التطهير ، ط 1 ، نشر مركز الابحاث العقائدية ، قم ، 1421 هـ .
- 658 -ابن تيمية وامامة علي ؑ، ط1، مركز الأبحاث العقائدية، 1421هـ.
- 659 -حديث سد الابواب، ط4، مطبعة وفا، قم، 1430هـ.
- 660 -حديث المنزلة ، مركز الابحاث العقائدية ، قم ، 1421هـ.
- ❁ الميلاني : السيد هاشم
- 661 -سيرة الرسول الأعظم من نهج البلاغة ، نشر العتبة العلوية المقدسة ، النجف الاشرف ، 2012 م.
 ❁ ناجي : د. عبد الجبار .
- 662 -تقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجا، ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت ، 2011 م .
 ❁ ناصر مكارم الشيرازي.
- 663 -الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط2، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2005 م.
- 664 -حفاحات الولاية (شرح نهج البلاغة شرح عصري جامع لنهج البلاغة)، بمساعدة مجموعة من
 الفضلاء، اعداد: عبد الرحيم الحمراي، ط2، دار جواد الائمة ؑ، بيروت، 2009 م.
- ❁ النجفي: هادي.
- 665 -موسوعة أحاديث أهل البيت، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م.
 ❁ النصر الله : د. جواد .
- 666 -أمير المؤمنين الإمام علي ؑ في رحاب البصرة، مطبعة الغدير، البصرة، 2003.
- 667 -الإمام علي ؑ في فكر معتزلة البصرة، دار الفيحاء، بيروت، 2013.
- 668 -شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد رؤية اعتزالية عن الإمام علي (ؑ) ، ط 1 ، ذوي القرى ، قم ،
 2004 م .
- 669 -فضائل الإمام علي تنسب لغيره ، الحلقة الأولى (الولادة في الكعبة)، مركز الأبحاث العقائدية، النجف،
 2009.
- ❁ النفيس: أحمد راسم.
- 670 -النبوة في نهج البلاغة، دار المحجة البيضاء، ط1، بيروت، 2010.
- ❁ النمازي: علي الشاهرودي ت 1405 هـ .

- 671 مستدرك سفينة البحار، تح: وتصحيح: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1418 هـ.
- ❁ النقوي: السيد حامد ت 1306 هـ.
- 672 خلاصة عقبات الأنوار، مطبعة خيام، مؤسسة البعثة، طهران، 1405 هـ.
- ❁ الوائلي : عبد الرحمن.
- 673 جدلية العلاقة بين العقل والتجربة الاجتماعية، ط1، دار الهادي، بيروت، 2003م
- ❁ آل ياسين :محمد حسن
- 674 في رحاب الرسول ﷺ ، بيروت ، 1996 م .
- ❁ يعقوب: أحمد حسين.
- 675 الخطط السياسية لتوحيد الامة الاسلامية ، ط2 ، دار الفجر ، لندن ، 1415 هـ .
- 676 نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الاسلام، ط 4 ، مط : بهمن ، قم ، 2003 م .
- ❁ اليوسفي: محمد هادي الغروي.
- 677 موسوعة التاريخ الإسلامي، ط1، مجمع الفكر الإسلامي، قم ، 1417 هـ.

الدوريات

- ❁ جابر : د.حميد سراج .
- 678 فلسفة النبوة وابعاد حياة الانبياء الاجتماعية في نهج البلاغة ، منشور ضمن ابحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة ، ج 2 ، مركز دراسات الكوفة ، ط1، النجف الاشرف ، 2011 م ، ص 303 - 325 .
- ❁ حمود : د. احمد عبد المجيد .
- 679 سيرة النبي المصطفى ﷺ للامام علي المرتضى عليه السلام من خلال نهج البلاغة ، مجلة رسالتنا ، العدد الرابع السنة الاولى ، بغداد 2004 ، ص 132 - 154 .
- ❁ الصافي : د.حسين
- 680 -آباء النبي ﷺ في الكتاب والسنة ، مجلة صدى القرآن ، العدد الثاني ، السنة الاولى ، 2012 م ، ص 105-124 .
- ❁ الشريف يوسف
- 681 -الكعبات المقدسة عند العرب قبل الاسلام ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج 29 ، بغداد ، 1978 م ، (الصفحات جميعها) .
- ❁ كاظم: د. شاكر مجيد، النصر الله: د. جواد.
- 682 -الحياة العقائدية والاجتماعية عند العرب قبل الإسلام في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ، مجلة أبحاث البصرة (الإنسانيات) ، المجلد 30 العدد الثاني ، 2006 . ص1- 61 .

- الكريطي :حاكم حبيب ❁
 683 -اهل البيت (عليهم السلام) في نهج البلاغة - قراءة تأويلية - ، منشور ضمن ابحات ودراسات مؤتمر نهج البلاغة ، ج 5 ، مركز دراسات الكوفة ، ط1 ، النجف الاشرف ، 2011 م ، ص 7-24 .
 المحررات : كاظم حمد ❁
 684 تجليات الزهد في نهج البلاغة ، العدد 75-76 ، ب ط .
 نصار : موسى ❁
 685 -الطغاة وسنن التاريخ في ضوء القران ، مشاهد الصراع ، مجلة المصباح ، العدد الثامن ، 2013 م ، ص 231 - 255 .
 النصرالله: جواد كاظم. ❁
 686 -الإمام علي (عليه السلام) في فكر الجاحظ ، مجلة دراسات البصرة ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، 2007م.
 687 -الجاهلية فترة زمنية أم حالة نفسية ، مجلة أبحاث البصرة ، المجلد 31 ، العدد الاول (أ) ، 2006م . ص 5 . 43 .
 688 -السيرة النبوية بين الرؤية القرآنية والرواية التاريخية ، بحث مشارك في مؤتمر بيت الحكمة ، بالتعاون مع جامعة ذي قار ، 2013 م .
 689 -مرويات الجوهرى عن يوم السقيفة، مجلة دراسات البصرة، العدد الأول، السنة الثانية، 2007 م .
 690 -نشأة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ديار بني سعد ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 9 ، 2010 م .
 691 -هيئة كتابة التاريخ برئاسة معاوية، مجلة رسالة الرافدين، العدد الخامس، 2008.

الرسائل الجامعية

- جثير : علي غانم ❁
 692 -بيئة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في القران الكريم _دراسة تحليلية مقارنة _ اطروحة دكتوراة غير منشورة ،كلية الاداب ،جامعة البصرة، 2006م .
 الحاج: محسن فهد. ❁
 693 -جعفر بن ابي طالب (عليه السلام) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الاداب ،جامعة البصرة ، 200م دولة التبابعة في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب ،جامعة البصرة ، 1990 م
 الحلفي : صبيح نوري ❁
 694 -نساء البيت الاموي ودورهن في الحياة الاجتماعية والسياسية حتى نهاية العصر الاموي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، الاداب ، البصرة ، 2006 .
 الدليمي : مؤيد عبيد ياسين ❁
 695 -ملاحم المجتمع المدني في عصر النبوة ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، 2006 م .

- ❁ الزبيدي : بثينة عادل عمران .
696 -لثأر في العصر الاموي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية للبنات ، 2013 م .
- ❁ الساعدي: إيمان حسن مجيسر .
697 -والدا النبي محمد ﷺ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، 2009 .
- ❁ الصفرائي : رياض رحيم حسين
698 -هاشم بن عبد مناف ، دراسة في سيرته الشخصية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، 2010 م .
- ❁ عبد الرحمن: هاشم يونس .
699 -الحياة الفكرية في الجزيرة العربية قبل الاسلام وعصر الرسالة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، الموصل، 1992م .
- ❁ العبيدي : شذى عبد الصاحب عبد الحسين
700 -مجتمع المدينة من خلال القرآن الكريم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة ديالى ، كلية التربية ، 2005 م .
- ❁ عجيبي : احمد فاضل .
701 -كتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مصدرا لتاريخ العرب قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة ذي قار ، كلية الاداب ، 2013 م .
- ❁ الغزي : مازن خضير عباس
702 -لرد على الرسول ﷺ دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية للبنات ، 2013 م .
- ❁ غياض : عباس عبد الحسين .
703 -للسياق واثره في دلالة النص القرآني عند مفسري الامامية في العصر الحديث ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية الاداب ، 2013م .
- ❁ الفارس : محمد خضير جاسم
704 -سروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية عن السيرة النبوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، 2010 م .
- ❁ القريشي : علي كريم عباس
705 -آل عبد المطلب وأثرهم في الحياة العامة حتى نهاية العصر الراشدي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل ، كلية التربية ، 2007 م .
- ❁ المالكي : سعدي عبد الرحيم مانع
706 -حمزة بن عبد المطلب ، دراسة في سيرته الشخصية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، 2009م .

- ✿ المرزوك : غزوان عبد الكاظم مهدي
707 - الغيبيات في نهج البلاغة دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل ، كلية التربية ،
2013 .
- ✿ معمرى : حسن .
708 - مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرنين 5 و 6 للميلاد ، مذكرة
ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2006 م .
- ✿ الميالى : ناجح جابر جخيور .
709 - صورة النبي الاكرم ﷺ في نهج البلاغة دراسة في ضوء منهج الاسلوبية التطبيقية ، اطروحة دكتوراة
غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية الاداب ، 2013 م .

المحاضرات

- ✿ النصرالله : د . جواد كاظم .
710 - محاضرات في سيرة المعصومين ألقبت على طلبة العلوم الدينية في جامعة السيد الصدر عام 1425 هـ
/ 2004 م .